(فهرسة كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء)

صحيفه

٨ الباب الاول فى ذكر ملك العرب
٣٤ الباب الثانى فى وصايا ملك العجم
٧٠ الباب الثالث فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك
٧٩ الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان
١٢٥ الباب الخامس فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع
١٦٦ الباب السادس فى نوادر التيس المشرقى والكلب الافرقى
٢١٨ الباب السابع فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال
٢٤٨ الباب الثامن فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد
٢٧٤ الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب
٣١٦ الباب العاشر فى معاملة الخادم والاحباب والاعداء والاصحاب

هـــــــــــذا

كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة
الظرفاء للعلامة الاديب
والفهامة الاريب الشيخ
أحمد بن محمد بن عربشاه
الحنفي تغمده الله
تعالى برحمته
ولطفه الخفي

م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) الذى شهدت الكائنات بوجوده وشمل الموجودات عميم كرمه وجوده ونطقت الجمادات بقدرته وأعربت العجماوات عن حكمته وتخاطبت الحيوانات بلطيف صنعته وتناغت الاطيار بتوحيده وتلاغت وحوش القفار بتفريده كل باذل جهده وان من شئ الا يسبح بحمده بل المكان ومن فيه والزمان وما يحويه من نام وجامد ومشهود وشاهد تشهد بأنه اله واحد منزه عن الشريك والمعاند مقدس عن الزوجة والولد والوالد مبرأ عن المعاند والمضادد مسبح باصناف المحامد (أحمده) حمدا تنطق به الشعور والجوارح وأشكره شكرا يصيد نعمه صيد المصيد بالجوارح (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب اودع أسرار ربوبيته فى بريته وأظهر أنوار صمديته فى جوانى بحره وبريته فبعض يعرب بلسان قاله وبعض يعرب بلسان حاله وتسبحه السموات باطيطها والارض بغطيطها والابحر بخريرها والاسد بزئيرها والحمام بهديرها والطير بتغريدها والرياح

بهبوبها

بهبوبها والبهائم بهبيبها والهوام بكشيشها والقدور بنشيشها والخيل بضبحها والكلاب بنبحها والاقلام بصريرها والنيران بزفيرها والرعود بنحيحها والبغال بشحيحها والانعام برغائها والذباب بطنينها والقسى برنينها والنياق بحنينها كل قد علم صلاته وتسبيحه ولازم فى ذلك غبوقه وصبوحه وعمروا بذلك أجسادهم وأرواحهم ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى من صدقه اتم سوله أفضل من بعث بالرساله وسلمت عليه الغزاله وكلمه الحجر وآمن به المدر وانشق له القمر ولبت دعوته الشجر واستجار به الجمل وشكا اليه شدة العمل وحن اليه الجذع ودر عليه يابس الضرع وسبح فى كفه الحصا ونبع من بين اصابعه الما وصدقه ضب البريه وخاطبته الشاة المصليه صلى الله عليه صلاة تنطق بالاخلاص وتسعى لقائلها بالخلاص وعلى آله اسود المعارك وأصحابه شموس المسالك وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما (أما بعد) فان الله المقدس فى ذاته المنزه عن سمات النقص فى صفاته قد أودع فى كل ذرة من مخلوقاته من بديع صنعه ولطيف آياته ومن الحكم والعبر ما لا يدركه البصر ولا تكاد تهتدى اليه الفكر ولا يصل اليه فهم ذوى النظر ولكن بعض ذلك للبصر بالرصد ظاهر يدركه كل أحد قال الله تعالى وجل ثناؤه جلالا وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم افلا تبصرون وقال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وقال عز من قائل فى كلامه الطائل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال الشاعر

ففى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

لكن لما كثرت هذه الآيات والحكم وانتشرت أزهار رياضها فى وهاد العقول والاكم وترادف ما فيهما من العجائب والعبر وتكرر وورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر وعادتها النفوس ولم يكترث لوقعها القلب الشموس ولم يستهجن من وجودها ولم يلتفت الى جدودها فكثر

فى ذلك أقوال الحكماء وتكررت مقالات العلماء فلم تصغ الاسماع اليها
ولا عولت الافكار عليها فقصد طائفة من الاذكياء وجماعة من حكماء
العلماء ممن يعلم طرق المسالك ابرازشئ من ذلك على ألسنة الوحوش
وسكان الجبال والعروش وما هو غير مألوف الطباع من البهائم
والسباع وأصناف الاطيار وحيتان البحار وسائر الهوام فيسندون
اليها الكلام لتميل لسماعه الاسماع وترغب فى مطالعته الطباع لان
الوحوش والبهائم والهوام والسوائم غير معتادة لشئ من الحكمه
ولا يسند اليها ادب ولا فطنه بل ولا معرفة ولا تعريف ولا قول ولا فعل
ولا تكليف لان طبعها الشماس والاذى والافتراس والافساد والنفور
والعدوان والشرور والكسر والتفريق والنهش والتمزيق فاذا اسند
اليها مكارم الاخلاق وأخبر بأنها تعاملت فيما بينها بموجب العقل
والوفاق وسلكت وهى مجبولة على الخيانة سبل الوفاء ولازمت وهى
مطبوعة على الكدورة طرق الصفاء اصغت الآذان الى استماع أخبارها
ومالت الطباع الى استكشاف آثارها وتلقتها القلوب بالقبول والصدور
بالانشراح والبصائر بالاستبصار والارواح بالارتياح لكونها اخبارا
منسوجة على منوال عجيب وآثارا اسديت لحمتها فى صنع بديع غريب
لاسيما الملوك والامراء وأرباب العدل والرؤساء والسادة والكبراء وأبناء
الترفه والنعم وذوو المكارم والكرم اذا قرع سمعهم قول القائل صار
البغل قاضيا والنمر طائعا لا عاصيا والقرد رئيس الممالك والثعلب
وزير الذلك والدب مؤرخا أديبا والحمار منجما طبيبا والكلب كريما والجمل
نديما والغراب دليلا والعقاب خليلا والحدأة صاحبة الامانه والفارة
كاتبة الخزانه والحية راقيه والبومة ساقيه وضحك النمر متواضعا
وغدا الاسد لارشاد الذئب سامعا ورقص الغزال فى عرس القنفد
وغنى الجدى فطرب الجدجد وتصادق القط والجرذان وصار السرحان
راعى الضان وعانق الليث الحمل والذئب الجمل ورفع الباشق الحمامة
على رقبته وحمل ارتاحت لذلك نفوسهم وزال عبوسهم وانشرحت
خواطرهم وسرت سرائرهم وأصغت اليه أسماعهم ومالت اليه طباعهم

وأدى طيشهم الى أن طاب عيشهم ولكن أهل السعاده وأرباب السياده
ومن هو متصد لفصل الحكومات والذى رفعه الله الدرجات فانتصب
لاغاثة الملهوفين وخلاص المظلومين من الظالمين والمتنبهون بتوفيق الله
تعالى لدقائق الامور وحقائق ماتجرى به الدهور اذا تأملوا فى لطائف
الحكم والفرائد التى أودعت فى هذه الكلم ثم تفكروا فى نكت العبر
وصفات العدل والسير والاخلاق الحسنه والقضايا المستحسنه المسندة
الى مالا يعقل ولا يفهم وهم من أهل القول الذى يشرف به الانسان ويكرم
يزدادون مع ذلك بصيره ويسلكون بها الطرق المنيره فتتوفر مسراتهم
وتتضاعف لذاتهم وربما أدى بهم فكرهم وانتهى بهم فى أنفسهم أمرهم
أن مثل هذه الحيوانات مع كونها عجماوات اذا اتصفت بهذه الصفه
وهى غير مكلفه وصدر منها مثل هذه الامور الغريبه والقضايا الحسنة
العجيبه فنحن أولى بذلك فيسلكون تلك المسالك وقد ضرب الله
ذو الجلال فى كلامه العزيز الامثال فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله
أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون وقال سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه ما أعظم شانه يا أيها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان
يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال تعالى
ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى وأوحى ربك
الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل
الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه
شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين اسند سبحانه وتعالى
الافعال والاقوال الى الجمادات بعد ما وجه الخطاب اليها وقال تعالى
ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم

والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن
يهن الله فماله من مكرم وكل ما جاء فى هذه الطريقة فانه بالنسبة اليه تعالى
حقيقة لانه قادر على كل شى وسواء عنده الميت والحى ولا فرق فى كمال
قدرته بالنظر الى قدرته ومشيئته وتصوير كمال عظمته وهيبته بين
الناطق والصامت والنامى والجامد والشاهد والغائب والآتى
والذاهب كما لا فرق فى هذا الكمال بين الماضى والاستقبال وقال تعالى
فما بكت عليهم السماء والارض وقال فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض
وقال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقال فى الهدهد
فقال احطت بما لم تحط به وقال الشاعر ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
وقالت العرب فى امثالها قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى
قل لمن وراءى يتركنى ورائى وقالوا أكرم من الاسد ومن اشهر أمثالهم
قالوا ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا الى الضب
فقالت الارنب يا أبا الحسين قال سميعا دعوت قالت اتيناك لنختصم اليك
قال عادلا حكيما قالت اخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى
وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها منى الثعلب قال لنفسه بغى
الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال حر انتصر لنفسه
قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت هذه الاقوال كلها أمثالا
وقالوا تحككت العقرب بالافعى وقال الشاعر

قام الحمام الى البازى يهدده * واستصرخت باسود البر أضبعه

وهذا أمر مستفيض مشهور معروف بين الانام غير منكور والحصر
فى هذا المعنى يتعسر والاستقصاء يتعذر وانما الاوفق التمثيل والتنظير
والاستدلال بالقليل على الكثير فيتفكه السامع تارة ويتفكر أخرى
وينتقل فى ذلك من الاخفى الى الاجلى ويتوصل بالتأمل فى معانيه من الادنى
الى الاعلى ومن جملة ما صنف فى ذلك واشتهر فيما هنالك وفاق على
نظائره بمخبره ومنظره وحاز فنون الفطنة كليلة ودمنة والمتمثل بحكمة
الطباع كتاب سلوان المطاع والمفحم بنظمه العجيب كل شاعر وأديب
معجز الضراغم الصادح والباغم وفى غير لسان العرب ممن يتعاطى فن

الادب جماعة رضعوا أفاويقه وسلكوا من هذا النمط طريقه لكن تقادم عصرهم واشتهر أمرهم وتكرر ذكرهم وصارت مصنفاتهم مطروقه وعتاق نجائبها فى ميدان التأمل عتيقه ففلذت من دهرى فلذه وعملت بموجب لكل جديد لذه وسيرت فارس الافكار فى ميدان هذا المضمار وقصدت من الفائدة ماقصدوه ومن العائدة فى الدارين مارصدوه وجمعت مابلغنى عن نقلة الاخبار وحملة الآثار ورواة الاسفار على لسان شيخ اللطائف ومنبع المعارف وامام الطوائف ومجمع العوارف ذى الفضل والاحسان ابى المحاسن حسان ووضعت هذا الكتاب نزهة لبنى الآداب وعمدة لاولى الالباب من الملوك والنواب والامراء والحجاب وجعلته عشرة أبواب ومن الله أستمد الصواب وأستغفره من الخطا فى الجواب انه رحيم تواب كريم وهاب (وسميته) فاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا شعر

فان يغض بحر على تهد منه على * در ينير عيون العقل فى السدف
البسته من خلاعات النهى خلعا * وربما ازدان عقد الدر بالخزف
والفضل يحتاج فى ترويج سلعته * الى الخرافة والمعقول للخرف
فاعبر الى البحر تجن الدر منه ولا * يلهيك عن دره اضحوكة الصدف

الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب
الباب الثانى فى وصايا ملك العجم المتميز عن اقرانه بالفضل والحكم
الباب الثالث فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك
الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان
الباب الخامس فى نوادر ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع
الباب السادس فى نوادر التيس المشرقى والكلب الافرقى
الباب السابع فى ذكر القتال بين ابى الابطال الريال وابى دغفل سلطان الافيال
الباب الثامن فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد
الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب
الباب العاشر فى معاملة الاعداء والاصحاب وسياسة الرعايا والاحباب

ونكت وأخبار وتواريخ اخيار وأشرار

(الباب الاول)

فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب قال الشيخ أبو المحاسن بلغنى عن ذى فضل غير آسن انه كان فيما غبر من الزمان قبل من الاقيال غزير الافضال عزيز الامثال وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف وافر السياده كامل السعاده ذو حكم مطاع وجند وأتباع وممالك واسعه ذات اطراف شاسعه تحت اوامره ملوك عده ذو سطوات ونجده وله من الاولاد الذكور خمسة أنفار كل بالسيادة مذكور وبالعلم والحلم والحكم مشهور ومشكور متوشح للسلطنه متول من والده مكانا من الامكنه وكان أسعدهم عند أبيه وهو متميز على اخوته وذويه شمسى المنظر ايابى المخبر ذا فهم مصيب ورأى فى فضله حسيب قد حصل أنواعا من العلوم وأدركها من طريقى المنطوق والمفهوم وكان لهذا الفضل الجسيم يدعى بين الصغير والكبير الحكيم فلما دعا أباهم داعى الرحيل وعكم الى دار البقاء اجمال التحميل استولى على السرير أكبر أولاده وأطاعه اخوته ورؤس أمرائه واجناده وصار السعد يراقبه والملك بلسان الحال يخاطبه (شعر)

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب

واستمر اخوته فى خدمته مغتنمين ايادى طاعته رافلين فى خلع محبته ومودته ومضى على ذلك برهه وهم فى ارغد عيش ونزهه ثم انه حصل فى خواطر الاخوه ما خطر فى خواطر الالداء من الجفوه وقلوب الحساد من الصدّ والنبوه فداخلتهم النفاسه وطلبوا كأخيهم الرياسه فقلبوا لاخيهم ظهر المجن واظهر كل ما اكن وقال فيه ما اجن وأراد شق العصا وأن يشهر عنه انه عصى غير أن أخاهم الحكيم تفكر فى هذا الامر الوخيم وأمعن فيه النظر وساورته الوساوس والفكر فانه وان كان اغزرهم ذكاء وأوفرهم وفاء فهو أصغرهم عمرا وأحقرهم قدرا لا طاقة له على الاستبداد ولا أن يتحاز الى أحد من ذوى العناد اذ الانحياز الى أحدهم

ترجيح

ترجيح بلا مرجح وتصحيح لاحد التأويلين بلا مصحح فأداه اجتهاده الى الانخذال وتقليد مذهب الاعتزال والقول بوجوب رعاية الاصلح ومن امكنه العزلة خصوصا فى زمن الفتنة فقد افلح فأخذ يفكر فى تعاطى اسباب الخلاص وكيفية التفصى من عهدة هذا الاقتصاص واستنهض الفكرة الحائرة لتظفر به من سور هذه الدائرة وتأخذ به على جهة واحدة الى أن ينجلى غبار هذه المناكدة ثم اتبع الكتاب فى مشاورة الاصحاب فاستشار ثقه من أهل الفقه وعرض عليه العزله وكيف يتمكن من هذه النعمة الجزله فقال له بعد أن استصوب رايه طريق التوصل الى الانفراد ياذا الدرايه أن تستأذن فى تأليف تصنيف وترصيف تأليف يشتمل على فنون من الحكمه وأنواع من دقائق الادب والفطنه ولطائف التهذيب وأخلاق العباد ويكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد وتتوفر به مكارم الاخلاق والشيم وعوالى تهذيب النفس وظرائف الفضل والحكم فيظهر بذلك غزارة علمك ويشتهر بين الخاص والعام نباهة فضلك وحلمك ولا يقف أحد فى طريقك ولا يقدر أحد أن يتصدى لتعويقك ويحصل بذلك فوائد جمه أدناها الخلاص من ورطة هذه الغمه الى أن ينجلى دجاها وتنجلى شمس الاستقامة وضحاها فاستقر رأى الحكيم حسيب على العمل بهذا الرأى المصيب ثم توكل على الله واعتمده وتوجه الى ما قصده ودخل غير مرتبك على الملك وقبل الارض ووقف فى مقام العرض وذكر ما عزم عليه وتوجه قصده اليه بعبارة رقيقه وألفاظ رشيقه فتأمل الملك فى خطابه وتوقف فى جوابه وكان للملك وزير ذو فضل غزير فى غاية الحصافه والمعرفة والظرافه ان لطف كان رافه وان كثف كان آفه بعيد الغور ان رفع أبلغ الى الثريا وان وضع أنزل الى الثور بينه وبين الحكيم من سالف العهد القديم عداوة مؤكده وشدة مؤبده وتحاسد الاكفاء غل قل وعداوة النظراء جرح لا يندمل فبلغه ما انهى الحكيم الى مسامع الملك الكريم فتصدى للمعارضه وتهيأ للمعاكسة والمناقضه وأقبل يرفل فى ثوب المكر وقد شد دهاء الختل والختر حتى وقف فى مقامه واستطرد الى قضية الحكيم فى كلامه فأجرى الملك كلام أخيه

واستشار الوزير فيه فاغتنم الفرصه وأراد القاءه في غصه بايراد مثل قصد به ايذاءه وقصه ثم قال أما ما قصده الحكيم من العزلة فهو رأى قويم وفكر مستقيم لان الاعداء اذا تفرقوا تشققوا ومتى قلوا ذلوا وقد قيل

وما بكثير ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

واذا نقص من اعداء الملك واحد سيما مثل اللئيم حسيب الحكيم فهى نعمة طائله وسعادة واصله ودولة مستصحبه وكما قيل نعمة غير مترقبه ويتوصل من ذلك الى تشتيت امرهم الحالك وتصارم أقوالهم وتخالف أحوالهم واضطراب رأيهم وأفعالهم وقد قيل

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وأما قصده وضع كتاب فانه خطأ الاصواب وتعبيره بأن فيه فوائد وحكما وأقوال العلماء والحكما وأن يرفع به للعلم علما فانه مكر وخديعه من سوء السريرة وخبث الطبيعه يريد أن يستر جهله وأن يظهر على فضل الملك فضله ويشتمل بذلك الوسواس على قلوب الناس فتنصرف الوجوه اليه وتقبل الرعايا عليه ولكن يا مولانا الملك لا تمنع ذلك المنهمك وأجبه الى ما سأل وطالبه بما بذل وألزمه بالانفراد ودعه وما أراد فان عدم اجتماعه بالناس لنافسه أمن من الباس فيشتغل حينئذ بنفسه ويتقلب في طرده وعكسه واسأل مولانا السلطان ذا الايادى والاحسان قبل الاذن له وشروعه في المسئله أن يجمع بيني وبينه لابين شينه وزينه وأظهر لمولانا السلطان زوره ومينه فيتحقق دسائسه وما بنى عليه وساوسه وادى اليه فكره ووصل اليه خداعه ومكره ، فعند ذلك يصدر أمره الشريف بما يقتضيه رأيه المنيف فاجابه الى سؤاله وأمر طائفة من رجاله فسيرهم الى الآفاق بمراسيم جمعها الاتفاق الى رؤساء ممالكته وكبراء دولته فاستدعى العلماء وذوى الفضل والحكماء وأولى الآراء والصلحاء ومن يشار اليه بالفضائل ويتسم بسمة من الفواضل وكل اديب أريب من بعيد أو قريب وقاطن وغريب وبين لهم مكانا يجتمعون اليه وزمانا لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه فاجتمع القوم في ذلك اليوم حسب ما برز المرسوم

فى المكان المعلوم وجلس الملك فى مجلس عام وحضره الخاص والعام
واستدعى أخاه الحكيم وقابله بالاحترام والتكريم وأنواع الاحسان
والتعظيم ثم قال أيها الاخ الكريم والفاضل الحكيم كان تقدم
منك الالتماس بالاذن فى تصنيف كتاب ينفع الناس مشتمل على الفوائد
وفنون الحكم والفرائد يكسب الثواب الجزيل ويخلد الذكر الجميل
فاحببت أن يكون ذلك بحضرة العلماء ومجمع الاكابر والفضلاء واتفاق
آراء الحكماء وأرباب الدولة والمناصب وذوى الوظائف والمراتب وأهل
الحل والعقد المتصرفين فى الحكم والامتثال والنقد ليأخذ كل منهم حظه
ويشنف سمعه ويزين لفظه ولحظه فتعم الفائده وتشمل العائده ويتحقق كل
سامع وقائل مالك من الفضائل والفواضل وتميز على أقرانك ورؤساء
زمانك ويبلغ الاطراف وسائر الاكناف ما لديك للناس من
اسعاف وما قصدت لهم من احسان وألطاف فيتوفر لك الدعاء ويكثر
لك الشكر والثناء لعظم فضلك وحسن آدابك فى نقلك وقد أذنا لك
فى الكلام وسلمنا الى يد تصرفك فيه الزمام لعلمنا أنك فارس ميدانه وفى
بيان معانيك بديع بيانه ولسان فصاحتك يدحرج كرة البلاغة كيف شاء
بصولجانه فقل ما بدالك أحسن الله حالك فنهض الحكيم من مكانه وحسر
طرف لثامه وبادر الى الارض بالتثامه وقال حيث أذن مولانا السلطان
وتصدق بالاذن فى حسن البيان فلابد من اتمام الاحسان وذلك بالاصغاء
وحسن الرعاية والارعاء فان حسن الاستماع هو طريق الانتفاع وهو
الدرجة الثانيه وهى مرتبة ساميه فان حسن الادا هى المرتبة الاولى
وتليها أيها الملك المطاع مرتبة حسن الاستماع ثم تليها فى الزياده مرتبة
الاستفاده والمرتبة الرابعة وهى الجامعة النافعة درجة العمل وبها
الفضل اكتمل وأما الغاية القصوى والدرجة العليا والمرتبة الفاخره
فهى الاخلاص فى العمل وطلب الآخره واتباع رضا المولى بترك
السمعة والريا ثم أنحط العلوم الوضيعه أن النصيحة من حيث هى نصيحه تميز
القلوب غيظا منها وتنفر النفس عنها لان النفس مائلة الى الفساد والنصيحة
داعية الى الرشاد والنصيحة محض خير وبر والنفس مطبوعة على الاذى

والشر فبينهما تنافر من أصل الخلقه وتباين من نفس الفطره والنفس تميل الى ماجبلت عليه والنصيحة تجذب الى ماتدعو اليه قال العزيز الجبار حكاية عن الكفار ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لا كفر بالله واشرك به ماليس لى به علم وانا أدعوكم الى العزيز الغفار فالسعيد من تأمل فى معانى الحكم وسلك السبيل الاقوم وتدبر فى عواقب الامور بالافتكار وتلقى الاشياء من ظرف الاعتبار وقد قيل

اذا لم يعن قول النصيح بعقول * فان معاريض الكلام فضول

ثم عش واسلم وتيقن واعلم ياملك الزمان ان أفضل شئ حل فى وجود الانسان وأحسن جوهرة تزين بها عقد تركيبه العقل الداعى الى كيفية تهذيبه فى اساليبه وأفضل درة ترصع بها تاج العقل فى تزيينه وترتيبه الخلق الحسن الذى فضل الله به خير خلقه فى تعليمه وتأديبه وخاطب بذلك نبيه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر فى الدارين ولا يضع الله الخلق الحسن الافيمن اصطفاه من الثقلين وأفضل جنس الانسان بعد الرسول الرفيع الشان الملك الذى يحيى أحكام شريعته ويمشى على سنته وطريقته واذا كان الملك حسن الخلق والفعال فهو فى الدرجة العليا من الكمال قال الرسول النجيب صاحب التاج والقضيب محمد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم صلاة يتمسك باذيالها الطيب ويترنح انسمات قبولها الغصن الرطيب ألا اخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب وروى أن ذلك السيد السديد الكامل المكمل الرشيد أتى برجل فكلمه فأرعد فقال هون عليك فانى لست بملك ولا جبار أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ومن جملة حسن الخلق العدل والشفقة على الرعية والفضل واذا حسن خلق الملوك العليه صلحت بالضرورة الرعيه طائعة أو كارهه وسعت فى ميدان الطاعة فارهه فان الناس على دين ملوكهم وسالكون طرائق سلوكهم وارذل عادة الملوك الطيش والخفه وأن يكون ميزان عقله خالى الكفه وان عدم الثبات والوقار من عادة الاطفال والصغار والرجل الخفيف القليل الحيله لايقدر على تدبير الامور الجليله ولا باب يوجد له ولا طاقه للدخول

فى الاشغال الشاقه ولايستطيع أن يتحمل ثقل الرياسه ويتعاطى الايالة والسياسه ولاقدرة له على فصل الحكومات المشكله والقضايا العريضة المعضله ولاالوصول الى اثبات السياده ولاالدخول فى ابواب السعاده فان تدبير الممالك وسلوك هذه المسالك يحتاج الى رجل كالجبل فى السكون والوقار أوان الثبات وكالبحر الهائج والسيل الهامر اوان الحركات واعلم ياذا العلا والمالك المال والدما انه يجب على الملك الكبير اجتناب الاسراف والتبذير فانه حافظ دماء الناس واموالهم مراقب مصالحهم فى حالتى حالهم ومآلهم والمال الذى فى خزائنه قد اجتمع من وجوه مكامنه ومن خراج مملكته ومن اعدائه ومعادنه انما هو للرعيه ليذهب عنهم البليه ويصرفه فى مصالحهم ومايحدث من حوايجهم وجوائحهم فهو فى يده امانه وصرفه فى غير وجهه خيانه فكما لاينبغى أن يتصرّف فى مال نفسه بالتبذير كذلك لايتصرّف فى اموالهم بالاسراف والتقتير ومصداق هذا المقال قول ذى الجلال جل كلاما وعز مقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فينبغى للملك بل يجب أن لايستتر على الرعية ولايحتجب وأن لايبادر برسوم الابعد تحقيق المعلوم ولايبرز مراسيمه مالم يتحقق فيه معلومه وذلك بعد التأمّل والتدبر وستر عورة القضية والتفكر وهذا الان مرسوم السلطان على فم أبناء الزمان وهو بمنزلة القضاء النازل من السماء واذا نزل القضاء وفتحت له ابواب السماء فلا يردّ ولا يصد ولايعوقه عن مضيه عدد ولا عدد ولاحيلة فى منعه لاحد وامر اولى الامر على زيد وعمرو كالسهم الخارج من الوتر بل شبه القضاء والقدر تعجز عن ادراك سرّه قوى البشر فكما انه اذا انفذ سهم القضاء والقدر لايمنعه ترس حيلة ولايصدّه درع حذر فكذلك امر السلطان لايثبت لردّه حيوان ولايمكن تلقيه الا بالامضاء والاذعان فاذا لم يتدبر قبل ابرازه فى عواقب مآله وأعجازه ربما ادّى الى الندم والتأسف حيث زلت القدم ولايفيد التلاف بعد التلاف ولايرد السهم الى القوس وقد خرق الشغاف وكما أن الملك سلطان الانام كذلك كلامه سلطان الكلام وكل ماينسب اليه فهو سلطان جنسه فيجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه

(وحسبك يا ملك الزمان لطيفة للملك انوشروان) فبرزت المراسيم الشريفه
ببيان تلك اللطيفه فقال الحكيم ذكر اهل السير ونقلة الاثر أن الملك
انوشروان كان راكبا فى السيران فجمح به فرسه وقوى عليه نفسه فاستخف
شانه وجبذ عنانه فهمزه ولكزه وضربه ووخزه فزاد جوحا وماد
جوحا فتجاذبا العنان فانقطع وكاد انوشروان أن يقع فلاطف الفرس
فاستكان ونجا بعد أن كاد يدخل فى خبر كان فلما وصل الى محل ولايته
واستقر راجف قلبه من مخافته دعا بسائس المركوب فلبى دعوته وهو
مرعوب فلعنه وشتمه وأراد أن يقطع يده وقدمه وقال تلجم هذه الداهيه
بلجام سيوره واهيه فانقطعت فى يدى وكاد الفحل يرمينى ثم دعا بالمقارع
وبالجلاد ليقطع منه الاكارع فقال السائس المسكين ايها الملك المكين
وصاحب العدل والتمكين اسالك بالله الذى رفعك الى هذا المقام أن تسمع
لى هذا الكلام فقال قل ولا تطل قال كأن هذا العنان يقول وكلامه
فصل لا فضول ومقوله قريب من العقول الملك انوشروان سلطان الانس
وفرسه سلطان هذا الجنس وقد تجاذبنى قوة سلطانين فاين لى طاقة هذا
الثبات لهما ومن أين لاجرم ذهب منى الحيل فتمزقت بين سلطان الانس
وملك الخيل فأعجب انوشروان من السائس هذا البيان فانعم عليه
واطلقه ومن رق عقابه وعذابه اعتقه وانما اوردت هذا البيان ليتحقق
مولانا السلطان أن حركاته ملكة الحركات وصفاته سلطانة الصفات
وكلامه ملك الكلام فلا يصرفه فى كل مقام وليصنه بالتامل قبل القول
وليحتط لبروزه ويحفظه بالصدق والطول واذا امر بامر فلا يرجع فيه بل
يستمر على ما امر به لئلا يقال سفيه ثم اعلم يا ملك الرقاب أن كلا من الثواب
والعقاب له حد معلوم ومقدار مفهوم ينبغى للملك أن لا يتعدى لذلك
حدا وعلى الملك أن يصغى للنصيحه ممن مودته صحيحه وقد جرب منه
الصدق وعلم منه الاخلاص فى النطق لاسيما اذا كان ذا عقل صحيح وود
صريح ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها فبرودة الخاطر وسلامة
القلب حرقة حرارتها فان الناصح المشفق كالطبيب الحاذق فان المريض
الكئيب اذا شكا الى الطبيب شدة المه من مرارة فمه يصف له دواء مرا

فيزيد حرارته حرا فلا يجد بدا من شربه وان كان فى الحال ينهض بكربه لعلمه بصدق الطبيب وانه فى الرأى مصيب وماقصد بالدواء المر زيادة الضر وانما قصد بالمه عود الحلاوة الى فمه ولا يستحقر النصيحه ان كانت صادقة صحيحه ولا الناصح خصوصا الرجل الصالح فان سليمان وهو من اجل الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وأحد من ملك الدنيا وحكم على الجن والانس والطير والوحش والهوام استشار نملة حقيره فنجح فى امره وخالف وزيره اصف بن برخيا فابتلى بفقره وسلب من جميع ممالك وصار كما قيل أجير الصياد السمك ثم قال الحكيم حسيب ايها الملك الحسيب وانا لما رأيت امور المملكة قد اختلت ومباشرى مصالح الرعية قلوبهم اعتلت ولعبوا بالثقيل والخفيف واستطال القوى منهم على الضعيف ومدوا ايديهم الى الاموال بالباطل واظهروا الحالى فى حلية العاطل وخرجوا عن دائرة العدل واطرحوا اهل العلم والدين والفضل وتولى المناصب غير اهلها ونزلت المراتب الى غير محلها وحرم المستحقون وأبطل المحقون الى أن وقع الاختلال وعم الفساد والضلال وقويت أعضاد الظلمة على العباد وسائر القرى والبلاد وهذا لا يليق بشرف مولانا الملك ولا باصله ولا يجوز فى شرع المروءة أن يكون الظلم طراز عدله اذ قدره العلى واصله الزكى اعظم مقاما من ذلك ولا يحسن أن ينتشر الاصيت رأفته فى الممالك وعلى الخير مضى سلفه الكرام وانطوى على ما ثرهم صحائف الايام وقد قيل

فان الظلم من كل قبيح * واقبح ما يكون من النبيه

وقيل ولم أر فى عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

ما وسعنى الا الانحياز الى العزله والتعلق بذيل الانفراد والوحده وما امكننى أن اعمل شيأ ولا اقطع دون العرض على الاراء الشريفه وامتثال ماتبرزه مراسيمها المنيفه فقد قال الناصح فى بعض النصائح لا تخاطب الملوك فيما لم يسألوك ولا تقدم على ما لم يأمروك فلما أذن فى الكلام فى هذا المقام فقلت قطرة من بحور وذرة من طيور ورأيت ذلك واجبا على ونفعه عائد الى وذكرت بعض ما وجب على سائر الناصحين ولزم ذكره

جميع المسلمين من طريق واحده ولزمنى انا من طرق متعدده ادناها طريق المروه واعلاها بل اغلاها وثيق الاخوه التى هى اقوى الاسباب واعظم الوصلات فى هذا الباب فان لحمة القرابة هى السبب الذى لا يقطعه سيف الحدثان والبنيان الذى لا يهدمه معول الزمان واساس الاخوه عنوان الفتوه قال الله تعالى وعز جلالا وتقدس كمالا سنشد عضدك باخيك وقال القائل

اخاك اخاك ان من لا اخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

(وناهيك يا زين الملاك بقصة الولهى مع الضحاك) قال أخبرنا ايها الحكيم بذلك الحديث القديم قال الحكيم بلغنا عن التاريخ الباذخ الشماريخ أن الضحاك كان من احسن الناس سيره واصفاهم سريره قد فاق الناس فضلا وبلغ ذكره الآفاق عدلا فتزيا له ابليس فى صورة الدهاء والتلبيس فزعم ذلك الطباخ انه طباخ وصار كل يوم يهيئ له من أطيب الاطعمه ولذيذ الاغذيه ما يعجز به غيره ولا يقدر أحد أن يسير سيره ولم يأخذ على ذلك جرايه فبلغت مرتبته عنده النهايه واستمر على ذلك مدة مديده واياما عديده والناس تكره أن تخدم بغير اجره خصوصا فى هذا الزمان رؤساء الاعيان فقال له الامام فى بعض الايام لقد أوجبت علينا يدا وشكرا وما سألتنا على ذلك أجرا فاقترح ما تختار اكافئك يا مهار فقال تمنيت عليك أن أقبل بين كتفيك فأنى بذلك أن يقال قبل بدن الضحاك فاعجبه ذلك واجابه وحسر عن بدنه ثيابه وأدار ظهره اليه فقبل لوحى كتفيه ثم غاب عن عينه ولم يقف على اثره ولا عينه فبمجرد ما لثمه ومس فه جسمه اخذته حكه وشكه وموضع لثمه شكه ثم خرج من موضع فيه سلعه تلذعه شر لذعه وتلسعه احر لسعه ثم صارا حيتين اشبهتا كحيتين فصار يستغيث ولا مغيث فطاب الاطباء فاعياهم هذا الداء ثم لم يقر له قرار ولم يأخذه سكون ولا اصطبار الا بدماغ الانسان دون سائر الحيوان فقديد الفتك ولاجل الادمغة استعمل السفك فضجر الناس لهذا الباس وصاحوا وناحوا وغدوا مستغيثين وراحوا فوقع الاتفاق بعد الشقاق على الاقتراع لدفع النزاع فمن خرجت قرعته كسرت قرعته واخذ دماغه وحصل لغيره

فراغه

فراغه فعا لجوابه الكيتين وغذوابه الحيتين فيبرد الالم ويخف السقم ففى
بعض الادوار خرجت القرعة على ثلاثة انفار فربطوا بالاغلال ودفعوا
الى النكال ليجرى عليهم ماجرى على الامثال فبيناهم فى الحبس بين
طالع نحس وطرد وعكس وقف للضحاك امرأة وضيه واستغاثت به فى
هذه القضيه فادناها وسأل مادهاها فقالت ثلاثة أنفار من دار لاصبرلى
عنهم ولاقرار وحاشى عدل السلطان أن يرضى بهذا العدوان ولدى كبدى
واخى عضدى وزوجى معتمدى وكل مسجون يسقى كاس المنون فرق
لها الضحاك وقال لايعمهم الهلاك فاذهبى يامغاثه واختارى واحدا من
الثلاثه وجهزها الى الحبس ليقع اختيارها على من يرفع اللبس فتصدى لها
الزوج وتمنى الخلاص من ذلك البوج فتذكرت مامضى من عيشها معه
وانقضى واستحضرت طيب اللذات والاوقات المستلذات فاتت اليه
ومالت عليه فتحركت الانفس الانسانيه والشهوة الحيوانيه فهمت
بطلبه وتعلقت بسببه فوقع بصرها على ولدها فلذة كبدها فرأت صباحة
خده ورشاقة قده فتذكرت طفوليته وصباه وتربيتها اياه وحمله وارضاعه
وتناغيه واوضاعه فعطفت عليه جوارحها ومالت اليه جوانحها
فقصدت أن تختاره وتريح أفكاره فلمحت أخاها باكيا مطرقا عانيا قد
ايس من نفسه وتيقن الاقامة بحبسه لانه يعلم انها لاتترك زوجها وابنها
ولاتختاره عليهما ولاتميل الا اليهما ففكرت طويلا واستعملت الرأى
الصائب دليلا ثم أداها الفكر الدقيق وارشدها التوفيق وقالت أختار
أخى الشقيق فبلغ الضحاك ماكان من أمرها واختيارها لاخيها بفكرها فدعاها
وسألها عن سبب اختيارها اخاها وقال ان أتت بجواب صواب وهبتها اياهم
مع زيادة الثواب وان لم تأت بفائدة قاطعه وعائدة فى الجواب نافعة كانت
فى قتلهم الرابعه فقالت اعلم واسلم أنى ذكرت زوجى وطيب عشرته وأوقات
معانقته ولذته ومامضى معه من حسن العيش وانقضى من خفة
الاحلام والطيش فملت اليه وعولت فى الطلب عليه ثم ابصرت ابنى
فتذكرت مقامه فى بطنى ومامضى لى عليه من عاطفه وشفقة عامة فى الايام
السالفه فهيجنى حبه القديم وشكله التقويم فملت الى اختياره وخلاصه

من بواره ثم لحت أخى المتقدم عليهما فقست مقامه بالنظر اليهما فقلت انى
امرأة مرغوبة فتينة عاقلة مطلوبة ان راح زوجى فعنه بدل وان حصل الزوج
وجد الولد وحصل فتهيأ الغرض ووجد عنهما العوض وأما الاخ
الشقيق فما عنه عوض فى التحقيق لان ابوينا ماتا وفاتا وصارا تحت
الارض رفاتا فهذا الذى أدى اليه افتكارى ووقع عليه اختيارى
وانشده لسان القال فيما قال (شعر)

وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختيارى

قال فاستحسن الضحاك هذا الكلام ووهبها جماعتها مع زيادة الانعام
(قال الحكيم وانما أوردت هذا المثل لمولانا الملك الاجل وعرضته على
الحضار ومسامع النظار ليعلم أن لى عن كل شئ بدلا وأما عن مولانا
السلطان فلا كما قال من أجاد فى المقال

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وليس لى عوض الا فى بقاء ذاتك المحروسه ودوام حياتك العزيزة المأنوسه
ثم انى أخاف والعياذ بالله تعالى أن هذه الفتن التى قد أقبلت والحركات
الداهية التى وجوه الخلاص منها قد اشكلت تستأصل شأفة اسلافنا الكرام
وتقرض شرف أجدادنا الملوك العظام فاخترت العزلة لذلك فانها اسلم
الطرق والمسالك (قال الملك) لقد صدقت اذ نطقت وتحريت الصواب فى
الخطاب وأنا أتحقق حسن نيتك وخلوص طويتك وحسن وفائك ويمن
آرائك فانك أخ شقيق وصدوق صديق ولكن تعلم أن هذا الوزير رجل
خطير ورأيه مستنير وفضله غزير وهو من أصل كبير وله علينا حق كبير
وأريد أن يقع ما عزمت عليه وفوضت فكرك المصيب اليه مع محاورته
ومناظرته ومشاورته فان كلا منكما ناصح مشفق وحكيم مدقق وعالم
محقق وفى مثل هذه الاشياء اذا اتفقت الآراء وطابت النفس تكاشف
نور القبس وسعد البخت وتمكن التخت وصح الحق ووضح الصدق لاسيما
اذا كان الكلام بين عالمين والسؤال والجواب من فاضلين كاملين
(قال الحكيم) أيها الملك العظيم اذا قام الانسان فى صدد المعارضه
وتصدى فى البحث الى المعاكسة والمناقضه لاسيما ان كان من أهل

الفصاحة

الفصاحة واللسن وساعده فى ذلك الادراك الحسن لا يجز أن يقابل
الايجاب بالسلب والاستقامة بالقلب والعكس بالطرد والقبول بالرد
ويكفى فى جواب المتكلم اذا أورد مسئلة لا نسلم وقد قيل فى الاقاويل
لا تنفع الشفاعة باللجاج ولا النصيحة بالاحتجاج أما انا فقد بذلت جهدى
واديت فى النصيحة ما عندى وكشفت عن مخدرات التحقيق استار السبك
وكررت على محك التصديق آثار الحك فان وعيتم كلام بسمع حى فقد تبين
الرشد من الغى وان اعرضتم عن عين اليقين فلا اكراه فى الدين فتصدى
الوزير للكلام وحسر عن ثغر بيانه اللثام وبرز فى ملابس الملاينة والخداع
وسلك بخبث الطباع طرق الملاطفة والاصطناع ودس السم فى الشهد
ونزل من اليفاع الى الوهد وقال الحمد لله الكريم الذى من على مولانا
الملك بهذا الاخ الحكيم الفاضل الحليم الكامل العليم الناظر فى العواقب
ذى الرأى المصيب والفكر الثاقب فلقد بالغ فى النصيحه بعباراته الصحيحه
واشاراته المليحه وكل شئ أبداه الى المسامع وانهاه هو الذى يرتضيه
العقل ويرضه العدل ويقبله الطبع القويم اذ هو المنهج المستقيم
يترتب عليه الذكر الجميل ويحصل به الثواب الجزيل لكن الذى نعرفه
فى حفظ الرياسه واقامة ناموس السياسه هو الذى عليه القوم فى هذا
اليوم وجرت عليه عادات الاكابر وانخرط فى سلكه الاصاغر فان
الزمان فسد والفضل فيه كسد وزاد فيه الحقد والحسد وتشرب المكر
والاذى الروح والجسد وكل فى الروغان ثعلب وفى العدوان اسد وصار
هذا مقتضى الحال والمحمود من الخصال والمطلوب من الرجال والناس
يدورون بزمانهم بقدر مكانهم وامكانهم وقد قيل الناس بزمانهم اشبه
منهم بآبائهم وبعض السياسات عند أهل الرياسات يقتضى العقوبة
بالتغريم وأخذ المال بالترسيم ولولا عفو الملك عن المجرم ما طمع كل موذ
ومجرم ومن الحماقة والبله معاقبة من لا ذنب له فان وضع الاشياء
فى محالها وزمام الامور والمناصب فى يد أهلها هو أحد قوانين الشرع
والسياسه ومقتضى العقل والكياسه والعدل والرياسه والعقل
والفراسه والفضل والنفاسه وناهيك أيها الحكيم الفاضل قول القائل

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وما قيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

ومن مقالات الملك بابك اردشير بن بابك رب اراقة دم تمنع من اراقة دم وفى أمثال العرب القتل أنفى للقتل وقيل

لعل عتبك محمود عواقبه * وربما صحت الاجساد بالعلل

وهذا كله مصداق قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة (وناهيك ياذا القدر الخطير قصة قابوس بن بشكمير) قال الحكيم للوزير اخبرنى أيها الدستور الكبير بكيفية ما أنت اليه مشير قال الوزير ذكر أن قابوس بن بشكمير ذلك الاسد المبير قبض عليه جماعه كانوا جبذوا أيديهم من الطاعه من أركان دولته وبنيان صولته ثم قيدوه وحبسوه وأقاموا ولده مقامه وأجلسوه ثم انهم لم يأمنوا غوائله وأفكاره الصائله فتوامروا أن يسفكوه ويعمدوا الى دمه فيسفكوه فارسلوا اليه قاتلا فوثب اليه سائلا وقال له ما سبب قتلى وما بهم من اجلى مع كثرة احسانى اليهم وانسبال ذيل اكرامى وانعامى عليهم وتربيتى اياهم كالاولاد وفلذ الاكباد وصونى اياهم عمن آذاهم فقال كثرة اراقة الدماء هاجت عليك الغرماء واكثرت لك الخصماء لما تغيرت خواطرهم عليك خافوا وقبل أن تحيف عليهم حافوا فقال قابوس والله ما سبب هذا النكد والبوس واثارة هؤلاء الخصماء الاقلة اراقتى للدماء يعنى لو أراق دماء القائمين عليه لما وصل هذا المكروه اليه فلما ابقى عليهم أفنوه وحين ترك اذاهم آذوه وانما اوردت هذا التنظير ليقف خاطرك الخطير أن امور الرياسه وقواعد السياسه كانت تقتضى السبك واحرى بالعفو والترك وأما الآن فذلك الحكم قد انتسخ والفساد فى قلوب العباد رسخ وقد قيل

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب

ومزاج الزمان قد تغير والمعروف منه قد تنكر وقد أعرضوا عن طاعة السلطان واتبعوا مخادعة الشيطان وكل منهم قد شرخ وباض الشيطان فى دماغه

وفرخ وتصور لخيالاته الفاسده ومحالاته الكاسده أنه بما يكيد يبلغ مايريد وهيهات وشتان (شعر)

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وهذا كما قال الله تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما شعروا أن الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى وألبسه من خلع جبروته كمالا وجلالا وجعلهم بأموره قائمين وبعين عنايته ملحوظين وكما أن الرسل والانبياء والسادة الاعلام الاصفياء هم صفوة الله من خليقته ومختاروه من خيريته من غير كد ولا جهد ولا سعي منهم ولا جد ما برطلوا على النبوة والرساله ولا رشوا على نيل هذه الكرامة والنباله انما هو محض فضل من الله تعالى وعناياته والله أعلم حيث يجعل رسالاته كذلك الملوك والسلاطين والقائمون باقامة شعائر الدين هم ممن اختاره الله على خلقه وأجرى على يديه لهم بحار كرمه ورزقه والسلطان ظل الله فى أرضه يجرى بين عباده شريعة نفله وفرضه قال من له الخلق والامر اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر وقد أغفل أهل هذه الممالك عن السلوك فى هذه المسالك وعن درك هذه الحقائق وأعرضوا عن الدخول فى أحسن الطرائق وهى طريق المحاشمه والصفح والمكارمه وعدوا المكر من أحسن الرياسه والعقل والكياسه والتحيل لاكل أموال الناس من الذكاء ومظالم العباد من خلال الصدق والصفاء وتملقهم للملوك والسلاطين من أسباب الوصول الى الاغراض مع تحسين الظواهر وفى البواطن أمراض فظواهرهم ظواهر الانس تشتمل على المودة والانس وما فيهم تحت الثياب الا كلاب وذئاب ولاجل هذا سلطنا الله عليهم ومد يد بطشنا اليهم نعاملهم بالفراسه ونعمل بما تقتضيه الكياسه وتصوبه الآراء السلطانية من قواعد السياسه * قال الحكيم حسيب بعد ما ادرك ما فى هذا الكلام من فكر غير مصيب (اعلم أيها الوزير الناصح والدستور الشفيق الصالح أن الرعية بمنزلة السرج والملك بمنزلة الشمس فى البرج واذا تلألأ على صفحات الاكوان وأنار فى وجه الزمان والمكان اشعة نور الشمس الوهاج فأى شعاع ووجود يبقى للسراج وأن انوار قلوب الرعايا وما يحصل لها من اشراق ومزايا انما هى من فيض

اشعة ملوكهم وأن الرعية تتبع الملوك فى سلوكهم فاذا صفت مرآة قلب
السلطان اشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان بل الزمان والمكان
تابعان لما يضمره وينويه السلطان وقد قيل اذا تغير السلطان تغير الزمان
(وهل أتاك أيها الدستور واقعة الرئيس مع بهرام جور) قال الوزير أخبرنا
يا باقعه كيف كانت تلك الواقعة * قال الحكيم اخبرنى شيخ عليم بالفضل
مشهور أن بهرام جور وكان ذا أيد عزم على الصيد فخرج فى عسكر
جزار واستوى فى الصحارى والقفار وبينما هم قد تفرقوا فما شعر الا وقد
حركت يد الشمال غربال المطر ثم تراكم من السحاب على وجه عروس السماء
النقاب وانهل الغمام المدرار وصارت الدنيا جنات تجرى من تحتها الانهار
وأقبلت سوابق السيول تجرى فى مضمارها الخيول فتشتت العساكر
وتشوشت الخواطر فقصد بهرام جور كفرا من الكفور وطلب القرى
من تلك القرى منفردا عن عسكره مخفيا من خبره فنزل بيت الرئيس
وهو رجل خسيس فلم يقم من حقه بالواجب لانه لم يعلم ذلك الراكب
فتشوش خاطره وتكدرت ضمائره وتغيرت عليهم نيته وان لم تتغير بشريته
فلما اقبل الليل جاء الراعى وهو يدعو بالويل ويشكو كثرة المحن من قلة
اللبن وذكر أن المواشى لم تدر ضرعا مع أن رعيتها كانت أحسن مرعى
ولا وقف لذلك على سبب ولا درى كيف حال حالها وانقلب وكان للرئيس
بنت تخجل الاقمار بخدها وتقصف الاغصان على قدها فلما سمعت كلام
الراعى قالت والله انا اعرف السبب والداعى وهو أن السلطان الذى نيته
حفظ أوطاننا تغيرت نيته علينا وتقدم ضميره بالسوء الينا فظهر النقص
فى ماشيتنا وسيتعدى ذلك الى انفسنا وحاشيتنا وقد قيل اذا هم الحاكم
بالجور على الرعايا ادخل الله النقص فى أموالهم حتى الزروع والضروع قال
أبوها فاذا كان الامر كذلك فلا مقام لنا فى هذه الممالك فالاولى أن نتحول
عن هذا المكان الى مقام لا يضمر فيه سوأ لرعيته السلطان ونستريح فى ظل
حاكمه ونرعى فى مسارح مكارمه كل هذا وبهرام يصغى الى هذا الكلام
فقالت البنت ان كان ولا بد من الانتقال واقتعاد مطية الارتحال
فما نصنع بهذه الاثقال والازواد الثقال نقدم لهذا الضيف منها يحصل

التخفيف

التخفيف عنها ويقع بذلك فائدتان احداهما حسن المضيف وثانيتهما التخفيف فامتثل أبوها أمر بنته ونقل الى الضيف ما حواه بيته من طعام وشراب ونقل وكباب وبسط بساط النشاط وأخذ فى دواعى الانبساط وانتقلا من المحاشمه الى المكالمة والمنادمه وعمل بموجب ماقيل

وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام

فلما هجم جيش السكر وهزم جند العقل والفكر تذكر بهرام مجالسته ومؤانسته فيها ومحادثته ومافيها من مغازلة الغزلان وأصوات الاغانى والقيان فأبانت حشمة السلطنة عن مضمرها وتفوه بشئ يلوح بمخبرها وشاقت نفسه الى معتادها فأعرب شطحها عن مرادها وقال للريس أيها النديم الكيس لو كان لنا من يطربنا بصوته ويبهجنا بصورته ولو أنها وصيفه أوذو صورة لطيفه ولانطلب زيادة عن النظر وحسن المفاكهة والسمر والمنادمة الى السحر لزالت وحشة الاغتراب ودهشة حدة الشراب فانه قيل الشراب بغير نغم غم وبغير دسم سم وان مذهبنا ماقيل

اتأذنون لصب فى زيارتكم * فانكم فى محل السمع والبصر

لايضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

فنهض الريس وترك مذهبه الخسيس واستعمل المروه وسلك سبيل الفتوه وأنشد يقول

وكل قيادة لاخ وخل * بلاجعل فتلك من المروه

وأخطر البال مانظمه الشاعر وقال

ياناظم الشعر فى مقام فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا

الف هذا حروفه سمعت * همة هذا فالف الحرفا

ومن مذهب المجوس اباحة فرج العروس فدخل فى بيته وذكر ماجرى بينه وبين ضيفه لبنته وقال اى ربيبة الحسن والاحسان اظن أن ضيفنا من اكابر الاعيان ومقرفى حضرة السلطان وقد التمس منى مايزيد سروره ويفيد حضوره حبوره ويلهيه بمفاكهته وحسن منادمته وماعندنا من يصلح لذلك أى مادة السرور سواك وأنا اعرف بعفتك ونزاهتك وحسن محاضرتك ومفاكهتك وصيانة رايك ورزانة عقلك وذكائك فان رأيت

أن تمتعيه بالنظر الى جمالك وتفتنيه بغنجك ودلالك ولو بلحظه أو بلفظه ثم تعودى الى كناسك بين أهلك وناسك فقالت الامر منك واليك وما اريد أن اشق عليك وليس فى ذلك عار ولا فى خدمة الضيف واكرامه شنار فأجابت أباها وكان ذلك عن رضاها بل جل قصدها ومناها فأقبلت الى خدمة الضيف ولعبت معه من لحاظها وقدها بالرمح والسيف الى أن صادته بلحظها المكسور فأمسى قلبه وهو فى يدها أسور وكان قد خرج للصيد فصيد وصار مع سلطانه لها من جملة العبيد ثم انه انشد يقول

ارى ماء وبى عطش شديد * ولكن لاسبيل الى الورود

ثم قرر فى ضميره انه اذا وصل الى سريره يطلب هذا الرئيس ويصاهره ويقطعه هذه القرية ويعاشره ويجعل بنته خونده ويسلم الى أبيها جنده فما استتم هذا الخاطر الخطير حتى جاءهم الراعى المستجير وقال ان الغنم التى ماتبضت بقطره ولا ادرت دره قد امتلأت ضروعها القاحله فهاهى دارة حافله قد صارت كالسيول على السابله فلم يبق وعاء الا امتلأ وقد روى من الجيران الملأ وهاهى تشخب وتسيل وفاضت فأروت الحقير والجليل وأغنت الجيران وكأنها غدران فقالت بنت الرئيس لله الحمد والتقديس الذى اصلح نية سلطاننا حتى استقررنا فى أوطاننا وعاد علينا ماسلبناه ورجع الينا ماطلبناه فعجب بهرام جور من هذه الامور ولما أصبح الصباح وركب فرسه وراح استقر فى ولايته الزاهره وأمضى ما كان نواه من المصاهره وأسبل عليه ذيل الانعام وزاد له من الاكرام ما انتظم به أمره واستقام وانما اوردت هذا الخبر لتعلموا أن الزمان فى المجىء والممر مطيع لما اضمر السلطان وما اظهر وما احلاه فى امر رعيته وما امر وقد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان واذا لم يكن الملك برعيته شفيقا ولا بارا ولا رفيقا ولم يتجاوز عن مسيئهم متلهفا لدعائهم مشغوفا بمحبتهم محسنا لمحسنهم قائما بحفظ أمنهم فالاولى بهم أن يهاجروا عن مملكته ويخرجوا عن اقليم ولايته قال رب العالمين لنبيه وحبيبه سيد المرسلين ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فينبغى للحاكم أن لا يؤاخذ أحدا بجريرة أحد أبدا قال الله جل ذكره ولا تزر وازرة وزر اخرى ولو طلب

احد

احد بجريرة أحد ولحق البرىء بسبب الذنب عقوبة ونكد لفسدت المملكه وانتشرت المهلكه واضطربت الرعيه وانخرمت القواعد العليه ولو فعل ذلك المتقدم من الملوك لهلك الصعلوك وانسد الطريق المسلوك وانخرمت القاعدة على المالك والمملوك ولم يبق للتاجر شى ولا على وجه الارض حى ويجب على من باشر عند الملوك امرا من الامور أو حكما على الجمهور أن يكون فى دينه متينا وعلى الناس أمينا سديد الفكر قويم النظر صدوق النطق ظاهر الصدق دائرا مع الحق يقظان مراقب فى خواتيم أمره والعواقب عادلا بين الاخصام شفيقا على الخاص والعام ثابتا فى النوازل معدودا فى البوازل مشغولا بتهذيب نفسه متذكرا يومه فى غده وأمسه متميزا بالشمائل المرضية على أبناء جنسه واضعا الاشياء فى محالها متفحصا بنفسه عن جلها وقلها مقيما كل أحد فى مقام لا يتعداه ومنصب معلوم لا يتخطاه حتى تستقيم بذلك امور المملكه وتصان من الوقوع فى مهاوى التهلكه ويطمئن خاطر مخدومه ويركن اليه فى منطوق قوله ومفهومه فيقبل قوله وفعله ويعرف فصله وفضله وكذلك يجب أن يكون الملك كريم الاعراق لطيف الاخلاق شريف الاعلاق وأن يكون فى جميع احواله متمسكا بذيل افضاله مراعيا سيرة أجداده من الملوك سالكا طريقة الملوك من حسن السلوك لان من لا يشيد أركان أسلافه ولا يقوى بنيان اشرافه يصيبه مثل ما أصاب الذيب مع الجدى المغنى المصيب فسأل الملك من أخيه أن يذكر ذلك المثل ويبديه فقال بلغنى يا مليك الاراضى انه كان فى بعض الغياض لذئب وجار وأهل وجار نخرج يوما لطلب الصيد ونصب لذلك شباك الكيد وصار يجول ويصول ولا يقع على محصول فأثر فيه الجوع واللغوب وآذنت الشمس بالغروب فصادف بعض الرعيان يسوق قطيعين من الضان وفيهما بعض جديان فهم عليها لشدة الجوع بالهجوم ثم أدركه من خوف الراعى الوجوم لانه كان متيقظا وعلى ماشيته متحفظا فجعل يراقبه من بعيد والحرص والشره يزيد والراعى سائق والذئب عائق فتخلف جدى غبى غفل عنه الراعى الذكى فأدركه الذئب النشيط واقتطعه بأمل بسيط وبشر نفسه بالظفر وطار بالفرح

واستبشر فلما رأى الجدى الذيب علم انه اصيب بيوم عصيب وظفر منه بأوفر نصيب فتدارك نفسه بنفسه واستحضر حيلة جاشه وحدسه ومكره بما اضمره فى نفسه وعلم انه لا ينجيه من هذه الورطة الوبيله الا مغيث الخداع والحيله وأذكر الخاطر ما قال الشاعر

ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا * به الخطب الا وهو بالقصد يبصر

فتقدم بجاش صليب وقبل الارض بين يدى الذيب وقال محبك الراعى لجنابك داعى يسلم عليك وقد أرسلنى اليك يشكر صداقتك وشفقتك وحشمتك ومرافقتك ويقول قد تركت بحسن آدابك عادة أجدادك وآبائك فلم تتعرض لمواشيه وحفظت بنظرك حواشيه وقد حصل لضعافها الشبع وأمست بجوارك آمنة من الجوع والفزع وحصل لها الأمن من الجزع فالله يجعل جوارك وغياضك أحسن مجتمع لان عجاف ما شيته شبعت ورويت واستنعشت وقويت فأراد مكافأتك وتطلب مصافاتك ومصادقتك فارسلنى اليك لتأكلنى وأوصانى أن اطربك بما اغنى فانى حسن الصوت فى الغناء وصوتى يزيد فى شهوة الغذاء فان اقتضى رأيك الاسعد غنيتك غناء ينسى أبا اسحق ومعبد وهو شئ لم يظفر به آباؤك ولا اجدادك ولا ينا له أعقابك وأولادك يقوى كرمك وشهوتك وقرمك ويطيب مأكلك ويسنى مأملك وان صوتى للذيذ ألذ للجائع من جدى حنيذ بخبز سميذ وللعطشان من قدح نبيذ ورأيك أعلى وامتثالك اولى فقال الذئب لا بأس قد أجبت سؤالك فغن ما بدالك فرفع الجدى عقيرته ورأى فى الصياح خيرته وملأ الدنيا عياطا وأعقبه ضراطا وانشد

وعصفور الهوى يهوى جراده * كما عشق الحروف أباجعاده

فاهتز الذئب طربا وتمايل عجبا وعجبا وقال أحسنت يازين الغنم ولكن هذا الصوت من البم فارفع صوتك فى الزئير فقد أخجلت البلابل والزرازير وزدنى يا مغنى قولى

اقر هذا الزمان عينى * بالجمع بين المنى وبينى

ولكن ياسيدى المغنى هذا من اوج الحسينى فاغتنم الجدى الفرصه وأزاح بعياطه الغصه وصرخ صرخة أخرى اذكره الطامة الكبرى ورفع

الصوت

الصوت كمن عاين الموت وخرج من دائرة الحجاز الى العراق وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق وقال

قفوا ثم انظروا حالى * ابو مذقة اكالى

فسمعه الراعى يشدو فأقبل بالمطراق يعدو فلم يشعر الذئب الذاهل وهو لحسن السماع غافل الا والراعى بالعصا على قفاه نازل فرأى الغنيمة فى النجاه وأخذ فى طريق النجاه وترك الجدى وأفلت ونجا من سيف الموت المصلت وصعد الى تل يتلفت بعد اذ تفلت فأقعى يأكل يديه ندامه ويخاطب نفسه بالملامه وقال أيها الغافل الذاهل والاحمق الجاهل متى كان على سماط السرحان الغناء والاوزان وأى جد لك فانى وأب مفسد جانى كان لا يأكل الا بالاغانى وعلى صوت المثالث والمثانى فلولا انك عدلت عن طريقة آبائك مافاتك لذيذ غذائك ولا امسيت جائعا تتلوى وبجمر فوات الفرصة تتكوى وبات يحرك ضرسه ونابه ويخاطب نفسه لما نابه ويقول

وعاجز الرأى مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا

وانما أوردت هذا النظير لمولانا الملك والوزير ليعلم أن العدول عن طرائق الاصول ليس الاداعية الفضول ولا يساعده معقول ولا منقول وأموره ذميمه وعاقبته وخيمه وناهيك ماهو كالعلم ومن يشابه أبه فما ظلم ويؤخذ من مفهوم هذه الحكم أن من لم يشابه أبه فقد ظلم خصوصا الملوك والسلاطين الذين اختار رفعتهم رب العالمين وذلك لئلا يدخل على قواعد المملكه من حركات الاختلال والاختلاف حركه ولله يا ذا الاحسان ماقيل فى شان الملك انوشروان

لله در أنوشروان من رجل * ما كان اعرفه بالوغد والسفل

نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وكل هذا من عدم التدبر والتأمل فى العواقب والتذكر ومن ترك التأمل والافتكار أصابه ما أصاب ابن آوى مع الحمار فقال الملك افدنا أيها المختار كيفية هذه الاخبار قال الحكيم كان في جوار بستان مأوى لابن آوى وكان ذلك البستان كانه قطعة من الجنان غفل عنها رضوان كثير الفواكه والرطب خصوصا التين والعنب وكان ابن آوى يدخل

البستان من مجرى الماء ويأكل الثمار كيفما احب واختار ويتصرف ذلك
الخبيث ويأخذ فى الفساد ويعبث كانه ذميم ترك الذمام أولئيم من بنى
اللئام فتضرر البستانى من اضرار ذلك الجانى وعجز عن صيده ودفع
كيده فراقب دخوله ليختله ويغوله الى أن رآه يوما دخل وفى البستان
حصل ويأكل العنب اشتغل فبادر الى نقرة الماء فسدها وسد الطرق التى
اعدها ودخل الى الباغى وحصل ذلك الطاغى وحصره وأوهنه وضربه
الى أن اثخنه فذهبت قواه وشلت يداه ورجلاه فتصور أنه مات لما
سكنت عنه الحركات فأسحطه بذنبه ورماه وعلى العظام الرفات ألقاه فاستمر
لا يفيق ملقى على الطريق الى أن تراجعت اليه نفسه وقوى جاشه وحسه
فتحرك وهو هشيم وتنفس وهو سقيم ثم تدحرج الى منزله وقد أحاط به سوء
عمله الى أن صح فهمه وقوى جسمه فافتكر فيما جرى من الجار القديم عليه
من العذاب الاليم فقال اذا كان جار العمر وقرين الدهر قصد دمارى
ولم يرع لى حق جوارى لاجل قوت فضل عن أقواته وأثبت أجره فى ديوان
حسناته وشد حتفى على حلقى مسد الطنب ولم يعمل بقوله تعالى والجار
الجنب بل لو رمق فى بدنى أدنى رمق أو اقل حركة لما تركه فلا خير لى
فى جواره ولا قرب داره فان سلمت هذه المرة فما كل مرة تسلم الجرة
والاليق بالحال الترحال وطلب الرزق بالتوكل والرفق والذى شق
الاشداق تكفل لها بالارزاق وان اله الخلق لم يعذب بقطع الرزق ثم انه
افتكر فى جهة السفر وأين يكون المستقر وكان لابيه الذميم ذئب وهو
صاحب قديم ساكن فى بعض الغياض المجاورة للدوح والرياض فتوجه
اليه وترامى عليه وتوسل بصحابة أبيه لديه وقال صداقة فى الآباء قرابة
فى الابناء وذكر له حاله وما جرى له وأن جاره خانه ولم يرع حقه ومكانه
فقصد أن يكون تحت ظله نازلا فى محله ليفوز بمجالسته ويحظى بمؤانسته
ويقضى باقى عمره فى خدمته ولا يفارق وفاءه حتى يحصل فى حفرته فتلقاه
بالقبول والاقبال والفضل والافضال والبشر والبشاشه واليسر
والهشاشه وبسط له فراشه وأزال قبضه وانكماشه ودهشته واستيحاشه
وألبسه رياشه وتذكر والده وجدد معاهده وأسدى اليه من احسانه

ما انساه ذكر أوطانه خصوصا جوار جاره وبستانه وأنشده بديها

فأهلا بمحبوب قديم وداده * وسهلا بمن قد كان والده أبى

تحكم على مالى وروحى ومسكنى * وأهلى وأولادى وجاهى ومنصبى

ولم يكن عند الذئب ما يطعمه ضيفه ويشبع جوفه فاستعد للكياد وعزم على الاصطياد فقال ابن آوى أين تريد وتتركنى وأنا وحيد فقال آمنت خوفك فأريد أن أشبع جوفك ومن المعلوم أن عدم الضيافة لوم فقال لا تتعب فانا أذهب فلى صاحب حمار كانه تيس مستعار يصغى الى قولى ويعتمد على قوتى وحولى فانى اخدعه والى دارك اشيعه فأوثقه بحبالك وافعل معه ما بدا لك فصيره لنا طعاما فانه يكفينا اياما فاستصوب الذيب رأى ذلك المريب وتوجه ذلك الغدار ليأتيه بالحمار وصعد تلا ينظره ويرتقب ما يكون خبره ولما توجه ابن آوى لطلب الزبون انتهى فى سيره الى طاحون واذا بحمار قد أوثقوه حبلا وأوسعوه ذلا وعلى ظهره حمل قد قصم ظهره وأدمى دبره فطرحوا حمله واصلحوا جله وتركوه يسعى وفى المرج يرعى فتقدم ابن آوى اليه وسلم سلام معرفة عليه وأظهر له المحبة والوداد وسأله عن أهله والاولاد فقال له أى أهل وولد وأنا فى هذا البؤس والنكد ما بين حمل ثقيل وجوع طويل وركوب وسخر ومصائب أخر هذا يركب وهذا يضرب وهذا يسحب وهذا يحمل حمله وهذا ينخس بالمسله وهذا يحبس على الجوع والذله وهذا يقود بحبله وهذا يرتد بثقله وهذا يجود ولكن بكلام ثقيل فكانى فى مشاق كما قيل

ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الاذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

فتفجع ابن آوى وتوجع وحولق واسترجع والتهب واضطرم وأظهر التحرق لما رآه من الالم وأخذ يلومه على صحابة بنى آدم والمصابرة على ما يلجئه الى الندم من ايذائهم وجفائهم وتحمل بلائهم وعدم وفائهم وقال له حتام هذا الذل والتطوق بهذا الغل وتحمل أنواع الهوان من البعض والكل والام هذا العطش والجوع وعدم القرار والهجوع وأرض الله واسعة الفضاء

شاسعة الارجاء وحتام تذوب من اللغوب تحت هذا الحمل الثقيل والجور العريض الطويل فقال لو وجدت ملجأ او مسرح او مدخلا او مطرح او مغارات او منجع لوليت اليه وانا اجمح وتخلصت من هذا البلاء العظيم والشقاء الجسيم ولو رأيت احدا شفيقا او مصافيا صديقا يهدى الى الخلاص طريقا لاستغنيت بآرائه ولاستشفيت لدائى بدوائه قال ابن آوى يا الكه انى اعرف بالقرب اجمه ازهارها فائحه وانوارها لائحه وانهارها بالصفاء غاديه ورائحه غياضها نضره ورياضها خضره وربها حصينه وذراها امينه وانا ساكن فيها آمن فى ضواحيها ونواحيها فان اقتضى رأيك ذهبت بك اليها لتقف عليها فان اعجبتك سكنتها ووقيت النوائب وامنتها فانها بمعزل عن السباع الجواسر والضباع الكواسر والجوارح النواسر لا يطرقها انسان ولا يدخلها حيوان وسترى منى خير جار وحسن الجوار وستحمد عاقبة مقالى وما تراه من افعالى وتخلص من جفاء بنى آدم وتبقى فى نعيم منعم وتعيش معنا فى عيش رغيد وعمر هنىء سعيد وتحصل المؤانسه ويمن المعاشرة والمجالسه واما انا فلا اجد رفيقا مثلك وليس لى الى صديق غيرك مسلك فلما سمع الحمار هذا الحوار رغب فى الخلاص من الاقتناص والبلاء الذى هو فيه والشقاء الذى يؤلمه ويؤذيه فسلم قياده الى ابن آوى وقال اسرع بنا الى ما ذكرت من ماوى لئلا يرانا رصد او يشعر بنا احد ثم اعجلا فى السير واشبها فى سيرهما الطير فتقدم الحمار سابقا واعيا ابن آوى لاحقا فخدع وغالط وخلط وباط ونادى الحمار الىّ ان كنت تعبت فاركب علىّ فقال الحمار بل انت اركب ولا تتعب فطفر ابن آوى على الحمار وسار لا يقر له قرار وابن آوى يهديه الطريق وهو فى نهيق وشهيق فلما قربا من الاجمه فتح عينيه ذلك الاكه ورفع آذانه وبصره فرأى الذئب قاعدا منتظره فعرف ان تلك مكيده نصبها ابن آوى ليصيده فقال (تأتى الخطوب وانت عنها نائم) ثم استحضر عقله المفقود واستعمل عقله الموجود وعرف انه غفل عن نفسه وقد سعى برجليه الى رمسه وانتقل من المرض الذى هرب منه الى نكسه ومن تحوله وذله الى تعسه ونكسه فتردد متفكرا واقام متحيرا متحيرا فقال له ابن آوى

مالك

مالك اسرع فقد أحسن الله حالك وأمن فكرك وانعش بالك وجعل
الى عاقبة الخير مآلك لئلا يدركنا أحد أو يلحقنا ضرر ونكد فقال الحمار
يا أخي شاهدت قدود أغصان رشقه ونشقت روائح ريحان عبقه وسمعت
خرير الانهار وأصوات البلابل والهزار فندمت حيث لم أقطع علائقي
وأودع جاري ومرافقي وأبت مالي من التعلقات وأجيء وما وراءي التفات
وانا الان ولجت هذه الغيضه ورعيت مروج هذه الروضه ورأيت ما فيها من
المنتزهات ألهتني عما لي من تعلقات فتضيع اذذاك مصلحتي وتذهب عند
جيراني ودائعي وذخيرتي ولا أقدر على مفارقة هذا المقام الانزه ومجاورة
مثلك أيها الجار الفكه وقد عزمت على الرجوع لاصحب مالي من مال
وأثاث مجموع وأجيء وقلبي مطمئن وناظري عن الالتفات مستكن
قال ابن آوى اترك مالك ولا تؤخر أوقات السرور وساعات الفراغ والحبور
وما خلفته فهو لك وتلافيه أمر مستدرك ولا بأس أن تدخل هذا المكان
وتدور في هذا البستان وتتعاهده ولو مره وتشاهده ولو نظره ثم تعود
وتفعل ما تريد وبالجملة فتأخير أوقات السرور غير محمود ولا مشكور فقال
الحمار الامر كذلك وقاك الله شر المهالك ولكن اقوى الدواعي في هذه
القضيه والحامل على الرجوع وان كان بليه وصية من ابي كانت عندي
خفيه كنت أعمل بها وأمشي في دربها ولا افارقها في نومي ولا يقظتي وكنت
جعلتها حرزا اعلقه في رقبتي واذا لم تكن معي في مسيري ومضجعي لا يقر لي
قرار ولا يأخذني اصطبار ويعتريني شبه الاوهام وأرى خيالات فاسدة
في المنام وتغلب على دماغي فنون السوداء ولا أجد منها دواء لذلك الداء
وفيها وصايا نفيسه لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسه فاذا حصلت على تلك
الوصية المعينه فقضية ما سواها هينه ثم ألوي راجعا لا سامعا لابن آوى
ولا طائعا فافتكر ابن آوى انه اذا ترك الحمار وحده فوته قصده وخيب
الله كده وابطل حيله وجهده فرأى لنفسه المنفعه أن يرجع معه
فربما ينجح سعيه ويسلب من الحمار وعيه فقال يا أخي شوقتني بهذه القضيه
الى الاطلاع على تلك الوصيه لاستفيد منها وآخذ حظي من الفضل عنها
فلا بد من مصاحبتك والذهاب معك ومرافقتك فقال الحمار لا دافع

ولا مشاقق ولا مانع أن تكون لى مرافق فقال ابن آوى فهل فى حفظك
منها شئ فان كان فألقه الى لنتذاكر فى الطريق ولا يؤثر فينا التعب
والضيق فقال نصيحة واحده هى بصدقى شاهده وهى كلمة مجمله فوائدها
فيها مجمله وهى ان ابى قال لى اياك أن تفارق هذه الوصيه فان فارقتها وقعت
فى بليه وسأخبرك بتأثيرها فى المسير اذا تذكرت ايها البصير ثم سار قليلا
وأفكر طويلا وقال وهذه اخرى سنح بها ذكرى وارتضاها فكرى
وهى اذا وقعت فى شده ورمت للخلاص منها عده فتصور اصعب منها
يحصل لك التفصى عنها وتمن عليك وتعدها نعمة أسديت اليك فتشتغل
بشكرها وتستأنس بذكرها فقال ابن آوى أحسنت يا حمار وهذا
مقام الاخيار والصالحين الابرار ثم سار سيرة رائقه وقال والله هذه
نصيحة ثالثه فقال قل واسلم وطل فقال لا تحسب أن الصديق الجاهل
خير من العدو العاقل فان علم العدو العاقل خير لك من جهل الصديق
الجاهل فقال ابن آوى ما أحلى كلامك واعلى فى اللطف مقامك وأنزه
منادمتك وأفكه مكالمتك بالله شنف المسامع فانى لك بقلبى وجوارحى
سامع فقال مهلا حتى اتذكرها وأتصورها كما ينبغى وأتفكرها وانتهى
امر ابن آوى على تعبه وساقه القضاء الى رمسه فوصل الى الضيعه وقد وقع
ابن آوى فى ضيعه فألح على الحمار فقال أخبرنى فما بقى لى اصطبار فقال
قال لى أبى بكلام فصيح عربى لا تجعل مقامك وقيلك بمكان يكون فيه
ابن آوى دليلك والذئب فيه جارك وخليلك وان جعلت لك فى مثل هذا
المكان ساحه فما ترى يكون لك فيه من الراحه وان أردت أن تخلص من
هذا المكان فانصب الآذان وارفع ذكر الله بالاذان فانه ينجيك
من الضيق ثم رفع عقيرته بالنهيق فسمعه معارفه من الكلاب فسارت اليه
مستبشرة بحسن الاياب وسارعت اليه واجتمعت حواليه فما شعر
ابن آوى الا وهو متورط فى البلوى فطفر للهرب فادركه من الكلاب
الطالب فاحتوشته واتوشته واختطفته واقتطفته ووزعته ومزعته
ومرشته وقرشته فلم تبق منه عينا ولا أثرا وذهب دمه فى تدبيره هدرا
وانما أوردت هذا المثال وعرضته على الرأى العال ليعلم أن الاغترار

بالكلام محال والاصغاء الى الحكايات والقول البطال من غير تنقل من ألفاظها الى معانيها وتأمل فى مآل مقاصدها وفحاويها والاعتماد على القضايا المزخرفه والركون الى الامور المسفسفه لا يفيد سوى الندم وزلة القدم والاصل فى الولايات والمناصب التفكر فى الخواتيم والتأمل فى العواقب والافلس فى ذلك سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك وقلت شعرا

وأسعد من يكسى الولاية من اذا * نضا ثوبها يكسى الثناء المطرزا

فلما انتهى الكلام الى هذا المقام ورأى الوزير برأيه المنير ما فى هذه الفصول من الفضل دون الفضول اعترف للملك حسيب بالفضل الحسيب والرأى المصيب وحسن النصيحة والبيان وصحة الدليل والبرهان فأذعن للحق وأناب الى الصدق وقال لقد أتيت النصيحة من بابها واوصلتها الى طلابها وكل كلام قررته وبيان حررته انما هو شكر أحرزته وطريق سداد بينتها وسبيل رشاد أوضحتها وباب صواب فتحته وميزان احسان ارجحته وعلى كل عاقل ومستمع وناقل أن يقتدى بهذه النصائح ويوصلها الى السائح والسابح ويغنم فوائدها وعوائدها وموائدها ويعمل بموجبها ولا يخرج عن مذهبها ثم ان الملك لما اصغى الى هذا الفصل وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل أفرغ على أخيه وأهله وذويه لباس الانعام ووفاه بمزيد الاكرام وقال لقد دققت أيها الاخ الشقيق فى تدقيق النصح بالتحقيق وحللت المشكل وجلوت الطريق وأديت حق الفتوه وواجب المروءة وشرائط الاخوه والان قد حكمناك فى ولايتنا واينائك على حكامنا وقضاتنا وبسطنا يدك فى الاقاليم واطلقنا لسانك فى التعليم فتحكم فى الرءوس والاطراف واحكم فى الآفاق والاكناف واشرع فيما أنت بصدده ولا تتقيد بمخالف ولدد وكن منشرح الصدر قوى الظهر قرير العين مبسوط اليدين مبارك الطلعة حسن السيره صبيح الوجه طيب القلب والسريره طويل العضد والساعد ممدوحا عند الغائب والشاهد خلى البال هنى الحال فانك من بطن كريم ونخذ على الطاعة مستقيم وفى الفضائل ذو قدم وصدق وفى الصناعة ذو صنع وحذق فلا تتوان

فيما عزمت عليه وقصدت اليه من النصائح الملوكيه والفصول العلمية والعمليه وأتحفنا بتلك الحكم السنيه والخصائل البهيه والشمائل المرضيه فانها لذة الاشباح وغذاء الارواح والطراز المقفى على خلع المساء والصباح فنهض الحكيم من مجثمه وقبل ثغر الارض بثغر جبينه وفمه وامتثل المراسيم الشريفه واشتغل بتأليف هذه الحكم الظريفه وترتيبها بالعبارات اللطيفه واستطرد فى تأليف هذه الحكم من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله على كرمه الاتم واحسانه الاعم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الباب الثانى)

(فى وصايا ملك العجم المتميز على اقرانه بالفضل والحكم) قال الراوى حسان معدن الظرافة والاحسان فتوجه الحكيم حسيب الاديب الاريب الى ايراد الاخبار عن الهداة الاخيار فحكى أن ملكا من ملوك الامصار وسلاطين العجم يدعى شهربار كان من العجم وكان فى الحكم والجود واللطف والكرم أمة من الامم ملكه عظيم وفضله جسيم وولايته فى أحسن اقليم حسن السياسه وافر الكياسه ثناؤه عاطر وعطاؤه ماطر ووابل الحشمة من سحائب هيبته قاطر وله من الاولاد وفلذ الاكباد ستة رجال الى المجد والكرم عجال وكل له فى الفضل والافضال أوسع مجال مشهور بالزعامه مخبور بالشهامه كفه سخى وكنفه اريحى ذو شجاعة باسله وبراعة كامله وحشمة وافره وهيبة زاجره وهمة ابحرها بالمكارم زاخره مع رفق ولين للصعلوك المسكين وصلابة فى الدين وكان الاكبر سنا منهم متميزا فى هذه الشيم عنهم وأعطر طيبا واوفر نصيبا فكانه فى شأنه قيل

هذا الذى دانت الدنيا لطلعته والدين والملك والايام والامم

فلما دنت شمس عمر ابيهم للافول وقارب غصن عيشه الذبول وعزم فراش الاجل على طى بساط حياته واورد بريد الفناء منشور تسليمه الى متولى وفاته أحضر بنيه واكابر ذويه وقال اعلموا يا بنى أنى استوفيت نصيبى من الدنيا وارتقيت من لذاتها الى الدرجة العليا

وذقت حلوها ومرها وعاينت حرها وقرها وعرفت خيرها وشرها ومع
ارتقائي فيها الى المنازل الفاخره عملت بمقتضى وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخره فتزودت بما وصلت اليه اليد وما أخرت عمل اليوم الى الغد
ولم تلهني الغفله ولا ارخاء المهله عن الاستحضار لساعة الرحله بل لم ازل
للرحيل مستوفزا وللتحول والانتقال متجهزا وانا اليوم عنكم راحل
وسفينة عمري أرست بالساحل وهذا سفر لا رجعة فيه ولا عودة لمسافركم
اليكم تثنيه وهذا امر محتوم وقدر معلوم وقضاء قدره في الازل
رب لا يزال ولم يزل سلطان ملكه لا يبيد وكل الملوك تحت امره عبيد لا راد
لما قضاه ولا مانع لما امضاه ولا هادم لما بناه ولا صاد لما سواه حكم بالموت
على مخلوقاته وساقه لا باب قوة في رده ولا طاقة وقد خفف من وجدي
أن لي مثلكم مجدي وانكم خلفي ومحيو سائي وفيكم من يقوم مقامي
ولا يمحو ايامي ولا يدرس آثاري ولا يطفئ نار أنواري وها انا اعهد اليكم
واستخلف الله عليكم وان كنتم الى الوصية غير محتاجين ولكن الذكرى
تنفع المؤمنين واعلموا أن ازكى زهر تتنور به بصائر النقل في رياض
العبوديه ورد الشكر وازكى عطر تتعطر به مجامر العقل في غياض الحريه
ورد الفكر وأن الشكر قيد النعم وسبب لازدياد الفضل والكرم قال الله
تعالى وجل جلالا لئن شكرتم لازيدنكم وقد قيل من شكر القليل
استحق الجزيل وأن الفكر يعلي المقامات ويعطي الكرامات واحتملوا
الاذى تأمنوا ولا تهنوا لنائبة ولا تحزنوا ولا تظنوا الجود والكرم
في التبذير والبخل والتقتير من جملة التدبير فقد نصب للاعلام أعلاما من
قال عز مقاما وكلاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وقال جل مخبرا وخبيرا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا وأتبعوا الاقوال الافعال فلا خير في
قول ليس بفعال ولا تشوهوا محاسن شيبكم بزخارف الكذب فان الصدق
أول ما ينبغي واعظم ما يجب ووسخ كلمة واحدة بالكذب ناطقه لا ينقيه
ألف كلمة صادقه ومن تعود الكذب في نطقه لا يعتمد على صدقه وداروا
الاعدا مداراة الاودا يزد صديقكم ويكثر فريقكم ويجل ودودكم

ويقل عدوكم وحسودكم وعليكم بملازمة الاخيار واياكم وصحبة الاشرار ولا تطلبوا للرغبة فى صحبة الاشرار سبيلا ولا تقيموا على ذلك أبدا دليلا فمن غالط نفسه فى مجالسة الاشرار وطلب وفاء من جبل على طبيعة الفجار فقد أوجع نفسه باقوى كيه وأصابه ما أصاب الفلاح مع الحيه فسأل الاولاد والدهم المالك عن كيفية ذلك فقال ذكر أن واحدا من الاكياس طلب العزلة عن الناس ولازم انقطاعه وانقطع عن الجمعة والجماعه واشتغل لاقامة أوده بالزراعه وانعزل فى ذيل جبل وصاحب حية كانت تأنس اليه بكلامه وتأكل من فضلات طعامه فترقت بينهما المعاهدة الى أن بلغت الى المعاقده بأن تكون صادقه خالية عن المماذقه ولا تكون كصحبة أبناء الزمان تكرع من الغدر فى غدران ولا مشوبة بنفاق ولا مدخولة برياء وشقاق وأن تنعقد بينهما المودة والاخاء فى حالتى الشدة والرخاء فجرا على هذا مدة وكل حافظ عهده مراع صحبته ووده وكان الرجل اذا عنت له قضية عرضها على الحية واستشارها وأخذ اخبارها ويخرج هى اليه وتترامى على رجليه ففى بعض الايام وعام من الاعوام وقع برد شديد وثلج وجليد فرأى الحية وقد سقطت قواها وجمدت أعضاها ووقعت فى شر حال وبرد ووبال فحملته الشفقة والصداقه والعهد الذى أحكم وثاقه على أن آواها وحملها فى مخلاة حماره وأدناها ووضع المخلاة فى رأس البهيم وتوجه لضرورة ذلك الفهيم فحنت الحية بنفس أبى زياد وتحرك عرق العدوان القديم وعاد وفعل خبثها خاصيته المألوفه ولعب سمها سجيته المعروفه متبعا حديثه حرام على النفس الخبيثه أن تخرج من الدنيا حتى تسى الى من أحسن اليها فعضت الحية شفة الحمار الرقيقه عضة محب لاقى فى خلوة عشيقه وبرد مكانه من حرها وهربت الحية الى جحرها وانما أوردت هذا المثال لتعلموا ياذوى الافضال أن من صحب الاشرار ورغب فى مودة الفجار لا يأمن العثار ولا يسلم من الانكاد والبوار وقد قيل ان صحبة الاخيار كجرة النضار بطيئة الانكسار سريعة الانجبار وصحبة الاشرار كجرة الفخار سريعة الانكسار بطيئة الانجبار وبالجملة فما فى صحبة الناس فائده ولا فى مخالطة

الناس كبير عائده وقد قيل

ولم ترمن بنى الدنيا سلاما * فان تره فأبلغه سلامى

وينبغى أن تكون غيبتكم وحضوركم وأحوالكم واموركم واجتماعكم وفراقكم وصلحكم وشقاقكم فى حالتى السراء والضراء والبؤس والرخاء على وتيرة واحده وهى الخالية عن الاغراض الفاسده اعنى اذا رضيتم فبالحق واذا غضبتم فللحق واذا توجهتم فللحق ولا تبطروا فى حالة النعم ولا تضجروا فى حالة النقم وعلى كل حال فلا يقع بينكم اختلال وذلك بتفرق الكلمة واختلافها وتصادمها وعدم ائتلافها فانه قيل

ان الذليل الذى ليست له عضد * مثل الوحيد بلا مال ولا عدد

وقيل أيضا

كونوا جميعا يا بنىّ اذا اعترى * خطب ولا تتفرقوا أجنادا

تأبى القداح اذا جمعن تكسرا * واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولا تثقوا بأحد من الكبار والصغار الا بعد الاختبار فى الشدة والضعف والرفق والعنف والبؤس والرخاء والخوف والرجاء ولا تقدموا على قديم الاصحاب أحدا ولا على الموثوق بهم من لا جرّبتموه أبدا وقد قيل فى المثل المشهور النحس المعروف خير من الجيد المنكور وقيل أيضا خير الاشياء جديدها وخير الاصحاب قديمها وأسسوا قواعد أخراكم فى دنياكم واغتنموا السعادة الباقيه من الدار الفانيه وعاملوا تجدوا وازرعوا تحصدوا وتفكروا من أوّل يومكم أحوال عزكم ومن أوائل عمركم أواخر دهركم ومن ليلة الهلال سرار شهركم فكل من له صدق قدم يتفكر وهو موجود حالة العدم ومن زمان شبابه حالة الهرم كما فعل التاجر المراقب وما آل اليه فى العواقب فقبل الارض الاولاد وقالوا مولانا السلطان اعظم من افاد لو تصدق على عبيده الطائعه ببيان تلك الواقعه قال الملك ذكر الحكماء وذووا الفضل من العلماء أنه كان فى بعض الامصار تاجر من أعيان التجار ذو مال جزيل وجاه عريض طويل ونعمة وافره وحشم وخدم متكاثره من جملتهم غلام مخايل السعادة من جبينه لايحه وروائح

النجابة من أذيال شمائله فائحه قد افنى عمره فى خدمة مولاه ولم يقصر لحظة فى طلب رضاه فقال له سيده فى بعض الايام لك على حق ياغلام وأنا اريد مكافاتك وأطلب موافاتك فتوجه هذه المره فى هذه السفره فمهما ربحت فهو لك بعد أن اعتقك من قيد رق أشغالك ثم أوسق مركبا وفسح له فى السير شرقا ومغربا ووصاه باشياء امتثل مرسومها والتزم منطوقها ومفهومها فقال له مولاه سأرفعك على أضرابك واغنيك عن أمثالك واصحابك وأجعلك كاكبر من فى الدنيا وبجميع رفقتك بمنزلة المولى ثم أخذ فى تعبئة البضائع وأوسق مركبه المتاجر والمنافع وسلمه الى الهواء والماء بعد أن توكل على رب السماء فسار بعض ايام وهو فى أهنى مرام واطيب عيش ومقام الماء رائق والهوا موافق والنكد مفارق والسرور مرافق حتى كانه نوح وخضره الملاح وموسى وفتاه حافظا الالواح وبينهما السفينه من نسف العواصف امينه تجارى السهم والطير وتبارى الدهم فى السير فاذا بالرياح هاجت والامواج ماجت وأشباح البحر تصادمت واطواد الامواج على العرفاء تلاطمت فعجز ذلك الملاح والحافظ ونشر مذهب ابنه أبو الجاحظ وترك شيمة الوقار والسكينه ورقم نقش الحروف فى ألواح السفينه فشاهدوا من ذلك الهواء الاهوال وغدا قاع البحر كالجبال وصار ذلك الغراب بمن فيه من الاصحاب كاحوال الدنيا بين صعود وهبوط وقيام وسقوط طورا يستامنون الافلاك ويناجون الاملاك وينهون أخبار ظلمات صاحب الحوت الى السماك وطورا يهبطون الغور وينظرون قرن الثور وربما رقوا منه من تحت الزور فلم يزالوا عاجزين حيارى سكارى وماهم بسكارى يتناشدون

وفلك ركبناه والبحر ذو * هواء فثار وحار ومارا

فطورا علونا السماء وطورا * رمتنا اراضيه منها انحدارا

وآخر الامر نسفت السفينة الرياح وألقى كاتب الحاصب الى كل حرف من حروف الجبال لوحا من الالواح وأوعر الله سهلها وخرقها فاغرقها وأهلها وذهب البحر باموالها وارواحها وتعلق الغلام بلوح من ألواحها واستمر تقذفه الامواج وتصدم به أثباج البحر الهياج الى أن وصل الى

ساحل فخرج وهو كئيب ناحل وصعد الى جزيره فواكهها غزيره ووصفها عجيب ليس بها داع ولا مجيب فجعل يمشى فى جنباتها الى أن أداه التوفيق الى فم طريق فسار فى تلك الجاده وهداية الله له ماده فانتهى به المسير الى أن تراءى له سواد كبير وبلغ مملكة عظيمه وولاية جسيمه ورأى على بعد مدينه مسورة حصينه فعمد الى ذلك البلد وتوجه نحوها وقصد فاستقبله طائفة من الرعال نساء ورجال يتبعهم جنود مجنده وطوائف محشده مع طبول تضرب وفوارس تلعب وزمور تزعق وألسنة بالثناء تنطق حتى اذا وصلوا اليه تراموا عليه وأكبوا بين يديه يقبلون يديه ورجليه مستبشرين برؤيته متبركين بطلعته ثم ألبسوه الخلع السنيه وقدموا له فرسا عليه بكنبوش ذهب وسرج مغرق ووضعوا له التاج على المفرق ومشوا فى الخدمة بين يديه والجنائب فى الموكب تجر لديه ينادون حاشاك والملك سلطان الناس قادم عليك حتى وصلوا الى المدينه ودخلوا قلعتها الحصينه ففرشوا شقق الحرير ونثروا النثار الكثير وأجلسوه على السرير وأطلقوا مجامر الند والعبير ووقف فى خدمته الصغير والكبير والمأمور والامير والدستور والوزير وأنشدوه

قدمت قدوم البدر بيت سعوده * واصل فينا صاعد كصعوده

(وقالوا) اعلم يا مولانا أنك صرت لنا سلطانا ونحن كلنا عبيدك وتابع مرادك ومريدك فافعل ما تختار وتحكم فى الكبار منا والصغار وأمر مالك من مرسوم فامتثاله علينا محتوم وما منا الا له مقام معلوم فجعل يتفكر فى امره ومبداه ويتأمل ما صار اليه ويتدبر فى منتهاه فقال ان هذا الامر لا بد له من سبب ولا بد له من آخر ومنقلب فانه لم يصدر فى عالم الكون سدى وان لهذا اليوم من غير شك غدا وان الصانع القديم القادر الحكيم السميع العليم البصير الحى المريد الكريم لم يقدر هذه الافعال على سبيل الاهمال ولم يحدث حدثا لعبا ولا عبثا وجعل يلازم هذه الافكار آناء الليل وأطراف النهار وهو مع ذلك قائم بشكر النعمه ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمه واضع الاشيا فى محلها والمناصب فى يد أهلها متلفت الى أحوال الرعيه عامل بينهم بالعدل

والسويه متعهد أمور الكبار والصغار بانواع الاحسان واصناف المسار مؤسس قواعد المملكة والسلطنه على اركان العقل والعدل مهما امكنه متفحص عن مصالح المملكه سالك مع كل من ارباب الوظائف مايقتضى مسلكه ثم وقع اختياره من بين اولئك الجماعه على شاب جليل البراعه له فى سوق الفضل والوفاء أوفر بضاعه متصف بانواع الكمال متحل بزينة الادب والجمال فاتخذه وزيرا وفى اموره ناصحا ومشيرا فجعل يلاطفه ويرضيه ويكرمه ويدنيه ويفيض عليه من ملابس الانعام وخلع الافضال والاكرام ماملك به حبة قلبه واستصفى خالص وده لبه وسكن فى سويدائه وتمكن به من ضمير أحشائه الى أن اختلى به وتلطف فى خطابه واستنصحه فى جوابه وسأله عن أمر امرته وموجب رفعته وسلطنته من غير معرفة الرفاق ولا أهلية ولا استحقاق ولا هو من بيت الملك ولا فى بحر السلطنة له فلك ولا معه مال ولا خيل يهديها ولا رجال ولا معرفة يدلى بها ولا شجاعة وفضيلة يهتدى بتهذيبها فقال ذلك الشاب فى الجواب اعلم أيها الملك الاعظم أن هذه البلده وعساكر اقليمها وجنده قد اخترعوا أمرا واصطلحوا على عادة أخرى سألوا الرحمن أن يقيض لهم فى كل اوان شخصا من جنس الانسان يكون عليهم ذا سلطان فأجابهم الى ذلك فسلكوا فى امره هذه المسالك وذلك أنهم فى اليوم الذى قدمت عليهم يرسل الله تعالى رجلا من عالم الغيب اليهم فيستقبلونه كما استقبلوك ويسلكون معه طريقة الملوك من غير نقص ولا زياده وقد صارت هذه لهم عادة فيستمر عليهم سنه فى هذه المرتبة الحسنه فاذا انقضى الاجل المعدود وجاء ذلك اليوم الموعود عمدوا الى ذلك السلطان وقد صار فيهم ذا امكان ومكان وعلقة ونشب واخاء ونسب وثبتت له أوتاد وصار له أهل واولاد وجروه برجله من التخت وسلبوه ثوب العزة والرخت وألبسوه ثوب الذل والنكال وأوثقوه بالسلاسل والاغلال وحملوه الاهل والاقارب وأتوا به الى بحر قريب فوضعوه فى قارب وسلموه الى موكلين ليوصلوه الى ذلك الجانب فيوصلونه الى ذلك البر وهو قفر أغبر ليس به انيس ولا رفيق ولا جليس ولا صديق ولا زاد ولا ماء ولا نشوء ولا نماء ولا مغيث ولا معين ولا قريب

ولا قرين

ولاقرين ولاقدرة ولاامكان على الوصول الى العمران ولاظل ولاظليل
ولاالى الخلاص سبيل ولاالى طريق النجاة دليل فيستمر هنالك عريانا وحيدا
فريدا طريدا الى ان يهلك عطشا وجوعا لا يملك اقامة ولا يستطيع رجوعا
ثم يستانف أهل هذه البلاد ما لهم من فعل معتاد فيخرجون بالاهبة
الكامله الى تلك الطريق السابله فيقيض الله تعالى لهم رجلا فيفعلوا
معه مثل ما فعلوا مع غيره قولا وعملا وهذا دأبهم وديدنهم وقد ظهر لك
ظاهرهم وباطنهم فقال ذلك الغلام الاملح لذلك الوزير المصلح فهل اطلع
أحد ممن تقدم على عاقبة هذا المأتم قال قد عرف ذلك وتحقق أنه عن
قريب هالك ولكن غرور السلطنة يلهيه وسرور التحكم والتسلط يطغيه
وحضور اللذة الحاصله لسوء العاقبة ينسيه ولا يفيق من غفلته ويستيقظ من
رقدته الا وعامه قد مضى والاجل المضروب قد انقضى وقد احاطت به نوازل
البلاء وهجم عليه بوازل القضاء فيستغيث ولا مغيث وينادى الخلاص
ولات حين مناص فلما سمع الغلام هذا الكلام أطرق مفكرا وبقى متحيرا
وعلم أنه لابد للايام أن تمضى وهذا الاجل المضروب ينقضى وأنه ان لم يتدارك
امره ويتلاف خيره وشره ويتدبر حاله ومصيره ومآله هلك هلاك الابد
ولم يشعر به أحد فأخذ يفكر فى هذا الخلاص والتفصى من شرك الاقتناص
ثم قال للوزير الناصح الخبير أيها الرفيق الشفيق والنصوح الصديق
جزاك الله خيرا وكفاك ضيما وضيرا انى قد فكرت فى شئ ينفع نفسى ويحييها
ويدفع شر هذه البلية التى وقعت فيها وأريد معاونتك واطلب مساعدتك
فانى رأيتك فى الفضل متميزا بين أقرانك فائقا فى محاسن الشيم على أصحابك
واخوانك فقال افعل ياذا الزعامه وحبالك وكرامه قال اعلم ايها الصاحب
الاعظم أن الرجوع الى هذا المكان الذى كنت فيه خارج عن الامكان
والاقامة فى هذا الملك المعهود انما هى الى اجل معدود ووقت محدود
وانقضاؤه على البتات وماكل هو آت آت وكيفية الخروج قد عرفت
وطريقها تقررت ووصفت ولهذا قيل ياذا الفضل الجزيل دخلنا مضطرين
وأقمنا متحيرين وخرجنا مكرهين ولم يتجه مخلص من هذا المقنص الا طريق
واحد وسبيل غير متعاهد وهو أن تأخذ طائفة من البنائين وجماعة من

المهندسين والنجارين وتذهب بهم أيها الوزير الى مكان اليه نصير
فتأمرهم أن يبنوا الناهناك مدينه ويشيدوا النافيها أماكن مكينه ومخازن
وحواصل ونملأها من الزاد المتواصل من المآكل الطيبه والاطعمة
والاشربه اللذيذة المستعذبه ولا تغفل عن الارسال ولا تختر الامهال
والاهمال فى الظهيرة والاسحار والغدو والآصال اذ أوقاتنا محدوده
وأنفاسنا معدوده وساعة تمضى منها غير مردوده واذا فات شئ من ذلك
الوقت فلا نعوض عنه الا الخيبة والمقت فننقل هناك ما يكفينا على حسب
طاقتنا ومقدار قدرتنا واستطاعتنا فاذا تزودنا منها لم نرحل عنها بحيث
اذا نقلنا من هذه الديار وطرحنا فى تلك المهامه والقفار وجفانا
الاصحاب وتخلى الاخلاء عنا والاحباب وانكرنا المعارف والاوداء
واحتوشتنا فى تلك البيداء فنون الداء نجد ما نستعين به على اقامة الاود
مدة اقامتنا فى ذلك البلد فأجاب بالسمع والطاعه واختار من المعمارية
جماعه وأحضر المراكب وقطع البحر الى ذلك الجانب وجعل الملك يمدهم
بالالات والادوات على عدد الانفاس ومدى الساعات الى أن أنهى
المعمارية العماره واكملوا حواصل الملك وداره وأجروا فيها الانهار
وغرسوا فيها الاشجار فصارت تأوى اليها الطيور بالليل والنهار ويترنم فيها
البلبل والهزار بانواع التسبيح والاذكار وغدت من أحسن الامصار
وبنوا حواليها الضياع والقرى وزرعوا منها الوهاد والثرى ثم أرسل اليها
ما كان عنده من الخزائن ونفائس الجواهر والمعادن وأرسل من طريف
التحف اليها ومن حاجاته المعول عليها بحيث لو أقام بها سنين قامت بكفايته
وفضلت خزائنها عن حاجته واكثر من ارسال ما يلزم من الادوات والاشربة
والمطعومات وجهز الخدم والحشم وصنوف الاستعدادات من النعم
فما انقضت مدة ملكه ودنت أوقات هلكه الا ونفسه الى مدينته تاقت
وروحه الى مشاهدتها اشتاقت وهو مستوفز للرحيل ورابض للنهوض
والتحويل فلما تكامل له فى الملك العام لم يشعر الا وقد أحاط به الخاص
والعام ممن كان يفديه بروحه من خادمه ونصوحه ومن كان سامعا لكلمته
من أعيان خدمه وحشمته وقد تجردوا لجذبه من السرير ونزع ما عليه

من

من لباس الحرير ومشوا على عادتهم القديمه وسلبوه الحشمة الجسيمه ومملكته العظيمه وزالت الحشمه والكلمة والحرمه وشدوا وثاقه وذهبوا به الى الحراقه ووضعوه وقد ربطوه فى المركب الذى هيؤه وأوصلوه الى ذلك البر من البحر فما وصل اليه الا وقد اقبلت خدمه عليه وتمثلت طوائف الحشم والناس لديه ودقت البشائر لمقدمه وحل فى سروره المقيم ونعمه واستمر فى اتم سرور واستقر فى اوفر حبور ثم قال الملك للاولاد وفلذ الاكباد وانما أوردت هذا المقال على سبيل المثال فاصغوا الى حسن التنظير حتى ابين لكم النظير وعوا ما أقول باذان القبول وتاملوا رموز المعانى من هذه الالفاظ التى أخجلت المثانى ثم تفكروا وتبصروا وبعد التذكر والتبصر تدبروا أما ذلك العام المعهود فانه الولد فى أول الوجود وأما المركب الذى أودعه فهو بطن امه الذى استودعه وانكسار السفينه هو انشقاق المشيمه والجزيرة التى خرج اليها فهى الدنيا التى دخل عليها والناس الذين استقبلوه فاقاربه وذووه وأهلوه يربونه بالملاطفة والعلال ويعاملونه بالاكرام والافضال وذلك الشاب الذى هو وزيره فهو عقله ومن اعوانه نوره والسنة المضروبة اجله المحتوم وعمره المعدود المعلوم ونزوله عن سريره عبارة عن آخرته ومصيره وخروجه من الدنيا بالاكراه وشروعه فى دخوله الى اخراه والبحر الثانى الذى طرح فيه هو أحوال ما يعاينه عند الموت ويعانيه والبر القفر اللحد والقبر فالسعيد يتفكر فى كيفية اموره وأحواله ومبدا امره وما له ثم يتدبر فى قل هذا وجله ويستعد لما خلق من أجله ويتحقق أن الاقامة فى الدنيا يسيره وهى بالنسبة الى الاقامة بدار البقاء قصيره وأنه اذا جاء وقته المحتم لا يتاخر عنه ساعة ولا يتقدم فيأخذ فى الازدياد ويتهيأ ما امكن ليوم المعاد ويعد نفسه كالمسافر الذى اتى بعض الحاضر فلا يقيم اكثر من يوم وقد رحل عن القوم كما قيل

الا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو بالصبح راحل

الى سفر طويل زاده قليل قفاره يابسه وطرقه دامسه لا انيس فيه ولا رفيق ولا مصاحب ولا صديق ولا دليل ولا خليل ولا مغيث ولا مقيل

ولا ماء ولا معين ولا صاحب ولا معين فيهيئ لهذا السفر بقدر الامكان ماقدر من الزاد والما والمركب والكلا ونور الطريق والمسافر والرفيق والخادم والانيس والمنادم والجليس ويمهد المضجع للمبيت والمقيل ويهيئ الموضع فى النزول والرحيل وبالجملة لا يترك من أفعال الخير شيأ الا فعله ولا مجملا الا فصله ولا متاخرا الا قدمه ولا نعاملا فى مبايعة الا اسلفه واسلمه وليعلم أن كل ذلك محتاج اليه ومصروف لديه اذا نقل الى دار البقاء وأقبل عليه فاذا جاء وقت الرحيل ونادى منادى الانتقال والتحويل وجد ما كان عمله حاضرا وكل ماقدمه الى رياض الخير نزها ناضرا كما قال ذو الجلال واخبر به الصادق فى الوعد والمقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون معنى أن لا تخافوا الا خوف عليكم فيما هو أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم فاذا دخل فى قبره وجده روضة من رياض الجنة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وأما الشقى الغافل الغبى الذى اهمل امره ونسى الله وذكره واهمل ماخلق لاجله وتاه فى بيداء الضلال وسبله فقد اغتر بهذه اللذة اليسيره فى تلك المدة القصيره واستمر سكران فى ميدان العصيان من خمرة الطغيان وتردى لباس الردى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فانهدمت عمارتهم وما ربحت تجارتهم حتى اذا جاء الوقت المعلوم ونزل به الاجل المحتوم ونظر أمام وتراءت له الاعلام فأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم نزل من دار الغرور الى دار الشرور فندم ولا ينفعه الندم وقد زلت به القدم فخاب مآبا وقال ياليتنى كنت ترابا فانظروا يا أولادى وعدتى وعتادى حال الفريقين وتأملوا ما للطائفتين فقد بذلت فى النصيحة جهدى وأستخلف الله عليكم من بعدى فقال اكبر ولده وهو سلك محاسنهم وواسطة عقدهم جزى الله مولانا عن شفقته خيرا وأولاه على حسن النصيحة أجرا وذخرا فلقد أحييت قلوبا بزواهر حكمك وشنفت أسماعا بجواهر كلمك ولكن اخوتى وان كانوا من أولى العلم وارباب النباهة والحلم والعقل الغزير والفضل الجم الكثير والرأى

المصيب المنير غير أن حدة الشباب عليهم غالبه ودواعى النفس بشهواتها مطالبه لاسيما ان حصلوا على ملك عريض وكرعوا من ألبانه المحض والمخيض فان اتفق مع ذلك موافق منافق أو صاحب ممارق أو صديق خدوع أو مباطن مكار هلوع أضلهم عن سواء السبيل وصار الى طريق المخالفة أوضح دليل فتحول صداقتنا عداوه وتتبدل فيها بالمرارة الحلاوه فينتزع الرخاء وتمزع الاخاء ويبغى بعضنا على بعض وتعود الاخوة على موضوعها بالنقض ويتولد من ذلك الفتن ويظهر من العداوة ما بطن فالرأى عندى أنه مادام زمام التصرف فى يد الامكان يتصرف مولانا السلطان على مقدار جهده فى مصلحة عبده بحيث لا اكون مضغة للماضغ ومشغلة لكل قلب فارغ ولا يسلمنى لاسباب الحوادث ومخاليب الدهر الكوارث فانه بذلك يكفينى من نوائب الزمان مايدهينى والعياذ بالله المنان من مفارقة مولانا السلطان جعلنى الله تعالى فداءه ولا أرانى فيه يوما ساءه فليأخذ بيدى من هذه الورطه وليرحنى من شر هذه الخطه فانه قد قيل من لا يقيل المستقيل ولا يغيث المستغيث ولا يتقيد بمعنى هذا الحديث ولا يدفع غصة هذه القصه ويفوت عند الامكان الفرصه يصيبه من حوادث الزمان ما أصاب بعض الجرذان الذى لم يخلص الغزاله الواقعة فى شرك الحباله (قال السلطان) قل لى كيف كانت قصته وما كانت قضيته فقال ذكر أن بعض الصيادين المحتالين الكيادين نصب حباله ليصيد غزاله فعلق بها مهاة من المها وطلبت مجالا واضطربت يمينا وشمالا فوقعت عينها على جرذ من الجرذان عتيد يتفرج عليها من بعيد فنادته بلسان ذلق وأثنت عليه بلسان طلق وقالت يافارس ميدان المروه والنجدة والفتوه والموصوف بالشطارة والقوه هذا وقت الكرم وأوان استعمال مكارم الشيم وفعل المعروف واغاثة الملهوف وصرف الهمه الى كشف الغمه نعم وان كانت طرائق الصداقة بيننا معدومه ونقوش التنافر على صحف خواطرنا مرقومه ونقود المعرفة والاخاء فى جنب التباين غير مبذوله ومرآة التوافق فيما بيننا غير مصقولة لكن فى الشدائد يعرف الاخاء والاخوان كثيرون فى الرخاء كما قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقد قصدتك فى الخلاص وقرض شرك الاقتناص ونجاتى من سكين القناص فاقرض هذه الشبكة باسنانك الحداد وافتح بينى وبينك باب الوداد فانى أصلح لك صديقا وأنا اكون لك عتيقا وأعرف لك الجميلة فأصير عبد الك الى الممات وأدركنى قبل الوفاة والفوات ومع هذا اذا الجاه لا يكن عملك الا لله فقد قيل

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقهقه الجرذ وقهقر ولعب بابطه وتمسخر وتزغ يمينا وشمالا وتقصف طربا ودلالا وسخر بالغزالة وكلامها وبادر الى عذلها وملامها وتبرّد بحرارتها وتحلى بمرارتها وقال شهوتك الرديه وحرص نفسك الشقيه رمياك فى هذه البليه وتحركت سجيته الذميمة وطبيعته اللئيمة وأضرط بها وزرق وطفر وصفق وقال عصب الرأس الصحيح من الخبل الصريح والتعرض لموارد الفناء من دلائل البلاهة والعناء ولو تعرضت لشبكة الصياد حكمت على عقلى بالفساد وحاشى فكرى المصيب ورأيي النجيح النجيب أن اجلب لنفسى مرضا وأصيرها سهما للصياد وغرضا ولو فعلت ذلك لتصديت للمهالك وتصدّى لى الصياد نعاداني وترصد لى وآذانى وحفر بالمعول وكرى وأوقد النيران فى جحرى فسلبنى قرارى وبغيتى ومسارى وأقل الاقسام أن يجلينى عن ديارى ان خلصت من الموت بسلام ولا استطيع بعدها المقام وقد قيل لا تسلك غير طريقك ولا تصاحب سوى رفيقك وأما أنا فالى بصداقتك حاجه فدعى عنك الطمع واللجاجه ثم هز عطفيه ونظر الى كتفيه وتبختر فى مشيته وتمايل فى غشيته وولى فى تيهه وكبره يريد الدخول فى جحره وقد ترك الظبى آيسا فى حبائل فكره وضرّه وحبائك شدائده وشرّه فقيض الله له حدأه خطفته ونبأت به فى الهواء نبأه وأما الظبى فلما ايس من الجرذ واعانته توجه الى الرحمن بكليته وقطع آماله عن كل احد ورفع ضرورته الى الواحد الصمد وأخلص نيته الصادقه وقطع من الخلائق علائقه ثم جاء الصياد فأوثقه وقصد به البلد فصادفه شخص فاشتراه منه وأعتقه * ولم اورد هذه اللطيفه الى المسامع الشريفه الا ليعلم أن التوانى عن فك العانى واغاثة الملهوف أمر مخوف لا يرغب فيه ذو عقل وباغاثة الملهوف وأخذ يد الجار ورد النقل ولا بد من تأمل اعقاب

القضايا قبل نزولها وطلب طريقة رفعها قبل حلولها والخلاص من ورطتها
قبل بغتتها وأسأل من صدقات مولانا الذى بالاحسان اولانا الارشاد الى
عمل طريقة لطيفه نظيفة نقية خفيفه تكون عدتى فى شدتى مبقية للود
بينى وبين اخوتى * قال الملك نعم ماقلت وحيث فى ميدان الصواب جلت
فاعلم أن فى مملكتى ملوكا كبراء وأساطين امراء ورجالا وجنودا وأبطالا
وأسودا انا انشأتهم وانصرة مثلك اعددتهم كل منهم ذووفاء ومودة
وصفاء وباطنه خال من المكر والجفاء يقومون معك بأدنى اشاره ويحفظون
جانبك من النهب والغاره وخصوصا فلان امير ممالك خراسان فانه افصحهم
خطابا وأمنعهم جنابا وأوسعهم فى العقل رحابا وأشدهم محبه وأقربهم
مودة وقربه وأوفاهم عهدا وأصفاهم ودا سينجدك فى حال اضطرارك اليه
فلا يكون اعتمادك بعد الله الا عليه مع أنى سأعلمهم بجمعهم وآمرهم
بايصال نفعهم وأؤكد عليهم فى ذلك فلا يخطر شئ من النكد ببالك فقبل
ولده الارض ووقف فى مقام العرض وقال ايها الملك المجاب ان محبة
غالب الاصحاب وصداقة أكثر الاحباب ومن يدعى خلوص الموده
ويبذل ظاهرا فى ذلك جهده انما هى لاغراض وناشئة عن اعراض
وأمراض فاذا حصل ذلك الغرض وزال العرض والمرض بردت عن
المحبة قلوبهم وفرغت من نقد المودة جيوبهم وظهر بالجفاء وعدم الوفاء
عيوبهم ومن جملة ذلك الحسد الذى لم يخل منه جسد على نيل مرتبه او البلوغ
الى منقبه وتمنى زوال نعمة المحسود وعدم الرضا بقضاء المعبود فاذا لم
يحصل المراد تبدل القرب بالبعاد والمحبة بالبغضه والصحة بالمرضه
(كما جرى لنديم) الملك الظاهر مع صديقه المسافر * قال الملك لولده أخبرنى
كيفية نكده وما تولد من قضية حسده قال الولد أخبرنى المملوك انه كان
عند بعض الملوك جماعة من العلماء وطائفة كثيرة من الندماء كل منهم
لطيف المحاوره نظيف المعاشره خفيف المكاثره ظريف الحركه
كثير البركه وبينهم شخص قد ساواهم بهذه الصفات وفاتهم فى علو الدرجات
اظرفهم لهجه وألطفهم بهجه وأشرفهم نهجه عذب المكالمه حلو المنادمه
تقبل الفصاحة ثغر ألفاظه فى خطابه وتتهلل محيا البلاغة لاشراق جواهر
جوابه اسمه رشيق وهو لكل عشيق وللملك اكرم نديم وأقدر خديم

وصديق قديم يقبل عليه ويميل دون الكل اليه ففى بعض الايام قدم على
الرشيق بعض الاعجام وكان من بغداد من ذوى الفسق منهم والفساد
رجل من الشطار عيار مكار خوان غدار مستحق الرجم ليس فى السماء
له نجم غير أنه متظاهر بجميل الخصال وأنه خدم اهل الفضل والافضال
فعلق بطبعه من شمائلهم وتلبس ظاهرا بفضائلهم فتلقاه الرشيق بما يقتضيه
كرمه ويليق وبالغ فى اكرامه وتقدم فى احترامه وأكرم نزله وأفاض عليه
نعما جزله ومال اليه بكليته وجعله من خواص جماعته فصار كل يوم يبدى
فضلا ويفتح بابا من الكلام وفصلا الى أن غلب على ذلك الزنديق حسد
النديم المسمى برشيق لكونه من خواص الحضرة السلطانيه وقصاص
الخدمة الملكيه وكبير الندماء وخطير القدماء فالتمس من النديم ذلك الوغد
الذميم أن يوصله الى الحضرة الشريفه ويسبل عليه ظلال نعمه الوريفه
فأفكر الرشيق الفكر الدقيق فى عقبى هذه القضيه وما يحدث عنها من
البليه فانه قد كان ادرك من ذلك الشيطان سوء افعاله من اقواله ووخيم
عزماته من شمائل حركاته وشؤم سكناته وتحقق ذلك من عذبات لسانه
وفلتاته وكل شئ تزرعه ينفعك الا ابن آدم اذا زرعته يقلعك ومن اكرم
ذا حسد ورأى من امره عكسه فلا يلومن الا نفسه فصار يسوف به ويدافعه
ويمانعه ويصانعه ويدارى الوقت خوفا من المقت الى أن أيس منه وقطع
الرجاء عنه فالتهب قيظ غضبه واشتعل شواظ لهبه ثم رأى ابرود هذه
الغصه الا كتابة قصه يعرضها ذلك المنهمك على آراء الملك يضع فيها
لشدة حسده من الرشيق ويفت من عضده ويفترى ذلك المجترى عليه ما
هو عنه برى فراقب الفرصه وكتب القصه يذكر له مساوى فيها ومن
جملة مساويها أن بجسد الرشيق من الداء العتيق ما اعجز الاطباء وأعيا
الحكماء الالباء وان ذلك الداء يعدى وفعل الالزام يتعدى فيردى وان كثيرا
من الناس الاخيار ممن اطلع على دائه ومعضل بلائه يتحامون صحبته
ويجتنبون قربه ومؤاكلته وان هذه نصيحة عرضها وعلى نفسه فرضها
اذ القيام بأدائها واجب عليه وانهاؤها الى المسامع الشريفة مندوب اليه
فلما وقف الملك على مضمون ما انهاه ذلك الخبيث فيما ادعاه تذكر ما قاله لبيد

للنعمان عن وزيره العبسى فيما مضى من الزمان وهو

نحن بنو ام البنين الاربعه * ونحن خير عامر من صعصعه
اليك جاوزنا بلادا مسبعه * نخبر عن هذا خبيرا فاسمعه
مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه * ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه * يدخلها حتى يوارى اشجعه
* كانما يطلب شيأ ضيعه *

فاشمأزت من الرشيق نفسه وزوى فى رياض مصاحبته غرسه فامر الحجاب والبوابين أن يكونوا لدخوله على الملك ابين فلما أن جاء الرشيق وقصد الدخول بجأش وثيق منعوه من الدخول فرجع خائبا خاسرا وبقى حائرا بائرا ولم يشك أن هذا الضرب سهم غرب لانه لم يعلم السبب فقضى من الزمان العجب فشرع يتفحص عن سبب البعاد ويتردد بين أغوار وأنجاد ويذهب رائد فكره كل مذهب ويعزم على توابعه ليقفوا على موانع المطلب الى أن وقف على السبب المضرم وعلم انه الاحسان الى ذلك المجرم وظهر لذلك البحر البر من قوله الاحسان الى اللئيم سلف فى الشر فاجتمع بجماعة من أصحابه وطائفة من خلص أحبابه وعرض عليهم قصته واستدفع بآرائهم غصته ثم تعرى من لباسه عند الخواص من أناسه لينظروا الى جسده وباسه فرأوا بدنا كسبائك الفضه وأطرافا ناعمة غضه وأعضاء تحسبها من الحور غوانيها مسلمة لا شية فيها فاجمعوا على سلامتها وذكروا للملك محاسنها بعلامتها وشهدوا بحسن صفاتها ورونق بهائها وأنها سليمة عن الادواء بريئة من كل داء وكانه فى شأنه قيل

وأعجب ما شاهدت فى وصله وقد * نزعنا غلالات وثوب حياء
تلألؤ نور فى ترقرق مائه * وصورة روح فى مثال هواء

وانما الشدة الحسد عاب ذلك الجسد فقال الملك صدقتم وبالحق نطقتم ولكن كيف وقد قيل

قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما احتيالك فى شئ وقد قيلا

ثم قال الملك لجماعته المنتظمين فى سلك طاعته الذى يدور فى معلومى

و يبرز به مرسومى أن لايدخل الرشيق على ولايصوب نظره الى فانى
اذا نظرته تذكرت ماقيل واستحضرته فتشمئز النفس والخاطر ويتكدر
الباطن والظاهر ويتشوه وجه العيش الناضر ثم أمر له بمال جزيل
واقطاع عظيم جليل ومنعه من المثول بين يديه والدخول عليه (وانما
اوردت هذه الحكايه) المتضمنة لهذه النكايه لتحيط العلوم الشريفه والآراء
المنيفه أن بعض المدعين للصداقه واحكامها باحكام الوثاقه لايعتمد على
دعواهم ولايركن الى مضمون فحواهم فربما تكون صداقتهم من هذا القبيل
فتؤدى الى داء ثقيل وغم عريض طويل فلايمكن علاجه ولايسلك منهاجه
وأعظم مافى ذلك مايؤدى الى المهالك وهو عداوة الاقرباء من الابناء
والآباء وذوى نصائح الاخاء فان ذلك غل ثقيل وجرح لايندمل ومرض
لايبرا ويفضى بصاحبه الى توسد الثرى وان عداوة الاجانب اسهل من
محاسنة القرائب وان القرائب انما يرجون لدفع الداء فاذا كانوا هم
الاعداء فقد اعضل الداء (ومن شواهدها أيها الملك الفاضل ماجرى
لابن سلطان بابل) مع عمه الظالم الخاتل الخائن القاتل فقال الملك
الكبير أظهرنا على صورة ذلك أيها الخبير (قال) ذكر أهل التاريخ أيها
العالى الشماريخ أنه كان فى ممالك بابل ملك عظيم فاضل كريم الشمائل
عدله مذكور وفضله مشهور همته عاليه ونحور ممالكه بعقود فواضله
حاليه وأفواه مسالكه كثغور الغوانى بشنب العدل والامان زاهيه وله ولد
صاحب حسن وجمال وفضل وافضال وملاحة ودلال وصباحة وكمال
غير أنه صغير السن لم تمر به التجارب ولم يبل احوال الاباعد والاقارب
لامارس الانام ولاساس الايام ولاسبر العدو والصديق ولاخبر الحريق
والرحيق ولافرق بين المرافق والمنافق والمصادم والمصادق والمصارم
والملاصق فلما دنت وفاة أبيه جمع اخصاءه وذويه وأراد أن يعهد الى ولده
ويرقيه الى سنده ومستنده ثم دبر فى أموره وأحواله وتفكر فى مصيره
ومآله وخشى أنه ربما أخل بشئ من القواعد فابعد الادنى وأدنى
الاباعد أووضع شيأ فى غير محله أوولى منصبا غير أهله وذلك لعدم تدبر
أوفساد تصور أونشوز رفيق أوفقد مرشد وشفيق أولغرض فاسد

من

من كاشح أو حاسد فيختل نظامه ويعوج قوامه ويفسد أمره فيخونه
زيده وعمره وكان للملك أخ بل انه فخ يدّعى المقه ويظهر أنه ثقه
وله حنو وشفقه فعهد اليه واعتمد عليه وسلمه ولده وجعله وصيه ومستنده
وأجلسه مكانه وأشهد عليه من رؤساء المملكة اركانه أنه اذا توشح ولده
بالولايه وأنس منه رشده بالرعية والرعايه يجلسه على السرير ويسلمه
الكبير من جنده والصغير ويكون هو له أحسن وزير وأيمن مشير ونظام
ملكه ورأس فلكه وعضد ساعده وساعد مساعده وأتابك عساكره
وعمادا لامره وأوامره فان نفس ولده فى سن جهلها تكون عونا من
أعوان رعونة الصبا فى حزنها وسهلها ويؤدّى اليه ملكه بمقتضى قوله تعالى
ان الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها فقبل اخوه ذلك منه بقبول
حسن وتكفل له انه يأسو جراح الملك على وجه مستحسن وأظهر الودّ
والترفق والتملق والترقرق والتلهف والتأرّق والتأسف والتحرّق وبكى
وتأوه وشكا وتذلل وتمسكن حتى تمكن فلما قضى الملك نحبه وأجاب ربه
صعد على السرير وتمكن من الجليل والحقير وتشربت اضلاعه وعمرت
بحب الحكومة والتسلط فى دور طمعه رباعه وابن أخيه فى كفالته والممالك
فى ايالته واستمرّ الصغير تحت نظره لا يفارقه فى سفره ولا حضره يكتسب
كل يوم مخايل السعاده ويطرح من حركاته شمائل السياده ويظهر على
اعطافه الملوكية يوما فيوما آثار الحسنى وزياده الى أن ارتفع قدرا
وصار فى الكمال هلالا وبدرا فشم عمه من رياض همته عرف الطلب
وقوى فى ذلك ما كان تقدم من سبب وعرف أنه لا بدّ له فى ذلك من تسريحه
فلو منعه لقام كل الخلق باستهجانه وتقبيحه فتحل عقوده ونقل جنوده
ويختل من عسكره بنوده وتفنى صورته وسيرته وينقض من حبل عمره
مريرته فلا يحصل من الملك الا على الهلك فاعمل الكيد وخرج الى
الصيد فتفرقت العساكر وانفرد الملك الماكر ومعه ابن أخيه فاختلى
به فى تيه فوثب عليه وفجعه بكريمتيه وألقاه فى البريه الى مخالب المنيه
وتركه وحيدا أعمى لا يجد دليلا ولا يهتدى سبيلا ولا يعرف مقرّا
ولا مقيلا ثم اجتمع بعسكره ظانا انه فاز بظفره مخبرا بوفاته وتعمية خبره

ففرغ باله وأصلح رجاله واطمأن خاطره واستقرت اموره واستقامت
حبوره فلما هجم جيش الليل أقبلت السباع من الوادى كأنها السيل وقصدت
الوحوش والهوام مالها من ماوى ومقام وعوت الذئاب وزأرت
الاسود وهمرت النمور والنسور والفهود فساورت ابن الملك الهموم
وأورثته أصناف الغموم واحتوشته المخاوف والوجوم فلجأ الى جناب
الحى القيوم جناب لا يخيب قاصده ولا يصدر الا بنيل الامل وارده
وصار يحسس بيديه ويصغى الى الحيوان بأذنيه ويتمشى الى كل جانب
ويهوى بيديه الى الاطراف والجوانب ويتعلق بحبال الهواء كالغريق
الغاطس فى الماء فوقعت يده على شجره فعلق فيها بيديه وظفره وصعد
عليها وأوى اليها وتوجه بقلبه الى خالقه وموجده ورازقه وقطع عما
سواه اسباب علائقه واشتغل بالذكر والتسبيح وفوض أمره الى الله
تعالى بامل فسيح واستمر فى هذا الويل برهة من الليل وكان طائفة من
الجان المهره كل ليلة تاوى الى هذه الشجره فيتذاكرون ماجرى فى العالم
وماصدر فى عالم الكون والفساد من أعمال بنى آدم ويقيمون أفراحهم
ويتعاطون انشراحهم فلما اجتمعوا تلك الليله ذكر كل قوله وماجرى
من الحوادث ومن المفرحات والمكربات وماوقع من العجائب واتفق
من واقعات الغرائب فقال واحد من القوم ومن أعجب ماوقع اليوم من
الامر الكريه مافعله ملك بابل بابن أخيه وذكر لهم القضيه وماتضمنته من بليه
وجعل يتأرق ويتحرق ويتبرم ويتضرم ويحرق الارم ويتعجب من عدم وفاء
بنى آدم فقال رئيس الجان وهذا غير بديع من طبع الانسان فانه مجبول على
الغدر مطبوع على الدها والمكر الم تسمع قول قائلهم فى وصف فضائلهم
وقبيح شمائلهم مما انخرط فى سلك الفضل بدون منع ولا حجز اذا كان الغدر
طباعا فالثقة بكل أحد عجز ثم قال الرئيس اعلم يا نفيس أنى اعلم ما يزيل هذا
الالم ويداوى هذا الضرم ويشفى هذا السقم وهو أن هذه الشجرة النجيبه
لها خاصية عجيبه اسمها شجرة النور وفضلها فى ذلك مشهور اذا أخذ
من عصارة ورقها ووضعه الاعمى على حدقها انجلى عماها بقدرة رب براها

وخلقها فسوّاها وردّ اليها بصرها وزاد نظرها ثم ان الخرابة الفلانيه فيها جحر حية بذيه وهى تابعة ملك بابل الفاعل هذا الفعل السافل وحياته متعلقة بحياتها وموته موقوف على مماتها لان طالعه على طالعها وطبعه اللئيم مطبوع على طابعها فبمجرد ماتموت الحية يموت وينقل من درج الملك الى درج الملكوت كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول فلجأ الى ذى القوة والحول حتى منّ عليه بعد شديد العقاب بهذا الطول وجعل ينادى ويبتهل ويقول متى جبين الصبح يهل وينشد

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

فلما أصبح الصباح ونادى مؤذن السعد حى على الفلاح تيمم ابن الملك وصلى وحمد الله على النهار اذ تجلى ورض بين حجرين من ورق الشجره واكتحل بمائه فردّ الله عليه بصره ثم وجه ذهابه الى تلك الخرابه ورصد خروج تلك الحية اللاطئه وضربها ضربة غير خاطئه فاحاط بها نازل الهلك وفى الحال خرّ الملك ميتا على سرير الملك وبينما العزاء عليه قائم واذا بصاحب السرير عليهم قادم وقد قصد ملك أبيه وتمكن من ملكه وذويه وتصرّف فيه كما شاء وألبسه خلعة الملك من يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء (وانما اوردت هذا التمثيل) خوفا أن يكون صاحب مولانا الملك الجليل الذى بخراسان من هذا القبيل فتبدل المحبة بالبغض وترجع على موضوعها بالنقض ثم ان بعض الاصحاب والاخوان يفعل مايفعله من الخير والاحسان على سبيل المكافاه لا على طريق المروءة والمصافاه فاذا كافأ بالاحسان عاد الى ما كان عليه من العدوان فأسأل الحضرة الشريفه والمراحم المنيفه ذات الفضل المشهور والاحسان المأثور التامل فى عواقب هذه الامور لئلا يصيبنا ما أصاب المسافر (ضيف الحداد المنافر) من العفريت الملقى فى المحافر قال أخبرنى أيها الولد النجيب عن ذلك الامر العجيب وقاك الله شر الوجيب قال بلغنى من رواة الاخبار أن شخصا من الاخيار لازم الاسفار وقطع القفار فجاب مشارق الارض ومغاربها وبلغ اكنافها وجوانبها وشاهد عجائبها وغرائبها وقاسى حر الزمان وقره وذاق حلوه ومره وعانى خيره وشره فأداه بعض المسير

الى بلد كبير فرأى فى بعض نواحيه وطرف من بعض ضواحيه طائفة من
الصبيان قد اجتمعوا فى مكان فوصل اليهم ذلك الفقير فوجدهم واقفين
على حفير يرمون فيه بالاحجار وهم يستغيثون بالستار من العدو المكار
والخبيث الغدار والحسود القديم والكافر الذميم والشيطان الرجيم
فسألهم ما هذه المعضله فقالوا عفريت وقع فى هذه البئر المعطله وهو عدو
قديم نريد أن نقتله فقال افسحوا حتى أنظر اليه واساعدكم عليه ففسحوا
عن ذلك الطوى فنظر فى قعر الركى فرأى فى جانب منها عفريتا
منزوى وقد هشموه وكسروه وحطموه وكاد يهلك مما رجموه فعندما نظر
اليه رق له وعطف عليه وقال أفضل المعروف اغاثة الملهوف وان لم يكن
بيننا سابقة صداقه ولا وشيجة محبة ولا علاقه بل عداوتنا جبليه
ومباينتنا أزليه لكن فعل الخير لا يبور ولله عاقبة الامور واذا قصد
الانسان فعل الخير فلا عليه ان فعله مع أهله او الغير وقد قيل للتمثيل أيها
الانسان قد عداك الذم افعل الخير وألقه فى اليم ثم منع عنه الكبير
والصغير وساعده على الخروج من البير واستنقذه من أيديهم وأطلقه
فكان كمن اشتراه وأعتقه فلما رأى العفريت هذا الاحسان من ذلك
الانسان من غير سابقة ولا عرفان قبل يده ورجله وشكر له هذه الفعله
وقال انى عاجز عن مكافأتك يا انسان فى هذا الاوان وانا اسمى فلان
فان وقعت فى ضيق اوضللت فى طريق فنادنى باسمى أحضر اليك بجسمى
وانفعك فى ضيقك وارشدك الى طريقك واكافئك أيها اللوذعى بما
فعلته معى ثم ودع كل صاحبه وخالف فى السير جانبه فوصل السياح
الى بلد من البلاد له فيها صديق حداد فنزل عنده فاكرمه ورحب به
وخدمه وكان لتلك البلدة عادة حسنه انهم فى يوم معين فى كل سنه
يقربون من يقدم عليهم فيه ولا يسألون أخامل هو أم نبيه فان لم يقدم
عليهم غريب فى ذلك اليوم اقترع فيما بينهم القوم فمن خرجت قرعته
سحبوه وكسروا قرعته وقربوه فوافق ذلك اليوم قدوم السائح ولم يرد
سواه من غاد ورائح ولا شعر به أحد من أهل تلك البلد فاخذوا فى القرعة
بالاجتهاد فطرقت القرعة قرعة الحداد فقبضوا عليه وعزموا على تقريبه

فقال

فقال عندى غريب لم يكن أحد يدرى به فلم يدر السائح الا وقد احاطت به
الشوائح فهجموا عليه وربطوا عنقه ويديه ثم سحبوه وحبسوه
وفى أضيق مكان أجلسوه وأشهروا النداء انه حصل للحداد الفداء فعلم
السائح القضيه وتحقق أنه تورط فى بليه فذكر اسم العفريت وقد علقه
الهم علوق النار بالكبريت فحضر لساعته ووقته فرأى السائح فى هوله
ومقته واطلع على جملة الشان فقال لا تخش ياذا الاحسان اعلم أن امير هذه
البلد له ولد هو واحد ابويه وانى الآن اصرعه بين يديه ثم انادى
فى النادى ان رمتم شفاء هذا العليل فهو بدعاء ذلك الرجل الجليل السيد
الصالح الزاهد السائح ضيف الحداد الذى بسببه حصلت هذه الانكاد
فأطلقوه والتمسوا دعاءه فان فيه لعليلكم شفاءه ولا تطلبوا من غيره دواءه
فاذا طلبوك وأعزوك وأرغبوك وأكرموك واحترموك فادع بما يرفع
نكدهم فانى اذ ذاك اترك ولدهم فاذا رأوا منك هذه الكرامه بالغوا
وسلموك الزعامه وخيروك بين الرحيل والاقامه واقل ما يفعل معك السلامه
ثم ذهب الى ابن الملك وخبطه وحل فى اعضائه وربطه فتخبط الصبى وتخيل
وتكسل وتخبل وكادت روحه تخرج ويدرج مع من يدرج فاشتغلوا
بشانهم عن أمر قربانهم فطلبوا الاطباء فاعياهم علاج هذا الداء ولم
يقدروا على علاجه وتعديل مزاجه وتقويم اعوجاجه واشتغلت الخواطر
وتنكد البادى والحاضر فعند ذلك نادى العفريت من ذلك البيت
يسمعون كلامه ولا ينظرون مقامه ان زوال هذا العارض ومنع هذا
الداء المعارض عند رجل قدوه مستجاب الدعوه رجل صالح زاهد
سائح عالم عامل كامل فاضل هو بركة البلاد والعباد مادة الصلاح
وقاطع الفساد وهو ضيف الحداد الذى فرط منكم فى حقه سوء الادب
فأدركوه بالطلب وأسرعوا نحوه والتمسوا منه دعوه والا فولدكم هالك
عنوه وبادروا باللحوق لئلا يخرج السهم من الفوق فان سهم هذا المصاب
بسبب ذلك اصاب فركب الملك بنفسه وسارع الى باب حبسه ودخل
عليه واكب على رجليه وطلب دعاءه ورام لولده شفاءه فتوضأ وصلى
وأعرض عنهم وتولى وتوجه ودعا فحصل للولد الشفا ونهض فى الحال

كأنما نشط من عقال ثم ان العفريت الجائح أتى الرجل السائح وقال لاتحسب أنى اذا كافأتك صادقتك أو صافيتك كيف وعداوتنا قديمة مغروزه وغروس التباغض فى حدائق ذواتنا مركوزه أنا من نار وأنت من تراب شيمتك الترابية وشيمتى الاحراق والخراب ومتى استقام اعوج مع قوام أو وجد بين المتباينين التئام وانما كان هذا الوفاء لئلا ينسب الى الجفاء ونحن على الكدر دون الصفاء وعلى مانحن عليه من العدوان وان لم يصر بيننا معرفة ولا كان ثم صار شعلة لهب وترك السائح وذهب (ثم قال ابن الملك) ومن أنواع المحبة والصداقه ومايتأكد فيها من العلاقه نوع محبه تتوفر فيه الرغبه ينشأ من فرط الشهوه ويركب من صاحبه على الصهوه وتميل اليه النفس والطبيعه ولكن تكون استحالته سريعه فيزول بادنى سبب ويشبه شواظ اللهب يتلهب ساعة وقد ذهب وربما ادى الى الهلاك والعطب كما فعل بالبطة الثعلب حيث كانت محبتها غير صادقه ومودتها بالشهوة مماذقه وشتان مابين المحبة الخالصة والمحبة المنافقه لاجرم ادت الى عكسها وازهاق نفسها قال الملك اخبرنى أيها الخبير كيف هو هذا النظير قال ابن الملك ذكر أن زوجا من البط كان له ماوى على شط جار بين رياض ومروج وغياض ازاهيرها عاطره ورياحينها ناضره وقريب من وكر البطتين ماوى لابى الحصين فحصل لذلك الثعلب المرض المسمى بداء الثعلب فسقط وبره وتمعط صوفه وشعره وذاب جسمه وتهرى لحمه وقارب التلف واللحاق بمن سلف وصار كما قيل

أصبح فى أمراضه يعذب * كخرقة بال عليها الثعلب

فلما أنحله السقم واضناه قالت له سلحفاه لما زاد به المرض واشتط دواء دائك كبد البط فان أكلت كبد بطه نصلت من هذا البلاء البته فقال ومن لى بهذا الدواء اذ ليس لى حراك والبط فى الهواء فشفاء هذا الداء العضال من باب التعليق بالمحال وكأن الشاعر يعنينى اذ سمع انينى ورأى سكونى تحت أحمال شجونى بقوله

فقال قم قلت رجلى لاتطاوعنى * فقال خذ قلت كفى لاتواتينى

ثم استنهض همته واستنخى نهمته وصمم عزيمته واستعمل فكره
واستورى مكره وقال لنفسه لا ينجيك من هذه الانكال الا التشبث
بذيل المحال لعل الله واهب العطيه يظفرني بهذه الامنيه ثم توجه وهو
يتشحط الى صوب البط وصار يتلطى في جنبات الشط الى أن لاح له بعد
الاين انثى هاتين البطتين فتخفى الى أن قاربها ثم واثبها فما ساعدته القوه
فهوى في هوه فما وسعه الا أن غالط وأظهر المودة وخالط وعبرت عيناه وبالط
وأرى من نفسه أن تلك الوثبه انما هي من داعية المحبه ونهضة الاشتياق
الى الاحبه ثم بادر وقال مرحبا بالجارة الصالحه ومن نعوتها بعبق العفة
فائحه وأخلاقها غادية بنشر الخير رائحه المخدرة المحجبة الحبيبة
النجيبه حياك الله من قرينة رضيه جميلة الاوصاف بهيه فما أكثر
احسانك وفضائلك وأوفر امتنانك وفواضلك لقد عممت باحسانك جميع
معارفك وجيرانك وأطعت زوجك وحلالك وتحقق كل أحد لحسن
الشيم جلالك وما زال يثني عليها من حواصل هذه الخزعبلات ويفعم
اردان عقلها من معادن هذه التمويهات حتى سكنت بعض السكون
وركنت اليه ادنى ركون ثم أخذ في الايناس وتمهيد قواعد الاساس
حتى اطمأنت واستكانت واستكنت ثم قال انا لله ولا حول ولا قوة
الا بالله ترى ما رأى فيك زوجك من الخلل ولاح له من عيب حتى فعل
ما فعل قالت وما فعل ذلك الجعل قال لولا ان الغيبة ريبه والنميمة
مشؤمه ونقل المجالس القبيحه وان كانت وقائعها صحيحه امر مذموم
وهذا معلوم لكنت افصحت واشبعت القول ونصحت ولكن الصبر على
الضرائر فعل الحرائر والورد لا يخلو عن شوك ولا الشباب عن نوع نوك
فلما سمعت هذه النجوه حملتها المحبة الممزوجة بالشهوه أن الحت عليه
وسألته ايضاح ما لديه وأقسمت عليه بحق الجوار الا ما اطلعها على هذه
الاسرار فقال لولا أن الجوار ذمه لما فهت بكلمه خصوصا وقد ألححت
بالقسم وتشفعت بالجوار والذمم وأيضا لولا وفور الشفقه وعظم المحبة
والمقه واعتمادي عليك انك ثقه وأن صدرك مخزن الاسرار وأنك ست
الاحرار ما أطلعتك على شئ مما كان وصار اعلمي أن زوجك المنتط

قد خطب بنت ملك البط وله فى هذه المكيده مدة مديده آخرها اليوم
كان قد أرسل الى القوم الماشية والخطابه أن يهيؤا اسبابه فلما
سمعت هذا الكلام ساورها من الغيرة الضرام ولم تشك فى انه صادق
وذهلت عن التبين فى خبر الفاسق وجميع الاخبار عن الازواج يتوقف
فيها النساء الا خبر الزواج ثم انها تماسكت وأرت تجلدا وتمالكت
وقالت احل الله له من الازواج ما طاب له لا حيلة الا الانقياد وترك
المراد وموافقة السنة والجماعه والدخول تحت الامر بالسمع والطاعه
وماذا يفيد التدله والحيره ان الحلال جدع انف الغيره قال والامر كما
ذكرت وما أحسن ما فتكرت وصبرت وما يمكن الطعن فى الحلال ولكن
هذا دليل الملال وكل من ادعى هواك وتخلل فى طريق سواك ولو بخلال
من سواك فلا شك أنه قلاك وبنار الهجر والجفا سلاك وليس هذا ساعة
وتمضى ولا حادثة تقع ثم تنقضى انما هو أمر دائم ونزاع ابد الدهر قائم
وانا ما اخشى الا عليك بما يصل من النكد اليك فان حقك ثابت على
وضررك عائد الى فانك جارة قديمه معروفة بحسن الشيمه لم أر منك
الا الاحسان وعدم التعرض الى ايذاء الجيران وكل منا قد اعتاد بالآخر
وباهى بصحبته وجواره وفاخر واخاف أن يتجدد لى فى الجوار من يتصدى
لى بالاضرار ويؤذى ولا يعرف حق الجار لا يعرفنى ولا اعرفه ولا ينصفنى
ولا أنصفه فيتكدر لى الوقت ولا اخلو من نكد ومقت لاسيما وانا ضعيف
مبتلى نحيف فلا يستقيم الحال ولا أقدر على الارتحال ولا زال يسدد
المضارب ويفتل منها فى الذروة والغارب حتى أثر فيها سمه ونفذ
فى سويدائها من مكره سهمه فاسترشدته الى وجه الحيله فى هذه النازلة
الوبيله فقال الرأى السديد والفكر الرشيد أنه اذا وصل قوله بفعله
وأتبع فى اذاه فرضه بنفله واختار غيرك عليك طلقيه والف زوج لديك
وأرض الله واسعه وهو المعتدى فى المقاطعه وأنا أكون السفير فى زوج
يخجل البدر المنير يعمر دارك ويعرف مقدارك ويخدم كلبك وحمارك
ويملأ وكرك خيرا وبطنك طيرا ودارك شعيرا وبرا مع كونه وافر الحشمه
مسموع الكلمه قد جمع بين طرفى الاصاله والحرمه فقالت هذا الذى

تقول

تقول أمر معقول والى الآن ما وقع وعلى تقدير أن يقع ان حصل
الشقاق والنفاق وترجيح الانذال المستجدة على الكرام العتاق فيكون
بيننا هذا الاتفاق وان وقعت بيننا المعادله ولم يحصل فى حقى منه مساهله
ولا للضرة على مفاضله كيف اشاققه وعلى فعل مباح اضايقه فضلا
عن أنى أفارقه وكيف أخرب دارى وأضر بجبى وجارى واشمت بى
الاعداء ويحتاط بى من كل جهة البلاء ولكن الرأي المحمود عندي ياودود
الصبر فى كل حال على الدهر الكدود وتجرع الغصص لئلا يشمت الحسود
كما قيل فى التمثيل مابى دخول جهنم ولكن بى شماتة اليهود فلما رأى
الخبيث أنه لم يفده هذا الحديث ولم تتم له الحيله وأفكاره الوبيله قال
أقول الحق الذى حصحص ولا عنه محيد ولا مخلص ان زوجك قد نقل اليه
أنك اخترت غيره عليه وانك عاشقه وصحبتك له مخادعة ومماذقه وثبت
ذلك لديه وعقد اعتقاده عليه وعزمه على الزواج انما هو تعلل واحتياج
لفتح باب الشر وتعاطى أسباب النكد والضر وقد ثبت عندى أن ذالك
الافاك الاثيم السفاك يريد أن يجرعك كاس الهلاك فتيقظى لنفسك
وتداركى غدك فى امسك قبل حلولك فى رمسك واستقيمى قبل عكسك
وأنا منذ سمعت هذه الاخبار لم يقر لى قرار وذلك لوفور الشفقة وحسن
الجوار وقد زدت ضعفا على ضعفى وكدت لهذا الغم أسقى كاس حتفى
وأنت ياغرض الحاسد تعلمين أن ليس لى غرض فاسد وهذا بديهى التصور
لا يحتاج الى تدبر ولا تفكر ولقد غرت عليك والامر فى هذا كله منك
واليك فتكدر خاطرها وتشوشت ضمائرها وضاقت بها الحيل وتاه
منها العلم والعمل ومن يسمع يخل وصالت أفكارها وجالت وبدر منها
أن قالت والله لو أمكننى لقتلته ولو وجدت فرصة لاغتلته واسترحت
من نكد الدهر المغبر وهذا العيش الوحش المكدر فالتقط الثعلب هذه
الكلمة من فيها وعلم أن سهم ختله نفذ فيها لان عقود المحبة انحلت وصورة
المودة القديمة زالت واضمحلت وتلاشت الصداقة بالكليه وانمحت
نهوتها بادنى جزئيه فقال لا تهتمى لذلك ياضرة هند فعندى عقار من عقاقير
الهند أحلى فى المذاق من ساعة التلاق وأمضى من السيف فى حكم

الفراق اسمه اكسير الموت وتدبير الفوت وسم ساعه وتفريق الجماعه لو أكل منه ذره أو شم منه نشره لقتل فى الحال وفرق الاوصال من غير امهال فان اقتضى رأيك الاسعد أن تخلصى من هذا النكد ناولتك منه شذره تكفيك ذرة منه امره فان شئت اطعمته وان شئت اشممته ولولا أنك عزيزة على لم افه لك من هذه الامور بشى ولقد فضلتك على روحى فاكتمى هذا السر ولا تبوحى فتحملت منه جميلته وعرفت قدرته وفضيلته وطلبت منه الدوا لتذهب به عن قلبها الجوى وتقتل زوجها المسكين وتسلم من نكده وتستكين وزالت تلك المحبة القديمه ونسيت الصحبة والصداقة القويمه ووعدها الثعلب أن يأتيها بالعقار وفارقها على هذا القرار ثم انها انتظرته ليفى بوعدها واحترق صبرها من نار همها ووقدها وتقاعد الثعلب عنها ينتظر ما يأتى منها فحملها مشير الوجد اليه وساقها الاجل المحتوم الى أن قدمت عليه فدخلت وكره وقبلت يده وصدره فتمكن منها ذلك الغادر ومزقها كما يريد فصارت كالامس الغابر (وانما أوردت هذا التمثيل) لئلا يكون أصحاب مولانا السلطان من هذا القبيل فيكون المعتمد عليهم والمستند اليهم كالنائم على تيار الانهار والمؤسس بنيانه على شفا جرف هار قال الملك معاذ الله يا ولدى وقرة عينى وكبدى أن يكون صاحبى ومعتمدى من هذا النمط وشبيها بالعفريت والثعلب والبط بل كل من أصحابى وسائر اوليائى وأحبابى ما منهم الا الصديق المهذب والرفيق المؤدب والشفيق المدرب والعتيق المجرب وقد جربته فى المودة والاخاء والشدة والرخاء والمروءة والسخاء (كما جرى ذلك للتاجر) المجرب صديقه فى الشدة والارتخا قال الولد ينعم مولانا الامام بتقرير هذا الكلام قال الملك بلغنى أن بعض التجار الاكرمين الاخيار والكرماء الابرار كان له مال جزيل وولد صالح جليل سعيد الطالع سديد المطالع عالى الهمه متوالى الحشمه ميمون الحركات جميل الصفات حسن الصوره مشكور السيره طاهر السريره وكان أبوه قد تخيل فيه مخايل السعاده وتفرس فيه آثار النجابة والاجاده فكان لا يصبر عن تاديبه وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه وترتيبه بمكارم الاخلاق

وترتيبه فقال له يابنى ان الانسان يحتاج الى كل شى واعظم مايحتاج اليه ويعول فى التحصيل عليه الصاحب الصافى والصديق المصافى والرفيق المساعد فى وقت الشدائد فان المال ميال والذهب ذاهب والفضه منفضه والملبوس بوس والماكل متاكل والخيل خيال والفواضل شواغل والدهر قاصى والعصر عاصى والاقارب عقارب والوالد معاند والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال خبال والدنيا وما عليها لا يركن اليها وماثم الارفيق ذووفا مجبول على الصدق والصفا ان غبت ذكرك وان حضرت شكرك مأمون على نفسك ومالك وأهلك وعيالك فى حالك ومآلك ان غاب صانك وان حضر زانك فهو أفضل موجود يقتنى وأحسن مودود يصطفى فان ظفرت به فتشبث بسببه ثم قال له يابنى قد أقمت فى الحضر وانقضى لك فيه ماذقت مما حلا ومر فلا بأس أن تحيط علما باحوال السفر فان السفر محك الرجال ومجلبة الاموال ومكسبة التجارب ومرآة العجائب والغرائب فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه واصحب معك فيه ماتحتاج اليه ثم أفاض عليه المال وأضاف اليه صالحى الرجال وحين ودّعه ووصاه واستودعه قال يابنى لا تجعل دابك وطلبك واكتسابك الا استجلاب الصاحب النافع دون سائر المنافع فانه اوفر بضاعة وأربح تجاره وليس على الصديق الصدوق ابدا خساره واجعله فى سفرك نصب عينك واشتره بنفسك ومالك ونقدك ودينك وقد قيل

أخاك أخاك ان من لا اخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

والمراد به الصديق واعلم أن الاخ الصلبى ربما يضرك وأما الصديق الصالح فانه ابدا يسرك والصاحب الشفيق خير من الاخ الشقيق وقد قيل رب أخ لم تلده أمك فقبل الشاب وصية أبيه ثم توجه فى حشمه وذويه بقصد جميل ومال جزيل فمكث غير بعيد ثم عاد وهو سعيد فقال له أبوه حييت وحييت ما أسرع ماجيت قل لى أين ذهبت وماذا اكتسبت فقال ياأبت امتثلت مرسومك الكريم واكتسبت بالمال كل ولى حميم وقد جئت بهم زمرا وعدتهم خمسون نفرا كل منهم صديق صادق ورفيق

موافق في الفضل بارع والى الخير مسارع وفي الرخاء صادق الاخاء وفي الشده اوفى عده قال أبوه يا بني كيف تصفهم بهذه الصفه وتعرفهم بهذه المعرفه ولم تجربهم في قضيه ولا واقعة صعبة أو رخيه وقد قيل

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

وقد قيل أيضا

اذا رمت أن تصفي لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تصفي له الود أغضبه
فان كان في وقت التغاضب راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

وقيل أيضا

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

واعلم يا ذا اللطائف أني خائف أن يكون أصحابك واصدقاؤك واحبابك مثل أصحاب الرئيس المدبر الخامل النفيس الذين رعوه في روض وفره وتركوه في قفر فقره قال ابنه يا أبت كيف ورد ذلك وثبت قال التاجر ذكر رواة الاخبار أنه كان في بعض الامصار رجل رئيس كبير نفيس له أموال وافره وجهات متكاثره وأماكن عامره وضياع ومزدرعات وبساتين واقطاعات وعقار له ارتفاعات فكان ولده يمد يده الى كل معصية ومفسده ويجترئ ذلك السفيه على كل ما يلوح له من جهات أبيه والتف عليه جماعه من عبيد البطن والجماعه كانهم طير قرلي ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تعلى ومد يد الاسراف في التبذير والاتلاف وصار أبوه ينصحه ويردعه عن جموحه ويكبحه وقال له يا بني استعمل الانفاق في الاتفاق واستخلص من الرفاق ذوي الاشفاق واعلم أن هذا المال هو لك مدخر ولتصرفك فيه منتظر وانما أنا لك خازن والله تعالى مجاز على فعالي من مساو ومحاسن وتيقن أن المال هو عز في الدنيا وزاد الى الاخرى وأن له وجوها ومصارف وعوارف ومعارف فاذا صرف في غير محله ودفع الى غير أهله كان اثما ووبالا وفي الآخرة عذابا ونكالا واحق الناس المستحق لنزول الباس من اكتسب المال حلالا وبذره في الفساد يمينا وشمالا وادخر به اثما وخبالا فصرفه الى من لا يحمده وعليه حسابه ونكده وأنت اذا صرفت مالك ووزعته وفي غير مواضعه زرعته

وأنفقته على من لا يعرف فضيلتك ولا يحمل جميلتك ولا يشكر صنعك
ولا يقصد نفعك ولا يجلب لك خيرا ولا يكشف عنك ضيرا خرجت من عز
الدنيا وفوّت زاد الاخرى وهؤلاء الذين قبلك مهطعين عن اليمين وعن
الشمال عزين ثمرة صحبتهم الندامه وعاقبة أمرهم الخيبة والملامه والبعد
عنهم غنيمة وسلامه واذا كان الامر كذلك فاياك ياولدى ثم اياك من
صحبة هؤلاء الاحداث والتلوث بقربهم فانهم اخباث واحتفظ بصون
مالك ولا تنفقه الا على نفسك وعيالك وفيما يقى ماء وجهك فى حالك ومآلك
ولا زال أبوه قابض عنانه بقدر طاقته وامكانه يذكره هذه الوصيه بكرة
وعشيه حتى ادركته المنيه وخلف ذلك المال العريض لذلك الولد
المريض فمدّ يده كما كان الى كل مفسده ونسى يومه وغده وشرح فى مناه
متن اللهو وقرر بحديث من كتاب فقه الزهو باب الانجاس وسجود السهو
واجتمع عليه قرناء السوء وحضروا وخلا له ولهم الجو فباضوا فى الفساد
وصفروا وغابوا عن الرشاد وما حضروا وصاروا يعظمونه ويكرمونه
ويحترمونه فاذا كذب صدقوه واذا ضرط سمّوه وشمتوه واذا نهق طربوا
واذا اخطأ صوّبوا واذا قعد قاموا واذا قام ناموا يفدونه بالمهج
والارواح ويلازمون خدمته فى المساء والصباح وكان له أم مدبره
عاقلة مفكره فقالت له يابنى لا تكن صبى وتذكر وصايا أبيك واياك ومن
يليك وتأمل ما لديك واحفظ مالك وما عليك ودبر معاشك وصن
ماء وجهك ورياشك واعلم أن أصحابك وعشراءك وأحبابك وندماءك
ورفقاءك واخصاءك واصدقاءك كلهم عبيد البطن ولو رقأت بذى شيق
اوحضن لا خير عندهم ولا مير وجميعهم كسير وعوير فاياك اياك وصحبة
من لا يتولاك لا تركن الى صداقتهم ولا تعتمد على موافقتهم فانهم فى الرخاء
يأكلونك وفى البلاء يتركونك والى مخالب القضاء يسلمونك رأس مال
محبتهم ما فى يديك وأساس بنيان مودتهم ما يرونه من النعماء عليك فان قل
والعياذ بالله فلوا وخلوك فى عقد النوائب مربوطا وانحلوا وأقل الاقسام
ياذا الاصل السام أن تجرب أصحابك وتختبر من يلازم بابك ويقبل بشفاه
المودة أعتابك فى شئ نابك اعجز عن حمله نابك من حوادث القضا

أوفى حالة من أحوال الغضب والرضا او السعة والضيق أو التكذيب والتصديق فمن وجدته ناصحا صادقا أو مطاوعا صادقا وفى كل الاحوال موافقا وفى الرخاء والشدة مرافقا يوثق به فى الغيبة والحضور وحالتى السرور والشرور يؤدى الامانه ويجتنب الخيانه ويغار على دينك وعرضك ويساعدك على اداء سنتك وفرضك فاركن اليه واعتمد فى أمورك عليه ومن وجدته منافقا وفى اخلاصه مماذقا ينسج شقة الوداد بوجهين ويتكلم كخائض المداد بلسانين فلا تقربه ولا تصحبه فان بعده غنيمه والخلاص منه نعمة جسيمه وانظر بعين الثبات ما فى هذه الابيات من حسن الصفات فمن كان بها متصفا فتمسك باذياله فانه من أهل الصفا وهى هذه

وقد قيل قول المرء يكشف عقله * ويبدى سجاياه وما كان يكتم
فهذا كلامى مظهر ما اكنه * واكثر هذا الخلق عن عيبهم عموا
فمن شيمتى انى مطيع اصاحبى * واصلح عن خصمى وان كنت اخصم
وأرضى لنفسى دون ما هو حقها * وألزمها للخل ما ليس يلزم
اذا قال أصغى للمقال واننى * لاعلم منه بالمقال وأفهم
ولم اشك من خل اتى لا يملنى * ومن لى بخل لا يمل ويسأم
وأقطع فى بحثى وان كنت غالبا * واسكت حتى قيل ذا ليس يعلم
لابقى وداد الناس لى لا اضيعه * ومن لا يدارى الناس يرمى ويرغم
وفى كل ذا تقوى الاله شعائرى * ولابد من لا يتقى الله يندم
ولا نقص فى عقلى واسباب نعمتى * وأنى وانى بالكمال مكرم
ولى همة يسمو الى الاوج قدرها * ولكن خمول المرء للدين اسلم
ووجه اعتقادى مثل عرضى ابيض * ودينى متين واعتمادى مقوم
وحسبى من دنياى قوت وخرقة * يلغى آثار من قد تقدموا
فهذى غريزات لدى وانى * لادعو الى هذى الخصال وأعزم

فاثر هذا الكلام فيه وتأمل ما تضمنته فحاويه ثم اراد أن يجرب ملازميه ومن بروحه وجسده يفديه فقال يوما من الايام وقد اجتمعوا على منادمة المدام اتفق أمر عجيب وشأن غريب وهو أنه كان عندنا هاون فى زاوية مخزون زنته ربع قنطار أتى البارحة

عليه

عليه الفار فقرضه واكله وعمه بالاكل وشمله فلم يدرك من ذلك
النحاس فى مكانه الا مافضل من برادة أضراسه وأسنانه فترشفت ثغور
آذانهم منطقه واستحلى كؤسها كل منهم وصدقه وقالوا هذا وقع
بغير شك لان الهاون كان فيه ودك والفار اسنانه باضعه واضراسه لجنّ
حرافيش بغداد قاطعه (فلما رأى) انهم وافقوه وصوّبوا كلامه
وصدقوه ازدادت فيهم محبته وقويت اليهم رغبته حيث رفعوا رتبه
وستروا فى جيب مكنونهم عيبه وحققوا محاله وصدقوا مقاله فأسرع
الى أمّه مسرورا فرحا محبورا منشرحا وقال يا اماه انظرى كلام اصحابى
واخبرى مقام أحبابى ذكرت لهم كلاما باطلا ومن حلية الصدق
والامكان عاطلا فحققوه بلا مريه وأثبتوا حقيقته من غير فريه وصاغوا له
من جواهر التوجيه ابهى حليه وذكر ما جرى لهم وله من الجنون والخباط
والوله فقالت له امّه يا ولدى ومهجة كبدى هذا امر يضحك منه الجاهل
ويبكى على حالك الحالك منه العاقل كما قيل

امور تضحك السفهاء منها * ويخشى من عواقبها اللبيب

اعلم أيها الذاهل الغافل انك لست من اصحابك على طائل وهؤلاء اعداء
فى صورة اودّاء وهم فى التمثيل كما قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدوّ فى ثياب صديق

وتيقن أن هؤلاء فى النعمة خداعون وفى النقمة لذاعون وانت شاب غرير
وباعقاب الامور لست ببصير لا مارست الخلق ولا فرقت بين الصادق من
ذوى الملق لا خبرتهم ولا سبرتهم ولا دخلت مداخلهم ولا ميزت خارجهم
وداخلهم ان الصديق الصادق والرفيق الفائق من بصرك عيوبك
وغفر لك بعد نصيحتك ذنوبك واطلعك على حقائق الاشيا ونبهك على ما خفى
من امور الدنيا وارشدك الى ما يزينك ويصلح به دنياك ودينك وابكاك
اذا نصحك لا من اضحكك وفضحك وأما الذى يدلس ويلبس ويوسوس
ويهوس ويروّج الباطل ويحلى العاطل فذاك ليس بصديق على التحقيق
وانما هو عدو فلا يكن للسمعه قرار ولا هدو فلم يلتفت الشاب الى هذا
الخطاب حيث كان مصادما لغرضه غير شاف لعلته ومرضه وقال صدق

من نطق وفاه بالكلام الحق من قال افشاء السر الى النساء فعل الاحمق ثم تركها ترغو واستمر هو مع أقرانه يلهو وداوم على تلك الحال حتى اذا دنت لنفادها الاموال وبيع الرخيص والغال فلما استفاق من سكرته واستيقظ من رقدته الا والاموال قد ذهبت والديون قد ركبت وهو ينشد والى مذهبه يرشد

ليذهبوا فى ملامى اينما ذهبوا * فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

الى أن ذهبت السكره وجاءت الفكره ونفقت البيضاء والصفراء فى الحمراء والخضراء واصبح ملقى على الارض السوداء وأتعس من فوق الغبراء وأفلس من تحت الزرقاء وتراجع عنه الاصحاب وعاداه الاصدقاء والاحباب ورجعوا عنه بعدما سئموا منه وصار ناديه يناديه

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

وصارت محبتهم له تكلفا ورؤيتهم اياه تعسفا فاتفق له فى بعض الايام أن قال فى أثناء الكلام لذلك الجمع بعينه الذين كانوا أجمعوا على صدق مينه الفار الغدار اكل لنا فى الدار البارحة رغيفا كاملا فاتى على اكله شاملا فما ابقى منه لبابه ولا غادر من غدير وجوده صبابه فتنادوا للتعالى بالمحال والكذب فى الاقوال الفار الضعيف كيف يأكل كل الرغيف وهو عاجز نحيف وتناولوه بالطعن وتناوشوه بألسنة السب واللعن وزيفوا أقواله وسفهوا أفعاله (وانما ذكرت) هذا الكلام يا ايمن غلام واحسن من البدر التمام لتعلم أن اكثر من يدعى صدق الصحابه من ذوى المعارف والقرابه انما دعواه كذابه كسحاب صيف لا يديم انسكابه وان الشخص مع الناس الاوغاد والاكياس بمنزلة كوز الفقاع ان رأوا فيه حلاوة الانتفاع استملوه وبالايدى رفعوه وقبلوه ورشفوه واذا مصوا محصوله وفرغوه رموه وتركوه وتحت الاقدام طرحوه (ثم قال التاجر) لولده راحة روحه وجسده وان كان من صحبتهم وفى سفرك اكتسبتهم مثل هؤلاء الاصحاب فاياك أن تفتح لهم الباب وترفع بينك وبينهم الحجاب (فقال الولد) معاذ الله الواحد الاحد يا أبت عندى ثبت أنهم بدور وكرام وصدور وعظام يقومون لقيامى وينصتون لكلامى ويجيبون نداءى ويؤمنون على دعاءى وهم

أخلاء فى السراء والضراء (فقال أبوه) اعلم يا ابنى وقرة عينى أنى عمرت سبعين سنه وعاينت من الامور الخشنة والحسنه وبلوت الاصحاب وتلوت الاعداء والاحباب ورأيت الدنيا وأهلها وقلبت وعرها وسهلها ولم ازل من جنس بنى آدم فى اكناف الآفاق وأطراف العالم من أمم العرب والعجم نوعالم أخبره وصنف الم أسبره فلم يصف لى على التحقيق غير صديق ونصف صديق فانت يابنى العزيز الغالى كيف قدرت بالتوالى فى هذه المدة اليسيره على جمع هذه الطائفة الكثيره (وها انا) يا امام اريك مصداق هذا الكلام واطلعك من بين الاصحاب على مالهم من مقام (ثم عمد) الى شاة فذبحها وبدمها فى ثياب طرحها ثم دمجها وفى كفن ادرجها وقال لابنه قم يا ذا الارتقاء أرنى هؤلاء الاصدقاء واحدا بعد واحد لتحقق غيب عيبهم بالشاهد وتعرف طرائقهم وتبين حقائقهم ثم وضع الشاة فى عدل واخفى كل هذا الفعل وحمل العدل على ظهر غلام وخرج ليلا والناس نيام وقصد أحد الاصحاب وطرق عليه الباب فخرج مسرعا اليه وترامى متواضعا بين يديه وأظهر البشر والسرور والابتهاج والحبور وبالغ فى الاحتشام والاكرام والاحترام وشكر مساعى الاقدام ثم بادر الى دعوته للدخول وتعاطى انجاح ماله من سؤل ومأمول فقال له الشاب يا زين الاصحاب وعين الاحباب دع الكلام لضيق المقام فقد دهتنى دهيه وعرتنى بليه وأعظم بها من قضيه ويا لها من رزيه فقال ماهى وقيت الدواهى فقال كان بينى وبين واحد من أهل الشقاوه خصومة قديمة واسباب عداوه اسمه معروف وذكره موصوف لشخص مفقود لم يكن له حقيقة فى الوجود وهو من اكابر الزمان واحد الرؤساء والاعيان فتلاقينا فى خلوه وتداعينا ما بيننا من جفوه وتنابشنا الاسباب وتناوشنا باللعن والسباب وتناولنا فى الشقاق شق الاعراق وتأذت القلوب من الاغراض بالامراض وتنقلنا من المكالمه الى المشاتمه ومن المواصمه للملاكمه وترقينا من الكفاح الى الجراح فثارت النفس المشؤمه الى ايقاع حركة ذميمه فضربته فجرحته وقتيلا طرحته ولم يشعر بنا أحد من أهل البادية والبلد وندمت غاية الندم وأنى يفيد

وقد زات القدم وجرى قلم القضاء بما حكم ثم افتكرت بمن استعين على
هذا الامر اللعين وأدرت فى خاطرى كل مساعد ومعين فلم يمل القلب الا
اليك ولا استقر الخاطر فى ركونه الا عليك وقد قصدت جنابك ويممت
بابك اذ انت اعز مخدوم والسر عندك مكتوم وها هو مقتولا اتيتك به
محمولا فاحفر لهذه الجثة حفيره وأخفنى عندك أياما يسيره الى أن تطفأ
هذه النائره وتسكن الفتنة الثائره وهذا وقت المروه وزمان الفتوه
والقيام بحق الصداقة والاخوه فلما سمع الصاحب اللبق هذا الكلام
القلق تضجر وتضرر وتنكد وتضور وقال يا أخى بيتى عتيق مع أنه جحر
مضيق لا يسع اولادى ولا زادى وعتادى واذا ضاق عن الاحيا فكيف
بالاموات وهذه بلية من اوحش البليات واظنها لا تخفى على الناس
ويدركها أولو الفراسة الاغبياء فضلا عن الاكياس لان قضاياكم قبل اليوم
مشهوره وبلغنى أن عداوتكم قديمة مذكوره وفى التواريخ وصدور
الكتب مسطوره ولكم واقعات ونوازل وله أيتام كأنهم الزغب الجوازل
وأماما أنا فلا يمكننى الدخول فيها ولا تعاطيها بوجه من الوجوه ولا تلافيها
فاكفنى شر ضيرها واندبنى الى غيرها وانى اكتم سرها فلا تخف من
جهتى شرها فألح عليه فما افاد ورده غير ظافر بما اراد فلما أيس منه تركه
وانتقل عنه ودار على سائر أصحابه وذكر لهم مثل الاول وخطابه فكان
جواب الجميع مثل جوابه الى أن اتى على الجميع واستوفى شريفهم
والوضيع ورأى ماهم عليه من طبع بديع كأنهم كانوا متواردين على شرب
هذا الصنيع فعاد الى دار ابيه ورجع الى صحة بيان التنبيه فقال له
بمدبر الفلك أحققت صدق ما قلت لك وتبينت ماهية أصدقائك وحقيقة
أوليائك وانهم نقش حيطان ورقش غيطان وغمام بلا امطار واكمام بلا
زهر وآجام بلا ثمر (ثم قال) قم يا زين الاحباب أريك ما قلت لك من
حقيقة الاصحاب ثم دخلا الطريق وقصدا نصف الصديق وطرقا الباب
فخرج وتلقاهما بالترحاب فقالا له ذلك المقال وقصدا بمعونته الخلاص
من ذلك العقال فقال حبا وكرامه حللتما بمنزل السلامه أنا بكم نشيط
وأجلكم بى بسيط غير أنى أعلمكم أن منزلى غير فسيح حتى أدفن فيه هذا الذبيح

وليس

وليس لى مخباة ولا مخدع ولاسكن فى مطاويه ولا مصنع واخاف أن أمركم
لايختفى وبهذا المقدار فى امركم لا اكتفى ويدى لاتملك غيره وقد وقعت
بهذا السبب فى حيره وبالجملة والتفصيل انا اكفيكما شر هذا القتيل فقالا
لانقنع بذلك ولكن سد عنا المسالك فقال توجها حيث شئتما فلا أنا
سمعت ولا انتما قلتما فتوجها الى الصديق الكامل وذكرا له الامر الحامل
وقصدا بتلاقيه كرمه الشامل (فقال لهما) أوشئ غير ذلك وقاكما الله شر
المهالك فقالا لا الادفن هذا المقتول واخفاء هذا الامر المهول وأن نكون
تحت أذيالك الساتره حتى تسكن هذه الفتنة الثائره فان اهله يطلبونا
فان وجدونا يسلبونا ولايرضون الا بالدمار وخراب الديار ولا يقنعون
بالمال والعقار وهذه قضية عظيمه وداهية جسيمه فان كنت تنهض
باطفائها وحمل أعبائها وتسعى فى اخفائها فقد قصدناك ودون الاصحاب
أردناك فان عجزت عن سدها فلا عتب عليك فى ردها ولا تتكلف فوق
طاقتك ولاتتجشم لاجلنا غير استطاعتك (فقال) سبحان الله واسوأتاه
هذا يوم المروءة والوفاء وتذكر وسائل اخوان الصفاء فلكم الفضل
اذ قصدتمونى والجميلة التامة حيث اردتمونى أما والله لو كان ألف قتيل
لواريته وكل ما كان من امر غيره جاريته وداريته لايسمع ابدا خبره ولاترى
عينه ولا اثره (وأما انتما) فافديكما بروحى واولادى وطريفى وتلادى
وعندى ديار انزه من جنان الابرار وأفيح من كل دار فادخلوها
بسلام آمنين فانها تشرح كل قلب حزين ولو اقمتم بها سنين ماشعر بكم
احد من العالمين فيها ارغب نديم واقرب خديم واحسن جليس وايمن
انيس فلن تملوا مقامها ولا تعدموا اكرامها فانتم عند من لايمل أبدا نزيله
ولكم فى ذلك الفضل والجميله (قال التاجر) شكر الله سعيك وحفظ على
اصحابك مودتك ورعيك (ثم) ودعه وانصرف وقد عرف الولد من حقيقة
الامر ماعرف (ثم) قال لولده يابنى واعز عندى من كل شى ان اتخذت
الصديق فليكن صديقك على هذا الطريق والا فالانفراد أحسن والعزلة
أوفق ان امكن كما قيل

فاق حبى كل الملاح كمالا * هكذا هكذا والا فلالا

ولقد أرشد من انشد حيث قال هذا المقال

مافى زمانك من ترجو مودّته * ولا صديق اذا جار الزمان وفى
فعش فريدا ولا تركن الى أحد * انى نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ثم ان الملك) قال لاولاده ياذوى الافضال ان غالب اصحابى من الامراء والرؤساء الكبراء خصوصا فلان امير ممالك خراسان هم من هذا القبيل وأنا عودتهم هذا الجيل فكونوا فى الحقيقه متمسكين باسباب هذه الطريقه (فلما) اكمل وصيته أولاده هيا السفره عتاده وذكر الله وزاده ثم ودعهم من دار الشرور وانتقل الى دار الحبور والسرور وقد عهد الى اكبر أولاده واستودعهم الله وهو القاهر فوق عباده من لا تخيب الودائع لديه ولا يضيع من توكل عليه فسمعوا الوصية واطاعوا وتعلقوا باذيال أهدابها فما ضاعوا واستمروا تحت امر أخيهم كما كانوا فى حياة ابيهم كأن اباهم ما مات ولم يقع بينهم شتات فدام لهم السرور وانحسمت عنهم مواد الشرور واشرقت بهم ممالكهم واملاكهم ودارت بالسعود أفلاكهم ثم ان الحكيم حسيب انتقل من كلامه العجيب بعد فراغه من حكم ملك الاعجام الى فوائد ملك الاتراك الهمام فشنف المسامع وشرف كل راء وسامع وشرع فى القال والقيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب الثالث)

فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك قال الشيخ أبو المحاسن حسان صاحب الحسن والمحاسن والاحسان ثم نهض الحكيم حسيب الاديب الاريب ووقف فى مقام حدّه وقبل موطئ اخيه بشفاه خدّه وقال لقد بلغنى أيها السلطان أن فى قديم الزمان كان فى الترك ملك يسمى خاقان من الملوك العادلين والسلاطين الفاضلين برسم العدل معروف وبقصم الجور موصوف كسر الاكاسره وقصر الاقاصره ونحر الجبابره وتغرغم الذعار النباله الفاغره ملك بلاد الختن والخطا واستولى على ممالك المغل والحتا وأطاع اوامره الترك والتتار واستسلم لرأيه سكان الدست والقفار وكان يأجوج من جملة خدمه ومأجوج من بعض عبيده وحشمه

كأنه وارث لذريته يافث قوى فى أخذ الملك من ممالك الصين وأخذ الى أطراف الشمال باليمين ولم يكن له من البنين والبنات مع كثرة السرارى والزوجات سوى بنت واحده اطلعتها الاقمار شاهده

شمس ولا كالشمس عند زوالها * بدر ولا كالبدر فى نقصانه

بل بهرت الشمس جمالا والبدر كمالا وفاقت ملاح الدنيا شمائل وخصالا وهى عزيزة فى قلب أبيها كريمة على خواصها وذويها فصارت ملوك الاطراف يخطبونها ومن أبيها يطلبونها فكان أبوها يفوض الامر اليها ويعتمد فى تزويجها عليها وهى لا ترغب فى طالب ولا تصغى لخطبة خاطب الى أن عنست وخطابها أيست وكان أبوها كماذكر ذا فطنة بالغه وهيبة دامغه تخشى حوادث الزمان واختلى بها فى مكان وقال اعلمى يا معدن اللطائف أن البنت فى منزل أبيها كالماء الواقف ان مكث يأسن وان لم يستعمل أنتن ولا أقول ذلك ملالا ولا عجزا ولا استقلالا بل لا بد للمرأة من زوج يلمها فيسترها ويضمها ونعم الختن القبر واحلى من البنت الصبر فان رأيت الرغبة فى الزواج طلبت لك كفوا من الازواج وكان ذلك استراح لعرضك وأدنى لاقامة سنتك وفرضك وأفرغ لخاطر أبيك واشرح لخدمك وذويك فقالت احسن الله الرحمن الى مولانا الخاقان وكفاه كل جان من الانس والجان ان البنين من جملة النعم والبنات من أعداد النقم ونعم الدنيا عليها الحساب ونقمها سبب الاجر والثواب قال رب الارباب فيما انزله من الخطاب فى محكم الكتاب المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقد جاء فى بعض التفاسير أن الباقيات الصالحات هى البنات فمولانا الملك يعد وجودى نقمة عليه من معبودى وأسأل الصدقات الملوكيه والمراحم الوالديه أن لا يعجل فى أمر تزويجى وأن لا يبادر كيفما اتفق الى ترويجى فان التأمل فى ذلك أولى وثناء فى الدنيا وثواب فى الاخرى وذلك لان الكفاءة فى الزواج معتبره وقد قرر ذلك الفقهاء البرره وان لم يكن الزوج للمرأة كفوا فزواجها به يقع سخرية وهزوا ولا يفيد سوى الغرامه والفضيحة والندامه فقال الملك لا ازوجك الا بكفو كريم يكون لك ادنى خديم وفى الناس أعلى مقام عظيم قالت

يامولانا الملك وقاك الله شر المنهمك لاتحمل اعتراضى على الاساءه وانما
أسال عن كيفية الكفاءه فان كانت بالملك والمال فان ذلك فى معرض
الزوال وان كانت بانشاب الانساب فان ذلك خطأ لاصواب قال منزل
الكتاب العزيز الوهاب فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب وقال من لايجوز
عليه كذبه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وانما الفقهاء حكموا بالظاهر
والله يتولى السرائر ونحن فى قيد الانقياد ولا يسعنا الا ما أمر به الشرع
وأراد وأمّا أنا فكفوى الكريم انما هو الكامل الحليم الفاضل الرحيم
قال الملك بارك الله فى رأيك وعقلك أنا لا ازوّجك الا بملك مثلك أو ابن ملك
مثل أبيك يرعاك ويكرم خدمك وذويك يعدل بالسويه ويحكم على سائر
الرعيه قالت أيها الملك الكبير صاحب التاج والسرير أنا ما أعرف الملك
الامن يعرف بملك الحكم على نفسه فى سيره ويكون متحكما متمكنا من الحكم
على غيره فيحق أن يقال فى ملكه ذى الجلال خلد الله سلطانه وشيد أركان
ملكه وبنيانه قال الملك ومن هو ذاك بارك الله فيك وهداك قالت أمّا
الحاكم على نفسه فهو المالك لزمام جوارحه وحسه قد جعل خزائن القلب
والسمع معدنا لجواهر العقل والشرع فهما اقتضاه العقل امضاه وعمل
بمقتضاه وما ارتضاه الشرع وقضاه كان فيه انقياده ورضاه قد تحلى
بعقود مكارم الاخلاق ولو كان فى أسمال أخلاق وشغل نفسه بتهذيبها
واجتهد فى خلاصها من شرك عيوبها واهتم بعيوبه عن بعيده وقريبه
وبغيضه وحبيبه فذلك الحاكم على نفسه المميز على أبناء جنسه وأمّا حكمه
على غيره فهو أن يكون فى سلوكه وسيره منعزلا عن الناس فى زوايا الياس
لايسال عن أحوالهم وعيوبهم ولا ينظر الى ما تحت ايديهم وجيوبهم مالكا
لزمام العزله متنعما بهذه النعمة الجزله قد اتخذ التقوى والقناعه أحسن
حرفة واربح بضاعه قد سلم الناس من يده ولسانه لايدرى بشانهم ولا
يدرون بشانه فذلك الحاكم على غيره الفائز من ملك الدارين بخيره فهو
الذى خلد ملكه وسلطانه واتضح للعالمين برهانه فان وجد بهذه الصفات
موافى فانه لى كفو مكافى وانه كالبدر جلى نقى الصدر لله ولى فاذا انعم
الزمان بمثل هذا امنا الا فنعم نعم والا فلا لا فجعل ملك الختن يتطلب مثل هذا

الخلق وارسل القصاد الى أطراف البلاد يسالون سكان الاكناف وقطان
الاطراف عن موصوف بهذه الاوصاف واستمروا على ذلك مده كل باذل
جهده حتى ارشدوا بعد زمان أن المكان الفلانى فيه فلان رجل اعرض
عن العرض فلم يكن له فى الدنيا غرض وهو بحسن الصفات موصوف وفى
كرخ العبادة والاجتهاد معروف جامع لهذه الصفات ليس له الى الدنيا
واهلها التفات مشغول باكتساب الآخره وطلب نعمتها الفاخره وهو
من نسل الملوك وقد ترك وراءهم السلوك وسلك فى العلم والعمل السبيل
الاقوم حتى كانه محمد بن الحسين أو ابراهيم بن أدهم ولشدة ماهو لنفسه
مجاهد سماه الناس الملك الزاهد فأجمع الخاقان على مصاهرته وجعل
التقرب اليه قربة لآخرته فأخبر ابنته به وكان جل مطلوبها ومطلوبه وعقد
بينهما النكاح وحصل الفلاح والصلاح فوافق شن طبقه وصار لعين
حرامها كالحدقه ومضى على ذلك برهه وهما فى طيب عيش ونزهه فاشتاق
الخاقان فى بعض الازمان الى رؤية ابنته وسرور مهجته فقام لدارها
بقصد مزارها لينظر حالها وماعليها ومالها فوجدها فى عيش هنى وأمر سنى
فسالها عن احوال زوجها الزاهد وكيف صبرها على حالها الجاهد فأثنت
خيرا وكفت ضررا وضيرا وقالت جميع مايبرزه ويأتيه على حسب ماأريده
وارتضيه وارتفاعات أحوالنا بسعادة مولانا فى دفاتر الامن منضبطه
وعقود حياتنا بيمن صدقاته فى نحور الرفاهية غير منفرطه غير ان بيتنا واحد
وبسبب ذلك يتضرر هذا العابد فيه نبيت وفيه نقيل وبجوانبه مالنا من
خفيف وثقيل وقوت ونقود وخادم ومولود فلا يتفرغ من الغوغاء للعباده
لانها تستدعى عزلة العابد وانفراده وتخليه لمناجاة معبوده ليظفر من حلاوة
الطاعة بمقصوده فاسال مولانا الخاقان ذا الفضل والاحسان بيتا يتخلى
فيه للعباده ومكانا يضع فيه خرقة البيت وعتاده فقال حبا وكرامه وقربى
وسلامه (ثم اجتمع) الملك بصهره الذى به فاخر وذكر له انه اعطاه بيتا آخر
أحدهما يكون لخلوته ومبيته والآخر يضع فيه مايحتاجه من عتاده وقوته
(فقال) الزاهد أيها الملك الماجد فعلت ذلك لتقسم خاطرى وتوزع فكرى
وضمائرى ولا طاقة لى أن اتعلق بمكانين وما جعل الله لرجل من قلبين وانما

الزاهد من همه فى الدنيا واحد فانه على عدد التعلقات يتوزع القلب الشتات واذا تعددت الاماكن يحتاج كل منها الى ساكن أوحافظ أوضابط أوحارس اورابط وأنا الاعتماد لى بحفظ نفسى أيها الولى فكيف يكون لى اقتدار على حفظ الاغيار واذا انقسمت أفكارى وفسد بالى فكيف اقدر على صلاح حالى وأنى يصلح مع فسادى امور معاشى ومعادى ثم انى اذا اوزعت نفسى فقد نبهت راقد حرصى والحرص افعى قاتل واسد صائل يقتلنى بسهمه بل بمجرد شمه فقال الملك الكبير لا تهتم لذلك أيها الزاهد الخطير فان لى اماكن عديده وقصورا مشيده وحواصل مصونه وخزائن مكنونه الكل تحت تصرفك واختيارك لا منازع لك فيه ولا مشارك فاجعل لكل جنس من قماشك واثاثك ورياشك ومايقوم باودك ومعاشك مكانا على حده وناحية حفظ منفرده واتخذ لنفسك مقاما خاصا بك لا عاما وأنا أقيم على كل مكان حارسا ان شئت راجلا وان شئت فارسا فعند احتياجك الى شى أنالك هنا ميسرا من غير كد ولا عى وتفرغ أنت لعبادتك واشتغالك بامور آخرتك قال الزاهد أيها الملك المجاهد الاغترار بالقصور من جملة القصور والاعتماد على الحصون من دواعى الجنون واذا اورد من الملك الغفور طلب على يد القبور فماذا تجدى الدور والقصور وماذا تنفع الحصون أو يدفع كل مكان مصون واذا آذن بالحلول ذلك الخطب المهول تود النفس لو كانت القصور الممهده والبروج المشيده اذل من أفحوص قطاه واقل من عش بزاه وقد قيل

قميص من القطن اوحلة * وشربة ماء قراح وقوت
ينال بها المرء ما يرتجى * وهذا كثير على من يموت

واعلم أيها الخاقان أن النفس لها خادمان مطيعان مجيبان ولما تأمر به سميعان وهما الشهوه والحرص الشديد الدعوه أما الشهوة فرائد الاكل الكثير والشرب وأما الحرص فعابد الرعونة والعجب وقد قيل

فهذا يقود الى طبعه * وهذا يسوق الى ربعه

فهما ليلا ونهارا وسرا وجهارا يزينان لها ما طبعا عليه ويجذبانها

الى

الى ماجبلا اليه ويتقاضيانها حقهما ويطالبانها مستحقهما ولابد للمخدوم من اقامة اودخادمه واسترضاء انيسه ومنادمه وقد قال من اتقن المقال

ان اللبيب أخا اللبيب هو الذى * مع تيهه يحنو على عشاقه
وكذا الرئيس وانت اكبر جنسه * من فاض فى الخدام من ارزاقه
يهتم ان حضروا له بنواله * يغتم ان غابوا على اشواقه
مع أن حشمته وفائض علمه * ترقى بكل منتهى استحقاقه

ولكن رضا هذين الخادمين غاية لاتدرك وفقد مقصود بهما نهاية عميقة المسلك وقد قال سيد الانام عليه الصلاة والسلام يوما وهو بين الاصحاب كالشمس ليس دونها حجاب والبدر لايحجبه حجاب لايملا جوف ابن آدم الا التراب والحرص مهلك والشهوة قاتله وكل منهما فى الدمار والبوار علة كامله وناهيك يا ذخر الحق وغياثه أخبار اللصوص الثلاثه فطلب الملك من الزاهد ايضاح هذا الشاهد فقال ذكر أهل الوراثه أن لصوصا ثلاثه كانوا على سبيل الاشتراك متعاطين أسباب التحرم والهلاك واستمروا على ذلك مده حتى استولوا من الاموال على عده ففى بعض الليال ظفروا بجملة من الاموال ودخلوا الى مكان داثر خال بنية الاقتسام وكانوا محتاجين الى الطعام فوجدوا فى ذلك المكان الداثر صندوقا مملوءا من الجواهر ففرحوا وانشرحوا وتصور لاولئك الخاسرين انهم ربحوا فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع كلبنا واهلكنا كلب الجوع فالاولى طلب الطعام قبل الاقتسام ولو بادنى التهام ويسير التقام ثم ارسلوا مع أحدهم الى المدينة ورقهم ليأتيهم بما يسد رمقهم فلما انفصل عن مكانهما وغاب عن اعينهما تحركت نفسه الخبيثه بشهوة اججت تأريثه وقواها الحرص المشوم لشدة الشره الملوم ودعاه داعى الفساد الى الاستيلاء على المال بالانفراد فعزم على ختلهما فوضع فى الطعام سما لقتلهما وأما هما فعلى قتله عزما واستعدا لذلك بعدما جزما ليصير المال بينهما نصفين ويصيرا فى ذلك كالاخوين الالفين ويكون ذلك كانه وراثه لان شر الرفقاء ثلاثه ولم يدعهما الى ذلك غير داعى الشهوه وكذلك داعى الحرص

وأبخس بهامن دعوه فلمافصل ذلك بالاكل بادرا اليه بالقتل ثم بعد ماقتلاه
عمدا الى الطعام فاكلاه فبردا فى الحال وتركا ذلك المال ولحقا بصاحبهما
التالف وسببا تليد المال والطارف وانما اوردت هذه الموعظه لانها
على أحوال الدهر موقظه وان كان مولانا الخاقان فى اموره يقظان
لكن قد قال رب العالمين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واعلم يامولانا
الخاقان كفاك الله مكايد الشيطان وأنجح مقاصدك على ممر الزمان أن
الدرجة العليه والمرتبة السنيه لاتنال بقوة ولاعزمه ولاشجاعة ولاهمه
وانما هى عناية ربانيه وأسرار رحمانيه لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى
وزياده وانتظموا فى سلك اهل السعاده فهم اهل الفضل والسياده اسبغ
الله عليهم سواطع الانوار وقطعهم عن قواطع الاشرار فهم السادة الاخيار
والقادة الابرار قاموا باداء ماوجب عليهم وتركوا ماخلفهم واستبشروا
بما لديهم فانوارهم ساطعه واسرارهم لجميع الاوهام قاطعه تركوا زخارف
هذه الدار وأرادوا دار القرار وجوار الملك الغفار فهم الهداة الى الله
الدالون على الله لايعتريهم كدر الاوهام ولايشتغلون عن خدمة خالقهم
مدى الايام هم العباد المكرمون العباد المقربون قال الله تعالى وهو
أصدق القائلين فى كتابه المكنون ألا انّ أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم
يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون واعلم أن اعدى عدوّلك بين جنبيك وهى
نفسك التى تطمارسكنت اليك فاعص هواها ولاتعطها مناها فان
فى اتباعها الندم عاجلا والحسرة آجلا لابقليل تقنع ولابكثير تشبع
ولاتظن أنها اذا أعطيت مناها شكرت أواذا ذكرتها من برأها ذكرت بل
متى امنتها كفرت أوآنستها نفرت أوارخيت عنانها بطرت واشرت وان
نالت مطلبا اوتناولت ماربا انتقلت عنه وطلبت اعلى منه فليس لها دوا
الا القمع عن دواعى الهوى كما قيل

النفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

وكما قيل ايضا

وما النفس الاحيث يجعلها الفتى * فان اهملت تاقت والا تسلت

وكما

وكما قيل أيضا

قنع النفس بالقليل والا * طلبت منك فوق ما يرضيها

واياك وطول الامل فانه مفسدة للعلم والعمل قال الحكماء وعقلاء العلماء الامل شبكة الشيطان وموجب الحرمان فاجهد ما دام لك على النفس ملكة أن تخلص نفسك من هذه الشبكة ولا تهتم للاقوات فكل ما قسم مافيه فوات وكل ما هو آت آت وكل ما رقمه القلم في القدم واثبته قضاء الله تعالى عليك وأنت في العدم سواء كان خيرا أم شرا نفعا أم ضرا فانت ملاقيه وعلى كل حال موافيه فاقطع دواعي الطمع عمن لا يضر ولا ينفع لا عمن ان شاء ضر وان شاء نفع ولا تجمع الابعلك في الجماعات والجمع ولا تتعب لجوع وعري واكتساء وشبع فقد قيل اذا شبعت فلا تهتم للجوع فكم من شبعان مات قبل أن يجوع واذا اكتسيت فلا تهتم للعريه فكم من مكتس مات وثيابه جديدة مطويه واعلم أن طبع الدنيا بالمخالفه كانها على المخالفة محالفه فاذا ضممت عنها يدك اليك أقبلت عليك وجاءت تهوى تحت قدميك واذا طلبتها هربت منك وكلما ارتبطت اليها انحلت عنك وقد قيل أيها الملك الجليل

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك

أنت لا تدركه مستعجلا * واذا وليت عنه تبعك

ثم اعلم أيها الخاقان انك وان كنت ذا التصرف والسلطان وأن هذه الخلائق رعيتك نافذة فيها مراسيمها منيتك الا انك في الحقيقة واحد منهم لا تزيد بشئ في الذات والصفات عنهم ولكن الله القديم العالم الحكيم سلطان السلاطين بل خالق الاولين والآخرين رفعك عليهم وتقدم بامره أن يطيعوك اليهم فقال من له الخلق والامر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر فهم قد أذعنوا لك واطاعوك فراعهم كما هم راعوك واطلب لهم اسنى المراعى وأبهاها وأوردهم أعذب المشارب وأصفاها فان الملك الذى سلمهم اليك سوف يتقدم بالسؤال عنهم اليك وقد قال من أنت خليفته على امته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فكن لهم كما تريد أن يكونوا لك ودن لهم كما تحب أن يدينوا لك واعلم أيها الملك الودود أن هذه

النقود ان لم تصرف فى مصارفها وترفل فى وجوه الطاعة فى مطارفها فانها جمر يضرم فى نار جهنم كما قال من يقول للشئ كن فيكون يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فاسمع أيها الملك الصالح نصيحة مشفق ناصح ولا تغتر بالدنيا وزهرتها ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها واياك والميل الى نزهتها ونضرتها فانك ان ملت اليها اسرتك او جبرتها على الركون اليها كسرتك وحسبك من كلام الرب الغفور ومن بيده مقاليد الامور ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور قال الراوى لهذه الحكم والفتاوى فلما وعى ما قال الختن هذه النصائح الصادقة من الختن امر بها فسطرت ثم نشرت وشهرت وعلى المنابر قرئت وعلى روس الاشهاد ذكرت وابلغها ابنته وقرر لها مقدار زوجها وحكمته وميله عن الدنيا ورغبته فقالت هذا الذى كنت اردته وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته ثم انها أقبلت على طاعة ربها وبعلها واصلاح أحوالها فى قولها وفعلها وقضيا عمرهما فى أنواع العباده واكتسبا بطاعتهما فى الدارين الحسنى وزياده ثم اقتدى بهما الملك وعسكره حتى انتشر فى آفاق المملكة بالعدل والصلاح خبره الى أن اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك الرعيل وبقى ذكره مخلدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل وقد قيل فى ذلك ممن أحسن القيل

كانوا شموسا نضى الدهر طلعتهم * وفى طريق المعالى يقتدى بهم
غابت فلولا سناهم كالبدور أضا * من بعدهم تاه أهل الفضل فى ظلم

هكذا يكون طالب السعادة الابديه والكرامة السرمديه اذا ملكه الله زمام الرعيه يحسن سيره فى الدنيا ويتيقظ لتحصيل السعادة الكبرى ويشتغل بما يرضى عنه المولى وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (تمت بحمد الله تعالى) نوادر ملوك العرب والعجم والاتراك ويلى ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الاثيم الافاك ونسأل الله المسؤل أن يحقق لنا من كرمه واحسانه المامول ويعصمنا بفضله من عثرات الفضول والصلاة والسلام على أعظم نبى واكرم رسول

وعلى

وعلى آله وأصحابه واكرم بالصديق والفاروق وذى النورين وزوج البتول واخوانه من الانبياء والمرسلين صلاة وسلاما يشتملان العفو عنا والقبول ويمن بالكرم والفضل على قطوعنا بالوصول آمين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الرابع﴾

فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان قال الشيخ أبو المحاسن من ماء ينابيع علمه فى مجارى بدن الفضل غير آسن فلما انهى الحكيم حسيب ذو الفضل النسيب حكاية ماطرزه مما نسجه وحاك وفصله خياط تقديره على قامة المجد من خلع حكم العرب والعجم والاتراك شكره اخوه القيل على هذا القيل وأفاض عليه من نيل نواله جزيل النيل وأدرك من ذلك الانموذج علو علمه وسمو حلمه وجميل حكمه وجليل حكمه ثم قال يا استاذ بلغنى أن بغداذ خرج منها خارج من نار من مارج وهبط الى مدارك الخزى عن المعارج وأصل ذلك المشوم من عفريت خلق من نار السموم وان شخص ذلك الشيطان جبل من سخام الدخان فلهذا ركب وجهه السواد وتركب سائر جسده من الرماد فهو جنى ذميم وشيطان رجيم وقد شرع ذلك الخناس فى الافساد والوسواس وتعاطى ايذاء أكابر الناس وانه فى هذه الايام نفى الى بلاد الشام فلم يوافقه ذلك المقام لانه مهاجر الانبياء الكرام وهذا مجبول على سجايا اللئام وطباع أهل الفساد والاجرام فاقام فيها بالاضطرار والاضطرام مدة أشهر وعدة أعوام وأخذ فى الاضلال والتضليل فأضل خلقا كثيرا عن سواء السبيل وتستر ذلك الجان بجباب الانتساب الى جنس الانسان ولبس بشق العصا ثوب العصيان فكمن كمون الشوك تحت ورق الورد والريحان واحتمى فى حمى الشقاق والنفاق بشقائق النعمان والحق انه من نسل العفاريت وكان عند الجن مقيله والمبيت ومن ألبانهم له غذاء وتربيت فقال له الملك هديت ووقيت فان يكن عندك من ذلك شئ فشنف من جواهر حكمه اذنى فانك حكيم الجن والانس وكريم النوع والجنس قال الحكيم نعم أيها الملك العظيم انا جهينة الاخبار ومزينة الاخيار وحكم الحكم

ولى فى البيان اعلى علم أمّا هذا الشخص المذكور فانه بالفسق والفساد
مشهور ورق شرّه فى البلاد منشور وكتاب عناده بين العباد مسطور
وبيت حسده لنعم الله تعالى على خلص اوليائه بالفجور معمور وله صفات
تعيسه وأخلاق خسيسه تأنف مردة الشياطين منها وتستنكف
العفاريت عنها وكم له من دواهى شرّها غير متناهى لا يفى بذكرها هذا
الخطاب ولا يسع سردها هذا الكتاب بل ولا يقوم بذلك دفتر ولا حساب
ولكن البعرة تدل على البعير فقس من هذا التقدير الكثير على اليسير
وقد كان أراد نشر الفساد ببلاد العراق و بغداد فعاكسه القدر
وأحاد فنفى من تلك البلاد فوصل ارم ذات العماد وتعاطى أسباب
ماهو عليه من الزندقة والالحاد فأثار أصناف الفتن وأنواع العناد
وابتدع من الشرّ والبدع ما يخرج عن حصر التعداد وهو على ماهو عليه
من المناكدة والمجاحده وقصده الاعوج من تعديل أقوال الرافضة
والملاحده وسيوضع لذلك مصنف متسع على حده ولقد بلغنى أيها الملك
الهمام انه حصل له فى ذلك المقام مع عالم من علمائها الاعلام قضايا
كبته على خيشومه وأظهر بها ذلك العالم دسائس خبثه وشومه مثل
ما اتفق لعالم الانسان مع شيطان العفاريت وجان الجان فى غابر الدهر
وماضى الزمان فقال القيل العظيم أخبرنا بذلك أيها الحسيب الكريم
فقال ذكر أن فى الازمان الغابره كانت صنوف الجنّ للانس ظاهره تتراءى
باشكال مختلفه وتتزيا بامثال غير مؤتلفه وتظهر لهم الخيالات العجيبه
والصور المموّهة الغريبه فتضلهم ضلالا مبينا وتأتيهم من بين أيديهم ومن
خلفهم وشمالا ويمينا وتخاطبهم مشافهه وتوافيهم مواجهه ففى بعض
الايام ظهر ببلاد الشام مهبط الوحى ومهاجر الانبياء الكرام ومحط
رحال الرجال من أهل الفضل والافضال رجل من العباد وأفراد الزهاد
فاق الاقران بالصلاح وساد أهل الزمان بالورع والفلاح وحاز طرفى العلم
والعمل فكمل كثيرا منهم بعد ما كمل واستمر يدعو الخلق الى خالقهم ويحثهم
فى الانابة والتوكل على رازقهم ويرضونه ويرضيهم فى الطاعه واتباع السنة
والجماعه ويقبح الدنيا فى أعينهم ويحذرهم غدراتها فى مكمنها عند

ما منهم

مامنهم وكان لنفسه المباركة نقوش فى النفوس يجذبها الى ما يريد جذب
الحديد المغناطيس ففى مدة يسيره تبعه طوائف كثيره وانتشر صيته الى
الآفاق وصفا للعباد وقت الطاعة وراق وضربت اليه أكباد الابل
وامتلأت به الدنيا من العلم والعمل واضطرب أمر المرده والشياطين العنده
وتعطلت أسواق الفسوق وخرج عرق المعاصى من العروق وتحملت
العفاريت وتنكست أعلام الجن المصاليت وضل سبيل الضلال كل مارد
خريت وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم وعطلت وساوسهم وتشويهاتهم
وأهانهم الناس وكسد الوسواس وفسد فعل الخناس فلما ضل سعيهم
وكاد يقع نعيهم اجتمع العفاريت العتاه والشياطين الطغاه والمردة العصاه
الى ابليسهم العنيد وهو شيطان مريد صورته من أقبح الصور له أظلاف
كأظلاف البقر ووجه كالتمساح وشكل كالرماح وخرطوم طويل ورأس
كالفيل وعيون مشققة بالطول وأنياب كانياب الغول وشعر كالشيهم
وجلد كالارقم وهو يلهث كالكلاب ومن ورائه عدة ذئاب فشكوا
اليه حالهم واطالوا فى الشكوى قالهم وقالوا ياشيخ التلبيس وابن عم
ابليس لقد عمرت المدارس وبطلت منها الوساوس وتعمرت المساجد بكل
راكع وساجد وقائم وقاعد وقارئ وجاهد فطرد كل شيطان مارد
وتمشى سنن الحلال فوقف منا الاحتيال وأمر بالمعروف فوقعنا على
الامر المخوف وكثرت الحجاج فتقطعت منا الاوداج واديت الزكوات
والحقوق فطردمنا كل عقوق وقام الحق فنام الفسق وعبد الله
فى المغارات والكهوف واستدعلينا السبيل فعلى من نطوف ولم يبق لنا
على بنى آدم سلطه وصرنا فى بحارهم أقل من نقطه وعند جهرهم بأذكارهم
أذل من ضرطه لا وساوسنا تؤثر فى أفكارهم ولا مجالسنا تعطل من
أذكارهم ولا تخيلاتنا تتراءى لابصار أسرارهم فان استمر الحال على هذا
المنوال لا يبقى لنا فى الدنيا مقام ولا بين الجن والانس كلام (فلما وعى)
العفريت فحوى هذه الشكوى وتأمل ما فى مطاويها من نازلة احاطت
بهم وبلوى اشتعلت نيران غضبه وتأججت شواظات لهبه ثم قال أمهلونى
اتلوى واتركونى اتلوم واتروى وافتكر فى هذه البليه واكشفها عن

جلبه فان الامور لاتنتج لمبانيها مالم يتأمل من فراغها فى جوانبها ونواحيها وتحقيق المسائل انما يوجد من محكميها وحاكميها (وكان) هذا العفريت العاتى المارد الغير الموافق تحت يده وأمره من مقتبسى تلبيسه ومكره والشياطين المرده واغوال العفاريت العنده طوائف شتى وامم لاتحصى وممن فاقهم فى المكر والمرا أربعة اشخاص كبراء وزرا كل منهم فى الشيطنة والمواسه ومعرفة طرق الوسوسه كابى على بن سينا فى علم الهندسه غاية لاتدرك ونهاية لاتستدرك فاجتمع هذا الغول بوزرائه ورؤساء اشياعه وكبرائه ثم قال لهم أفتونى فى أمرى وساعدونى على فكرى ومكرى ووجه الخطاب لكبيرهم الذى علمهم السحر المشار اليه فى الدها والمكر وقال له مارأيك فى هذه القضيه والمواقف الرديه والداهيه الدهيه فقال الوزير يامولانا الامير وصاحب المكر والتدبير ان العقلاء وذوى التجارب من الحكماء تفرسوا بامر قاطع من الوقائع القواطع فقالوا شيآن لابقاء لهما الروح فى الجسد والسعد فى الطالع وهذا هو الصواب ولكل أجل كتاب ومادام الاجل باقيا والسعد راقيا ومادام السلامة ساقيا وحافظ العوارض واقيا لاينفع الجد ولايدفع الجد ولايرفع الجهد ماثبت السعد فاذا تم الاجل وبطل من السعد العمل انتكس السعد وانقلب وفارقت الروح بلا سبب واذا كان كذلك فهذا الرجل الناسك سعده عمال وطالعه فى اقبال فكل سهم مكر فوقناه الى نحو حيانه يعود علينا وكل رمح فكر صوبنا سنانه الى شاكلة بقائه يرجع الينا فالرأى عندى أن نتربص حتى تدور به الدوائر ولانهتم باحتيال محتال ولامكر ماكر الى أن تنقضى مدته ويسقط من سعد طالعه قوته فعند ذلك يفيد سعينا ولايضيع كدنا (فقال) العفريت للوزير الثانى يا افضل جانى أنت ماذا تقول وكيف تشير أن نصول فى ميدان هذا الامر ونجول فقال رأى مولانا الوزير سديد وكل ما أشار به فهو أمر مجيد ولكن كيف يهمل أمر العدو ويركن مع وجوده الى قرار وهدو واذا كان طالعه فى قوة فاهماله يزيد فى قوته والتهاون فى أمره مساعدة فى معاونته ومعاونة فى مساعدته وهذا من علامات العجز والانكسار ومن اقوى الادلة فى الانحطاط والصغار وان رب الارباب وضع عالم الكون

والفساد على الاسباب فلابد من تعاطيها فى هذا الباب وبذل المجهود فى معاملات الاعداء والاحباب ولم يقتصر الشارع على التقدير والطالع اذ فيه حسم مادة الشرائع والتعرض لابطال حكم الصانع فعندى أن نبذل الجهد فى حسم مادتهم وتعاطى كسر شوكتهم وبذل الجهد والجد بما تصل اليه اليد وثبات الاقدام فى اثبات الاقدام كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر فى بيت الجاسر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وهذا الشاعر المسمى أخذه من أخينا بشار الاعمى من لنا بوجوده انس وهو شيطان الانس حيث يقول ذلك الغول

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاعزموا على هدم ما يبنون وصدم ما يعنون والاخذ فى تمزيق جلدتهم وتفريق كلمتهم اذ لا اطلاع لنا على مساعدة الطالع ولا احد لبقاء الاجل فضلا عن أن نقول هذا الحد جامع أو مانع وهذا الرأى عندى أولى ورأيك يا رئيس التلبيس أعلى ودونك يا غول هذا القول

اذا كانت الاعداء اعلافا نهم * اذا لم نطأهم أصبحوا مثل ثعبان

ومن هذا المقال يا أبا الاغوال

واللص ليس له دليل ساتر * نحو الذى يمحى كنوم الحارس

(والاصل) فى هذا كله حسم مادتهم وردم جادتهم وذلك باهلاك مرشدهم وافساد زاهدهم فان قدرنا على اهلاكه وتمزيق حبائله وأشراكه تشتت شملهم وتبتت حبلهم وقلهم (فقال) العفريت للوزير الثالث وكان أنحس عابث قل لى أيها الوزير ماسنح لك من التدبير فى هذا الامر المبير والخطب الخطير وماذا ترى فيه وتشير فقال لاشك أن الطباع تميل الى ما تسمعه وما يلقى الى النفس لابد أن يؤثر موقعه وما اشار به ودبره الوزيران وهما نعم المشيران فهو لا يخلو عن فوائد بل هو متحل بعقود الفرائد وانى لاعلم انه أثر فى الخواطر كما يؤثر فى الرياض السحب المواطر وبالجملة فللكلام تأثير فى النفس كما تظهر آثاره فى الحس ولهذا ترى رقيق الشعر يفعل مالا يفعله دقيق السحر وجليل العبارة فيه من الاشارة ما يشجع الجبان

وينشط الكسلان ويسخى البخيل وينجى الذليل ويسحر الارواح ويسخر الاشباح ويعطف القلوب ويؤلف بين المحب والمحبوب ويصير العدو صديقا وغليظ الاحرار رقيقا وتأمل يانبيه ماقيل فى البديه

حديث اذا نادمت دهرى به انتجى * وكف عن الايذا وعاد الى الاخا
اذكره أخلاق مالكه الذى * تعلم منه العلم والحلم والسخا
أنال به مالاينال بقوة * وأرواح أشباح أتت بعد شمخا

وهذه قضيه تحتاج الى اعمال الروية واعمال النظر وتدقيق الفكر وعندى الرأى السعيد السديد والفكر الحميد المجيد أن التعرض الى هذا الرجل الدين الداعى الى طريق الحق البين ليس بمحمود ولا طالع قاصده بمسعود فانه على الحق متشبث بأذيال الصدق ومن قصد مصادمة الحق اصطدم وفى مهاوى الهلاك ارتدم وقد كان فى بنى اسرائيل رجل من أهل التبجيل عاملا بالتوراة والانجيل مشغولا بالعباده باذلا فى اقامة الحق اجتهاده فتعرض له جماعه من أهل الفسق والخلاعه فتعاطوا اهلاكه وبخعوا به نساكه فقتلوه بغير حق فغار له الدين ورق فأخبرنى من لا يتهم بكذبه انه قتل سبعمائة ألف نفس بسببه فذهب بسبب ذلك الصالح من بنى اسرائيل الصالح بالطالح ومن كان مع الحق هاديا الى الصدق فان الله تعالى معه ومن كان الله معه منعه وحرسه وماضيعه ومن تصدى لضياع ماحفظ الله وعزم على ابتذال من أعزه مولاه وكلاه فقد قصد خراب عمره وعمارته وباع رأس مال تجارته وربحه بخسارته وجنى بيده على نفسه وحفر بيد تدبيره مهواة رمسه واسمع يانعم العون ماجرى لمؤمن آل فرعون حيث كان على السداد داعيا الى سبيل الرشاد وقصد اهلاكه أهل الفساد فقال وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فغلبوا هنالك وانكسروا ووقاه الله سيئات مامكروا وأيضا لو قتلنا هذا الرجل وكان على أيدينا له حمام الاجل فلاشك أنه يقوم مقامه من يلم عظامه ويزم زمامه ويحيى بعده أيامه فيقيم شعاره ويكتب ماقدم وآثاره فان تلامذته كثيره وطوائف جماعاته غزيره فينتظم لهم بعده الامر ولا يضرم لنا من كيدنا الجمر واذا علموا أن ذلك منا واشتهر ذلك الكيد عنا أخذوا

منا

مناحذرهم وصوبوا الينا عداوتهم ومكرهم ثم عملوا على استئصالنا واستعدوا لقتالنا لانا اهلكنا معتقدهم وهدمنا عمادهم ومعتمدهم ولا يمكننا بعد ذلك طلب المسالمة والسلامه وتستمر العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيامه مع أن عداوتنا قديمه وبالجمله فعاقبة من عادى اولياء الله وخيمه اذا تقرر هذا القول وثبت بطريق المعقول فاعلم ايها الغول والشيطان المهول أن الرأى الصواب فى هذا المصاب أن نبادر الى هذا الرجل وجماعته بافساد طاعتهم وطاعته وحيث لا يتيسر لنا المواجهه ولا الخطاب والمشافهه ولا الاضلال فى الظاهر بصورة المتجاهر فنزين لهم حب الدنيا وشهواتها والميل الى زينتها ولذاتها والركون اليها والاعتماد عليها ونلقى اليهم طول الامل وبعد الاجل فنثبطهم بذلك عن العمل وندعوهم الى التهاون والكسل ثم بعد ذلك نجلو خدود عرائس الحرص على ابصار أفكارهم ونقود عوانس الشح وحب المال على اعين خيالاتهم وبصائر أسرارهم فاذا ذاقت ألسنة عقولهم حب الدنيا وتمكنت فى ادمغة سويدائهم الرغبة فى الآباء والابناء سلبوا حلاوة الطاعه وتفرقت منهم الجماعه وزاغوا عن الطريق الاقوم وراغوا عن السبيل الامم فنتوصل اذ ذاك منهم الى مقاصدنا ونوقعهم كيفما اخترنا فى مصايد مراصدنا لانهم هبطوا من سماء المنازعة الى الارض واهلكوا بايديهم انفسهم اذ بغى بعضهم على بعض فتحاسدوا وتحاشدوا وتدابروا وتفاخروا وتكالبوا وتضاربوا وتواثبوا وتجانبوا وتناهبوا وتسالبوا وتلاسبوا وتقابلوا وتقاتلوا وتفرقوا وتمزقوا وتحرقوا وتمزقوا وانحاز كل منهم الى ناحيه وأعجب كل برأيه فلا تعرف منهم الفرقة الناجيه اذ تفرقت أهواؤهم وتصادمت آراؤهم وجذبتهم أغراضهم الى الانحناء وجلبتهم أمراضهم مع الاهواء ومال كل منهم الى صوب وأيس منهم الى الصواب الاوب وتعدد الخلق الذمر ولبس كل لصاحبه جلد النمر ثم بعد ذلك زلوا وأزلوا وضلوا وأضلوا فتمكنا فيهم كما نريد وتصرفنا فيهم تصرف السادات فى العبيد وسلطنا عليهم دواعى الغضب والشره ولعبنا بشيوخهم لعب الصبيان بالكره فنصوب لهم أقوالهم ونزخرف لهم أفعالهم كما قال من خلقهم وأحوالهم وزين لهم

الشيطان أعمالهم ولا نقصد بذلك الاكبراءهم وفضلاءهم وعلماءهم وزهادهم
ورؤساءهم وحكامهم وحكماءهم ولا نفتر عن مكايدتهم ولا نميل عن مكايدتهم
ونجرى فى عروقهم ونسكن فى فروقهم ونحركهم فى رعودهم وبروقهم فان
تحركوا الى خير سكناهم وان سكنوا عن شر حركناهم وان عزموا على الآخرة
صددناهم وان جزموا الى مواطن برّ رددناهم وان أموا مفسدة قدناهم
أو هموا الى معصية سقناهم ولا بد لهذا العمل الكثير من تاثير ولا بد لمن
جد فى المسير أن يصير (وبالجملة) فنبذل فى كل عامة جهدنا وجدنا
ولا غضاضة فى ذلك علينا لانه صنعة ابينا وجدنا (وقد) اخبر بذلك جدنا اللعين
لما خالف رب العالمين كما اخبر فى الكتاب المبين فى قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين
(فاذا) رآهم الناس وقع بينهم الباس حصل لهم منهم الياس وتراجعوا
عنهم وهربوا منهم وفسد اعتقادهم فيهم بل قتلوهم بايديهم فاذا ظهر
فسوقهم وكسد سوقهم فان شئنا أوقفنا حالهم وان رمنا الى الهلاك نسوقهم
وأوثق ما يتوصل به اليهم من الاسباب هى حالة الانفراد والاعجاب وحالة
الاجتماع للكذاب فان الاعجاب يهوى فى النار والكذب يخرب الديار
وناهيك (قضية التاجر مع عبده الكذاب الفاجر) فسأل شيخ الجن عن
بلية ذلك القن فقال ورد فى الخبر عن شخص معتبر قال كان بمكان تاجر
ذو مال وزوجة ذات جمال كل يهوى صاحبه ويرعى جانبه ويفديه
بروحه ويترشف رضابه فى غبوقه وصبوحه كانهما زوج حمام وفى
بذمام ففى بعض الايام قال أحدهما لرفيقه وهو يرشف من كاس عقيقه
شهد رضابه بخمرة ريقه لو كان لنا عبيد يتعاطى مالنا من حاجة ويخلصنا
من جملة عمرو وزيد فذهب التاجر الى سوق الرقيق فوجد مع النخاس عبدا
ذا قد رشيق ينادى عليه أبيعه بكذا على ما فيه من اذى فقال وما عيبه
قال كذبه لا على الدوام وانما هو مرة فى كل عام فقال عيب هين وشين لين
فاشتراه وأتى به الى داره وارتضاه فاستمر فى خدمة حسنه حتى أتى عليه سنه
ونسى سيده عيبه وامن ريبه وجرب بالامانة يده وبالطهارة جيبه فلما مضى
عليه عام كان سيده فى الحمام فأتى البيت فى بعض الحوايج فى صورة الجمل
الهائج شاهقا ناشرا صائحا ثائرا صارخا واويلاه واسيداه وامولاه

فسئل

فسئل مالك لا أحسن الله حالك ولا أنعش بالك فقال رمح البغل بسيدى فانما لك أن تهالك وسلم الروح لخالقها وقال لوارثه تسلم مالك فأقيم العزاء والسخام وتركهم وأتى للحمام وهو يبكى وينوح ويصرخ ويصيح فسأله مولاه مادهاه فقال وقع البيت على كل من آويت ولم يبق فى الدار نافخ نار فهلك الكبير والصغير ونهب مافيها من جليل وحقير فخرج وهو يستغيث من حديث ذلك الخبيث فوجد أهل البيت سالمين ورأوه من الناجين فعزم على خباطه فذكر له ماسلف من اشتراطه ثم انه استقام ونسى هذا الكلام ومضى عليه عام فاستأنف ذلك الخبيث أمره العبيث وقال لامرأة مولاه ياهنتاه ان كنت نائمة فاستيقظى وخذى حذرك وتيقظى واعلمى أن نية صاحبك أن يلقى حبلك على غاربك لانه قد عشق عليك ونبذ حبل حلك اليك وتعلق قلبه ببنت رجل كبير ولا ينبئك مثل خبير وقد حملنى على نصيحتك الشفقه وما اسديت الى من احسان وصدقه فبادرى قبل حلول الباس ونزول الفاس فى الراس فاثرفيها هذا الحديث فاستشارت ماتفعله ذلك الخبيث فقال لو ظفرت بشئ من شعره لكفيتك مؤنة مكره وفكره فان لى صاحبا منجما واستاذا معلما يرقى الشعور ويجعلها فى البخور واذا وجد الى خيشومه مساغه ودخل البخور دماغه صار عبدالك على الدوام وحظيت عنده بالمراد والمرام وارتقيت الى اعلى مقام ولكن ينبغى أن يكون من شعر لحيته النابت على ترقوته قالت وأنى أصل الى ذلك وقاك الله شر ذالك فقال اذا نام وغرق فى المنام فاحلقى منه بموسى لتكفى الضرر والبوسى وأنا آتيك بموسى يحلق الشعور فافعلى ذلك من غير أن يكون له شعور فاتفقا على ذلك الاتفاق وأتاها بموسى حلاق ثم توجه الى مولاه وقد أضمر له مادهاه وقال أشعرت ياذا الفضائل أن زوجتك البديعة الشمائل تغير خاطرها عليك وتقدمت بالاساءة اليك ولولا أنك شفيق علىّ وعزيز ومكرم لدى ما أنبأتك من أخبارها بشى فانى أريد أن يكون ما أنهيته اليك مكتوما الى أن يصير عندك محققا معلوما وقد أرسل اليها من يخطبها واما لها عنك بما برغبها واتفق معها انها تقتلك وتستريح وتصبح فى فراشك وأنت ذبيح

وذلك يقوم بديتك وقد أرسل اليها من الجواهر والاموال أضعاف قيمتك
فان أردت مصداق هذا الكلام فتناوم عندها فى المنام ليزول الشك
باليقين وتحقق أنى من الصادقين فأثر هذا الكلام فيه وخاف من مكر
النساء ودواهيه فلما أقبل العشاء وأحضروا العشاء تناول من ذلك الطعام
ونهض الى الفراش لينام وأظهر بين القوم انه غرق فى النوم وغمض
عينيه وانحط وسال لعابه وغط فنهضت الزوجة اليه وفتحت الموسى
ودخلت عليه ومدت يدها الى لحيته ووضعتها على ترقوته ففتح عينيه
فرأى آلة الموت متوجهة اليه فما تمالك أن وثب عليها وجثم اليها وخرج
زمام تفكره عن يد تامله وتدبره وخطف الموسى من كفها وسقاها كاس
حتفها فلما رأى فوران الدم ادركه لاحق الندم وقد تبدل الوجود بالعدم
ووقع القال والقيل واشتهر امر القتيل وعلق فى شرك الاقتناص وعومل
فى صاحبه بالقصاص (وانما أوردت) هذا الكلام لتعلم انما هلاك الانام
وأوقعهم فى شرك الآثام والكفر والفسوق والحرام مثل الكذب
فى الكلام وهو لنا أوثق زمام ولجذبهم الى ما قصدناه من المرام احكم
خطام وأعظم حزام (فاستحسن) العفريت هذا الرأى واستصوبه
وأعجبه ما تضمنه من معان واستغربه (ثم قال) رأيت يا أصحاب من الرأى
الصواب أن أجتمع بهذا العالم الزاهد العامل العابد فى محافل غاصه
وأسأله عن مسائل عامة وخاصه وعن اسرار رقيقه الطالبه فيها بمجازها
والحقيقة وانا اعرف انه يفحم عن جوابى ويلجم عند أول خطابى فاذا عجز
عن جواب المسائل فى تلك الجموع والمحافل تحقق الحاضرون جهله فنبذوه
من أول وهله واعترفوا لنا بالفضل الوافر والعلم الغزير المتكاثر فصاروا
لنا اوداء والفضل ما شهدت به الاعداء ورجعوا عن اعتقاده ونفضوا
ايديهم من محبته ووداده وربما سعوا فى دماره وخراب دياره فيكفونا
أمره ويريحون عنا شره واقل الاقسام أن جماعة ذلك الامام اذا
رأوا ما لنا فى الفضل من تجاره وعلموا ان رأس مال امامهم الخساره التهوا
بالسهو وسهوا باللهو وانفضوا عنه وتركوه وهذا ان لم يكونوا سفكوه
وسكبوه كما فعل صاحب البستان بالمزرعة من الغدر والتفخيذ مع غرمائه

الاربعه فسال الوزرا عن غدير ذلك الغدر كيف جرى (قال) العفريت كان من تكريت رجل مسكين ينظر البساتين فى بعض السنين قدم قرية منين وسكن فى بستان كانه قطعة من الجنان فاكهة ونخل ورمان ففى بعض الاعوام أقبلت الفواكه بالانعام ونثرت للثمار ملابس الاشجار من الاذيال والاكمام فالجأت الضرورة ذلك الانسان أن خرج من البستان ثم رجع فى الحال فرأى فيه أربعة رجال احدهم جندى والآخر شريف والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف قد اكلوا وسقوا وناموا واتفقوا وتصرفوا فوافى ذلك تصرف الملاك وأفسدوا افسادا فاحشا خادشا وما رشا وناوشا وناكشا فأضر ذلك بحاله ورأى العجز فى أفعاله اذ هو وحيد وهم أربعة وكل عتيد فسارع الى التأخيذ وعزم على التفخيذ فابتدأ بالترحيب والبشاشه والاكرام والهشاشه وأحضر لهم من أطايب الفاكهه وطايبهم بالمفاكهه وسامح بالممازحة ومازح بالمسامحه الى أن اطمأنوا واستكانوا واستمكنوا ودخلوا فى اللعب ولاعبوه بما يجب فقال فى أثناء الكلام أيها السادة الكرام لقد حزتم أطراف المعارف والطرف فاى شئ تعانون من الحرف فقال أحدهم أنا جندى وقال الآخر وأنا رسول الله جدى وقال الثالث أنا فقيه وقال الرابع أنا تاجر نبيه فقال والله لست بنبيه ولكن تاجر سفيه وقبيح الشكل كريه أمّا الجندى فانه مالك رقابنا وحارس جنابنا يحفظنا بصولته ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته ويجعل نفسه لنا وقايه وينكى فى أعدائنا أشد نكايه فلو مد يده الى كل منا ورزقه فهو بعض استحقاقه ودون حقه وأمّا الشريف فان جده هدانا ومن النار أنجانا وقد ملكنا كرامة وحبا لقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقد تشرف به اليوم مكانى وحلت به البركة على وعلى بستانى وأمّا سيدنا العالم فهو مرشد العالم وهو سراج ديننا الهادى الى يقيننا فاذا شرفونا باقدامهم ورضوا أن نكون من خدامهم فلهم الفضل علينا والمنة الواصلة الينا وأمّا أنت يا رابعهم وشر جان تابعهم بأى طريق تدخل الى بستانى وتتناول سفرجلى ورمانى هل بايعتنى بمسامحه وتركت لى المرابحه أو لك على دين أو عاملتنى نسيئة دون عين الك على جميله وهل بينى

وبينك وسيله تقتضى تناول مالى والهجوم على ملكى ومنالى ثم مد يده اليه فلم يعترض من رفقائه أحد عليه لانه أرضاهم بالكلام واعتذر عما يتطرق اليه من ملام فأوثقه وثاقا محكما وتركه مغرما (ثم مكث) ساعه وهو على الخلاعة مع الجماعه وغامز الجندى والشريف على الفقيه الظريف فقال ايها العالم الفقيه والفاضل النبيه أنت مفتى المسلمين وعالم بمنهاج الدين على فتوالك مدار الاسلام وكلمتك الفارقة بين الحلال والحرام بفتوالك تستباح الدماء والفروج فمن أفتاك بالدخول فى هذا والخروج أفتنى ياعالم الزمان محمد بن ادريس افتاك بهذا ام النعمان أم أحمد بن حنبل أم مالك فسيح لك بذلك أما سمعت قول معز العلماء ومجلها ومذل الجهلاء لجهلها يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها واذا ارتكب مثلك هذا المحظور وتعاطى العلماء والمفتون اقبح الامور فلا عتب على الاجناد والاشراف ولا على الجهلاء الاجلاف ثم مد يده الى جلابيبه وأوثقه بتلابيبه فأحكمه وثاقا وآلمه رباقا فاستنجد بصاحبيه الى جانبيه فما أنجداه ولا رفداه (ثم جلس) يلاهى الجندى الساهى وغامزه على الشريف ذى النسب الظريف ثم قال أيها السيد الاصيل النجيب الجيد الحسيب لانعتب على كلامى ولا تستثقل ملامى أما الامير فانه رجل كبير ذو قدر خطير له الجمله التامه والفضيلة اللازمه وأنت ياذا النسب الطاهر والاصل الباهر والفضل الزاهر سلفك الطيب أذن لك فى الدخول الى مالا يحل لك أم جدك الرسول أفتاك باستباحة الاموال أم زوج البتول أنباك أن أموالنا لآل البيت حلال واذا كنت ياطاهر الاسلاف لاتتبع سنة آبائك الاشراف من الزهد والعفاف فلا عتب على الاوباش والاطراف ثم وثب اليه وكتف يديه ولم يعطف الجندى عليه ولم يبق الا الجندى وهو وحيد فانتصف منه البستانى كما يريد وأوثقه رباطا وزاد لنفسه احتياطا ثم أوجعهم ضربا وأشبعهم لعنا وسبا وجمع عليهم الجيران واستعان بالجلاوذة وأصحاب الديوان وحملهم برباطهم وعملتهم تحت آباطهم الى باب الوالى وأخذ منهم ثمن ما أخذوه من رخيص وغالى (وانما أوردت) ماجرى لتعلموا أيها

الوزرا

الوزرا أن التفخيذ بين الاعداء بالتأخيذ أمرّ من السهام فى تنفيذ الاحكام واحكام التنفيذ (وهذا) قبل تعاطى اسباب البيلسه وفتح ابواب الوسوسه فانه يقال فى الامثال عقدة تحل باللسان لا يوخرحلها الى الاسنان ونعم ما أرشد من أنشد

فكم عقدة اغنى اللسان بحلها * تراخت وقد أعيت نواجذ أسنان

(ثم قال) العفريت للوزير الرابع ماترى فى هذا الامر الواقع فقال حيث تردد الامر بين آراء مختلفة وأقوال متفاوتة غير موتلفه وأقيم على كل قبل برهان ودليل فتعدد النقل وتبلد العقل وعميت وجوه الترجيح ودرست طرق التصحيح فلا يمكن القول بأحدها ولا الميل الى مفردها فان ذلك ترجيح بلا مرجح وتصحيح بلا مصحح فربما يتصور الشئ خيرا وتكون عقباه شرا ويتوهم شرا فتظهر قصاراه خيرا (وقد قال) منزل الفرقان على أشرف جنس الانسان وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وكم من قضية يتصورها الفكر صوابا ويذهل عما تتضمنه من خطا مآبا وكذلك النفس تتصور شيأ بصفة وهو بالعكس ولذلك شاهد من وقائع الحس فليس على ذلك معول وشاهده قضية المضيف مع ولده الاحول (فقال) العفريت وكيف ذلك أيها الخريت قال الوزير أخبرنى شخص فاضل انه كان رجل كامل كريم الشمائل محبوب الخصائل مرغوب الفضائل غزير الثراء يحب الفقراء عذب الموارد مترصد للصادر والوارد لا يسأل الضيف من أين ولا كيف وهو كما قيل للضيف والسيف ورحلة الرجال فى الشتاء والصيف فنزل فى بعض الايام ضيف من أصحابه الكرام فزاد فى اكرامه وأحضر ماطاب من طعامه فلما رفع السماط ووضع للبسط بساط قال لضيفه الصديق عندنا قارورة من الشراب العتيق كنت ادخرته لنزلك واعددته لمثلك وما عندى سواها فان رأيت احضرناها وتعاطينا الراح لطلب الانشراح فانها مادة الافراح كما قيل

ومابقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله وتحمل جميله ودعاله وأجاب لسؤاله فاشار المضيف المفضل الى ولده الاحول وقال اذهب الى المقصوره فان هناك قاروره

وايالك أن تنكسر فان صدع الزجاج لاينجبر ومابناضيرها ولكن ماعندنا
غيرها فتوجه الى ذلك المكان فتراءى له قارورتان فرجع من وقته ونادى
لمقته أيها الاب المفيد هناك قارورتان فأيهما تريد فخجل من ضيفه وغضب
لئلاينسب الى اللوم والكذب فقال لابنه ياابن البظرا اكسراحداهما
وهات الاخرى فأخذ العصا وعبر وضرب أحدما كان تراءى للبصر فلم يكن
غيروعاء واحد وقد انكسر فخرج الى أبيه وهومن الفكرفى تيه وقال
امتثلت ماأمرت وأخذت العصا وضربت فانكسرت احدى
القارورتين ولاأدرى الاخرى ذهبت الى أين فقال يابنى ان الخطامنك
واليك والخطأفى ذلك كان من نظرعينيك (وانما أوردت) هذا المقول لتعلم
أيها الغول المهول ان أقوى طرق العلم العين واذاحصل فى ادراكها الخلل
والشين تراءى الصدق بصورة المين والشئ الواحد بشكل اثنين وهذا أمر
محسوس لاتنكره النفوس فكيف ترى تكون عين الفكر المصون وهى
بأنواع الحجب محجوبه وبتخيلات الوهم وقضاياه مشوبه ومرآتها انماهى
المعانى دون المحسوسة المشاهدة المبانى (فعلى هذا) ينبغى التامل فى عقبى
هذه الحوادث والتدبر فى قصارى هذه الامور الكوارث ثم الاخذ
فى تعاطيها والشروع فى اسباب تلافيها انما يكون بعد امعان الانظار وانعام
التدبر والافكار (ثم اعلم) أيها الرئيس الداهى النفيس شيخ المكر والتلبيس
والبياسة والتدليس أن الله القديم القادر الحكيم لم يخلق فى الموجودات
ولم يوجد فى المخلوقات اعزجوهرا من الانسان فانه فضله على جنسى الملك
والجان واختصه بدقيق النظر وعميق الفكر وسرعة الادراك فهو مع عدم
الحراك يحكم وهو ساكن على ماتحت الثرى وفوق الافلاك وشمله بعوائده
وعوده بفوائده ولطف به فى مصادره وموارده فهوارحم به من والدته
المشفقة ووالده ووكل بحفظه الكرام الكاتبين وملائكته المقربين ورباه
فى حجر نعمته على موائدلطفه وكرمه ورحمته كماتربى الوالدة الشفيقه
والظئر الرقيقة الرفيقه وألهمهم العلم الغزير والقدر الخطير والرأى والتدبير
وأطلعهم على غامض الاسرار ودقائق الافكار وان علمنا بالنسبة الى علمهم
وحلمنا فى القياس الى ثباتهم وحلمهم كنسبة علم الفلاح المغتر الى علم الطبيب

المعر
اف

المعبر بحسن النظر قال العفريت أخبرني بذلك ياشيخ المصاليت قال الوزير أخبرني شيخ كبير انه رأى في نومه فلاح كانه خرج من بطنه مفتاح فلما أصبح الصباح جاء الى رجل من أهل الصلاح يعبر المنامات وكان ذا كرامات فقص عليه رؤياه وطلب منه تعبير ما رآه فقال له يارئيس هذا منام نفيس لا أذكر ما فيه من تعبير الا بدينار كبير فحصل له بشاره فناوله ديناره فقال يولد لك ولد ذكر يكون سببا للفتوح والظفر وكان له زوجة حامل بقي لها أيام قلائل فولدت ابن غلام بعد ثلاثة أيام فاستبشر الفلاح بالظفر والنجاح ثم بعد مده حصل للفلاح شده من مرض آلمه وأصاب قدمه فجاء الى معبر المنام وشكا اليه الآلام وقال ألمي في قدمي ضاعف همي وأضعف همتي فقال له الطبيب لا بأس ياحبيبي هذا داء هين وعلاجه بين أعطني دينارا ثانيا أصف لك دواء شافيا فاعطاه ما اشتهى واستوصفه الدوا فقال ضمده بمجة بيض كثيرة الابزار وضع عليه عسلا مسخنا على النار ففعل ذلك فبرئت قدمه وزال بالكلية ألمه ففكر الفلاح في فعل المعبر الطبيب وقوله المصيب وأمره العجيب فانه بادني عبارة عبر المنام وبأوهى اشارة ازال الآلام فرأى الراحه في ترك الفلاحه والاشتغال بعلم الطب والتعبير فانه أمر هين يسير وبادنى أمر حقير يحصل المال الكثير فباع آلات الزراعه وعزم على تعاطي ما في الطب والتعبير من صناعه وجمع كتبا ودفاتر وكراريس محزمة منائر ووسع أكمامه ووضع على رأسه عمامة كغمامه وجمع عقاقير وأوراق وبسط بسطه في بعض الاسواق وأشار على لسان مخبر ان المكان الفلاني فيه طبيب معبر وهو استاذ الزمان وعلامة الاوان وتلامذته في الطب حكماء اليونان وفي التعبير ابن سيرين وكرمان وتصدر كابي زيد وساسان عاملا بما قاله شيخ البيان وهو

الطب اهون علم يستفاد فطر * بين الانام به طير الزنابير
واجمع لذاك كراريسا منثرة * وجملة من حشيش من عقاقير
وضع على الرأس بقيارا تدوره * كقبة النسر في وزن القناطير
واجمع معاجين من رب تخالطها * واسحق سفوفا وا كحال العواوير

وسم ماشئت من أسماء مغربة * كالسند والهند والسرحاو خنفور
وقل من الهند جا هذا ومن عدن * هذا وهذا اتى من ملك فغفور
وذا من البحر بحر الصين معدنه * وذا من البربر المدعو ببربور
فان رأيت بالاستسقاء ذا ورم * فقل تورم من لسع الزنابير
ان اقشعر فقل بردعراه وان * يحم قل حره وهج التنانير
وان أتاك مريض لاتخف وأشر * بما ترى من دواء دونه البورى
فان يعش قل دواءى كان منعشه * وان يمت قل أتاه حكم مقدور
كذلك الرمل والتنجيم خذه على * هذا المثال وخض فى علم تعبير
فان اصبت فقل علمى ومعرفتى * وفى التخالف قل ضد المقادير
وان رأيت فقيها فر منه ولا * تنطق يخطئك فى فسق وتكفير
وأنت تحتاج فى هذا وذاك الى * ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فاتفق أن زمام خليفة الانام رأى فى المنام شيأ هاله وغير حاله فحصل له فى رأسه صداع وفى فؤاده أوجاع فسمع بهذا الربع الجديد وانه استاذ مفيد فأرسل اليه وعرض ما رآه عليه فقال هذا منام يدل على خير وانعام وبقاء ذكر الزمام على الدهر والاعوام ولكن لا اعبر هذه الاحلام الا بدينار تمام فناوله دينارا وأظهر لذلك استبشارا فقال له ولد لك غلام بعد ثلاثة أيام فضحك الزمام من هذا الكلام وقال يا امام أنا رئيس الخدام طواشى بلا شى لا زوجة ولا سريه ولا آلة ولا شهيه فمن اين لى هذه السعاده ولا فرحت بحسن الحسنى فانى تحصل هذه الزياده فلا تسخر منى وكف كلامك عنى وأخبرنى بتعبير هذا المنام ودع عنك الملام فقال حقا أقول وأنا جربت هذا المقول وقد عبرت لك هذا التعبير ولا ينبئك مثل خبير فقال الزمام يا أخى دع هذا المقال فان وجود الولد منى محال وأنا رجل بى وجع ومابى فى منتجع فقال وماذا تشكو وألمك فى أى مكان هو فقال فى فؤادى أوجاع وفى رأسى صداع فقال يازين من فاخر أعطنى دينارا آخر أصف لك ايسر دواء يحصل لك منه العافية والشفاء فدفع اليه الدينار وطلب منه دواء الدوار ومابفؤاده من الم اورثه الوهج والضرم فقال يا أبا الفيض ضمد رجلك

بحجة بيض مضافا اليها عسل مشتار ولكن ذلك مسيخنا بالنار فاستشاط
الطواشى غضبا وفار كالنار شواظا ولهبا وعرف انه جاهل وعن طرق
العلم غافل فأدبه التأديب البالغ ورده الى ما كان عليه من منادمة السالغ
واستمر على كلاحته بعد رجوعه الى فلاحته وانما أوردت هذا المثال
يا غول الاغوال لتعلم اننا اذا اشتغلنا بمناظرتهم اشتغلنا فى محاورتهم
لانه فى دقيق الاسرار وعميق الافكار وتحقيق الانظار لا يقاوم أحد
جنس الانسان فكيف يستطيع الجان معارضة من ايده الله تعالى برفيع
المعانى وبديع البيان فاذا قابلناهم فى المباحث بالمعارضه تعود مسئلتنا
علينا بالمناقضه فلما رأى العفريت خور ذلك الصفريت وانه نكل عن
المقاومه ونكص عن المصادمه خاف أن تكون آراء الوزراء تبعا لرأيه
فى عدم لقائه وظنهم مستحسنين لدهائه مستصوبين لآرائه فأرخى عنان
الكلام ليقف على ما عندهم من مرام وكان عزمه المباحثه والمعابثه
والمباعثه والتصدى للاقدام والقاء المسائل بحضرة الخاص والعام
لكن مشى معه أمام الوزراء ليرى ما هم عليه من الآراء (فقال للوزير)
نعم ما قلت أيها الوزير والرأى ما اشرت من الرأى والتدبير فان الله تعالى
خلقنا من النار وطبعها الاهلاك والدمار واحراق كل رطب ويابس
وبارد وحار والظلم والخسار والافناء والجهل والبوار وطلب الرفعة
وعدم القرار وافساد ما تجده من غير فرق بين نفاع وضرار وخلقهم من
تراب واليه الاياب وطبعه الحلم والسكون والترابية والركون والعلم
والعدل والاحسان والفضل ومع هذا فلو خرجوا عن مادة ما جبلوا عليه
وتلبسوا بغير ما ندبوا اليه ولو أدنى الخروج وراعوا ما للمارج من مروج
لتحكمنا فيهم كما نختار ولعبنا بهم كما يلعب بالكرة الصغار ونحن اذا خرجنا
عن دائرة طبعنا وتخالفت أوصاف أصلنا وفرعنا ونقلنا الى دائرة الخير عن
جادة الشر أقدام صنعنا لا يقع لنا منهم صيد ولا يؤثر لنا فيهم سيف كيد
فاذا عجزنا عن الايذاء فى الظاهر لم يبق الا الاغواء من باطن الضمائر والتعلق
باسباب ما نصل اليه من الحيل البواطن والظواهر فقد قال الحكماء وأهل
التجارب ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوائب ومنى من ذلك بالعجائب

والغرائب اذا تصدى الانسان وقصد غريمه وعجز عن مقاومته فى الحكومة والخصومه فعليه بهدم ذلك الجبل بمغناطيس الخداع ومعاويل الحيل ويستعين فى ذلك باهل النجده وذوى البطش الشديد والشدّه فيتوصل بهم الى حسم ذلك الدا ولو كانوا أعداء غير أودّا فتسليط بعض الاعداء على بعض من ايمن سنة بل من أحسن فرض ولقد أحسن من قال

تفرّقت غنمى يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

ولا يوجد فى هذا الباب لجمع شمل الاعداء اوثق من تفريق الاحباب ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا وماقويت اعضاد الاسلام الا باجتماع كلمة الانصار والالتئام ولهذا قصد من نافقوا لما ترافق الانصار وتوافقوا أن يتشاققوا ويتفارقوا فأنزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا وهذا الفنّ يحتاج الى فكر عميق ومكر دقيق وعقل كبير وفعل كثير ومصيب رأى وتدبير وسلوك فى طريق اصطناع كما فعلت الفارة من الخداع فقال الوزير ينعم مولانا الباقعه بتحقيق هذه الواقعه فقال سمعت أن بعض التجار كان له بستان فى دار والى جانبه حاصل فيه المغل المتواصل وفى ذلك الحاصل وكر لشاطر من شطار الفار له عدّة منافذ والى الجهات طرق ومآخذ أحدها الى جهة البستان والبستان كأنه جنة رضوان فكانت الفاره ذات الشطارة والمهاره تأخذ من الغلات واطايب الطعامات مايكفيها غداء وعشاء صيفا وشتاء وفى وقت المصيف تخرج من ذلك المنزل اللطيف الى جهة البستان فتتمشى بين الغدران وتترقى الى أعلى الاغصان وتتمرغ فى المروج والرياض وتتبختر فى ظلال الدوح والغياض ثم تعود الى وكرها وتارز الى جحرها وكان عيشها هنيا وأمرها رضيا ومضى على ذلك دهرها وانقضى فى ارغد عيش عمرها ففى بعض الاحيان خرجت على العادة للتنزه فى البستان فمرّ بسكنها افعوان فرأى مكانا مكينا وسكنا حصينا بالاطعمة محفوفا وبطيب الاغذية مكنوفا فدخله واستوطنه وترك ماسواه من الامكنه فلما رجعت الفارة الى مكانها المألوف وجدت به العدوّ الظالم العسوف فاحاط بها من الامر المخوف مايحصل من الذئب اذا عانق الخروف

فاسرعت

فاسرعت الى أمّها وشكت اليها نوائب غمها وما دهمها من نوازل همها فقالت أمّها لاشك انك ظلمت أحدا أو وضعت على ماليس لك يدا او تعديت الحدود أو عاملت مغرما بالصدود فجوزيت باخراجك من وطنك وابعادك عن مقرك وسكنك ومن ظلم ضعيفا عاجزا سلط الله عليه قويا لا كزا وقد رأيت يا انسى فى حديث قدسى اشتدّ غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى فلا تطيلى الكلام ولا تتصورى أنك ترجعين الى مالك من مقام ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان فدعى تعب الخاطر واطلبى لك ماوى غير هذا المكان فتوجهت الى ملك الفار والجرذان وشكت ما بها من ذلك الشيطان وقالت أنا فى خدمتك ومعدودة من رعيتك عمرى على ذلك مضى وزمانى فى اخلاص العبودية انقضى وأبى كان فى خدمة أبيك وجدّى عبد جدك وذويك لم نزل فى رق الطاعه متمسكين بحبل سنة الولاء مع الجماعه كل ذلك لامر يدهم أو نازلة تقدم فنستدفع ذلك الخطب بخطابكم ونستكفى هول ذلك النازل بجنابكم والآن لقد وقعت حادثه بالالباب عابثه وبالافكار عائثه وللارواح كارثه وذلك أنى خرجت من مسكنى لطلب قوتى ثم رجعت الى مبيتى فوجدت ظالما قد استحوذ عليه وغاصبا قد دخل اليه وهو ثعبان مالى به يدان وقد ترامیت على جنابك أستدفع هذا البلاء بك فقال ملك الفار يا سائبة الاشفار من ترك ماله سائبا فقد جعله ذاهبا وقال ذووا الاعتبار واولو الابصار ينبغى بل يجب على الدزدار وحافظ القلعة والحصار أن تكون رجله ذات عرج وانكسار لئلا يكون دينار وجوده خارج الدار وأنت أيتها الفاره فرطت فى أمرك والمفرط أولى بالخساره وقد خاب منك المسعى لانهم قالوا أظلم من أفعى ومن ظلم الافعوان انه لا يكد نفسه فى حفر مكان وتهيئة مبان ومغان ولكنه حيث وجد مسكنا اتخذه لنفسه مقاما ووطنا وهذا قد عرف مكانك النزه وهو جبار شره فلا يزايله ولا يقايله ومن أين يلتقى مثل هذا الماوى وفى المثل عرف الكلب بيت العميا فالاولى أن ترتادى لك موضعا فتتخذيه مقاما ومرتعا فقالت الفاره وقد تأثرت لهذه العباره يا أيها السلطان وملك الفار

والجرذان فما فائدة خدمتي وانقيادي وطاعة جدي الكبير الابي
واذا كنتم في الدنيا لا تنفعونا وفي الآخرة لا تشفعون لنا ولا تدفعون
في الاولى صدمات الدواهي والبلا ولا تحمون الاوداء عن مواطئ اقدام
الاعداء ولا تدفعون في الاخرى نوائب الطامة الكبرى ولا تحلونا
بما لكم من الاستيلا غرف الدرجات العلا فاى فائدة لكم علينا ونعمة منكم
تسدى الينا وهل أنتم الا كما قيل في الاقاويل

اذا لم يكن لي منك عز ولا غنى * ولا عند ما يغتالني الدهر موئل
فكل التفات لي اليك تكرم * وكل سلام لي عليك تفضل

فقال ملك الفار يا قليلة الاستبصار العديمة العقل والافتكار اذا اجتهدنا
في ردك الى مكانك وكنا على الثعبان بجندك واعوانك فهل تسكين
يا مسكينة وبنت مسكين في أن الافعى تتوجه الى سلطانها وتخبره بشانها
وأنها أخرجت من مكانها وتستنصر باعوانه وتنتصر على سلطاننا بقوة
سلطانه وتستجيش وتستغيث وتغرى علينا ذلك الخبيث كما فعل الرافضي
العادى العلقمي البغدادي حين دعا التتار العظام لخراب مدينة
السلام ومن بعده الذميم نابذ الامام وقصد دمار ديار الشام ولا طاقة
لنا بعساكر الحيات ونحن في أحيائهم كعساكر الاموات فتذهب الاموال
والارواح وتتعب القلوب والاشباح ومع هذا الامر المعلوم حصول
القصد والظفر موهوم فبالله اتركيني واذهبي واطلبي لك مسكنا غيره
ولا تتعبي فقالت هذا منزلي القديم وميراثي عن سلفي الكريم وأين أذهب
وفيمن أرغب ان لم تغثني هلكت وانذهلت وانسلبت فقال لا تطيلي القول
فلا قوة لنا ولا حول فلما ايست الفاره المكارة الغداره تركت سلطانها
وذهبت وسلكت طريقها وانقلبت وأنشدت فارشدت

ابعين مفتقر اليك نظرتني * فحقرتني وقذفتني من حالق
لست الملوم انا الملوم لانني * انزلت آمالي بغير الخالق

ثم غاصت في بحر الفكر وتشبثت باذيال المكر واستعرضت على مرآة
أفكارها وجوه الحيل واستورت من زناد آرائها شرارت النظر في الجدل
وأخذت تطوف في أكناف البستان فعثرت في طوافها على ذلك الافعوان

نائما تحت ورده متطوقا في اهنى رقده فرقيت غصنا من الاغصان فلاح لها الباغيان قد سقى البستان وهو ثعبان متكئا في الرياض على مسكبة ريحان فاغتنمت الفرصة ونزلت اليه وقربت منه ودارت حواليه ثم وثبت على وجهه وكان نائما فانتهض مرعوبا قائما فذهبت واختفت وبذا القدر اكتفت فرجع ونام وغرق في المنام فدخلت في قيصه ورقصت فاستيقظ متعجبا منزعجا فرآها فهربت ونكصت ثم عادوا تكا بعد ما غضب واتكى فوثبت على وجهه وأدخلت ذنبها في انفه فنهض مستيقظا مجدا فرآها واقفة لا تتعدى فقصدها فهربت ثم رجع فابت وأتت فنام في مسنده فقربت منه وعضته في يده فانكته وآلمته واوهجته بما ضرمته فطفر من مرقده وأخذ غصنا بيده وقصدها وقد ذاق نكدها فهربت غير بعيد فرأى وجهها من حديد فتبعها فمشت ثم وقفت وارتعشت تطمعه في صيدها وهو غافل عن كيدها فتبعها وهي قائده حتى انتهت به الى الحية الراقده فعندما رأى الثعبان نسي أفعال بنت الجرذان فقتل تلك الافعى ولم يخب للفارة مسعى (وانما أوردت هذه الحكايه) لتقفوا منها على طريق النكايه وليعلم الضعيف اذا كان له أعدا كيف يوقعهم في مصايد الردى واذا استعمل اللبيب العقل المصيب والفكر النجيب وساعده في ذلك قضاء وقدر نال ما امل وأمن ما حذر وافلح أمره وانجح فكره وهذا اذا كان الضعيف مظلوما والقوى ظالما غشوما كما أنتم عليه مما توجهتم اليه من معاداة شيخ الشام المستحق للتبجيل والاكرام والتعظيم والاحترام فانه على الحق وأنتم ظالمون وقاصد الصدق وأنتم كاذبون يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فهذا أمر مشكل وداء معضل فأنى تصح ابدانكم وقلوبكم مرضى ومن يحبكم وأنتم محسوبون من البغضا وكيف تقتفون وأنتم على الباطل وفي أي ذوق يحلى ما منكم من عاطل وأنا أخاف أي اجلاف أن تسفر هذه القضايا بعد ارتكاب البلايا وتحمل المشاق والتعب باقتحام موارد الهلاك والنصب عما هو أشد وانكى واحزلعينكم وابكى كما أصاب (مضيف العراق) من زوجته زبيدة ذات النطاق

حين بدا منها الزنبور على حافة التنور فقال الوزير للعفريت افدناهذا الصوت ياذا الصيت قال نزل فى بعض الرستاق من بلاد العراق فقير نحيف على مسكين ضعيف وكان بعد أيام الخريف والبرد الشديد يقطع الحديد فبعد ما طبخوا وتعشوا سجروا النار ليتدفوا فبقى كل من الحضور يتدفا على جانب التنور فقعد الضيف مقابل زوجة المضيف فظهر من تحت نطاقها وجه ذلك الحر الظريف ولاح من تحت السجيف كانه قرص أو رغيف أو قند عسلى نظيف أو خد جندى نتيف أو القمر شق نصفين أو بدر لاح من تحت ذيل حنين فلما أحس بحرارة النار وظهر على وجهه الاحرار صار يتلمظ ويتحلى ولسانه من الحر والدفء تدلى فلمحه الضيف وهو يتثاءب فتمطى قائم رمحه ونحوه قام وتصاوب وقد قيل فى الاقاويل عضوان متعاونان وهما اليدان وعضوان مختلفان وهما الرجلان وعضوان متتابعان وهما العينان وعضوان متصاحبان وهما اليد والفم وعضوان متباغضان وهما الاست والانف وعضوان متوافقان وهما العين والاير وكان الضيف يسارقه النظر ويترشف شفاهه بلسان الفكر ويود فى مطالعة جبينه لو أتبع العين بالاثر وجعل يتغنى ويترنم ويهيم بهاية كلم

ليس فى العاشقين اقنع منى * انا ارضى بنظرة من بعيد

فتنبه امام هواه الهاجد وجعل يقوم ويقع وهو راكع ساجد ويسلم على محرابه أحسن التحيات ويتشهد رافعا اصبعه بالسلام والصلوات ثم غلبته الحيره فاخذ يجلد عميره فنظر صاحب البيت فراى الضيف غارقا فى ذيت وذيت مشغولا بكيت وكيت متأملا معنى هذا البيت

وعند الملتقى انكشف المغطى * تثاءب كسها ايرى تمطى

فاراد أن ينبه ربة البيدار على هذا العشار لتسترحالها وتغطى مالها بطريقة لايؤبه اليها ولا يقف ضيفها عليها فمد يده الى سفود وحرك به النار ذات الوقود فعلق من النار به فى الطرف وما شعر بذلك أحد وما عرف ثم لعب ساعة بذلك العود وأوصل فى خفية طرفه الى ذلك الشق المعهود لتتيقظ فتتحفظ فشوطها واحرقها وأحرق رأس السفود بظرها فالتامت

وانضمت

وانضبطت واحترقت واختبطت وتحركت بزعجة فضرطت فزادت
فضيحة العين فضيحة الانف والاذن ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة
والغبن (وانما أوردت هذه الحكايات) لتتأملوا فى الغايات والنهايات
فان من لا يراقب ما يأتى فى العواقب ما الدهر له بصاحب وهذا الرجل
الصالح القيم الراجح ما فاق اقرانه وساد أصحابه واخوانه الا بشئ
تقدم به عليهم وتحقق موجب تقدمه لديهم وذلك درجات العلم والعمل
فبذلك ساد الرجل وكمل وقال منزل الآيات وخالق البريات يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقد برع فى أنواع العلوم
واطلع على حقيقتها من طريق المنطوق والمفهوم وأنتم عن طريقه غافلون
وعن حقيقة ما هو عليه ذاهلون واعلموا أن طريقه واحدة وهى الحق
وطرقكم متعددة وكلها فسق وأتباعه على اتباعه متحالفون وأنتم
فى طرائقكم القدد متخالفون فقد قال الله تعالى فى محكم تنزيله وان هذا
صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال بعض
أهل الفضل وكلامه فى بيان الحق فصل ما ناظرت ذا فنون الا غلبته
وما ناظرنى ذو فن الا غلبنى وانما أخشى ان ناظرت هذا الرجل الكامل
الفاضل أن لا أحصل منه على طائل ويظهر فضله قصورى فينهدم بنيان
قصورى فقال الوزراء بعد أن اتفقت الآراء كلمة واحده متفقة
متعاضده نعم ما رأى مولانا الرئيس صاحب التدليس واسناد التلبيس
وأنجب أولاد ابليس ونحن أيضا يا باقعه نخشى عاقبة هذه الواقعه ولقد
جرى مثل هذا المجرى بين بزرجمهر ومخدومه كسرى فى قضية فاق فيها
الوزير مخدومه الكبير فسال العفريت وزراءه عن بيان ذلك الشان
كيف كان فقالوا بلغنا أيها الخناس الملقى الوسواس فى صدور الناس
أن بزرجمهر الوزير كان ذا علم غزير ورأى وتدبير وبديهة جواب تفحم
الكذ والتفكير وكان حكيم زمانه وعليم أوانه وممن فاق فى الفضل
والحكم سائر أترابه وأقرانه وكان مقربا عند مخدومه يزيد فى كل
وقت فى تكريمه وتعظيمه وتوقيره وتفخيمه ويصغى الى نصائحه وبعد
قربه من أعظم مناجحه ويصبر على كلامه الصادع ووعظه القارع

ونصحه القادح لما فيه من الفوائد والمنافع والحكم والبدائع وقد قيل من أحبك نهاك ومن أبغضك أغواك فكان الوزير يبادر قبل سائر الخدم فى وظائف الخدم ويجعل من الليل والظلم حتى كأنه يوافق النجم أو يسابقه فى الرجم ومع ذلك كل يوم يجد مخدومه راقدا فى النوم فيقرعه بالغفله وينقم عليه هذه الفعله ويعلن بالندا وينادى فى الملا فيقول افق يا محبوب وتيقظ حتى تظفر بالمطلوب فمن باكر نجح ومن غلس المطلوب افلح ومن تخلف فى النوم سبقه الى المنزل القوم وفاته المطلوب ولا يدرك المحبوب واترك لذة الكرى فعند الصباح يحمد القوم السرى وكان كسرى يجد لهذا الكلام أنواعا من الآلام لانه كان يطيل السهر الى وقت السحر عاكفا على المدام وسماع الانغام ومغازلة الغزلان ومعاقرة الندمان واحياء الليل عمر ثان فاذا نام واستراح امتد نومه الى الصباح فلا يوقظه الا عياط الوزير وصراخ ذلك الصائح النذير فلما طال عليه المطال وغلب عليه من ذلك الملال ارصد للوزير فى الطريق من منعه عن التبكير بالتعويق فتصدى له الرصد واعروا رأسه والجسد وأخذوا قماشه وسلبوا رياشه فرجع الى بيته مكرها ولبس ثيابا غيرها فابطأ فى ذلك اليوم وتخلف فى الخدمة عن القوم ولم يجئ الا وقد استيقظ كسرى من النوم وهو جالس فى صدر الايوان وحواليه مباشرو الديوان وسائر الوزراء والاركان وعامة الجند والاعوان كل فى مقامه ضابط زمامه فادّى بزرجمهر وظائف الخدمة على عادته ووقف فى مكانه مع جماعته فقال كسرى ما دعا مولانا الوزير فى هذا اليوم المنير الى التخلف والتأخير وترك التبكير وانشاده بالتبكير قول الشاعر الكبير

بكرا صاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

فقال ان الحرامى عارضنى أمامى وقصدنى فى ظلامى فأخذ شاشى وسلبنى قماشى ورياشى فرجعت الى كناسى وجددت زينتى ولباسى فهذا سبب تأخيرى وعدم تبكيرى وموجب تخلفى عن وعظى وتذكيرى فقال كسرى ما افادك التذكير الا الغرامة فى التبكير ولولاه ما سلب

القماش ولاذهب الرياش ولاقام الحرامى بالمعاش فاين الفلاح
فى القيام قبل الصباح فقال بزرجمهر فى الحال وقد اصاب فى الجواب ليس
ذلك كذلك ياامامى وانما بكر قبلى الحرامى ولم ابا كرانا بالنسبة اليه
فرجع فائدة تبكيره منى عليه فعجب كسرى من خطابه وسرعة بديهته
فى جوابه (وانما أوردت هذا القول) بين يدى امامنا الغول وشيخ
المردة المهول ليعلم ان كسرى وان كان عالما وفاضلا وحا كما اذعن لكلام
وزيره واتبع رأى مشيره وأنصف من نفسه اذ أدرك الوزير بفهمه
مالم يدركه هو بحسه فاسترسل معهم العفريت فيما هم عليه والتخاف
عمائدهم اليه وقال فبأى الحبائل نصيدهم وبماذا نكيدهم فقال أحد
الوزراء بالنساء فانهن زمارة المحن وطبل الفتن والطبل لايضرب تحت
الكساء هن اعظم وسائلنا وأحكم أوهاقنا وحبائلنا وناهيك ماقاله
العزيز العليم الذى جبلهن على غير تقويم وفطرهن على الكيدان كيدكن
عظيم وجعل كيدنا بالنسبة الى كيدهن ضعيفا فقال ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء ماتركت بعدى فتنة
أضر على الرجال من النساء وقال الولى ومن قدره الرفيع على

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال من أجاد فى المقال وشنف المسامع بالاقوال حيث قال

وماحز أعناق الرجال سوى النسا * وأى بلاء جاء الا لهن أهلا
فكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وانهن أشراك الاشراك وأوهاق الازهاق وأسواق الفساق ومصايد
المصائب ومراصد النوائب وحسبك ياذا الدها ماوهى ذلك الحكيم
حين سها واذعن لزوجة الرئيس اذ نبهته على ماعنه لها فسال العفريت
عن تلك الحالة وبيان مافيها من المقالة فقال ذكر أن حكيما من العلماء
وعالما من الحكماء اولع بضبط مكر النساء وشرع فى تدوينه صباحا ومساء
وصار يجول البلدان ويطالع لذلك كل ديوان ويكتب مايكون وما كان
ويحرر من ذلك الاوزان بالمكيال والميزان فنزل فى بعض الآناء على حى من
الأحياء فصادف ذلك التمييس بنت الرئيس فتلقته امرأة ظريفة ذات

شمائل لطيفه وحركات رشيقة خفيفه وقابلته بالترحاب وفتحت للدخول
الباب فأقبل عليها وترامى لديها فانزلته فى صدر البيت وأخذت معه
فى كيت وكيت كانهما معرفة قديمه وحديثة كريمه وكان زوجها غائبا
قد قصد جانبا فشرعت فى نزل الضيف لئلا تنسب الى بخل وحيف فاخذ
يطالع فى ديوانه ويسرح سوائم طرفه فى ظرف بستانه يشغل أوقاته
ويتفكر مافاته ليتعاطى اثباته فقالت له ضرة الريم ماهذا الكتاب
العظيم أيها الفاضل الحكيم فقال شىء صنعته وكتاب ألفته وهو
فى الغربة أنيسى وفى الوحدة جليسى فقالت ياذا الحكم والحلم مافيه
من فنون العلم فقال سر مصون وأمر مخزون ودر مكنون لايجوز
ابداؤه ولايحل افشاؤه فقالت ياذا الشكل الظريف والوصف اللطيف
والعلم المنيف هذا التعريف لايليق بالتصنيف فان فائدة التصنيف
الاشتهار وثمرة العلم الانتشار ودونك ماقاله الكئيب فى مخاطبة الحبيب

أذقنى من رضابك ياحبيبى * فما للشهد دون الذوق لذه

وما اخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى اخذ على العلماء أن يعلموا فقال
الامر كذلك يازين الامور ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور
فقالت ان الله الجليل الذات الجميل الصفات ذكر المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات ومامنع نساء الانصار الخيرات الاطهار أن يسألن
المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام على غسل المرأة فى الاحتلام
ولا أن يلجن معه المخاضه فى السؤال عن الحائض والمستحاضه فجمح
فى ميدان الامتناع واصر على الممانعة والدفاع وقال ياحصان هذا
سر يصان لاسيما عمن فى دينه وعقله نقصان فأغراها هذا المقال على
الالحاح فى السؤال وزادت فى اللجاج ومارت فى الاحتجاج وترامت
لديه وأقسمت بدلالة الدال عليه فقال هذا علم لم أسبق اليه جمعت فيه
مكر النساء ومن أجاد منهن ومن أساء ومن تعاطت لطائف الحيل وخفى
الفعل وخفيف العمل ومن دعت بدعاها حتى بلغت مناها ومن وقعت
فى الشدائد فاحتالت بدقيق فكرها لتلك المكايد وتخلصت من شرك
المصايد فلما سمعت ماقال ووعت صكت وجهها واغربت تقهقها

وتمايلت

وتمايلت تمايل القضيب وقالت سر غريب وأمر عجيب وضيعة عمر حاصل فيما لا تحته طائل وشغل سر وبال في جمع أمر محال لقد ركبت المشاق وكلفت نفسك مالا يطاق ونسفت الرمل بالكربال وغرفت البحر بالغربال ووزنت الطور بالمثقال وتحملت الدر بالاثقال فارجع عن هذا الغلط ولا ترم ذلك الشطط فان مكر ربات الخدور لا يدخل ضبطه بسفر تحت مقدور فقال لها انت غبيه وعن هذا الكلام غنيه وان كنت فاضلة زكيه انا قد بلغت في ذلك الغايه وأحطت به بدايه ونهايه ووقفت على مجمله ومفصله فلم يشذ عني شيء من آخره وأوله فسلمت وما تكلمت وغالطت وما بالطت وسارت وما مارت وفوضت اليه هذا التحقيق وسلكت معه غير هذا الطريق حتى كان هذا الكلام في هذا المقام شيأ فريا ونسيا منسيا ثم نزلت من برج المنازله وأخذت تلك الغزالة في المغازله وانتهى بها المقال الى هذا السؤال فقالت أيها اللبيب الماهر ما معنى قول الشاعر

يهددني بالرمح ظبي مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

فالرمح الواحد قامته والرمح الثاني ما حوته راحته وقل لي يا أبا الحرث ما هو الرمح الثالث فقال ذلك النبيه قيل ما يظهر من تثنيه فان هز لين اعطافه وسرعة انعطافه تراه العينان كانه رمحان وقيل ما يظهر من ذلك المهفهف عند هزه الرمح المثقف فانه يتراءى للعين الشكل الواحد اثنين ولهذا نظير في اليوم المطير وأحسن مثال عند رشق النبال وفي تدوير المحجن وفتل الصولجان عند سرعة الدوران وقيل كان معه رمحان فعده واحدا وهما اثنان وعندي يا دمية القصر انه ليس المراد الحصر وانما المراد التكثير يا ضرة البدر المنير لان عطفه كلما انهزهزه حصل في صدر المتيم وخزه ورمح قامته يتثنى ويتقصف فتارة يميل وأخرى يتثقف ولطعن العشاق يخطر ويتهفهف فالمتيم لا يبرح من قده في طعنات كما لم يزل من سهام جفنه في محزات ووخزات وهو من المجاز المرسل اذ المراد الطعن من ذلك الاسل وكان قصده أن يسرد الاعداد لا الى غايه

ويبالغ بها الى مالا نهايه فيقول ثان وثالث ورابع وخامس وسادس
وسابع فلم تسع القافيه يامن هى بوصلها شافيه ورضابها عافيه ونظير هذا
ياحره ان تستغفرلهم سبعين مره وليس المراد الحصر يارقيقة الخصر
ويا عين العين فى السبعين حتى لو زاد على هذا العدد لغفر لهم الواحد
الصمد بل المراد أنه لا يغفر لهم ولو زاد فقالت ياصاحب البيان وربه انما
عنى بالرمح الواحد زبه فأفصحت له بالكلام عما لها من مرام كانها ثالثة بنات
همام فخجلت عين الرجل واستحت لما أفصحت عن مقصودها وأوضحت
فقالت حييت وحييت لاتستح واصنع ماشئت فحركت بهذا الكلام
العابث من الشيخ الحكيم الرمح الثالث فمد اليها يد الفاجر العابث
وذهب لب ذلك الرجل الحازم وراودها مراودة العازم الجازم وصارت
تلك اللاعبه بين الاطماع والممانعه تتثنى وتتقصف فتارة تتثقف وأخرى
تتخسف وبينما هما فى المجاذبه والمداعبة والمطايبه وهى تنزو وتلين
وتصعب وتستكين اذ ترا آى لها زوجها من بعيد فقالت جاء زوجى وهو
عنيف عنيد فسلب القرار وطلب الفرار ووقع ذلك الحكيم النبيه
فى فتنة فيها الحليم سفيه ودهمه ما هو أهم مما هو فيه من دواهى العشق
ودواعيه ونسى العشق والعشيق وطلب الخلاص من المضيق وأظهر
صورة حاله ماعناه الشاعر فى قاله

سألت مجربا طبا عليما * خبيرا بالوقائع مستعاذا
وقلت الشهد أحلى أم رضاب * أم النيك الذى للروح حاذى
فقال وحق ربى النفس أولى * اذا جر الجزاه ذا وهذا

واشتغل الحكيم بنفسه وخاف حلول رمسه وكان فى طرف البيت
صندوق مقفل عليه ستر مسبل ففتحت له الصندوق ورعت له باخفائه
عن زوجها الحقوق وأمرته بولوجه ليكفى من زوجها شر خروجه فشكر
لها صنعها وامتثل وانسل الى ذلك اللحد الضيق ودخل فقفلت عليه أغلاقه
وأحكمت وثاقه ثم تلقت زوجها بالترحاب ودخلت معه فى الاطعمة من
كل باب وقدمت له ما اكل وانسدحت له فركب وركل ثم قالت اخبرك
ياحبيب بوقوع أمر غريب وحادث بديع عجيب وهو أنه قدم حكيم

فاضل حليم عالم عظيم فأكرمت نزله وبوّأت منزله وكان معه كتاب فيه
العجب العجاب فسألته عما حوى فقال مكر النسا فقلت له هذا شئ
لا يحصى ولا يحصر ولا يجمعه ديوان ولا دفتر فلم يسلم الىّ ولم يعول على
ذكر أنه أنهاه ولم يدع من مكر النساء فنا الا أودعه اياه فاوسعنى الا انى
غازلته وداعبته وهازلته فطمع من لين محاورتى فى حسن مزاورتى
وطلب منى ذلك العقوق ماهو أعز من بيض الانوق وبينا نحن فى العيش
الرغيد واذا بك أقبلت من بعيد كل ذلك والحكيم يسمع قولها وماتخبر به
بعلها فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب وزمجر واصطخب وقال وأين هذا
الفاسق الفاجر المنافق والله لاذيقنه كاس التلف ولالحقنه بمن سلف فلم يبق
فى الحكيم مفصل الا ارتجف فقالت ها هو فى الصندوق مختفى فخذ ثارك
منه واشتفى فنهض وصاح هات المفتاح فعلم الحكيم أن عمره ذهب وراح
وكان سبق من زمان بين الزوجين عقد رهان انه من فتح منهما الصندوق
غلب وأقام لصاحبه بما طلب فلما ذكرت له حكاية الحكيم ندعنه عقد
الرهن القديم وذهل لشدة الغيره ووفور الحيره وتوجه الى الصندوق
فبمجرد ما فتح القفل المغلوق صاحت عليه غلبتك يامعشوق فأد ما ثبت لى
عليك من الحقوق فتذكر عقد المراهنه ولم يشك أن كلامها كان مداهنه
فضحك بعد ما كان عبس وألقى المفتاح من يده وجلس ولعنها ومكرها ولعبها
وفكرها ثم اصطلحا وانشرحا وزاد انشاطا ومرحا ثم خرج فى ضروراته
وتوجه الى حاجاته فأقبلت تلك العروس الى الحكيم المحبوس وأفرجته
من الاعتقال وذكرت له هذه المناقلة والانتقال وقالت أيها الحكيم
العظيم هل كتبت هذه المناقلة فى كتابك الكريم فقال لا والله الرحمن
الرحيم وانى قد سلمت اليك وتبت الى الله على يديك (وانما أوردت هذا
المثال) لاعرض على شيخ السعالى وامام الاغوال أن النساء فى هذه
الحركه أعظم متشبث وأقوى شبكه وهن لسلب اللب من الرجال أضعاف
فتنة المسيح الدجال خلقهن اعوج وخلقهن اهوج ورأيهن غير سديد
والرجال لهن اذل عبيد وان كن ناقصات عقل ودين فهن الكاملات
فى سلب العقل المتين والفكر الرزين وأذهب للب الرجل الحازم والعقل

السديد الجازم وهل أخرج آدم من جنة المأوى الاقصة صدمته من قبل حوى وماقتل هابيل قابيل الابفتنة الزوجة كما قيل وكذلك قصة من أوتى الآيات فانسلخ منها وقد عرف كل ذلك ابداهو وانها وغالب من عصى الله وأساء انما كان سبب كفره واخزائه النساء فلاتعترضوا على هذا الرأى المتين ولاتتعرضوا لهذا الرجل فانه على الحق المبين ولاتقصدوا المعارضته وسؤاله فربما يكون مجالكم أضيق من مجاله وانا لانقدر على مناقشته ويظهر جهلنا وعجزنا عند مباحثته فقال سائر الوزراء هذا الرأى أصوب الآراء فانا الى الآن ما بارزناهم بالمخاشنه وانما كنا نأتيهم بالمخادعة والمحاسنه فنزين لهم الباطل ونحلى لهم العاطل ونشوه وجه الحق ونسود طلعة الصدق الى أن ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك فوقف فى طريقنا وأراهم الدرب السالك وعلا شانه ووضح برهانه ونحن على مانحن عليه من الاغواء والقائهم فى مهاوى الاهواء والحرب بيننا وبينهم سجال فلو كاشفناهم بسوء الفعال انكشف لهم زيف نقدنا وبطل ما كنا نسوله بجهدنا فاذا ظهر الحق من الباطل وتميز الحالى من العاطل اخذوا حذرهم وضبطوا أمرهم وداروا بالعداوه ومرّوا بالملوحة بعد الحلاوه ثم ظفرنا بهم موهوم ونصرنا عليهم غير معلوم فما الظفر الا بالندامه ونرضى اذ ذاك بغنيمة السلامه ويستمر هذا العار علينا الى يوم القيامه وقد قيل

لاتسع فى الامر حتى تستعد له * سعى بلا عدة قوس بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا وطار شرر الهذا اشتعالا ولهبا وقال لقد عظمتم من شان الانسان وأوهنتم بل اهنتم جانب اخوانكم الجان وضيعتم حقوق الاخوان وأبطلتم حكاية السعالى والغيلان ونسيتم فتن جدكم الاعلى الباقية على ممر الزمان ونحن أدق حيله وأجل جماعة وقبيله وأوسع ذكرا وأسرع مكرا وأقدم وجودا وأعظم جنودا وأغزر علما وادرا كاوفهما ولاأرى لكم همة صادقه ولا عزيمة موافقه وأنا ما قلت لكم ما تقدم من القول الالاخبر ما فى فرائص علمكم من الرد والعول فلا أقوالكم سديده ولا أفعالكم رشيده ولقد حل بكم الصغار وسطا بكم من الانس الصغار وأما أنا فلابد لى من المباحثه

والمناقشة

والمنافسة والمنابذه والالقاء للمسائل والابحاث فى الرسائل من غير وسايط ولا وسائل ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينه فاعلموا ذلك وتحققوه ثم أمعنوا النظر فيه ودققوه وهذا هو الرأى الذى صممت عليه فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه ويدلى فى ذلك غثه وسمينه ويلق هجان قوله وهجينه ولا يدخر شيأ من آرائه فلا بد لى من القائه واعلموا أن الوادى الخرار الذى هو الى جهة جار لو اتفقت الآراء على صرف جريانه الى جهة أخرى وأن يسد عن هذه الجهة المجرى فانهم لو قصدوا ذلك من أسفل الوادى لسخر منهم الحاضر والبادى ولا يتهيأ لفاعله ما يتمناه حتى يسد طريق الماء من أعلاه وأنتم ان قصدتم معالى الامور واهلاك رؤس الجهور ثم تعمدتم الاراذل وتبدلتم الاكابر بالاوغاد والاسافل فانكم اذا اغمار وقد ضيعتم فى غير حاصل الاعمار وقد قيل

اذا كنت لا بد مستتربا * فمن أعظم التل فاستترب

وما اللجين كالرصاص والجروح قصاص ولا يكافأ الرئيس الا بالرئيس ولا يقابل النفيس بالخسيس وأى فخر للملوك اذا نازلوا السوقة والصعلوك وقد قيل

ألم تر أن السيف يزرى بقدره * اذا قلت هذا السيف أمضى من العصا

وما اكتفى صناديد قريش يوم بدر بدون أكفائهم فى النسب والقدر وماذا تفيد بياستكم وتجدى شيطنتكم ووسوستكم وأنتم أولو الزعاره وذووا الشطارة والدعاره اذا قهرتم من الانس وعلاكم أضعف جنس وهم اقصر أعمارا ونحن أطول أطوارا لم نزل نصادم الجبال ونقتحم الاهوال ونظهر كما شئنا فى باب الخيال ومن قبل جدنا اللعين جادل رب العالمين فقال فى حق جدهم أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقال لاغوينهم أجمعين وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن أقوى منهم وأجرى وأعرف بطريق الخبث والمكر وادرى وبالجملة الحكم على الشئ فرع عن تصوره والشخص لا يحكم على شئ الا بعد تصوره وتقرره وهذا الانسان الى الآن لا سبرناه ولا خبرناه

ولاعرفناه ولاعرّفناه فكيف تقطعون له بالغلبه وتفصلون علينا مصيره
ومنقلبه وان لم تفصحوا بالعباره فقد دللتم على ذلك بالاشاره وكنيتم عنه
بالتلميح والكناية أبلغ من التصريح هذا ونحن كم قد اضللنا من حكيم واذللنا
من عليم وأفسدنا من عقائد وعقدنا من فسائد ونصبنا لهم من مصايد
وأرصدنا عليهم من مراصد وابطلنا من طاعات وعطلنا من خيرات
واخللنا من صلوات واحبطنا من زكوات ومنعنا من حجات وصدقات
وضيعنا من ميراث ونفقات واسقطنا من أعمال صالحات وكم لنا في الشر
من سوق ومن سوق الى فسوق والقاء في حرام وتسربل بمظالم وآثام
وكم لنا من احكام احكام على القضاة والحكام يستحلون بها السحت
والحرام ويأكلون بها أموال الايتام ويستبيحون بها الدماء والفروج
وكم دخلنا فيهم فأخرجنا منهم الاسلام اخفى خروج وكم لنا فيهم من
مصائب لعصائب وحواصب مناصب وكتائب نوائب وعجائب
نواهب وغرائب نوادب نسلبهم بها دينهم ونمنعهم اعتقادهم الحق
ويقينهم وكم لنا في سكونهم الى الطاعات من حركات وفي ركونهم الى الخيرات
من سقطات وكم لهم الى الطاعات من هم فبردتها وساوسنا فحصل منها
في أحشائهم الضرم وفي وجود خيرهم العدم وفي صحة ايمانهم السقم
وفي شباب صدقهم الهرم وفي سكون امانهم الضربان والالم وفي دائرة
حلالهم الحرام والحرم وكم وكم وكم وكم ونحن الآن على ما كنا عليه وهو
الذي طبعنا عليه وندبنا اليه دأبنا عن الحق اضلالهم وعن الصراط
المستقيم ازلالهم والى الباطل دلالتهم وادلالهم نزين لملوكهم الاجتراء
ولكبرائهم الافتراء ولرؤسائهم الازدراء ولعلمائهم المراء ولزهادهم
الريا ولتجارهم الربا ولامرائهم سفك الدما ولنسائهم السلاطة والزنا
ولخواصهم الغيبة والنميمه ولعوامهم الخوض في كل جريمه وللمشايخ
قول الزور ولنسائهم الوقاحة والفجور وهذا دأبنا ودابهم ولم تزل اوهاقنا
ورقابهم فان قلنا نصل بهم هذا الواصل فان هذا تحصيل الحاصل
وان قلنا نستأنف عملا جديدا فانا لم نترك في ذلك ما يبغى مزيدا وقد بلغنا
في ذلك كله الغايه وها نحن ملابسون منه ما ليس وراءه نهايه ولم يبق

الا المقابله فى المقاتله والمباشره بالمكاثره والمفاتحه فى المقابحه
والمكالحه فى المناكحه فلما سمع الوزراء هذا الكلام عرفوا أن أسباب
دولتهم آذنت بانصرام غير أنهم لم يقدروا على المخالفه فما وسعهم
الا المطاوعة والموالفه لئلا ينسبهم الى غرض فيصيبهم منه عرض او مرض
فحسنوا له رأى المصادمه ومباحثة العالم والمقاومه واتفقت الآراء
أن يرسلوا للعالم اولا وانتخبوا من يصلح أن يكون مرسلا فيحمله العفريت
فى الرساله ما تتضمنه من الحماسة والبساله حسبما يراه رأيه التعيس
وفكره المدبر الخسيس وكان فى شياطينه المرده وغيلانه العتاة العنده
عفريت من الجن مارد مسن اسمه صن بن مصن قد اضل عقائد وأزل
قواعد وأشرب بغض بنى آدم وغمس طائفة منهم فى نار جهنم بعد
ما غطسهم من المعاصى فى يم لا يمنعه وجوم عن الهجوم ولا يخاف الرجوم
من النجوم طالما طال البوائق فى المغارب والمشارق وأضرم نيران
الافساد بين الخلائق وملأ ما بين الخافقين من مواقع الصواعق وفوح
نتانة الوساوس وفساء الظربان فى المجالس وانقض للشر والفتن على كل قائم
وجالس فكم له توفيق بين الحرامين وتفريق بين الحلالين وسفك دماء بين
الاخوين والقاء للبغضة بين المحبين والعداوة بين الالفين والعربدة بين
السكارى والحروب بين المسلمين والنصارى وبالجملة فقد أوتى من الوسوسة
والتلبيس صنوفا كثيرة فاق بها على ذرية ابليس فانتدبه العفريت المسلم
الى هذا الامر المهم وامهلاه الى أن انسلخ اهاب الضو ثم طارا فى عنان
الجو حتى وصلا الى سفح الجبل متعبد ذلك العالم البطل الذى
ملأ الدنيا بالعلم والعمل ثم كمن العفريت فى مغاره وارسل رسوله بالسفاره
يقول أبلغ عالم الانس صاحب الكرامات والانس ومقرب حظيرة
القدس عن شيخ العفاريت الطغاة المصاليت انى من قديم الزمان
وبعيد الحدثان اضللت كثيرا من الناس بالمكر والخداع والوسواس
وفى أمثالى نزلت قل أعوذ برب الناس وابن عمى هو الوسواس الخناس
وكان من جنس بنى آدم كذا كذا ألف عالم خدامى ومعى وجندى
وتبعى منهم رؤس الزهاد وعلماء العباد وعلى محبتى مضوا وباتباع

أوامرى قضوا فانا فتنة العالم وأعدى أعداء بنى آدم الشيطان الرجيم
وابليس الذميم اسم ذاتى ووصف صفاتى انا مقتدى الشياطين ورأس
العفاريت المتمردين ومحل غضب رب العالمين خلقت من مارج من نار
وطبعت على القاء البوار والدمار رجوم النجوم انما اعدت لاجلى وعتاة
الغواة لاتصل رؤسها الى مواطئ رجلى الامن خطف الخطفة فاتبعه شهاب
ثاقب آية منعتى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم طراز خلعتى أأسجد
لمن خلقت طينا مقام مقالى لاحتنكن ذريته الاقليلا لامجال جدالى لعنه
الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا منشورى القديم يعدهم
ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا مرسومى الكريم الشياطين
تستمد من زواخر مكرى والاعور اللعين يقتبس من ضمائر فكرى لم تمر فتنة
فى الزمان الغابر الاولى الشركة فيها ولا حدثت محنة لنبى ولا ولى الاوانا
متعاطيها جدى ابليس نهض بجدى التعيس والى نحو آدم هوى فعصى
ربه فغوى وأنا قضيت بالتسويل حتى قتل قابيل هابيل وحات بقوم
نوح عن النصوح وارشدت المجوس الى عبادة النار ووضعت النواوس
واضللت عادا وثمود وشدادا ونمرود وبعثت على عبادة الاصنام فى البيت
الحرام وعلى كيفية القاء ابراهيم فى نار الجحيم وهديت قوم لوط الى
الخوض فى اللوط ومحاذر القلوط وسولت لاولاد يعقوب وحاولت
فى قضية أيوب وتصديت لام اسمعيل وعارضت ابنها وهو مع الخليل
وأنسيت يوشع قصة الحوت وساعدت على صاحب الحوت وجلست
بالعصيان على تخت سليمان وحضرت وقعة طالوت وساعدت عليه
جالوت وأنا كنت العون لهامان وفرعون وبحسن ضبطى قتل
موسى القبطى وانا فتنت داود واغويت قارون واليهود وسلطتهم على
الوالدة والمولود ودللت على نشر زكريا وذبح يحيى وجرأت على قتل
الانبياء والاوليا وتوصلت بتزيين الوسواس لقاتلى الذين يأمرون بالقسط
من الناس ودعوت الى عبادة العجل قوم موسى وساعدت فى التفريق
والاضلال بين امة عيسى وكم اغويت من رهبان بما زخرفت من صلبان
وقد بلغنى من جميع مسترقى السمع وطن على اذنى ووعاه خاطرى ووقر فى ذهنى

وانا

وانا اشارف النجوم واسارق النجوم واسابق الرجوم أن لى اسماء تذكر
فى السماء منها الغليظ الرقبه وشيخ نجد وازب العقبه والمقيم فى الدست
البيضه والغوى على نقض عهد بنى قريظه والمحرض على احد وبدر من
الصناديد كل جليل القدر والمشهور فى احد بالندا والملقى العرب بالردة
الى الردى وانا المتسبب فى قتل عمر وعثمان واهلاك على أمير الشجعان
والغوى فى وقعتى الجمل وصفين والملقى الفتن بين جنود المسلمين وان شرى
سرى الى يزيد وفاض للحجاج والوليد وبى تكثر البدع بين الجماعات
والجمع ويظهر من الفتن مابطن ويغلب من التتار وأهل البوار
والخسار أنواع الشرور والجدال الى حين يظهر الدجال وتستمر الى هذه
الامور الى يوم البعث والنشور وبالجملة والتفصيل اناشيخ التكفير
والتضليل وتلك صنعتى من الابتداء وحرفتى الى الانتهاء ثم انك تبعث
فى هذا الزمان وظهرت فى هذا المكان تريد أن تهدم مابنيته وتعوج
بصلاحك مابفسادى سويته وترد كلامى وتعاكسنى فى مرامى وانا كنت
فى قديم الزمان من قبل أن توجد انت فى المكان ناديت بين بنيه وشهرت
فى ذويه قولى

كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وقامروا
وهيا اسرقوا سرا وخوضوا الدما جهرا
ولا تتركوا شيا من الفسق مهملا
مصيركم عندى الى الجنة الحمرا

وكانوا قد سمعوا وأجابوا وأطاعوا وأنابوا وشملى بهم منتظم وأمرى
بتفريق كلمتهم ملتئم اسهم مرامى المشومه نافذة فى المشارق والمغارب
وسيوف مناشرى المسمومه قاطعة فى الاعاجم والاعارب كم لى فى الاطراف
والآفاق والاكناف من قاض ونائب ومانع من الخير حاجب وأمير
وصاحب ووزير وكاتب ومشير وحاسب وجليس ونديم وتابع وخديم
وناظر وعامل وناقص وكامل وكم لى من جابى منوط بتفريق قلوبهم وجمع
سويدائها الى بابى وكم لى فى المدارس ذووساوس وفى الجوامع والبيع
والصوامع من مذكر وواعظ وامام وحافظ ومقرئ وعابد وشيخ وزاهد

وكم لى فى الزوايا من خبايا وفى أصحاب الروايات من درايات وفقيه
فى النادى فاق الحاضر والبادى يعلم لى فى الشيطنة أولادى وفى البلاسة
حفدتى وأجنادى وأما سائر الفساق فى الآفاق وسكان الاسواق
وقطان الجبال والرستاق ورجال الصحارى والارواق فكلهم لى عشاق
والى دينى مشتاق وسل عنى أرباب الحانات وسكان الخانات وبالجملة
غالب الطوائف وأرباب الوظائف على باب خدمتى واقف وعلى طاعة
مراسيمى ليلا ونهارا عاكف مناى مناهم ورضاى رضاهم وان خالف
بعض سرتى نجواهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وأنت
الآن جئت برايتك وسالوسك وطامتك وناموسك تبدد عنى عساكرى
وتشرد من بنى الانس عشائرى وتشتت جموعى وتخلى من الفسق والفساق
ربوعى من غير أن تشاورنى ولا تخبرنى ولا تحاورنى ولا تبحث معى
ولا تناظرنى وها أنا قد جئت اليك ونزلت كالقضاء المبرم عليك أريد
أن اناظرك فى أنواع من العلوم واسألك عن حقائقها من طريق المنطوق
والمفهوم بحضرة من الجن والانس وسائر نوع الحيوان والجنس فيظهر
اذذاك جهلك فينبذك قومك وأهلك ويترك معتقدوك ويتراجع عنك
مريدوك وأفسد بين العالم صيتك وأتلفه فاجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه فلما وصل رسول العفريت الكافر الصفريت الى الشيخ العابد
والعالم الزاهد الجاهد المجاهد فعندما وقع نظر الشيخ عليه ووصل سهام
لحظاته اليه كاد أن يذوب كالملح وأن لا يقوم الفساد للصلح فبهت الذى كفر
وأخذته الدهشة والخور وغلب عليه الانبهار وكاد يحترق من الانوار
واستولى عليه الرجيف وسقط من الوجيف فما ابدى ولا اعاد ولا قام
للصلاح ذلك الفساد فقال له الشيخ مالك وما احالك وغير حالك
وما موجب دخولك علىّ وأنت غير منسوب الىّ فقال كف عنى أنوارك
واطوعنى أسرارك حتى أقول فانى رسول فمالى طاقة برؤيتك ولا سواغ
وما على الرسول الا البلاغ فقال رسول أىّ طعين وشيطان لعين فقال انا
رسول محبك العفريت المشقوق الحوافر الواسع المناخر المسلوب المفاخر
أبى المعالى الكافر العالى قد اقبل اليك فى جمع كثير وعدد من الجن

غزير

غزير ومعه رؤس العفاريت والعتاة المصاليت والطغاة المفاليت وقد حملنى
اليك رساله تتضمن من الخبث شجاعة وبساله ان شئت اديتها وان ابيت رددتها
فقال قل ماتريد وأبلغ مامعك عن ذلك العنيد واوجز ماتقول ولعن
الله المرسل والرسول فأبلغ الرسالة واداها وأسال فى اوديتها مؤداها فقال
الزاهد وكان بالاحوال خبيرا واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله مالكم شبه فى هذا الكيد الا
الحمار فى الوحل والحمام فى شبكة الصيد قل لمرسلك ارى قدمك أراق دمك
وهواك اهواك وافعالك افعى لك وسوالك اسوالك وخبالك اخبى لك
فاولى لك اولى لك ولعن الله اولى لك لاشك أن الله تعالى اراد دماركم وأن
يمحو آثاركم ويخلى دياركم فتستريح البلاد من فسادكم والعباد من
عنادكم أما انا فأذل الخلق واحقر الداعين الى الحق ولكن بعون الله
وقدرته والهامه وقوته لى من العلم والفضل ما أجيبه وبقتله من خوفه به
وجيبه وسيظهر فى الجمع على رؤس الاشهاد عويله ونحيبه وسيبين الله
فى سنن الخلق فروضه ويكشف صحيح الحق ومريضه واذا ادعى بدعاوى
طويلة عريضه فان الله تعالى قتل نمرود العاتى ببعوضه يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أما سمع ذلك الملعون
وعلم الشقى المغبون انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمتى اراد يحضر
ويسبر نفسه وخصمه ويختبر ويصحب معه من يريد من كل جنى عنيد
وشيطان مريد فان الحق يحق فيبطل الباطل ويتميز فى حلبة السباق الحالى
من العاطل فرد هذا الجواب الرسول وكشف عن حقيقة المقول
ثم ان العفريت المخذول سأل الرسول عن أوضاع الشيخ الزاهد وأحواله
فى المساجد والمشاهد وماشاهده من أموره وحكاياته وحركاته وسكناته
وأخلاقه ومعاملاته وكيفية هيئته وصورته وماشاع عنه فى
قومه من سيرته فقال رأيت رجلا سعيد الحركات كامل البركات
صورته جميله وأوصافه نبيله وهيئته جليله بدنه نحيل وفضله عريض
طويل وكلامه الصادع فى أمثالنا ثقيل قاطع فقذف الله فى قلبه الفزع

وأخذته نوافض الرعب والهلع فقال أما والله ان هذه الاوصاف اصعبة
الاعراق والاعراف وستطرحنا وراء جبل قاف وانها لسيمة الصلاح وعلامة
الفوز والنجاح وانهم لهم المنصورون وحزب الله الغالبون ولقد ندمت
على مراسلته وكان الاولى سلوك طريق مجاملته ولكن الشروع ملزم
ولابد أن أتمم ما عليه اعزم فواعده الى وقت معلوم ثم انه حضر وأحضر
معه من جنده كل جني ظلوم وعفريت غشوم ومتمرد مشوم ومخلوق من
قبل من نار السموم واجتمع من بني آدم عند الشيخ تلامذته وأصحابه
الصالحون وجماعته وكانوا الجم الغفير والجمع الغزير واشترطوا بعد
ما خبطوا واختبطوا وحلوا وارتبطوا انه ان أجاب الشيخ سؤالات
العفريت وسرى في نارهم سريان النار في الكبريت لا يظهر بعد ذلك
اليوم لبني آدم أحد من اولئك القوم بل يكونون عن الابصار مختفين
وتحت الارض في الجزائر والخرائب كزنادقة بغداد مستخفين وان عجز الشيخ
عن جواب سؤاله يهلكه العفريت مع خيله ورجاله ثم شرع العفريت
في الرسائل والقاء المسائل فقال العالم على كم قسم بالعرض والجسم
وهل للعالم موجد وهل هو واحد او متعدد فقال الزاهد الامام العالم
على ثلاثة أقسام * الاول مفردات العناصر كالتراب والماء والنار والهواء
وتسمى الاستفاضات واصول الكائنات والمركبات من هذه الاجزاء المفرده
لا تستمر على حالة واحده ولا تخلو من حركة وانتقال ودأبها التغير من حال
الى حال * الثاني الاجرام العلويه كالسموات وكواكبها المضيه وهي
متحركة بالبروج وحركتها دائرة ما لها من مركزها خروج فهي متحركة
من بعض الجهات ساكنة كالفصوص في المرصعات وتوصف في حركتها
بالصعود والهبوط والارتفاع والسقوط والرجوع والاقبال واستقامة
الحال والاحتراق والانصراف والانحطاط الى الحضيض والاشراف
ويحكم عليها بالافتراق والاقتران والتربيع والتثليث والتسديس
في الميزان والمقابلة في الرجعه وبطء السير والسرعه وينسب اليها
ما يحدث في العالم السفلي من جزئي الوقائع والكلي ومن نحوسة وسعاده
ونقص وزياده وخير وشر ونفع وضر وتأثر وتأثير وقليل وكثير

واعراف

وانحراف واعتدال وحدوث وزوال وصحة وسقم وسكون وألم
ووجود وعدم فبعض من لم يعرف الطريقه يسند هذه الاشياء على
الحقيقه وذلك لقصور فهمه وقلة العقل كقول الجاهل انبت الربيع البقل
وبعض من لم يكن له ادراك يزعم أن هذا اشراك ولا يسند هذه الحوادث
اليها ولا يقول فى ذلك أبداعليها لا بالحقيقة ولا بالمجاز ولا يسلم فى ذلك الى
طريقة المجاز والمحققون من العلماء والراسخون فى العلم من حكماء الفقهاء
يسندون هذه الحوادث والتأثير الى قدرة اللطيف الخبير الصانع القدير
الفاعل المختار الذى يخلق مايشاء ويختار فاذا نسبوا هذه الافعال الى غير
ذى الجلال فانما يجعلونها فى ذلك الباب كالآلات والاسباب كتأثير الخبز فى
الاشباع والنار فى الاحراق والايجاع وكفعل الماء فى الارواء والدواء فى
الادواء وانما ذلك كله بتقدير صانعها وما أودعه فيها من خواص بدائعها
وصفات ودائعها كخاصية الاسهال المودعة فى السقمونيا وخواص التصبير
وغيره الكامنة فى المومياء والاسكار فى الخمر والاحراق فى الجمر وقد رأينا
القوة النامية عقيب الامطار الهامية والشمس حامية تهيج وتنمو وتموج
وتزكو وهذا الصنيع البديع اذا حلت الشمس فى برج الحمل وقت الربيع
واذا انتقلت الى برج الاسد احترق ذلك الجسد وعند نقلها الى الميزان
ينقلب هذا الزمان وكذا اذا تحولت الغزالة الى برج الجدى فكانه بلغ
الى محل الهدى فتموت اذ ذاك قوة الزمان ويضعف لذلك غالب الحيوان
وهذا كله مشاهد محسوس لا يمكن أن تنكره النفوس خواص وضعها
خالق الكون يستفاد بعضها من الطعم والريح واللون وبعضها لا يدرك
ما أودع فيه الا بارشاد خالقه ومنشيه هكذا جرت سنة العزيز الوهاب
أن الاحكام والوقائع تناط بالاسباب وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر
ليعلم من ذلك وجود القاهر المدبر وانها مقهورة تحت الامر ومقسورة
قسر العقل مع الخمر ولولا ذلك من سر جسيم لما تخلفت النار عن احراق
ابراهيم ولما ولدت مريم عيسى ولا اغرق البحر بنى اسرائيل وانجى موسى
وكم من آكل وهو جيعان وشارب وهو عطشان ومتدثر يتدفا بالنار
وهو بردان والفلك الاعظم محيط بهذه الاجرام ونسبتها اليه كنقطة للبحر

الطام متأثرة بتأثيره دائرة بتدويره يتصرف فيها على حسب ماشاء
باريها وصرفه فيها منشيها فاطر السموات والارض جامع الخلائق ليوم
العرض وكما هى محاطة بالدائرة الفوقانيه كذلك هى محيطة بالكرة التحتانيه
* القسم الثالث العقول والنفوس الملكيه وهى أشرف من الاجرام العلويه
ومقام هذه العقول فى مقام عزيز الوصول يسمى اعلى عليين وجواهرها
لاتوصف بتحريك ولاتسكين ولا بهذه البساطة والتركيب وأمرها بديع
وشأنها عجيب وأما العرض فمالايقوم بذاته وهو فى العالم كالالوان
والطعوم واصواته والروائح والقدروارادته وأما الجسم فماتركب من
جوهرين فاكثر وماقام بنفسه يسمى الجوهر وأما الموجد للعالم فهو
واحد لايثنى وأحد لايتجزى ولولم يكن للعالم صانع لكان العالم اضيع
ضائع وهل رأيت مصنوعا بلاصانع وسقفا مرفوعا بلارافع وهل نفى
الصانع الامكابره ومايجحده الاالنفوس الكافره فقال العفريت
فما الدليل على وجود الصانع العقل والنقل أم أحدهما متبوع والآخر
تابع فقال العالم الزاهد قد اطبقت العقلاء واجمعت الحكماء أن العقل
دليل على وجود الصانع وبه الدلالة والشرع له تابع وكما هو الدليل على
وجود الذات كذلك هو الدليل المستقل على اثبات الصفات وهى صفات
الكمال ونعوت الجلال فقال العفريت فما الدليل على وحدانيته فقال
الزاهد كل من العقل والشرع كاف فى دلالته قال العفريت فما المراد من عالم
الكون والفساد فقال العالم معرفة امور المبدا والمعاد قال العفريت
فما أفضل العقل أم النقل فقال العالم كل منهما حجة الله قد اسنده
من عباده من براه وذلك ان الله لما أرشدنا الى الدين القويم وثبت أقدام
توحيدنا على الصراط المستقيم نبهنا أن المقصود من الدخول فى دائرة
الوجود معرفة موجدنا المعبود كما قال من يقول للشئ كن فيكون
وماخلقت الجن والانس الاليعبدون ماأريد منهم من رزق وما اريد
أن يطعمون ثم طلب مراضيه بماتبرز به أوامره وتقتضيه وذلك هو
الرشاد ياذا المكر والعناد الى المعارف الالهية ومابه نظام المعاش ونجاة
المعاد وليس لنا دليل فى العلم والتعريف سوى طريقين مرشدتين الى

التوقيف

التوقيف على أمور المبدا والمعاد وما بينهما فى دار التكليف احداهما ما جبلنا عليه وما اكتسبناه من العقل وثانيتهما ما بلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل فالعقل لايدخل فى اثبات المعارف الالهية ولا فى هذا الباب المقدم من الامور المعاشية والمعادية وهو حجة الله القاطعة البالغه واصل براهينه الساطعة الدامغه وبواسطته استعبد عباده الكمله والى من خصه به أرسل رسله ثم العقل جوز ارسال الرسل ولا يرد ما تقوى به لتوضيح السبل والنقل لايأتى بما يناقض العقل وانما يرد بما يزكى قضاياه ويصقل مراءى أحكامه أحسن صقل ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستئناس ما حصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس ولو ورد المنقول بما يناقض المعقول لاشبه فرعا يوجد ماله من أصول اذا أقبلت مواكب الاوامر الالهية على لسان الرسول خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول سامعة لما يرد منها مطيعة لما يصدر عنها فتارة يظهر للعقل ما للاوامر الشرعية من الحكم كنار على علم وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام النقلية من الحكم فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل فى حكمته ادراك آثره واكده واستمسك به فى تصرفاته أقوى استمساك وان لم يكن له فى ادراكه مدخل نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يسئل عما يفعل والحاصل أن سلطان العقول فى ممالك خليفة الشرع وولايته معزول ومن جملة ما ورد على لسان السمع على لسان عدو له صاحب الشرع الصادق فى المقال مما ليس للعقل فيه مجال أحوال المعاد ومبدؤها ما يطرأ على العباد فى حد هذا الكون من الفساد فقال العفريت أخبرنى يا ذا الانسان مخلوق مماذا وما الآدميه والنفس الانسانيه وهل هى واحده أو متعدده وما آلها الى اين بعد وقوع البين فقال العالم الانسان مخلوق يا مصفعه من هذه العناصر الاربعه التى مر ذكرها وتبين أمرها التراب والماء والنار والهواء فاذا تمازجت واعتدلت اذا تزاوجت حصل لها من التركيب امزجة ثمانية لا على الترتيب والآدمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح والفاسد والصحيح والحق والباطل والحالى والعاطل والخير والشر والنفع والضر والمميزة لهذه الاشياء

الفارقة يقال لها النفس الناطقه وهى ثلاثة أنواع باخارج الطباع
أحدها الروح الطبيعية القائمة بالكبد وهى من الاغذية تستمد الثانية
الروح الحيوانية ومقامها القلب أى كلب وللابدان منها حرالك
واستمدادهما من حركات الافلاك الثالثة الروح النفسانية ومقامها
فى الدماغ ومنها الحركات الذهنيه والقوة النامة القويه تطلب غذاءها
من الروح الطبيعيه والقوة المميزة تطلب مايسعدها فى الدارين من الروح
النفسانيه ويعدها فى المقامين عن الاسباب الشقيه واستمدادها
وقوتها من الاجرام العلويه وأعلى مقامات هذه النفس الحكمه
والحكمة أوفى منحة وأوفر نعمه وقد قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا اولو الالباب ومصير
هذه الارواح الى عالم الغيب لاجل الثواب والعقاب وقيل حقيقة نفس
الانسان أيها المارد الشيطان لطيفة روحانيه ودقيقة ربانيه لها تعلق
ربانى بقلبه وقالبه الجسمانى وهى المدركة العالمه العارفة الفاهمه
بها يتكلم الانسان وتبصر العينان وتسمع الاذنان وتبطش اليدان
وتمشى الرجلان وهى المخاطبة والمعاتبه والمثابة والمعاقبه والمطلوبه
والطالبه ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح أخرى ويقال لها
النفس مرة ولفظ العقل أيضا وابن آدم هو المخصوص بهذه الكرامات
وبهذه النفس دون سائر الحيوانات وان كان يطلق على الجميع أن لها نفسا
بالاشتراك لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك واختلف أيضا
وتحيرت الالباب فى صنع رب الارباب وتاهت الافكار والفطن فى كيفية
تعلقها بالبدن ولا يحصل لاحد على هذا وقف الا بطريق الولاية والكشف
وهذه النفس لما كثرت صفاتها وتضادت نعوتها تخالفت أوصافها وازداد
فى صفاتها اختلافها حتى قسموها فقالوا أنواعها ثلاثة ناطقة وشهوانيه
وغضبية رضيه فالناطقة مسكنها الدماغ ولها فيه مساغ والكبد مسكن
الشهوانيه والقلب مسكن الغضبية الرضيه فأية نفس غلبت اختيها جذبت
أحوالهما وصفاتهما اليها وهذه يا نعس زوبعه كالعناصر الاربعه فانها
اذا فسد مزاجها وعدل عن الاعتدال ازدواجها عسر علاجها

واستحال الى المطلوب الطالب وعجز عن المعالجة الطابب ففسد البيان
وانهدمت الاركان وقيل هما روح ونفس بغير لبس وهما ضدان بل نِدّان
لا يجتمعان ولا يرتفعان وطبع النفس بالئيم طبعك طبع الشيطان الرجيم
كالنار في جوهرها وخاصة عنصرها تنسب اليها الصفات الذميمه
والخلال غير المستقيمه كالجهل والغضب والحدة والصخب واللوم
والسفه والطيش والشره والحمية والشهوه والقوة والجفوه والحسد
واللجاج والحقد والاحتجاج والحرص والبخل والتوانى والكسل
والحمق والخيانه والفجور وعدم الامانه والترفع والرياء والمخاصمة والمراء
وسائر الاخلاق الذميمه والاوصاف المشؤمة الملومه والملكات الخبيثة الرديه
والحركات الشيطانيه فهى كالنار فى احراقها وحدتها واستشاطتها وشدتها
ودخانها ولهيبها واهلاكها وتعذيبها واقدامها فى اعدامها وا كل ما تجده
وما تصل اليه تفسده وطلب العلو والغليان والغلو وطبع الروح
بالأنحس مجروح طبع الماء فى النشو والنماء ينسب اليه كل خلق كريم
وطبع سليم صافى الجوهر ما لامسه تطهر شيمته الحياء والعلم والصدق
والحلم والتفويض والتوكل والتسليم والتحمل والاحتمال والاناه والصبر
والموافاه والتودد والاسداء والسكون والاعطاء والركون والبذل
والرضا والفضل والحياء والعدل والتواضع والعفه وعدم الترفع والخفه
والسلاسة والسهولة وسرعة الانقياد واللين والوداد والرقة والصفاء
والكرم وعدم الجفاء الى سائر الاخلاق المحموده والاوصاف المطلوبة
الموددوه وايهما فويت غلبت وجذبت الاخرى اليها وسلبت وسيرتها
على طبعها واستخدمتها على ربعها فكم من شيطان يرى فى صورة
انسان ومن انسان غلبت عليه اخلاق الجان ومن جان فى صورة انسان
ونظير هذا الروح والبدن يدركه ذو العقل والفطن فان الروح من عالم
نورانى لطيف سماوى والبدن من عالم ظلمانى كثيف ارضى فايهما
غلب على صاحبه جذبه الى مركزه فى جانبه قال الله تعالى وعز كمالا
وجل جلالا ياعيسى انى متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين كفروا
وقال جل عليا ورفعناه مكانا عليا وقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد

الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت أجسادهم أرواحا والكفار مثلك
صارت أنفسهم ظلمانية أشباحا وقيل يازوبعه الانفس أربعه أمارة
وهى أنفس مثلك الكفار الطغاه ولوامة وهى أنفس العصاه وملهمة وهى
أنفس المخلصين ومطمئنة وهى أنفس الانبياء والمقربين والحق ياجاحده
ماهى الانفس واحده لكن لما تجلت فى ملابس الصفات وتكثرت لها
الاخلاق والسمات نوعوها وبمقتضى التنويع فرعوها تنزيلا للتنويع
بالصفات منزلة التنويع فى الذات فيقال كانت نفس هذا شيطانيه فتاب
فصارت رحمانيه وكانت نفس ذاك أبيه فصارت دنيه قال من براها
ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب
من دساها قال العفريت أخبرنى أيها الباصر كيف تركيب هذه العناصر
فقال الزاهد بحسب الخفة واللطافه والثقل والكثافه ولما كان عنصر
التراب اثقل كان اركد من غيره وانزل ومن فوقه عنصر الماء وفوق الماء
عنصر الهواء ومن فوق هذه الثلاثة عناصر عنصر النار وهو بها محيط دائر
وكذلك كل عنصر محيط بما تحته وقد حققت هذا وعلمته قال العفريت
أخبرنى عن أقرب الاشياء اليك قال العالم الاجل أقرب الاشياء الاجل
قال أخبرنى عن أبعد الاشياء عنك قال العالم الاكبر مالم يقسم ولم يقدر
قال أخبرنى عن الشئ الممكن عوده قال الدولة ان زالت وتغيرت واستحالت
يمكن ردها ولا يستحيل عودها قال أخبرنى عن الشئ المستحيل عوده قال
الشباب بغير شك ولا ارتياب قال أخبرنى عما لا يمكن بالاكتساب ولا ينال
الا بتوفيق الوهاب قال العقل الغريزى فانه وهبى عزيزى قال أخبرنى
عما لا يمكن ضبطه ولا ينضبط ربطه قال الدهر اذا لى والسعد
اذا تجلى قال أخبرنى باذا الجد عن الهزل الذى يراد به الجد قال ابراز
حكم الامثال والآيات على لسان الحيوانات والجمادات قال أخبرنى عما
لا يمكن الاحاطة به ولا الوقوف على معرفة كنهه قال عظمة صانع
الكائنات وخالق الموجودات تعالى أن يحاط به علما وتقدس أن تدرك
عظمته معرفة ووهما ولهذا قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين
لا نحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سبحانك ماعرفناك حق
معرفتك وهذا مصداق قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره فلما طالت

المقاوله

المقاوله وانتهت الى هذا الكلام المجادله أقبل الليل وحل بالعفريت وجنده الويل وتصدع المجلس وقام العفريت وهو مبلس وتواعدوا الى الصباح عند قول حي على الفلاح أن تجتمع الوجوه الصباح لرد جواب الشياطين القباح فتفرقوا وقد أحاط بالعفريت الوهم ونفذ فى أحشائه من سهام الذل اقطع سهم وبات لا يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار وساوره الافتكار وثاوره الهم والدمار والغم والبوار

الى أن أضاء الصبح كالحق مقبلا * وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فاجتمع من كان بالامس حاضرا ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا من جموع الانس والجن وطوائف الحن والبن وأخذ كل مقامه وابتدأ العفريت كلامه وقال ما منبع الصفات الحميده والشمائل السعيده المار ذكرها القار امرها وهي ياهذا نتيجة ماذا فقال العالم المحقق العامل المدقق هي ثمرة العقل القويم الهادي الى الصراط المستقيم ويكفي العقل الشريف انه مناط التكليف له الله يخاطب وبه يثيب ويعاقب وبه يأخذ وبه يعطى وتابعه يصيب ولا يخطى وكلما كان العقل اتم كانت محاسن الاخلاق اعم وكلما كان رأى العاقل اصوب كان فى اقتناء مكارم الاخلاق أرغب قال العفريت فهل هو نوع متحد او طريقه متعدد قال الشيخ العقل نوعان وحكمه واحد لا يختلف فيه اثنان أحدهما العقل الغريزى اللطيف وهو مناط التكليف يحدثه الرحمن ويتدرج الى بلوغ الانسان فيكمل اما بالسن او الاحتلام ويجرى عليه اذ ذاك قلم الاحكام ويدخل فى حيز المخاطبين من ذوى الاحلام ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحلال والحرام والثاني يحصل بالاكتساب والتجربة فى كل باب ولهذا يقال ان الشيوخ اكمل عقلا من الشباب وقيل من بيضت الحوادث سواد لمته واخلقت التجارب لباس جدته وارضعه الدهر من وقائع الايام أخلاف ذريته واراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره واقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو فى قومه بمنزلة النبي فى امته قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل وقال

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

قال العفريت ما فائدة العقل قال العالم فائدته الارشاد في بيداء الجهالة الى جادة الرشاد والاعانة في الشدائد والوقوع في مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص واجابة الاغاثه عند الاستعانة والاستغاثه ومد المعونه اذا انكسرت من الجبل السفينه في بحر الملامه والخلاص الى بر السلامه والاغناء من كنز السعادة والصبر عند استيلاء نوائب الفقر قال فمن العاقل في العالم ومن يطلق عليه هذا الاسم من بني آدم قال العالم العاقل من يحتمل اذا ضيم ومن هو في الغضب حليم فاذا اعطى شكر واذا منع صبر ويعفو اذا قدر ويستهين بامور الدنيا ولا يغفل عن امور الاخرى قال العفريت ما الفائدة في حب الدنيا والرغبة الى ما فيهما من الاشيا ولاى معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على أهلها وبنيها قال العالم لاجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الاقوم وبقائه المطلوب الى الاجل المضروب الذى قدره موجده القديم الذى انشأه اول مرة وهو بكل خلق عليم ولابد من أن تتم كلمته وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والامل ابطل العلم والعمل فانهما الحجاب الغفلة يغشيان اعين الضمائر ويغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل في العواقب واشتغلت بالتهائها عما يجب عليها أن تراقب ولولا طول الامل لما رجى العمل ولما انتظم امر المعاش ولا اهتم لادخار قوت ورياش ولا افتكر صاحب اليوم في أحوال غد ولا ارتفعت المعاملات وما دابن احد أحد ولا زرع زارع ولا غرس غارس ولا بني بان ولا اخضر يابس ولانقرض اذ ذاك نظم العالم وبانقراضه تنقرض امور بني آدم قال العفريت أخبرني عن أصل الانسان ومم جوهره وجوهر الملك والجان قال الشيخ أما جوهر الملك فمن العقل المحض براه رب السموات والارض ولذلك لا يصدر من الملائكة الا الشيم المباركه من الطاعة لمولاهم والانقياد لاوامر من انشاهم وامتثال ما امر من امر مروم وما منا الا له مقام معلوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأما جوهر الجان وأصل ابا الخس شيطان فمن الاخلاق الذميمه والصفات

المشؤمه فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والبلسه والشيطنة والوسوسه
وأنحس بصفاتكم من صفه ولم يكن بينكم وبين الحق معرفه فانتم
يا أنحس بغيض وانجس نهيض مع الملائكة فى طرفى نقيض وأما جوهر
الانسان فما اشتملت عليه صفتا الملك والجان فمن غلب عقله شهوته
ألبس من مكارم الشيم خلعته واضمحلت ظلمات نفسه فى انوار الطاعه
وتجلت صفات ذاته من سنن الابرار فى جماعه وخط رسم اسمها قلم الكرام
الكاتبين كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم
يشهده المقربون فهو وان كان بجسمانه مع الانس له حضور وانس لكن
بسره فى عالم الملكوت حضرة القدس فهو بصفاته المباركه اشرف من
الملائكه ومن غلبت شهوته عقله واستولت على قلبه حجب الغفله فانغمس
فى بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات واشقاه القدر السابق
ولم يعقكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه وبالليل لاه استحوذ
عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون فهو اخسر من ارذل الحيوانات وادنى من ادنى الجمادات
فقد خاب مآبا وتعس انقلابا ويقول يوم القيامة ياليتنى كنت ترابا
(قال الراوى) فلما انتهى الكلام الى هذا المقام امسك العفريت عنانه
واخرس الله لسانه وظهر فضل الزاهد وعلمه ووفور حكمه وحكمه
وفهمه وأنه أصاب فيما أجاب ولزم العفريت ومن معه من الجن
والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعندة المتمردين وذوى
الابلاس والوسواس الخناس ما شرطوه على انفسهم من التخفى وعدم
الظهور والتفرق فى الخرائب والكفور فتفرقوا واختفوا ومصلين
ومجدعين انتفوا وسكنوا الخرائب والحمامات والحانات والخانات فلم
يظهروا بعد ذلك للانس وحصل منهم بذلك للانس الانس واستراحوا من
مشاهدة طلعتهم القبيحه واستمرت الى يوم القيامة من تلك القبائح مستريحه
وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(الباب الخامس)

فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع قال الشيخ
أبو المحاسن المرتوى من بحار الحكمة بماء غير آسن فلما انهى الحكيم
هذا الباب العظيم عن عالم الانس والشيطان الرجيم تنبه الملك
لغزارة حكمه فافرغ عليه خلع احسانه وكرمه وغمسه فى غدير فضله ونعمه
ثم امر أن يقوى الطباع ويذكر نوادر الوحوش والسباع لتنبسط النفس
وترتاض وتحلى بعقود عقيد هذا الاحماض فقبل أرض العبودية
شفاه الادب وانتهض لاداء ما عليه من المراسيم وجب وقال كان فى بعض
الغياض أسد رباض عظيم الصوره كريم السريرة والسيره وافى
الحشمه عالى الهمه كثير الاسماء والالقاب عزيز الاصحاب كبير بين
الامراء والحجاب والوزراء والنواب يدعى فى جوانب مملكته واطراف
ولايته بحيدرة وبيهس وضيغم والدوكس والغضب والضرغام والعنبس
والطمثار والهندس والغضنفر والهرماس والغضبان وابى العباس الى
سائر الاسما والالقاب والكنى وكثرة الاسما تدل على شرف
المسمى وهو مطاع فى ممالكه وولاياته واقاليمه مترشف ثغور الامتثال بشفاه
امثلته ومراسيمه وكان له من خواص الندماء وكبراء الجلساء نديمان
كندمانى جذيمه يلازمان حضرته ويلجان حريمه أحدهما ثعلب يدعى
ابا نوفل والآخر ضبع يسمى اخا نهشل طبعهما ظريف وشكلهما لطيف
ومحاضرتهما مرغوبه وصحبتهما مطلوبه وكان فى خدمته دب هو وزيره
ومعتمده ومشيره كافل امور مملكته ومدبر مصالح رعيته والملك مفوض
أمور الرعية اليه ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه ومشغول ليلا ونهارا
بمعاشرة نديميه فاتسع خيال الوزير وأخذ فى مجال التفكير الى النديمين
لكونهما ناصحين قديمين وربما يصدر منهما عند الملك ما يحط منزلته
ويفسد ان للحسد الذى لم يخل منه جسد صولته واستحوذ عليه هذا الخيال
واتسع فى ميدانه المجال فكان خائفا على وظيفته ومنصبه مترقبا منهما
ما يكون عزله بسببه فنشأ من ذلك فى خاطره جساوه اورثته قساوه
وجذبته الى عداوه ووقر فى قلبه ذلك وتأكد وطال عليه من الدهر الامد
فكان يترقب لهما الفرص ليوقعهما من الغصص فى قفص ويسابقهما قبل

انتيابه ويتغدى بهما قبل أن يتعشى به ويقول لابد من تنظيف الطريق قبل حصول التعويق وقد أحسن من قال وأتقن فى المقال

ومن لم يزح عن دربه الشوك قبل أن * يطاه فلا يعتب اذا شاك رجليه

واقل الاقسام أن يبعدهما عن حضرة الملك الهمام فاتفق أن فى بعض الاسحار تجاذب الملك وندماءه اطراف الاسمار فاثر فيهم السهر لطيب السمر فى ضوء القمر وحلاوة ما جنوا منه من ثمر عاملين بما قيل

متى ما أصادف من احب بخلوة * اصرح بما ارجوه من متكتم

يقول فاصغى اوابث فينثنى * ليسمع قولى كالمشوق المتيم

اسامره لأن امل حديثه * وآمره كل الامور سوى نم

فاخذت الملك عيناه فاستند الى متكاه فانحل من طرفه وكاه فلم يتمالك أبو نوفل أن ضحك لما غنت زمارة الملك فتنبه من ضحكه وتعجب من جراءته وفتكه ثم استمر متناوما لينظر ما يصدر منهما فابتدره اخو نهشل وزجره فقال ويلك ماذا رأيت وأى عجب سمعت ووعيت حتى ترتبك فى الضحك أما قرأت وفهمت وسمعت وعلمت أن الضحك بلا سبب من قلة الادب وأن الحشم وسائر الخدم ومن نادم الملوك وجالسهم يحترم أمورهم ويعظم مجالسهم سواء غابوا أو حضروا ناموا أو سهروا قاموا أو قعدوا استيقظوا أو رقدوا وقد قيل رفع قلم الحساب والضبط والعتاب عن الصبى والمجنون والعاشق والمفتون وكذلك السكران والنائم لاسيما السهران وعذر النائم يا مسكين أعظم من عذر الباقين فان النوم أخو الموت وفيه ما ليس فى غيره من الفوت وقد قال صاحب الشرع الذى زكا منه الاصل والفرع حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه يعتذر عن النائم العين وكاء السه وقال ذو الصدق والتصديق رفع قلم التكليف عن النائم حتى يفيق وانما اعتبر الشرع أحوال النيام وساواهم باليقظى صونا لبعض الاحكام فى نحو من خمس وعشرين مسئله ضبطها من الفقهاء الكمله ولقد طالعت فى كتاب الاخلاق ان الله الكريم الخلاق حيث جعل جنسا من الامم فى طبائع وصفات متساوى القدم فلا يعتب احد احدا ولا يزدريه ولا ينقم عليه عيبا هو فيه وعلى الخصوص اذا صدر من الملوك

شيء يعاب فلا يحصل ذلك منهم الا على الفضل والصواب وكل ما كان في غير الملوك معتبه فانه اذا صدر من الملوك يعد منقبه ويجب على من يجالس الملوك وكان له في خدمتهم سلوك واختص بمحاضرتهم واستعد لمناظرتهم أن لا يصرمنهم الا المحاسن ولا يخبر عنهم الا بالمحاسن وقد قيل من جالس الملوك بغير ادب حبسه فانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه وقال الله الاعظم في كتابه المحكم لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستقم كما امرت ولهذا قال عليه السلام شيبتني هود واخواتها وماساد العجم والعرب الا بسلوك طريق الادب وقال عليه الصلاة والسلام ادبني ربي فأحسن تأديبي فقال المغفل أبو نوفل اذا طهر القلب من الخيانه وعاملت اليد بالامانه وتنقى العرض من العيوب وكان اللسان غير كذوب وزكت النفس بالحلم وعريت عن الجهل بلباس العلم يصلح لها أن تسخر بكل أحد وتفخر على اكبر من يكون ولو انه الاسد وانا اذا طار بهذه الصفات طيري فلا على اذا ضحكت على غيري فقال اخونهشل لا تقل ذلك لا واستعذ بالله من الجهل والخيلا واعلم يا ذا الكرامات أن الجاهل يعرف بثلاث علامات احداها يا محبوب أن يرى نفسه عارية عن العيوب الثانية يا رفيق الخير أن يرى نفسه اعلم من الغير الثالثة ان يرى انه انتهى في فنون العلم والنهى وبلغ أعلى المراتب وهذا أكبر المعايب وقالت الحكماء اذا رأيت نفسك عارية عن العيوب وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب وفتشت عن عيوبهم الجيوب فانت حينئذ غارق في بحر العيوب وبالذى أنت طالبه مطلوب وانظر ياذا السكينه ماذا قاله الامام مالك رضى الله عنه حبر المدينه لكن جل مطلوبك حرصك على تفقد عيوبك وقم بذلك على نفسك وذاتك مقام حسادك ورقبائك وعداتك وقال ذو هدى وما قال سدى

لكل فتى نخرج من العيب ممتلى * على كتفه منه ومن اهل دهره
فعين عيوب الناس نصب عيونه * وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال أبو نوفل صدقت ونصحت اذ نطقت فجزاك الله عنى خيرا ووقاك شرا وضيرا ولكن يا أخى وقعت هفوه على سبيل السهوه وحصلت زله

على

على غفله واللفظ من غير نظر كالسهم اذا رمى عن الوتر لا يمكن رده ولا وقوفه وصده كما قيل

القول كاللبن المحلوب ليس له * ردّ وكيف يردّ الحالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا اذا لم يشتهرا لا يتوجه عليهما العتاب ولا يستحق مرتكبهما العقاب اذا استغفر وأناب وانا وان وقع منى الخطا آمن بحمد الله من شر الجزا ومن المؤاخذة بالجريمه وان كانت عاقبتها وخيمه لانها بينك وبينى وأنت بمنزلة روحى وعينى ورفيقى وصاحبى ومراعى حقى وجانبى فسرى عندك مصون وأمرى عن الاشاعة مخزون وقد قال الحكماء ذوو التجارب لا تودع السر الا عند صاحب صدوق صديق ومحب شفيق وأنت هو ذاك الموثوق فاطرحه من سويداء قلبك فى أسفل الصندوق فان استمر عندك ساكتا صرت من وبال أمره آمنا ولا يبعد ذلك من شفقتك وسابق صداقتك ووفائك بالمروه وقيامك بحقوق الاخوه وأسأل احسانك أن تجيب لصاحبك القديم مرجوه قال أخو نهشل أعجب لابى نوفل كيف يغفل أما سمعت يا عاقل قول القائل من علامات الجاهل ان يقرض ماله باللطف ثم يتقاضاه بالفظاظة والعنف وأن يودع سره وخفاياه وأمره عند من يحتاج أن يتضرع اليه ويقسم فى اخفائه واكتتامه عليه ثم يحلفه أن لا يبديه ولا يذكره لاحد ولا ينهيه وقد قالت الحكماء لا تودع أحدا سرا فان فعلت فاتك السر لان كتمانه قيدهم وعناء وابداءه كيد هلاك وبلاء وقد قيل

وكل سر جاوز الاثنين شاع * وكل علم ليس فى القرطاس ضاع

لم يقصد بالاثنين الا الشفتين وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر اضيق

وقال أيضا

لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الحجارة ما يسر وينطق

واذا المحك اضاع سر أخ له * وهو الجماد فمن به يستوثق

وقال أيضا

صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر

اسيرك سرك ان صنته * وانت أسيره ان ظهر

وكل ماتحرك به اللسان انتشر فى الكون والمكان وناهيك يا تامر قضية الحرامى مع الطامر قال أبو نوفل كيف تلك يا أخا نهشل قال بلغنى أن رجلا من الحراميه واللصوص الكراريه كانت نفسه ذات الخيانه تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانه وانها لرؤية الخزانة مشتاقه ولمعانقة فاسق التحرم عشاقه وكان جاهدا فى أن يعطيها من مناها مايرضيها ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد ولرجوم ذلك الشيطان كل يعد وكتم ذلك السر عن الاخوان ومضى عليه برهة من الزمان وهو يكابد اكتتامه ويخاف من السوء ختامه والمقدر كائن والكائن حائن الى أن طفح عليه ماقصد وغلا خمر سره فى قلبه وقذف بالزبد فطلب صاحبا يلفظ به اليه ويعتمد فى اكتتام سره عليه واختلى فى حجرته فقرصه برغوث فى حنجرته فخديه اليه وافشى سره معتمدا عليه وقال فى خاطره عند افشاء سرائره لا لهذا لسان يقدر على البيان وعلى تقدير أن لو كان فهو مثل ولدى تربى من دم كبدى ولحم جسدى واطلع على عورتى فلا يقصد عثرتى ولا يكشف سرى ولا يهتك سترى ثم ادنى فاه حتى وافاه وقال يا أباطامر وكاتم السر فى السرائر انى عزمت كالمنهمك على الدخول الى خزائن الملك لاستصفيها وآخذ مافيها فاكتم هذا السر عنى وامصص ماشئت من الدم منى ثم طرحه فى سراويله واستمر فى نيته على اباطيله ثم قصد فى بعض الليالى ما كان يخلو به على التوالى ويرصده فى المكامن من الدخول الى الخزائن فلاحت له فرصة فانتهزها واستعمل دقائق صنعه وابرزها وانتقل من ذلك الى المبيت ولطئ تحت سرير الملك كالعفريت والملك نائم فوق السرير على فراش الحرير معانق الظبى الغرير وخرزة التاج عند رأسه تقد كانها سراج متقد فقصد اللص أخذها واقتطاعها وفلذها فامهل القوم الى أن استغرقوا فى النوم وبينما هو متفكر فيما به اذ خرج البرغوث من ثيابه ودخل الى جسد السلطان وقص عليه بلسان القرص كل ما كان من شان اللص فنهض الملك من مرقده فرأى نقطة على جسده فطلب النور لينظر الامور فرأى برغوثا طار

ونزل تحت السرير فقصوا اثره فى المسير فوجدوا الحرامى الكبير فربطوه كالاسير ووقع فى الامر العسير بالامر اليسير فصار كما قيل

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه * ليقضى الله أمرا كان مفعولا

وانما أوردت هذا المثل لتعلم يا أبا نوفل أن سرا فى الفؤاد لا يؤمن عليه الجماد فضلا عن متحرك من حيوان ونعوذ بالله ان كان من جنس الانسان وقد قيل للحيطان آذان ومن امثال العجم الاوباش للديوان اكواش فلما انقضى هذا الكلام وكان الاسد قد استوفاه على التمام وقد اثار فى أحشائه لهيبا نهض من مرقده ممتلئا غضبا واستحال وتحرك وأمر بابى نوفل فقبضوا عليه ووضعوا الغل فى رقبته والسلاسل فى يديه ورجليه وأمر الى السجن برفعه بعد التنكيل به وصفعه فتشوش خاطر صديقه وجليسه ورفيقه ثم انفض المجلس النظيم ودخل الملك الى الحريم فتوجه أخو نهشل الى السجن المقفل ولام صاحبه أبا نوفل وزاد فى التعنيف وقال أيها الاخ الظريف ألم تعلم أن الشخص اذا تكلم يضبط كلامه عليه ويعود محصول ما يلفظ اليه وقد قال الرب المجيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وان كثرة الكلام تضر بالنفس أكثر مما يضر بالبدن الطعام وكل هذا المصاب انما جاء من قبل الاعجاب وكثرة الكلام والغرور وعدم التأمل فى عواقب الامور قال الشاعر

ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

قال حكماء الهند وفضلاء السند مادام الكلام فى الفؤاد ولم يبد منه على اللسان باد ولم يصب منه سائل حرف فى صدفة الآذن اووعاء الطرف فهو كالبنت البكر المشهورة الذكر كل أحد يخطبها ويميل اليها ويطلبها ويتمنى أن يراها ويترشف لماها فان القى الى المسامع ووعاه كل ناظر وسامع فهو كالعجوز الشوها اذا سلوها وقلوها وهى تلازم صباحا ومسا ويفر منها الرجال والنسا ويحيد كل أحد عنها فاذا تكلمت أسكتت واذا سلمت أعرض عنها وقال بعض الحكماء اللسان أسد وهو حارس الرأس والجسد ان حبسته حرسك وان أطلقته حبسك وان سلطته افترسك وقالوا الكلام أسيرك مالم تبده فان تكلمت به فأنت أسيره قال بعض

الحكماء انا على مالم اقل اقدرمنى على ماقلت وقال عيسى صلوات الله عليه العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الاعن ذكر الله وواحد منها فى ترك مجالسة السفهاء وقال نبى الحرمين وامام الثقلين صلوات الله وسلامه عليه الصمت حكمة وقال عليه الصلاة والسلام البلاء موكل بالمنطق وقال الحكماء السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد آذيت نفسك وتسببت فيما اوجب حبسك واقلقت ودودك واشمت حسودك ولقد كانت حصتى من بلائك وممادهانى من شدة عنائك أعظم من كل حصه وقصتى فى ذلك أعجب من كل قصه اذ أنت رفيقى وزميلى وفى حضرة الملك ومنادمته عديلى نشأنا على ذلك وسلكنا فى الموافقة والمرافقة اقوم المسالك وكنت المرجو لمخافى واياب فى مطافى ومشتكى حزنى ومشتفى شجنى ومخزن أسرارى وأعظم أستارى وراويه أخبارى فى احبارى وراويه أسفارى فى اسفارى ومن أين ألقى مثلك رفيقا اوأجد صديقا شفيقا وأنت صاحب السراء ومصاحب الضراء وأنشد

ومن أين القى بعد سبعين حجة * رفيقا كمن ارضعته قهوة الصبا

اديبا أريبا لم امل مقامه * ولاملنى يوما حكيما مهذبا

ويعز على ويعظم لدى أن أراك فى هذه الحاله ثم اجرى سحائب دموعه الهطاله وقال

وما على الحرأن يكى أن يرى حزنا * فى محنة ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيرت فى هذا الامر المهول وماأدرى قصاراه الى ماذا يؤل وليلة الغم الصراح عماذا يسفر فيها الصباح فانكى لذلك أبو نوفل وبكى وتضرع الى الله وشكا وقال ياأعز الاصحاب وأحب الاحباب لقد اثر عندى ماقلت من الكلام أكثر مما أصابنى من الآلام كيف يغتفر لاحد الجانيين ويطلق احد القيدين وأنى يعتذر بالقضاء والقدر لاحدى الغصتين وهل هى شئ فى عالم الكون والفساد جاء خارجا عما قدره الله وأراد وكانا فى هذا سويه والعبد مقهور مع المنيه ولكن الجد اذا أقبل ولاحظ بسعده وتفضل فكل حركة تصدر من الغبى العاجز يعجز عن مقاومتها البطل المبارز وكل قول يتفوه به الجاهل يدع دليل معانيه

ادلة

ادلة العقلاء فى مجاهل ومذاهل ودعاميص ذوى الآراء المنضبة المناهل تلقى من عقنقل الحيرة فى مجاهلها مناهل فيصير كل وجه اليها مائل وكل انسان بها قائل وقوام كل سعد وقبول اليها قابل كما قيل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن امان

واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا ادبر وصبح الخمول اذا اسفر فان اللبيب اذذاك يخطئ ما كان يصيب ويفعل العاقل مالا يرتضيه باقل فيكون جهد النفس زيادة فى العكس

واذا تولى الجد يحتاج الذكى * فى رأيه قبل الزوال مراحا

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهوده وخصلة معدوده كما قيل

ومن ذا الذى ماغره صرف دهره * فاضحكه يوما ولم يبكه سنه

وانا كنت غافلا وان لم اكن جاهلا وقد يكون الشخص عما تحققه ذاهلا وذلك لما كان عودنى الزمان والفته من سالف الدوران وارخاء العنان ونيل الامانى والامان واسبال ذيل النعم والاحسان الدائم والكرم فمشيت على ما كنت اعهده وفى نفسى أجده وأيضا كانت لذة عشرتك ونعيم صحبتك وحسن موافقتك وعزم رافقتك أنسانى كل بليه وامنت بذلك كل رزيه فألهانى عن التنكد ودهتنى غفلة عن التوزع والتبدد مثل ما أصاب ذلك الهدهد قال أخونهشل امرد ذلك المثل فقال ذكروا أن الله مجرى الخير علم بعض عبيده الصلحاء منطق الطير فصاحب منها هدهدا وازداد ما بينهما توددا ففى بعض الايام مر بالهدهد ذلك الامام وهو فى مكان عال ملتفت الى ناحية الشمال وهو مشغول بالتسبيح يسبح الله بلسانه الفصيح فناداه ياصاحب التاج والقباء والديباج لاتقعد فى هذا المكان فانه طريق كل فتان ومطروق كل صائد شيطان ومقعد أرباب البنادق ومرصد أصحاب الجلاهق فقال الهدهد انى عرفت ذلك وانه مسلك المهالك قال فلاى شئ عزمت على القعود فيه مع علمك بما فيه من دواهيه قال أرى صبيا وأظنه غويا نصب لى فخا يروم لى فيه زخا وقد وقفت على مكايده ومناصب مصايده وعرفت مكيدته أين هى والى

ماذا تنتهي وانا اتفرج عليه واتقدم للضحك اليه واتعجب من تضييع أوقاته وتعطيل ساعاته فيما لا يعود عليه منه نفع ولا يفيده في قفاه سوى الصفع وأسخر من حركاته وأنبه من يمر على خزعبلاته فتركه الرجل وذهب وقضى حاجاته وانقلب فرأى الهدهد في يد الصبي يلعب به لعب الخلي بالشجي ولسان حاله يلهج بمقاله

كعصفورة في يد طفل يهينها * تقاسي حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها * ولا الطير مطلوق الجناح فيهرب

فناداه وقال يا أبا عباد كيف وقعت في شرك الصياد وقلت لي انك وعيت ورأيت ما رأيت فقال أما سمعت أن الهدهد اذا نقر الارض يعرف مسافة ما بينه و بين الماء ولا يبصر شعرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضائه وقدره وناهيك في قضية القضاء والقدر قضية آدم أبي البشر مع موسى الكليم عليهما الصلاة والتسليم لما جرت عليه أحكام القضاء والقدر وختمت مشيئة الله تعالى السابقة في علمه وجرى ما لم تدركه عقول الفحول في ميدان ارادته من سوابق حكمه وحكمه وأنشد الهدهد

ياسائلي عما جرى * والعين مبصرة القدر
أوما سمعت بان اذا * جاء القضا عمي البصر

وقال أيضا

ان كنت أخطأت فما أخطا القدر * ان القضاء ان اتى يعمي البصر

واسمع أيها العاقل قول القائل

اذا أراد الله أمر الامرئ * وكان ذا عقل وسمع و بصر
وحيلة يفعلها في دفع ما * يأتي به محتوم اسباب القدر
أصم اذنيه وأعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

وانا لما اغتررت بحدة بصري ذهلت عما يجول في فكري فتغطت حدة استبصاري فوقعت في فخ اغتراري أما سمعت يا همام قول الامام اذا حلت المقادير ضلت التدابير ثم قال أبو نوفل وقد أثر فيه كلام

اخي

اخى نهشل

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

وانما أوردت هذه الحكايه لتخفف عنى مافى تقريعك وتوبيخك من نكايه وتعلم أن الامور كلها جلها وقلها جارية على وفق ماقضاه الله تعالى وقدره واثبته فى سابق علمه فى اللوح المحفوظ وسطره وان كانت الاحكام فى هذا الباب تضاف الى العلل والاسباب ولاشك فى هذا ولا ارتياب فقد مر أن الذهول شغلنى عن الفضل بالفضول وأن العذر غير مقبول فان الجهل لايكون حجه ولامخلص لسالك الاسواء المحجه وقد طال الكلام والحق بيدك والسلام وأما الآن فجل المقصود من لطفك المعهود وبذل المجهود وتذكر سابق العهود وقديم الصداقه واكيد المحبة والعلاقه عطف الخواطر الملكيه ورجوعها على ما كانت عليه من الصدقات السنيه والعواطف الملوكيه واقل الاقسام الخلاص من هذه المليه وعلمك قد أحاط باوثق مناط أنى شخص وحيد بين ملازمى الخدمة فريد لم يكن لى أخ سواك وأنت مشتكاى وأنا مشتكاك وهذا أوان الفتوه وزمان المروه وعدم التخلى عن الاخوان والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان والسعى فى خلاص الصاحب القديم من هذا البلاء العظيم واسألك بسالف الخدمه والمودة ذات القدمه أن لاتذكر ماسلف من التقصير الموجب للتلف فانى معترف أنى للذنب مقترف وأنشد

جاوزت فى اللوم حدا قد اضربه * من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

وانى اذا تفكرت وتصورت ماوقع اذا تذكرت وان كان قد مضى يضيق بى الفضا واغرق فى عرق الحيا وتسود فى عينى الدنيا فكانه فى هذا القبيل عنى قيل

كان فؤادى فى مخاليب طائر * اذا ماذكرت الحب يشتد بى قبضا

وهذا القدر من الاعلان يكفى وانى استحلى اذا مر بخاطرى غصص حتفى ثم علا زفيره وشهيقه وبدا من لهيب قلبه بريقه ومن وادى دمعه عقيقه حتى خيف عليه غريقه وحريقه ورق له عدوه وصديقه وبكى لبكائه رفيقه قال أخو نهشل اعلم أيها الاخ المفضل انى لم أقل ذلك الكلام للعدوان والملام

فضلا عن ايحاش قلب وايلام ولكن لما تألم جنانى أجرى الله ذلك على
لسانى ولم يكن لذلك الحديث باعث ولا قصد عابث أو عائث ولكن
صفو المحبة ووفور الصدق اوجبا التلفظ بذلك النطق وكيف لا ادرك
دقائق المعانى وانا الهامن ثمار فضائلك جانى وأنا بذل الاجتهاد من أهل
الوداد فهل يخطر ببالك غير ذلك ويابى الله والاخلاق الكريمه
وما علمته من همة وشيمه وفواضل فضائل من موانح خصائلك اقتبستها
ومطارف معارف على منوال سجاياك نسجتها أن اتخلف عن التعلق
باهدابها واغلق أبواب مقاصدها فى وجوه طلابها وانا ان لم ابذل مجهودى
واصرف موجودى فى مساعدة خلى وصديقى وصاحبى ورفيق
بما تقتضيه المروة والفتوه والصداقة القديمة والاخوه والا فأى فائدة
فى وجودى لوالدى ومولودى وطارفى وتالدى وصديقى وودودى
وقد قيل أربعة أشياء فرض عين فى شريعة المروءة على المحبين وكذلك
الاخوان وسائر الاصحاب والخلان الاول المشاركة فى النوائب وتعاطى
دفعها من كل جانب الثانى اذا ضل أحدهم عن طريق السداد يردونه
الى سبيل الرشاد ولا يتركونه على غير الصواب بل يستعطفونه بألطف
خطاب الثالث اذا صدر من أحدهم نوع جفا يلاقونه بالوفاء والصفا
ولا يتركونه على شفا ولا ينسون الوفاء القديم بالجفاء الحادث فربما يتفرع
على ذلك ما يؤكده من العوائث الرابع لا يؤاخذون المقصر فى حال الغضب
بل يرجئون عقوبته الى أن يطفأ اللهب فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد
فيقع بسبب ذلك بين الاصحاب نكد ثم ان أبا نوفل قال لاخى نهشل
المبادرة أولى الى التلافى لئلا يسابق الجنود الى تلافى وهذا المصاب
انما جاء بغته وأخذ قلوبنا وأسماعنا بهته فاستعمل فكرك القويم
وتوجه الى التدارك بقلب سليم فقال ها أنا أذهب على الفور لهذا المطلب
النافع وأقوى العزيمة وأجتهد فى دفع الموانع فأول ما ابتدئ بقصد الملك
وأنظر ما يصدر منه قولا وفعلا فى هذا الامر المشتبك فأبنى على ذلك ما يناسبه
واجاريه فيما يميل اليه خاطره ولا اجاذبه ثم توجه الى الاسد ودخل عليه
فوجد الدب جالسا بين يديه وقد بلغه قضية النديم وأنه حل به العذاب
الاليم فاغتنم الفرصه وبادر ليتم على أبى نوفل الغصه ويتعاطى فى أمره

قصه وحصه فأراد أخونهشل أن يفتتح الكلام ثم أفكر فى انه ربما يعاكسه الدب فى المرام وانه اذا قام فى المناقضه لا يمكنه مقابلته بالمعارضه وان سكت فالسكوت رضا وان وافق فعلى فعلى غير مراده مضى فأمسك عن الكلام ورأى السكوت مقتضى المقام ثم أمعن النظر وأجال قداح الفكر فرأى أنه ان انفصل المجلس من غير ان يفصح بشىء وينبس ربما يفوت المقصود أو يسابقه بالمعاكسة عدو أو حسود لا سيما مثل الوزير الرفيع الخطير صاحب الرأى والتدبير وهو عدو قديم وفى طرق الخزى نظيره عديم فاذا بادر الملك بالكلام ربما يقع منه فلتة بمقام كما قيل

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فتلقاه الملك بقبول فيصول كما يختار فى ميدان الفتك ويجول فتنعقد الامور وتنقصد وتنعقف الاخلاق الاسديه وتتعرد فرأى الاولى المبادرة بالكلام والوقوف فى مقام الشفاعة أنسب بالمقام فان عارض أحد عرف أن جوهر كلامه عرض ولا تصدى الا لغرض وكان الملك قد سمع كلامه بعد معرفة سلامته والقائه على أبى نوفل عذله وملامه وكلامه بلا شك مقبول ومالاحد عنه عدول وكان الدب منتظرا خروجه من عند الملك حتى يختلى بالكلام معه وينهمك فادرك اخونهشل هذا المرام فوقف فى مقام الدعاء وبادر بالكلام ثم قال بعد وظائف الدعاء والقيام بما يجب من مراسيم الثناء العلوم الشريفه والآراء المنيفه محيطة أن من عادة الملوك العظام واخلاق السلاطين الكرام العفو عن الجرائم والاغضاء عن العظائم لاسيما اذا صدر ذلك من احد المخلصين والعبيد المخلصين على سبيل السهو والخطا لا على سبيل العمد والاجترا

من ذا الذى ماساء قط * ومن له الحسنى فقط

وان العبد الاقل أبا نوفل الواقع فى الخطر الخطير المعترف بالذنب والتقصير متوقع غفرها من صدقات الحضرة الملوكية ومراحمها وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها ومحتم على الملوك القيام بقبول الشفاعه دون سائر الخدم والجماعه خصوصا وقد كان رفيقا نديما ومصاحبا قديما ولم يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات الكثيفه الى دفاتر الصدقات الشريفه

وقصد الخير وذهاب الاسى والضير وانتشار صيتها فى الآفاق والاطراف بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف فلان الاسد من هذا الخطاب وعرف أن قصد الشافع من هذا انما هو الثواب والصواب فاطرق مليا ولم يحر من الاجوبة شيا فتأثر الدب الخبيث والعدو القديم لهذا الحديث وخاف أن يكون السكوت رضا وان هو رضى يفوت منه المنى والاطراق علامة الحلم والسكوت فى الحرب دليل السلم ومن فوت الفرصه وقع فى غصه ومتى يقع أبو نوفل المحتال فى مثل هذا العقال وما اظرف مقال من قال

وان رأيت غراب البين فى شرك * فاذبح وكل وذر الافراخ فى عنق

وقد قيل

اذا صارت الاعداء لافانهم * اذا لم تطأهم اصبحوا مثل ثعبان
وكم ذا يقاسى من اذاه وقرصه * على ضعفه ان صار داخل آذان

فانبرى وانبرم وتصدى للمعاكسة ذلك البرم وغطى دسائس لؤمه بنقوش الكرم وقال اعلم أيها النديم القديم ومن هو للملك اوفى خديم أن الواجب على جميع الخدام أن يكونوا فى الصدق متساوى الاقدام ولا يقدموا على نصح الملك غرضا ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عرضا ولا عوضا فلا يصادقوا الخائن ولا يصدقوا المائن ولا يواطئوا الخاطى ولا المذنب المتعاطى ولو بالكلام الواطى ولا يخفوا الخيانة والجنايه ولا يرعوا فى ذلك ادنى الرعايه فساعد السارق سارق ومعاضد المارق مارق والقيام مع الجانى جنايه واخفاء الخيانة نكايه وفى هذا الكلام كفايه ومن اعتذر من جناية جان لاسيما ان كانت فى حق ملك أو سلطان فهو شريك فيها بل أعظم جرما من متعاطيها لان عظم الجنايه ياذا الدرايه انما هو بحسب المجنى عليه وان ذلك الوهن عائد اليه لا على مقدار الجانى وأنت لا تجهل هذه المعانى ولهذا قال بعض أهل الافضال ان تعاطى الفساد ياذا الرشاد ليس فيه صغيره وأن كل ما يخالف الامر كبيره وذلك بالنظر الى الجناب الاقدس القاهر تعالى وتقدس فقال أخو نهشل كلام مولانا الوزير هو المفضل وما أشار به هو الصواب المعدل ولكن

يامولانا الوزير علمك الخطير خبير بأننا كنا محل الخطا والتقصير ولا يسع الكبير منا والصغير الا الحلم الغزير والعفو عن كثير وقل لى من هو البرىء عن الهفوه والذى لا يتوقع من مولانا الملك عفوه وان لم تقع الشفاعه فى الجانى وذى الخلاعه ومخالف سنة الجماعه فالمحسن لا يحتاج الى شفاعه ومن لم يجبر المكسور ويأخذ بيد المقهور فما يجد عند انكساره جابرا ولا يؤخذ بيده حين يصير عاثرا وقد قيل من مثلك الفضيل وصاحب الادب الجزيل

اذا اصبحت فينا ذا اقتدار * وأمرك فى رقاب الخلق جارى
أقل واقبل عثارا واعتذارا * فمن يقبل يقل عند العثار
فمازال الصغار تروم عفوا * وغفران الكبائر من كبار

واحسن العفو ياذا السلوك عفو السلاطين والملوك لاسيما اذا عظم الجرم وكبر الاثم فان العفو اذا صادر من ملك ذى سلطان قادر مع قوة الباعث على المؤاخذه والقدرة الشاملة النافذه وغير الملوك من العاجز والصعلوك عفوهم انما هو عجز خشيه أو لتمشية غرض مشيه والملوك انما يؤثر عنهم الخلال الحميده والخصال الشريفة السعيده والاكابر يعفون والاصاغر يهفون وقد قسم الحكماء والحكام ما يقع من الذنب والآثام أربعة أقسام فاسمع يا كبير هفوة وتقصير وخيانة ومكروه وحرروا ذلك وضبطوه وذكروا الكل جزاء قرروه فجزاء الهفوة العتاب وبه نطق الكتاب وجزاء التقصير الملامه على ما أورث من ندامه وجزاء الخيانة العقوبه فان فى ارتكابها للعاقل صعوبه واعظم بعقابها مشوبه وما يرتكب المكروه الا الغافل المعتوه وجزاؤه أيضا عقله وهذا على مقتضى العقل وعدله والذى صدر فى سابق القدر من المخلص ابى نوفل انما هى هفوة بهازل وجزاؤه على هذا الحساب انما هو العتاب وقد استوفاه وزياده وفى هذا لمولانا الملك الاراده فان شاء عاقب على الذنب الصغير وان شاء عفا عن الجرم الكبير والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص فضلا عمن هو فى شرك العبوديه والاقتناص ولأن يؤثر الفضل عن الملك وعلى طريق عفوه يسلك الدرب المستلك خير من أن يؤثر عنه لنفسه الانتقام ويخلد ذلك على

صفحات الايام ولاشك أن سيرة العفو والفضل أفضل من القصاص والعدل وذلك هو اللائق بالحشمه والاوثق للحرمه والاجدر لناموس السلطنه والابقى على ممر الدهور والازمنه وقد قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ينادى مناد يوم القيامة من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله ولقد كان جماعة من عظماء الملوك والاكابر يبحثون عمن تعاطى الذنوب والاجرام من الاصاغر لاسيما لمن يتعرض لذات الملك ونفسه ويستعين بطوائف على فساده من أبناء جنسه فاذا قدروا عليهم عفوا وتلذذوا بالعفو والاحسان واستعفوا وحسبك يا ابا جهينه ومن فضله اعذب مزينه واقعة ابن سليمان المخلدة على ممر الازمان وما تضمنت من مكارم الاخلاق التى تعطرت بها الآفاق فتوجه الاسد اليه ومال وقال أخبرنا يا ابا الخنهشل كيف كان هذا المثال قال لما انتهت ايام بنى اميه وتطرزت خلع الايام باعلام الدولة العباسيه واشرق بطلعة أبى العباس السفاح فى دياجير الدهر ابين صباح باحسن فلاح اختفت نجوم افلاك بنى اميه وكواكب من بقى من تلك الزواهر المضيه وكان منهم ابراهيم ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان وجعل السفاح يتطلبهم ويرغب من يدرى بهم ويرهبهم الى أن ظهر ابن سليمان وكان من أمره ما كان فحكى انه كان بالحيره مختفيا فى هم وحيره قال ففى بعض الايام تراءت لى على سطح سواد أعلام فوقع فى نفسى وغلب على حدسى انها قد جاءت لطلبى راغبة فى عطبى فتنكرت فى الحال واختفيت وخرجت من الحيرة والى الكوفة أتيت فدخلتها خائفا اترقب ولم يكن لى فيها مترصد ولا مترقب ولا صديق اركن اليه ولا صاحب اعول عليه فصرت فى تلك البلاد مثل المنشد ببغداد

بغداد دار لاهل المال منعمة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران امشى فى ازقتها * كاننى مصحف فى بيت زنديق

فاداني المسير الى باب كبير منظره جليل وداخله دهليز طويل ليس فيه احد من الحجاب والرصد فدخلت اليه وبه مكان فجلست عليه واذا

برجل جسيم جميل الشكل وسيم على فرس جواد مع طائفة من
الاجناد فدخل الى دهليز الباب وفى خدمته غلمانه والاصحاب الى أن نزل
عن دابته وانفرد عن جماعته فلما رآنى فى وجيف ووجل قال من الرجل
فقلت خلالك الذم مختف على دم واستجرت بجوارك ونزلت فى ديارك
فقال أجارك الله لاتخف من سواه ثم أدخلنى حجرة لطيفه تشتمل على
أشياء ظريفه قدجعلها مضيفه ينزلها كل من قصده جهله اوعرفه
فمكثت عنده حولا اصول فى نعمه صولا ولا يسألنى فعلا ولاقولا
بل كان يركب من الاسحار وينزل اذا انتصف النهار وذلك كل يوم
لا تأخذه عن ذلك سنة ولا نوم فسألته فى بعض الايام ونحن فى اهنا مقام
وقد صرت عيبة سره ومرآة قلبه وصدره عن ركوبه ونزوله وموجب
تنقله وحلوله فقال ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان قتل
ابى صبرا واورثنى بذلك نكدا وضرا واوهج فى فؤادى لهبا وجمرا وقد
دارت على بنى امية الدوائر وبلغنى انه بالكوفة مختف حائر فانا كل يوم
اركب اليه وافتش عليه لعل الله يوقعنى به لاشفى قلبى بقتله من كربه
فآخذ بثارى وأكشف عنى عارى وأطفى لهبى وآخذ ثار أبى قال
ابن سليمان فعجبت من قضاء الرحمن وكيف ساقتنى ارجلى الى شبكة
مقتلى وامشانى القضاء برجلى الى من هو دائر على قتلى فاستحييت منه
ومن الله وكرهت عند ذلك الحياه فسألته عن اسم أبيه لاتحقق ما يديه
وينهيه فأخبرنى فعرفته وتذكرت انى أنا قتلته فقلت ياهذا وجب على
حقك وأنا غريمك ومسترقك وقد قرب الله خطاك وأنا لك ممناك فقال
وماذاك فقلت أنا ابراهيم الذى على طلبه تهيم وأنا قاتل أبيك فافعل بى
ما يرضيك وخذ ثارك وأطفى نارك فقال كانه طال بك الجفاء وأضر بك
الاختفاء فاردت بالموت الخلاص واستندت لدعوى القصاص فقلت
لاوالله الذى علم السر واخفاه بل قلت الحق وفهت بالصدق وخلاص
الذمة فى الاولى اخف من قصاص الاخرى واولى انا فعلت بابيك الاذى
فى يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا قال فلما علم ذلك منى وتحقق أنه صدر
عنى احمرت عيناه وانتفخت شفتاه وقامت عروقه ولمعت بروقه
وأزبدت شدوقه وأطرق الى الارض وكاد يأكل بعضه البعض وجعل

يرجف ويرعد ويزأر كالاسد ويتمايل كريشة تقلبها الريح فى قاع البلد
واستمر على ذلك زمانا يتامل فيما يفعله بى اساءة واحسانا الى أن سكنت
رعدته وبردت همته فامنت سطوته وقهر جدى سورته ثم أقبل على
ورفع رأسه الى وقال اما أنت فستلتقى ابى غدا فيقتص له منك جبار السما
وأما انا فلا اخفر ذمتى ولا اضيع جوارى وحرمتى ولا يصل اليك مكروه
منى ولكن قم واخرج عنى فلست آمن نفسى عليك ولا أقدر بعد اليوم
أنظر اليك ثم دفع الى ألف دينار وقال استعن بها على ما تختار فلم آخذها
ولا نظرت اليها وخرجت من داره ولم أعرج عليها ولم أرأ كرم من ذلك
الرجل ولا أحلم ولا اعظم مكارم منه ولا اجسم وانما أوردت هذه الحكايه
وقى الله مولانا الملك شر النكايه ليعلم أن الذنب الكبير يستدعى العفو الكثير
ممن قدره عظيم وحسبه جسيم ونسبه كريم كما قيل فى محكم الكتاب الحكيم
ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك
وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم فقال الوزير ناموس السلطنة وحشمتها وهيبة الملك وحرمتها لها
شروط كل منها محرر مضبوط وبالمحافظة عليه محوط ولا بد من اقامة أركانها
وتشييد بنيانها ويجب الوفاء بها على الملوك والمالك ويفترض القيام بها
على سلاطين الممالك والاخلال برعايتها وهن فى الولايه فلا غنى عن العمل بها
ورعايتها أحسن رعايه فمن ذلك أن لا يسامح جماعه ولا يغفل عنهم وعن كيدهم
ساعة فساعه ولا يركن اليهم فى اقامة ولا سير حيث لا يصدر عنهم للملك ولا
للمملكة خير فمنهم من يعزل الانسان عن منصبه من غير وقوف لعزله عن
سببه ومنهم من يوالى اعداء الملك وهو ذو اجتراء منهمك ومنهم من يراعى
مصلحة نفسه ويقدمها على مصلحة مخدومه فى حالتى رخائه وباسه ومنهم
من يفشى سره ولا يراعى خيره وشره ومنهم من يتعرض لسقطه وغلطه
لتغيير خاطره وسخطه ومنهم من ينتقص حرمته وينتهك عظمته وحشمته
ومنهم ذو الطبع اللئيم المفسد فى الحريم ولا شك أن أبا نوفل المهمل
المغفل قد ارتكب بعض هذه الصفات وهو متلبس بأشنع الحركات وهذا
يدل على لؤم اصله وشؤم محله وسوء طويته وفساد نيته ومن اكرم

اللئيم فهو الملوم وهذا أمر معلوم وقد قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

فقال أخو نهشل الفقير لا تقل ذلك أيها الوزير فان أبا نوفل عبد خديم ومخلص قديم وظريف نديم ومحب صديق وودود شفيق امين ثقه ذو وفاء ومقه محب ناصح وجليس صالح لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير ولم يزل يسير في طريق العبودية أحسن سير ولم يطلع منه على شيء يعيبه ولا يشينه في الدارين ولا يريبه بل هو ملازم لوظائف عبوديته مباشر لما يجب عليه من شرائط خدمته لم يصدر عنه ابدا غش لمخدومه ولا خروج عن امتثال أوامر مرسومه فان صدرت منه هفوة نادره أو سهوة بادره أو جفوة سادره فحلم مولانا الملك لا يقتضي بل ولا يرتضي اطراح هذه الاوصاف المتعاضده لاجل هذه الزلة الواحده كما قيل

فان يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعاله اللاتي سررن الوف

مع انه حصل له من كسر الخاطر واحراق القلب واغراق الجفن الماطر ما لا يجبره الا العواطف السلطانيه والمراحم الشريفة الملوكيه ونظرة من الحنو والعطف وذرة من الشفقة واللطف تكفيه ومن أليم الجفاء تنجيه وبعد شدة الممات تحييه والا فلا نعرف أحدا يجبر كسر ذلك الوهن ابدا الا الالاء السلطانية من يد العلو تعالى مقامها الى درجات السمو والعطف والحنو ثم عطف على الدب وقد حفر لا يقاعه الجب وقال أما انا مع قلة البضاعه واحتقار مقامي بين الجماعه فقد أقمت نفسي لما وجب عليها في مقام الشفاعه فلا اقصر فيها ولا أرجع عنها ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وأسأل صدقات مولانا ابي اللماس المساعدة في انجاز هذا الالتماس وأن يكون شريكا لي في احراز هذا الجعل والوصول الى أنواع الفضل من هذا الفصل فانه يرد عنا فتنه ومن يشفع شفاعة سيئه وأرجو من وزير الممالك أن لا يقع منه مخالفة في ذلك فان من سكن الكرم في ربعه لا يصدر منه الا ما يليق بكرم طبعه واللئيم يتكلف بل يحسد عليه ويتأسف اذا شرع في مكارم الاخلاق وتعاطى فيها ما لم يقسمه له مقسم الارزاق ترى وجوه محاسنها في مكامنها تستر منه باتقاب النشوز وأبكار خدورها

فى تصورها تتراءى لعينه فى صورة شوهاء عجوز فلا يطاوعه لسانه فى طيب المقام الى طيب المقال ولا يبعثه جنانه الى مباشرة حسن الفعال فيصير كما قيل

يراد من القلب نسيانكم * وتابى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم سالكون طريق سلوكهم وحيث كان مولانا الملك مجبولا على الشفقة الكامله والمراحم الشامله فكلنا يجب على ذمتنا ويلزم دائرة همتنا أن نتخلق باخلاقه العليه ونتشبث باهداب شمائلها الرضيه ونتعاون جميعا على التزين بملابسة ملابسها البهيه ونستضئ بل نهتدى فى دياجير المعاش بدرارى افلاك صفاتها الزكيه فان العبد فيما يتعاناه مجبول من طينة مولاه وان الله جل وعلا لا يضيع أجر من احسن عملا قال فألجم الدب ذو الساقطه بما فعله به من المغالطه ثم امسكوا عن الكلام وانتظروا ما يصدر من الضرغام فلم يبد خطابا ولا انهى جوابا سوى أن قال صلوا فى الرحال ولا تبدوا ولا تعيدوا ولا تنقصوا فى هذه القضية ولا تزيدوا حتى امعن فيها النظر واستشير فيها مشير الفكر فمهما اشار اليه الرأى وارشد الى اتباعه الهدى فيما يتعلق بحاله تقدمت اليكم بامتثاله فلما انصرفوا توجه أخو نهشل الى الحبس وذكر لاخيه ما جرى بينه وبين ذلك النحس ثم قال أبشر بالنجاح والفلاح والصلاح فقد رأيت فى جبين الفوز نور صباح ولا شك أن الله الغفور يجرى على يدى ولسانى من الامور ما يجلب السرور ويذهب الشرور فكن اوثق صبور وان حصل فى الطريق عقبة تعويق فلا يكن فى صدرك حرج فان وراءها باب الفرج فان الظفر مقرون بالصبر والصبر مشفوع باليسر وقد أجاد صاحب الانشاد

اصبر على ما جرى من سابق قدما * فركب الصبر بالامهال تلحقه

فشكر له جميل سعيه ثم عرض على مشير وعيه فقال كنت أرى أن هذه القضية تؤخر ويرجى السعى فى امرها ولا يذكر وسبب ذلك أن الطالع قد أدبر والحظ عن المساعدة قد تأخر واذا تحرك الشخص والسعد ساكن وتبسم الدهر والزهر باك وطلب شكر مسالمته وهو شاك فهو كقاطع البحر

بالمراكن والبانى على ثبجه اماكن لا يصلح له عمل ولا ينجح له امل فيشبه
اذ ذاك الحمار المعصوب العينين فى المدار يقطع بالمسير زمانه ولا يفارق
مكانه كذلك من يتعاطى الاعمال والسعد غير عمال فلا يستفيد
الا التعويق والتبعيد ففى تلك الحال ينبغى الامهال لا الاهمال الى
ان يتوجه السعد بالاقبال فعند ذلك مد الشباك وصد السماك فان السعد
أناك والدهر واتاك (وناهيك قصة كسرى القديم) مع وزيره بزرجمهر
الحكيم فسأل أخو نهشل بيان ما نقل من المثل أخوه أبو نوفل فقال
بلغنى ان كسرى أراد التنزه فثنى الى حديقة عنان التوجه وطلب الحكيم
بزرجمهر وجلسا تحت دوحة زهر على بركة ماء أصفى من دموع العشاق وأنقى
من قلوب الحكماء ثم طلب طائفة من البط لتلاعب قدامه فى البركة وتنغط
وجعل ينادم وزيره ويتلقف منه حكمه المنيره ويتفرج على البط وهو يلعب
ويتأمل فى أنواع حكم الصانع القديم ويطرب وصار يعبث بالخاتم فى أصبعه
ويسرح فى رياض الصنع سوائم منظره ومسمعه فسقط الخاتم من اصبعه
وهو ساه وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما ابداه ولا أنهاه فالتقمته بطه وغطت
فى الماء غطه وكان فيه فص ثمين وكسرى به من المغرمين فلما سود قلم
الاقتدار بياض النهار واكمل مشقه على قرطاس الاقطار اذن كسرى
للوزير بالانصراف وقد أسبغ عليه خلع الانعام والاسعاف ودخل
كسرى الى الحرم وافتقد من اصبعه الخاتم فلم يتذكر ما جرى له ولا وقف
على كيفية هذه الحاله فأرسل يطلب الوزير البلاع وسأل منه عن خاتمه
الضائع ولكن الوزير قد نظر فى الطالع فرأى أن الكلام فى أمر الخاتم غير
نافع فلو تكلم بصورة الواقع ذبح جميع البط وما وجد لان الطالع مانع
فكتم امره وكلمه بكلام لحقيقة الجد جامع مانع ثم انصرف وذهب واستمر
كسرى على الطلب ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات وينظر فى احوال
الساعات الى ان استقام الطالع وزال من السعد المانع وتيمن الفال
وحسن البال وحال الوبال فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه وأخبره
بما كان مخفيا من أمر الخاتم فى جيب مكتومه وانه سقط من اصبعه وهو
على البركة فى موضعه فبادرت بطه الى الغطه فاختطفته وابتلعته

بعد ما التقمته فاحضروا البط جميعه وذبحوا من عرضه واحدة بديعه فوجدوا الخاتم فى حشاها ولم تحوج الى ذبح سواها ثم سأل كسرى الحكيم الاديب لم لم يخبره بهذا الامر الغريب فى أول وقوعه وصدوره وما موجب تأخيره فقال كان اذ ذاك الجد فى انعكاس والسعد فى انتكاس والطالع فى سقوط والنجم فى هبوط وأما الآن فالطالع استقام والسعد كالخادم أقام ونجم السعود قد حال عنه الهبوط والوبال وفى استقامة السعد واقباله من بعد يفعل الشخص ما شا فالدهر معه جار سواء جارى أو ماشى وانما أوردت هذا التنظير لتعلم أن معاندة التقدير أمر خطير وخطب عسير فربما يفرغ الانسان جهده فى المبالغه ويكون الامر فيه مماذقة ومراوغه فينعكس المرام ولم يحصل سوى اضاعة ايام ولم اذكر هذه المفاوضه الا على سبيل العرض لا المعارضه لما اعلم منك من وفور الفضيله وان مقاصدك على كل حال جميله فقال أخو نهشل الامر كما زعمت وأشرت به ورسمت ولكن اختشيت ان لم ابادر يسبقنى عدو غادر أو حسود ماكر أو مبغض مكابر فينهى الى المسامع ما ليس بواقع فلم نشعر أيها البطل الا وقد ولج قلب الملك أنواع من مكر ودخل فيصير كما قيل

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لاسيما وقد تقرر فى الامثال عند غالب الرجال أن الدعوى لمن سبق لا لمن صدق وبالجملة يا أبا عويله اذا كانت مقاصد الشخص جميله فان الله تعالى ينجحها ولا يفضحها ويدبرها ولا يدمرها وان كان فى الظاهر وعند البادى والحاضر يظهر فى بعض القضايا نوع هم وغم لكن ذلك السر لم يطلع عليه الا مدبر العالم واذا فوض الشخص الامور الى العزيز الغفور الذى هو مدبر الطالع والغارب وفى الحقيقة رب المشارق والمغارب وعلم أن مقاليد الامور بيد تدبيره وأن ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره استراح فى كل المطالع وأخلص التوكل فنجاه الله من كل الوقائع وأوصله الى ما رام من المطامع (وحسبك قضية الناصح الاستاد) الامين الدمشقى مع الخائن جاسوس بغداد وهى طويله طائله فى مجادة كامله وأيضا لم ابادر بمفاتحة السلطان

فی أمرك يا أعز الاخوان الالك لا أنسب الى تهاون وتوان وما من شروط
المروه والصداقة والاخوه ان يتخلف الفطن فی مثل هذا الموطن
عن مساعدة الاصحاب ومعاونة الاحباب لاسيما صديق مثلك
وحبيب متمم بفضلك وانى لا أدع من انواع الاجتهاد وما يحسن يبالى
فی الاصدار والايراد شيأ الا فعلته ولا أمرا الا قدمته ولا فكرا
الا استعملته ولو بذلت فی ذلك روحی ومالی وخيلی ورجالی وانی مباكر
باب الملك وملازمه كاحسن من سدك فان رأيته مكرما مقامی مصغيا
الى كلامی خاطبته بما يليق وسلكت فی الشفاعة وحلو العبارة أوضح
طريق وان شاهدت فی خلقه شكاسه وفی طبعه شراسه وصعوبة
وشماسه سلكت سبيل حسن السياسه وفی الجملة أستعمل علم الفراسه
وفی كل حكم نظيره وقياسه وأستعين بالاقرباء والاودا واغالط المناقض
والمعارض من الاعدا وأقصد النجح واراقبه وارتقب السعد واخاطبه
واسلك مع كل أحد ما يناسبه فالعدو اقتله والحسود أختله والعذول
أفتله والمحب احتله والمبغض ابتله ومن تصاب فی المدافعة امتله الى ان
ينقضی هذا الامر وينطفیٔ منه الجمر ويقبل مبشر الامانی بالطبل والزمر
ثم انه بات مفكرا وبادر الى الصباح مبكرا وأمّ ابواب السلطان قبل سائر
الخدم والاعوان فوجد الدب قد سبقه وجاس من عين المكر فی الحدقه
وقد فوق سهم الكيد وصوبه الى شاكلة الصيد ولم يبق الا اطلاقه ليشدّ
من المرمی وثاقه فقبل النديم الارض واعلن سلامه وقطع على ابی جهيد
كلامه وعارض ملامه ونافض مرامه وقال أدام الله أيام السعاده
واعوام الحسنى وزياده المستمدة من بقاء مولانا السلطان وعمر دهره المخلد
على تعاقب الزمان وأوطا هام الامم مواطئ قدمه وأطاب بطيب حياته
معايش عبيده وخدمه كانت المواعيد الشريفه والآراء المنيفه سبقت
بالتأمل فی أمر عبدها القديم وخديمها الفقير العديم وجالب سرورها
أبو نوفل النديم مع ما كان لائحا وعلى صفحات الرضا واضحا من شمائل
الاخلاق الملوكيه ومكارم الشيم السلطانيه أن مراحمها ستاخذ بيد
العاثر وتقيل عثرته بحسن المآثر بحيث يشرح الخاطر ويربح الخاسر

والمملوك يسأل مراحمها ويرجو مكارمها أن لا تخيب ظنه وان تجبر بتحقيق ظنه وهنه وان تجرى مماليكها وعبيدها على ما عودها من الصدقات قديمها وجديدها ثم أنشد والى الرضا ارشد

ارجو أبا العباس ان يروى لنا * عن ثغره الضحاك نورا يقتبس
فاقرأ تبسم ضاحكا من قولها * منها لا نحوى ولا تقرا عبس

فتبسم أبو العباس ابتسامه ظهرت منها للرضا علامه فاشتعل الدب من القيظ وكاد يتمزق من الغيظ وعلم ان عقد امره انفرط ونجم سعده من فلك السعد سقط وأنه لم يكتسب من مكايد القساوه الا هاتيك العداوه وانكشف عند مالكه ماوطأه من مغطى وقرأ كل أحد حديث ذلك الموطا وغلب عليه الوجد فى الحال فخرج عن دائرة الاعتدال وسكر من خمرة العداوة فطفح وعربد وشطح فقال كل من ستر على اعداء الملك فهو فى الخيانة والجناية مشترك وكل من شفع فى الجانى فهو فى قيد العصيان عانى بل هو أشد من المباشر اذ هو معاشر للمتعاطى ومكاسر والابقاء على المعصية شر منها والرضا بالكفر الكافر فتنة يفرعنها وما أظنك أيها النديم العارف القديم لمعرفة هذا القدر عديم فان ابيت الا الاصرار ومساعدة الفجار ومعاونة الاشرار فانت حينئذ مستخف لهيبة ولي نعمتك مستنقص حرمة مالك رقبتك طالب لابتذاله مستهون بمقام جلاله راض بتسليط الانذال والاوغاد الارذال على انتهاك حرمته واستكمال استمار حشمته ونحن لا نرضى بذاء الذمامه ولا نكيد للمخالف ولا كرامه فعند ذلك استشاط الغضنفر وتأثر لكلام الوزير وتغير وزأر وهمر وزفر زفرة وزمجر وكاد ان يثب على ابى جهر ثم انه تماسك وتناسى الغدر وتناسك وقال يا اباسلمه كبرت كلمه غيبة الاصحاب والنميمة بين الاحباب وساءت حركه وبئست ملكه تناسى الحقوق وتحاسى العقوق واطراح جانب الصديق الصدوق والرفيق الشفوق واضاعة خدمة النديم لاسيما النديم القديم ولم تزل الاصاغر تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر ولم تبرح الملوك تعطف على مسكينها الصعلوك انسيت ما قلت لك فى حضيقة من ملك وهو

ليس المليك الذى تشقى رعيته * وانما الملك مولا يحفظ الخدما

وأيضا لم تزل الاصحاب تساعد أصحابها وتستعطف عليها ملوكها وأربابها وترفع بحسن السفارة من ستائر الدهشة حجابها ويثبتون بذلك الاجر العظيم والثواب الجسيم والثناء العاجل والجزاء الآجل فى صحائف مخاديمهم ويعدون ذلك اربح معاليهم ويبذلون فى ذلك الجهد ويبلغون فيه غاية الكد وذلك مما يجب عليهم ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم كما قيل

يستعطفون الاكابر * يستعبدون الاصاغر

يحيون رسم الاوائل * يعلمون الاواخر

وأى فائدة واستفاده أيها الوزير أبا قتاده فى رعية ملك لا تتفق قلوبهم ولا تستر بينهم عيوبهم ولا تطهر بالصفاء جيوبهم ولا تتجافى عن مضاجع الجفاء جنوبهم ولا يتساوى فى الوفاء حضورهم وغيوبهم تراهم فى الغيبة يفت بعضهم بعضا فتا ويرعون لحومهم قتا كبهائم لاقت فى مرعاها قتا وفى الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان كان اخو نهشل ساعد أخاه أبا نوفل فذا شئ يجب عليه ويندب اليه فانه صاحبه القديم وجليسه القويم وان تخلى عنه فماذا يرجى منه وحجر النوائب هو محك الاصحاب وحجر المصائب يظهر من تبر الصداقة اللباب وقد قام فى هذه النوائب بعدة اشياء كلها عليه واجب اولها القيام بحق أخيه والسعى فى خلاصه من هذا الامر الكريه ثانيها ساق الى صحائفى الحسنات وقصد لى رفع الدرجات ثالثها طلب رضا خاطرى ومايشرح صدرى ويسر سرائرى رابعها مباعدتى عن الآثام وخلاص ذمتى من الوقوع فى الحرام فربما يحملنى العنود والخلق الشرود على التعدى فى الحدود خامسها اشتهار اسمى بالفضل وعدم المؤاخذة بالعدل فيشيع فى الآفاق عنى مكارم الاخلاق سادسها انتشار صيتى بحسن الوفاء والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء سابعها انه غرس فى قلوب الاماثل محبته وزرع فى أرواح الافاضل مودته وان كان صدر من أبى نوفل ما صدر فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر فنعمل معه بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر كما قيل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال اوفجرا

فقد اطاعك من أرضاك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكايه غاية الشرونهاية النكايه ماتدانى واقعة الملك الصافح عن عدوه المؤذى المسافح فقبل الدب الارض وقام فى مقام العرض وسأل الملك بيانها ليعلم بحسن التصريف فرزانها ويقيس عليها اوزانها فقال ذكر ان بعض السلاطين تصدى له عدو من الشياطين يحرض عليه الاعادى ويفسد عليه الحاضر والبادى ويجتهد فى اقامته ومسيره فى ازالة الملك عن سريره ويغرى به العساكر فيقابله ظاهرا بالثواكر وباطنا بالمواكر ومافسد منه مافسد الابدواعى الحقد والحسد فجعل الملك يسترضيه بالهبات فلا يرضى و يستدنيه بالصلات فلا تزيده صلاته الابعدا ونقضا كما قيل

الى كم يدارى القلب حاسد نعمة * اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من اموره واشتغل لايقاعه بنذوره وجعل ينصب له شرك الوقائع ويجتهد فى ايقاعه بكل دان وشاسع وذلك الباغى أحذر من الغراب وأسهر من طالع الكلاب والملك لايقر له قرار ولا يطيب له عيش لا بالليل ولا بالنهار فكان من أحسن الاتفاق ان علق ذلك الباغى ببعض الاوهاق فحمل الى حضرة الملك وهو فى قيد البلاء مشتبك فلما رآه فى قيد النكد بادر الى الارض فسجد وقال الحمد لله المغيث حيث امكن منك اى خبيث اترى هذا فى المنام فهو أضغاث أحلام ام سمح الزمان بأهل العدوان وانا يقظان ثم شرع فى السب والتجديع والتوبيخ والتقريع واقسم بفالق الاصباح وخالق الارواح ورازق الاشباح ليفعلن بذلك النباح من النكال والجراح مافعل المصطفى عليه السلام مع سراق اللقاح وليذيقنه كأس البأس وليجرعنه من خمر المنية امر كأس ثم امر الجلاد ان يأتيه بماله من النطع والسيف والعتاد فعلم ذلك الزنديق انه وقع فى الضيق وانه لاينجيه أخ ولا صديق ولا افتداء بشقيق ولا حميم وشفيق فضلا عن مال ومنال أو خيل ورجال فلما غسل يده من العيش استهوته الخفة والطيش فشرع فى السباب ودخل فى الشتم من كل باب ورفع بفاحش الكلام الصوت وقال مابعد الموت موت فسأل الملك أحد الوزراء ماذا يقول من الافتراء هذا الظالم المجترى الباغى المفترى

فقال

فقال يدعو بدوام البقاء ورفعة مولانا الملك والارتقاء ويقول ما أحسن العفو عند المقدره واللطف والكرم ايام الميسره وان لم يكن ثم مجال للمعذره ولو جعل العفو شكر المقدره لكان اولى واعلى مقاما فى مكارم الشيم واحلى كما قيل

ما أحسن العفو من القادر ٭ لاسيما لغير ذى ناصر

ويترحم على اسلاف مولانا السلطان الذين كان شيمتهم العفو عن ذوى العصيان وكان ذلك منتهى لذتهم وغاية أمنيتهم وما اجدر مولانا الملك ان يحيي مكارم سلفه ويجعل العفو كلمة باقية فى خلفه ولازال يقول من هذا المقول حتى لان له القلب القاسى ورق له قلب الملك الجاسى فامر باطلاقه ومنّ عليه باعتاقه وكان احد الوزراء واركان الامراء شخص يعاكس هذا الوزير ويناقضه فيما يراه ويشير وبينهما مرت اسباب عداوه احلى فى مذاق طبعهما من الشهد والحلاوه كل مترصد للآخر زله متوقع لايقاعه فى شبكة البلاء غفله فحين رأى شفقة الحال نسجت على هذا المنوال وجد فرصة للمقال فتقدم وقال ما احسن الصدق وازين كلام الحق خصوصا فى حضرة المخدوم وهذا أمر معلوم عدو مبين وحسود مهين لم يترك من أنواع العداوة شيأ الا تعاطاه ولا من الافساد والشر صنفا الا هياه قد اهلك الحرث والنسل وبدل جنى الصلاح من الفساد بخمط وأثل الى أن امكن الله تعالى منه وحان تفريغ الخواطر الشريفة عنه ثم انه فى مثل هذا المقام بين الخواص والعوام يثلب الاعراض من الاعراض ويجهر بالسوء من القول ويصرف فى الخناء والسب ماله من قوة وحول كيف يحل السكوت عن جرائمه وتغطية مساويه وعظائمه فضلا عن ان تتجلى سيئاته فى خلع الحسنات وتتحلى شوهاء سواخط أدعيته بملابس احسن الدعوات ومع هذا يطلب له التوقع والخلاص والاطلاق من شرك الاقتناص وهو على ماهو عليه من الاساءة المنسوبة اليه اماوالله يامولانا الهمام وسلطان الانام ماقال الا كذا وكذا من قبيح الكلام وتناول العرض المصون بالسب والدعاء والملام فتغير خاطر الملك وتشوش وتعكر صافى خاطره وتكدر ثم قال أيها الوزير ذو الصدق فى التحرير والله وحقك ان كذب هذا الوزير عندى خير من صدقك فانه بكذبه أرضانى والى

طريق الحق هدانى وأصفى خاطرى من الكدر وأطفأ ما كان تلهب
فى غيظى من شرر ونجانى من دم كنت أريقه ولا يهتدى الى كيفية
استحلاله طريقه فأصلح بذلك ذات البين وصار المتعادين أحسن محبين
وخلد ذكرى بجميل الصفات وسلك بى طريقة اجدادى الرفات واما انت
فكدرت عيشى وأثرت غضبى وطيشى واسمعتنى الكلام المر وقد مسنى
منك الضر واما انا فقد أعتقت هذا واطلقته فلا ارجع فى ايذائه وقد
اعتقته وقد ثبت لهذا الوزير على حقوق لا ينكرها الا ذو عقوق ولا تسعها
الاوراق والرقوق فكذبه عندى خير من صدقك وباطله أحلى على قلبى
من حقك ولهذا قال ذو الافضال ما كل ما يعلم يقال وانما أوردت هذا
الكلام يا كرام لتعلموا ان السلطان بمنزلة الامام واركانه له تبع فى القعود
والقيام ولا يتم الايتمام الا بالاتفاق بين الرفاق فاذا كان الجماعة مجمعين
طائعين لامامهم مستمعين استقام القيام وانتهوا من جميل التحيات الى السلام
ولا يقع لهم انتظام مع مخالفتهم لحال الامام هذا قائم وهذا قاعد وهذا راكع
وهذا ساجد وهذا نائم وهذا هاجد وأيضا السلطان بمنزلة القلب والراس
وبمنزلة الاعضاء رؤساء الناس وباقى الرعية خدم للرأس والاعضاء منتظرين
لما تبرز به المراسيم من الزجر والامضاء فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت
انتظمت أمور كل من الرأس والرعية وانصلحت واذا وقع اختلاف وتباين
فى الاعضا صار كل من الرأس والقلب والرعية مرضى ولقد صدق من
قال صلى الله عليه وسلم وارضى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
وخلاصة هذا الكلام أن قصدى ان تكون احوال رعيتى على النظام
لا يقع بينهم شقاق ولا تنافر ولا نفاق وأما أبو نوفل فيكفيه حياؤه وخجلته
فقد انتهت وتمت عقوبته وأخذ حده حده ولا يليق بكرمى أن أرده
وهذا الذى ورثته عن أسلافى وهو الخلق اللائق بمحاسن شيمى وأوصافى
فلما سمع الوزير هذا الكلام وجرح فؤاده نصل هذا الملام ندم غاية الندم وعلم
انه قد زلت به القدم وانه لا حاجته قضى ولا على صديقه أبقى ولم يستفد مما
ابداه من نجم سوى اظهار معاداة أبى النجم وانه اذا تخلص من حبسه وكربه
ورجع عند الملك الى منادمته وقربه لا بد ان يتصدى لمعاداته وسلبه

ولا يفيده بعد ذلك افعاله ولا يسمع فى أبى نوفل أقواله فانصرف من عند
الملك الطيشار لا يدرى اين يضع قدمه من الافتكار حتى وصل الى منزله
واختلى فى فكره بعمله وفرّع للخلاص من هذه الورطة طرقا وتفرّقت
روّاد افكاره فى منازل الخلاص فرقا فأدّى مصيب الرواد من الآرا
ومفيد القصاد من الشورى الى السعى فى مصالحة أبى نوفل وازالة ماوقع
من الغبار فى وجوه الصداقة وتخلل ثم أدّى افتكاره واورى من زند
رأيه شراره الى ان الذى وقع منه قد اشتهر وعلم به أصحاب البدو والحضر
فاذا طلب من بعده الصلح فذلك فى غاية القبح اذ كل من فى حجره حجز يتحقق
ان ذلك خور وعجز فصار يتردد بين هذه الافكار ويتأمل مافيهما من
تحقيق الانظار وتدقيق الاسرار فبينما هو فى بحر الافتكار يلاطمه
الموج ويصدمه التيار دخل عليه صفى له صافى الوداد وهو ظبى أغر يدعى
مبارك الميلاد زكى الجنان فصيح اللسان دقيق النظر عميق الفكر
ذو رأى صواب وشفقة كاملة على الاصحاب فرآه مطرقا الى الارض
فى فكر ذى طول وعرض فسلم عليه وتقدم بالسؤال اليه عن تشوّر باله
وتوزع حاله فطلب الوقوف على ما ناله لينظر عاقبة امره ومآله فاخبره بموجب
ذلك وانه قد سدت فى وجهه المسالك فقال مبارك الميلاد ياصحيح الوداد
أنت قد زعمت أن مولانا السلطان قد ترك ابانوفل الندمان وطرحه اطراحا
لا رجعة فيه وانه بعد اليوم لا يذكره ولا يدنيه وان عثرته لا تقال وغصته
لا تزول وقصته لا تزال هيهات هيهات يا ابا الترهات الملوك ان لم يعرفوا
حقوق خدمهم ولم يثبتوا فى ديوان احسانهم قدم قدمهم خصوصا هذا
الملك العظيم الذى انفاس شيمه تحيى العظم الرميم ونحن قد زجينا عمرنا فى
خدمه وأذاقنا برد عفوه وحلاوة كرمه وغذاء ارواحنا انما هو غوادى
حلمه وروائح نعمه مع ان ابانوفل لم يقع فى محذور ومعضل يوجب تناسى ذممه
وابتذال حرمته وحرمه وانه استغفر وأناب واعتذر وتاب واعلم أيها الوزير
الاكرم ان ذوى النهى والحجر اذا أرادوا الشروع فى امر تأملوا فى مبداه
غايته ومنتهاه وهذا التقرير كالجلوس المقصود من عمل السرير فانما تنبعث
اصنعته النفوس اذا علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس كما قيل

فاياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره

اما بلغك يا أخى واكرم سخى حكاية التاجر البلخى قال الوزير اخبرنى بكيفية هذا التنظير قال مبارك الميلاد بلغنى من احد العباد الذين طافوا البلاد انه كان فى مدينة بلخ تاجر كثير العروض والمتاجر عريض المال والجاه عزيز الضياع والمياه تكاثر نقوده الرمال وتباهى خزائنه معادن الجبال وتفاخر جواهره درر البحار وتسامى بضائعه تلال القفار تراجع عنه الحظ وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ وأدبرت عنه من الدنيا القوابل ونزلت بساحة موجوده بالاعدام النوازل ووات وفود معايشه فكادت تقدّ السلاسل فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه حتى فقد جميع مابين يديه فلم ير لنفسه اوفق من التغرب عن وطنه والاقامة فى سكن غير سكنه فأخذ بعضا من المال وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال وداوم فى الارض على الضرب حتى انتهى الى بلاد الغرب فأقام بها دهرا يتعاطى معاملة وتجرا الى ان زاد ماله وأثرى ورجع اليه بعد ماذهب من يديه ثم اشتاق الى بلده ورؤية زوجته وولده فتجهز اليها وسار حتى نزل عليها وأراد الدخول الى داره فأوقفه مشير افتكاره الى اعمال النظر فى حادث القضاء والقدر وأنشده الزمان بلسان البيان

للكون دائرة من قبلنا صنعت * لابى تضيق ولا من أجلك اتسعت
والسر فى جيب غيب الله مكتتم * فلست تدرى يد التقدير ماصنعت

فرأى ان يدخل ممسيا متنكرا مختفيا ويتوصل الى داره ويتجسس أحوال كباره وصغاره وماحدث عليهم من الحوادث وتقلباب الزمان العائث فتوجه لما اظلم الى داره وهو يترنم

بالله قل لى خبرك * فلى زمان لم أرك

الى أن وصل الى الباب وماعليه حاجب ولا بواب فرأى الباب مقفلا والقنديل عليه مسبلا وكان يعرف للسطوح دربا خفيا فاستطرق منه وارتفع مكانا عليا واشرف من الكوه فرأى ربة البيت المرجوه فوق سرير الامان معانقة فتى من الفتيان كانهما لفرط العناق كانا ميتين من ألم الاشتياق فبعثهما قيامة التلاق فتلازما والتفت الساق بالساق ولسان حال كل منهما يروى عنهما

عانقت محبوب قلبي حين واصلني * كأنني حرف لام عانقت الفا

فتبادر الى وهله لغيبوبة عقله أن ذلك الشاب الظريف معاشر حريفة افسد زوجته مغتنما غيبته وانه في تلك الليله استعمل قوله

لاتلق الابليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

فسل السكين وقصد قتل ذلك المسكين وصمم على النزول الى البيت واثارة الفتن بكيت وكيت ثم استتاب وهله واستراب عقله وأخذ يتفكر ويتأمل ويتدبر واحتضر احوال قرينته وانها في العفة مجبولة من طينته وانه لم يعلم عليها الا الخير وعدم ميلها عن حلالها الى الغير فطلب قبل الفضيحه لزوجته طريقة مندوحه ظريفة ممدوحه فان مدة غيبته طالت وزوجته ان كانت حالتها حالت فلابد أولا من الوقوف عليها كيف استحالت ثم كف عن الذبح ونزل عن السطح وقصد جارة داره ودارة جاره وطرق بابها واستنبح كلابها فخرجت اليه عجوز كانت الى داره تجوز فسألت من هو وما مراده ومن أين اصداره وايراده فقال اني رجل غريب ليس لي بهذه البلدة خليل ولا قريب وبلادي أرض مكه كنت اتردد الى هذه السكه واعامل التجار وكان لي في هذه المحله مجير وجار من التجار الكبار كنت آوي اليه وأنزل في قدومي عليه اسمه فلان وقدم علينا زمان وعاقني عنه نوائب الحدثان والآن قدمت الى هذا المكان وقد قصدت داره ولا أدري أي تجار دعاره ولم أعرف له خبرا ولا رأيت له عينا ولا اثرا فهل تعرفين كيف حاله والى ماذا آل مآله فقالت نعم زالت عنه النعم والجأته الحال الى الترحال فرحل منذ سنين وكنا في جواره من الآمنين وانقطع عنا خبره وعن زوجته عينه واثره وطال عليها منتظره فدعتها الضرورة والاعدام الى عرض حالها على الحكام فاذن لها قاضي بلخ في ابطال نكاحها بالفسخ ففسخت نكاحها واعتدت وطلبت نصيبها واستدت ولقد أوحشنا فراقه وآلمنا اشتياقه غير أن زوجته قامت مقامه وافاضت علينا احسانه وانعامه وهي متشوقة الى رؤيته متشوقة الى مطالع طلعته متلهفة على أيام وصاله متأسفة على ترشف زلاله فلما وقف على صورة الحال سجد شكرا لله ذي الجلال وحمدا لله على الثبات

فى مثل هذه النائبات وانما أوردت هذا المثال لتعلم فضيلة التأمل فى المآل والتفكر فى عواقب الاحوال قال الدب دعنا من هذا الكلام والاخذ فى الملام وأسعدنى فى التدارك فانك نعم المشارك قبل انفلات العنان وانقلاب الزمان وخروج زمام التلافى من أنامل الامكان وانتقال حل عقدته من اللسان والبنان الى الاسنان فقال مبارك الميلاد الرأى عندى يا أبا قتاد المبادرة الى الصلح والاصلاح ليحصل النصح والفلاح والاخذ فى المصافاه وسلوك طريق الموافاه والعمل به باطنا وظاهرا والاستمرار عليه اولا وآخرا ومحو آثار العداوه وتناسى أسباب الجفا والقساوه واستئناف المودة الصافيه والمحبة الوافيه وصرف القلب نحو دروس فقه الحلة الشافية والكافيه حتى يقول من رأى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافيه ثم اعلم انه لا يصفو لك صاحب وخاطرك عليه لتكدر مصاحب ولا يخلص لك صديق ولبن خلوص محبتك اياه مذيق وقاطع بغضك فى الطريق وشوك سعيك راكب التعويق والقلوب فى المحبة تتجازى ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجازا وكل شئ بمقدار وميزان وكما تدين تدان وقلما تجد من تحبه ويبغضك وتربه ويرفضك وتصفوله ويتكدر ولا تتغير عليه ويتغير ودونك يا ذا الكرامات ما قال صاحب المقامات

وكلت للخل كما كال لى * على وفاء الكيل أو بخسه

وقال من أحسن المقال

والعين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وأنا ما اقول هذا الكلام الا من قول خير الانام عليه أفضل التحيات واكمل السلام الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنا كر منها اختلف وانما يقع التعارف من الجهتين والتناكر من الطرفين ولا تغالط نفسك وتكابر حسك أن يحبك من تكرهه ويزينك من تشوهه ويقربك من تقصيه ويقيمك من ترميه ويرفعك من تضعه ويأخذ بيدك من تدفعه كما قيل فى الاقاويل

والناس اكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

واعلم

واعلم ان غالب الاخوان فى هذا الزمان مسلوب الانسانية وان كان فى زى الانسان من أحسنت اليه أسا ومن ترققت له قسا ومن نفعته ضرك ومن أمنته غرك ومن سكنت اوامه بزلال فضلك حرك وقد أجاد صاحب الانشاد

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا تعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود و نألف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه وتسبغ ملابس افضالك عليه فكيف يكون حال من تضمر له النكال وتتمنى وقوعه فى شرك العقال أنى تراه يصفو لك ويتقاضى سؤلك ومأمولك وهو مترقب غيلة غولك متوقع منك أن يصير مقتولك فماذا عسى ان تبلغ منه سؤالك ومسؤلك أو ترى من محبته ومودته مأمولك ومحصولك وانما أوردت هذه المقامات وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك أتذنا متقدمات الا لتتعاطى أسباب الصلح اولا فى نفسك ثم تستعمل الوسائط فيه من أبناء جنسك فينتج المقصود ويصفو الورد والمورود كما قيل

فان القلوب مرائى الصفات * كما السيف مرآة وجه الذوات

قال الدب انا القى الزمام فى هذا المقام لنيل هذا المرام الى يد تدبيرك واكتفى فى رعى رياضه برائد رأيك وتقديرك فان فكرك نجيب وسهم رأيك مصيب فافعل ما تختار واذقنا من رائق رأيك المشتار فقال تقسم أولا باللطيف الخبير انك اصفيت الضمير من الغش والتكدير وكرعت من وارد الصفاء الزلال النمير ونفضت يد المحبة والاخاء من علاقات البغضاء والشحناء حتى يجيب دعيى ولا يخيب سعيى وابذل مجهودى فى نيل مقصودى وابنى على اساس واسلك مع الناس مسلك الناس فبادر باليمين الى اليمين واشهد عليه الكرام الكاتبين أنه صقل مرآة محبته عن صدا المداهنه وجلا طريق مودته من غبار المباينه وانه يكتفى من غدير الغدر بما جرى ويطوى حديث الشحناء فلا اسمع الواشى بذلك ولا درى فليبذل مبارك الميلاد جهده فى السعى فى اصلاح الفساد وعقدا على ذلك العهد وتوجه مبارك الميلاد من بعد وقصد منزل اخى نهشل فرآه فى من نار همومه فى مشعل وقد غرق فى بحر الافكار هائما

لايقرله قرار فسلم عليه وتقدم بالسؤال عن حاله اليه وآنسه بالمحادثه
وذكرله الدهر وحوادثه وتذاكرا ماوقع من الدب وكيف أظهر نواقض
الحب وبارز بالعداوه وأبرز بادنى حركة موجبات القساوه ثم أخذ
أخونهشل فى العتاب وفتح لمبارك الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب
فاعترف عن صاحبه بان الظلم فى جانبه وانه كان حصل له من الوهم الكاذب
ما أورثه الوقيعة فى جانب الصاحب وانه ندم على ذلك واعترف بان فعله
حالك ولم يسعه الا الاعتذار وجبر ماوقع لأبى نوفل من الانكسار
بالسعى فى مساعدته والقيام معه فى جماعته والتوجه الى حضرة المخدوم
والتلافى بمرهم التصافى ماسبق من جراحات الكلام والكلوم ثم اذا حصل
من الخواطر الشريفة الاغضا واثمر فى رياض العفو لجانى الخدم فواكه
الرضا يستأنف سوق المحبة عقود المبايعه ويروج تاجر الصداقة على
مشترى الحشمة فى مظان رغباتها بضائعه الى أن يتزايد الوداد ويتأكد بين
الجميع عالم الاتحاد فانهض يارئيس الاصحاب وانيس الاحباب

فالعمر أقصر مدة * من أن يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا واتيا أبا نوفل سريعا فوجداه فى احرج مكان واوهج
زمان محفوفا بالاحزان مكنوفا بالاشجان وماحال من جفاء أحبابه
واقصاء مولاه وصار وهو جان غريمه السلطان فلما سلما عليه وجلسا
اليه واعتذر مبارك الميلاد بعد اظهار تباشير الوداد أن موجب تقصيره
فى السؤال عنه وتأخيره ان قلبه الوامق وطرفه الوادق لم يطاوعا على
رؤيته فى تلك الحال ولاسمحت قدمه بالتقدم اليه وهو مشغول البال
ثم تفاوضا فى أسباب الصلح وقصدا أبواب النجح فتجاذبوا أطراف
الطرائف وتفكهوا على موائد التحف واللطائف ومازالوا ينسجون خلع
الوفاق ويمزقون شقق الشقاق الى أن انعقدت اهداب المحبة والوداد
وانحلت عقود الحقود والكياد وتحقق كل احد من كبير وصغير ومأمور
وامير وجليل وحقير بحصول خالص المودة بين النديم والوزير

ولما أن تراءى الفجر يحكى * جبين الحب أو رأى الحبيب

توجه الوزير ومبارك الميلاد وأخونهشل ورؤس الاجناد مع سائر
الامراء والوزراء والاعيان والكبراء حتى انتهوا الى السدة العليه

والحضرة

والحضرة الملكية السلطانيه فقبلوا أرض الطاعه ووقفوا فى مواقف الشفاعه ونشروا من الدعاء والثناء ما يليق بجناب الملوك والعظماء وذكروا النديم ابا نوفل بما يستعطف به الخاطر المفضل حتى عطفت عليه مراحمه وانمحت من جريدة الانتقام جرائمه وسمح باحضاره لديه ليسبل ذيل الكرم والعفو عليه ثم يشمله ثوب الرضا وخلع العفو عما مضى فاسرع نحوه البشير بما اتفق من الجماعة مع الوزير ثم وصل القاصد وهو له مراصد فتوجه منشرح البال منبسط الآمال حتى دخل على حضرة ذى الدولة والاقبال وقبل الجداله ووقف فى موقف الخجاله لا يرفع طرفا ولا ينطق حرفا فرسم بالتشريف والخلع ليرفع عنه التخويف والهلع فتضاعفت الادعية الصالحه والاثنية الفائحه

بغادية من ذكره قد تمسكت * بطيب ثنا يحيي الزمان روائحه

واقيمت حرمته واستمرت عليه وظيفته ثم ان الملك انتقل من المجلس العاص الى مجلس خاص واجتمع بالخواص وعمم الخطاب لكل ناص ومحدث وقاص فقال ليعلم الوزير والنائب والامير والحاجب والصديق والصاحب والجندى والكاتب والمباشر والحاسب والراجل والراكب والآتى والذاهب وليبلغ الشاهد الغائب ان مقتضى الرياسه فى الشرع والسياسه على ما قدره حكماء الملوك وسلكوا بعباد الله تعالى أحسن السلوك ان كل واحد من الغنى والصعلوك لا سيما من له من الامر شى أو نوع مباشرة على ميت اوحى له مقام معين لا يزايله ومكان مبين لا يقايله قال الحى القيوم ذو الملك الديموم حكاية عن متصر فى ملك الديوم وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذا جرت سنته وورد كلامه وعلت كلمته وبه امر الشرع والانسان مدنى بالطبع فالواجب على كل من اقامه الله فى خدمة ملك ولاه أو سلطان علاه أن يلازم مقامه ويلاحظ فى صف جماعته امامه ويراقب ما يصدر عنه فقد قيل اياك وما يعتذر منه فاذا رام أن يتكلم بكلام بحضرة الامام أو بحضور أحد من الخواص والعوام يسبر كلامه اولا بمسبار لتفكر ويعيره بمعيار التأمل والتبصر ثم يسبكه فى بوتقة الفصاحه ويسكبه فى قالب الملاحه ويصوغه بآلات حسن الانسجام

ويرصعه بجواهر مقتضى المقام فاذا صيغ على هذه الصياغه وقعدت على صورة سبكه نقوش البلاغه واخرج له غواص الفكر من بحر المعانى والبيان فرائد افكار لم تظفر بها اصداف الآذان وخرائد ابكار لم تفترعها فحول الاذهان ازدانت بها من حور جنان الجنان ومقصورات خيام الدهور والازمان انسات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فاختلب بهائه القلوب والارواح واستلب بروائه الاموال والاشباح واستمال الخواطر وسحب الايادى المواطر وصار الدهر من بعض رواته واشتاف ما يرويه عنه معلقة بآذان نياته وان وقع والعياذ بالله منه ما يورث الندم والحزن وأخرج سهم الكلام من قوس العجلة لا اكتال ولا اتزن حصل فى سوقى ظاهره و باطنه الغبن والغبن واصابه ما اصاب نديم فغفور الختن فنهض الجماعة وللارض قبلوا وعن كيفية هذا الخبر سألوا فقال الملك ذكر المخبرون واخبر المذكرون انه فى قديم الزمن كان عند فغفور الختن ندمان كامل المعانى فى البيان ذو نعمة جزيله وصورة جميله وفضائل فضيله مبرز فى العلم كامل المودة والحلم محبوب الصوره مشكور السيره طاهر السريره ثقيل الراس خفيف الروح والحواس قد جال وجاب وبلا الاعداء والاصحاب وترشح لمنادمة الملوك والامراء ومجالسة السلاطين والوزراء وهو خصيص بملك الختن والصين مقبول عند الملوك والسلاطين اتفق له فى بعض الليالى انه كان عند جناب ملكه العالى وعنده جماعة من العلماء وطائفة من الاخصاء والندماء وهم يتعاطون كؤس اللطائف ويتواطون على ما فى الدنيا من طرف وطرائف ويتذكرون بعجائب الاقطار ويشنفون المسامع بخصائص الامصار فقال النديم رأيت فى بعض الاقاليم من الاراضى الحاميه والبلاد القاصيه حيوانا كبيرا سريع السير مترددا شكله بين شكلى الجمل والطير يضرب به فى الدبدبة المثل فيتعاطى التعلل فى الكسل ان قيل له احمل يقول انا طير وان قيل له طر يقول أنا جمل وذكر أن اسمه النعام وسائر أوصافه واعضائه على التمام فتعجب الحاضرون من هذه الصفات والاشكال البديعة والهيآت ثم قال وأعجب من هذه الصفات أن هذه الدابة تأكل الجمرات وتلتقط الحصيات وتختطف الحديدة المحماة من النار تزدردها ولا يتألم لذلك فمها ولا جسدها وتذيب كل ذلك معدتها

ولا

ولا يتأثر به لسانها ولا ترقوتها فانكر بعض الحاضرين هذا المقال لكونه
لم يشاهد هذه الاحوال ولا رأى ولا سمع خبر طير يأكل النار ويبلع الاحجار
ونسبوه الى المخارقة فى الاخبار فتصدى لاثبات ما يقول بطريق المنقول
والمعقول فلم يسعف كلامه القبول على ما ألفته منهم العقول لان الحيوانات
بل وسائر الجمادات اذا اتصلت بها النار محت منها الآثار وهذا طير
من الاطيار من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار فاتفق الجمهور على تكذيب
هذه الاخبار وقالوا المثل المشهور انما هو موضوع على لسان الطيور فيمن
تردد بين الامور فيقال هذا الفقير كالنعامة لا يحمل ولا يطير ومثل هذا
المضرب يا شيخ المشرق والمغرب قولهم طارت به عنقاء مغرب فقال النديم
الفاضل الحكيم أنا رأيت هذا بالعين فلم يزدهم الا تأكيد المين وقالوا
قد غلطت ولزمت الغلط فوقع من أعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا كذب
وسقط فحصل لذلك النديم من الخجالة والندم أمر عظيم واستمر فى حصر
حتى منعه السلطان من الدخول الى القصر وصار بين الاصحاب يشار اليه
بيا كذاب فلم يسع ذلك الاستاذ الا السفر من تلك البلاد والتوجه
الى العراق وبغداد وأخذ من طير النعام عدّه واستعمل عليها رجالا
مستعدّه ونقلها الى الصين فى عدة سنين تارة فى البحر وأخرى فى البر
وقاسى أنواعا من البؤس والضر وتكلف جملا من الاموال وتحمل مع
المشاق منن الرجال فما انتهى به السير الا وقد مات غالب تلك الطير فوصل
الى حضرة ملك الخطا واشتهر فى المملكة أن النديم الفلانى أتى فاجتمع
الناس لينظروا وأمر الملك الخاص والعام فحضروا واحضروا النعام
فى ذلك المحفل العام وطرح لها الحديد المحمى فخطفته والجمر والحصا فالتقفته
فتعجب الناس لذلك وسبحوا الله مالك الممالك وعلم الصغار والكبار
انه يخلق ما يشاء ويختار فشمله الملك بمزيد الانعام واعتذروا اليه عما مضى
من ملام وزادت رفعته ونفذت كلمته اذ قد اثبت مدّعاه وحقق بشاهد
الحس معنى ما ادّعاه ففى بعض الاوقات تذاكروا ما فات وانجر بهم
الكلام الى ما مرّ من حديث النعام فقال النديم أيها الملك الكريم
انى تكلفت على هذه الاطيار كذا وكذا الف دينار وقاسيت من المشقة

فى الاسفار وعاينت من شدائد الاخطار مالا تقاسيه عيدان النار واستمررت فى هذا العذاب الاليم المهين وفى سجن المشاق بضع سنين حتى بلغت تحقيق مرامى وتصديق كلامى ولولا عناية مولانا السلطان لما ساعدنى على مقصودى الزمان ولما زال عنى اسم الكذاب الى يوم الحساب فتبسم السلطان وقال لقد أتيت بمحاسن وما قصرت ولكن كلمة يحتاج فى اثبات تصديقها والخروج عن عهدة تحقيقها الى صرف المال الجزيل وتجشم مشقة السفر العريض الطويل وتحمل منن الرجال وركوب الاخطار والاهوال وازعاج الروح والبدن واضاعة جانب كبير من العمر والزمن لاى معنى يتفوه بها العاقل ولماذا ينطق بها مستمع او ناقل وانما أوردت هذا المقول ليعلم أرباب المعقول من جلساء الملوك والعظماء ورؤساء الامراء والزعماء خصوصا خواص القدماء وعوام الندماء ان شيأ يحتاج فيه الى تعب النفس وقيد وانكال وحبس ثم استعمال منن جماعه واصحاب يتقدمون الى الشفاعه لا ينبغى للعاقل أن يحوم حوله ولا يعقد أبدا عليه فعله وقوله فتقدم مبارك الميلاد وبذل فى اداء وظائف الدعاء الاجتهاد وقال انما كان عاقبة هذا الامر واطفاء نائرة هذا الجمر وأداؤه الى انتظام عقود السعد واشتماله على جمع الخواطر من بعد بيما من الخواطر الشريفه وشرف ملاحظتها المنيفه وتوجه مساعدتها لخدمها وشمول عواطفها على عبيدها وحشمها واقبال طالعها السعيد ولولا ذلك لما انتظم لنا شمل ايها العبيد فالمنة فى هذا كله للصدقات الشريفه والجميلة لعواطف منتها المنيفه ونظير هذا الشان ماجرى للخارج على الملك انوشروان فسأل الملك المطاع عن هذا المضاع فقال ذكر أهل التاريخ ياعالى الشماريخ ان كسرى انوشروان جاهره أحد الملوك بالعصيان وانتدب لمحاربته طائفة من الاعوان فتوجه كسرى اليه ووثب وثوب الاسد الضارى عليه ورأى التوانى فى أمره والتأخير من جملة الاخلال والتقصير فقابله قاتلا وقاتله قائلا

اذا استحقرت أدنى من تعادى * بمالك من يد وندى وطاقه
فما استحقرت ان اهملت الا * امورك وهو ذا عين الحماقه

فلما تواقفا واصطدما وتثاقفا انكسر ذو الطغيان وانتصر انوشروان وقبض على العدو وحصل الامان والهدو وقص طائره وتفرقت عساكره وحمل وقد سيم خسفا وكسرا الى الملك العادل كسرى فتقدم بالاحسان اليه وجعل العفو شكرا لقدرته عليه وبالغ معه فى اللطف والاحسان وانزله عنده فى بستان ترتع النزاهة فى ميادين رياضه وتكرع الفكاهة من رياحين حياضه وافاض عليه من خلع الانعام وادرارات الفضل والاكرام ما ازال دهشته واحال وحشته وابدى استعباده وابعد استبعاده فلما حصل انسه وهدأت نفسه أخذ فى تنجيزه وابلاغه الى مأمنه وتجهيزه فأبى الا الاقامه والتلبث بدار الكرامه وسأل الصدقات وما لها من عميم الشفقات مجاورة نخلها والاقامة تحت ظلها واغتنام مشاهدتها والتشرف بيمامن طلعتها مدة أيام فانها محسوبة من العمر العزيز باعوام فاجابت مسؤله واستنجزت مأموله وكان فى ذلك البستان نخلة كنخلة مريم قد يبست من الهرم ولما تعاورتها يد القدم لم تصلح الا للضرم فارسل يسأل الصدقات الجزله أن تهبه تلك النخله فاستنزل كسرى عقله وأجاب قصده وسؤله ووهبه تلك النخله فكان كل يوم يتوجه اليها ويسند ظهره ويعتمد عليها وهو فى أرغد حال وايمن مآل فبعد عدة شهور طلب الى التوجه الدستور فاستدعاه واكرم مثواه وأجاب قصده ومتمناه واسبغ عليه نعمه وفضله وسأله عن موجب سؤاله النخله وسبب طلبه الاقامه ثم سؤاله التوجه بالسلامه فقال أما سبب الاقامة بهذا البلد فلجوار مولانا الملك الامجد والاستسعاد بمشاهدة وجهه الاسعد فان طالعه قوى سعيد ومجاورته للعادة تفيد ويحصل منها لمجاورها المزيد فاردت أن يكون لى منها نصيب ويلاحظنى منها سهم مصيب

فان تلم بقفر عاد روضا * وان تمرر بملح صار شهدا
وان يخطر ببالك نحس نجم * يعد فى الحال من رياك سعدا

فصرت مشمولا بيمامن ظلها مغمورا بفائض وابلها وطلها وأما طلبى النخلة اليابسه فانى تفاءلت بها من حظى مساعدة ومنافسه فكنت اتردد اليها وأعوّل فى ذلك عليها فما دامت فى نحول كان جدى وسعدى فى نحول

الى أن رأيتها قد خضرت واطلعت واستبكرت فاقبل سعدى وحيا
وعاد بعد أن مات حيا وساقطت نخلة سعدى من ثمرات السعادة رطبا جنيا
فعلمت أن طالعى الهابط عاد الى الاوج ورسول حظى دخل فى دينه ناس
الايناس فوجا بعد فوج وارمل جدى ازدوج ببكر الآمال وكان لها أحسن
زوج كل ذلك أى اعظم مالك بسعد فالك وجوار دارجلالك
ومشاهدة أنوار جمالك واستماع كلامك وانتجاع كمالك نحن بعد اسعاد
السعد كل سهم أمل فوقته ونحوشا كلة قصد أطلقته اصبت الغرض
وحزت جوهره بلا عرض فاذا اسعف السعد النفس لا يعقها معه نحس
وانما أوردت هذا القول ياذا الكرامة والطول ليعلم الحضار والسادة
النظار أن استقامتنا واقبال سعدنا وانتظام أمورنا وجدنا انما هو
بالتفات الخواطر الشريفه وشمول أحوالنا بملاحظتها المنيفه واستدامة
بركاتها وميامن حركاتها كما قيل فى ذا القبيل

تلقى الامان على حياض محمد * ثولاء مخرفة وذئب أطلس
لاذى تخاف ولا لهذا جرأة * تهدى الرعية ما استقام الريس

وكما أن الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعى فانها كالرعية لا ينتظم
لها امر الا بالراعى كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك ياذا الدرجات العليه لا يصير ملكا الا بالرعيه ولو لم يكن
العاشق مشوقا لم يكن المعشوق معشوقا ولو لم يوجد الرامق بالامل مسوقا
لم يصر الملك المأمول مرموقا وقد عنى هذا المعنى من فى رياض المعانى اعنى

واحقر صب فيك يهدى سناؤه * كاعظمهم اذ من هواك تعظما
فلا تحتقره ان تملكت قلبه * فلولا الهوى ما كنت ملكا مفخما
ففى موقف العشاق منك وظيفة * لكل فلا يبغى لها متقدما
وكل له وجد يليق بحاله * وكل له حال يوافيك مغرما
ألم تر أن الله اوجد حكمة * ذبابا وعقبانا وبقا وضيغما
وكل له نفع وضر مخصص * فسبحان من قد خص طورا وعمما

والله تعالى لكمال قدرته واسبال ذيل رحمته خلق الكبير الاعلى محتاجا

لخدمة الصغير الادنى وجعل الحقير الادنى محتاجا لرحمة الكبير الاعلى
ولهذا أعظم الخلق من خلق الخلق واحوج الخلق الى الخلق وهو غنيٌّ عن
الخلق وقيل أيها الملك السني الانسان بطبعه مدنى وبمقدار كثرة الرعيه
واشتراكهم فى الصفات المرضيه وانقيادهم لاوامر مالكهم السنيه
تصير درجة الملك عليه كما كان فى زمن نبيّ الله سليمان صلوات الله عليه
وسلامه وتحيته واكرامه ولقد جرى فى عصره بين الطيور مفاوضة بين
اللقلق والعصفور فسأل ملك الآساد عن تلك المفاوضة مبارك الميلاد
فقال بلغنى ياسلطان الاسود ان نبيّ الله سليمان بن داود عليهما السلام
كان فى سيرانه مع خواص اركانه فمر بذلك الطلب على شجرة دلب للقلق
فيها عش قد بناه كاحسن حش وقد استوكر فى عشه عصفور واحتمى بجواره
من موذيات ابى مذعور فكانا يتخاصمان ويتقاولان ويتواصمان
ويتصاولان فوقف النبي الكريم واستوقف الجند العظيم ليسمع مايقولان
وينظر كيف يجولان فسمع اللقلق يقول وهو يجول ويصول ويخاطب
العصفور بمجمع من الطيور اشكرلى حسن الصنيع حيث انزلتك فى حصنى
المنيع لاحية ترقى اليك ولاجارح ينقض عليك ولولا انك عندى مناخا
ما ابقت لك الحية ذاتا ولا افراخا وانما سلمتم بجوارى وبقربكم من دارى
فوثب ابو محرز وتوسط الجمع وهو يجمز ونادى بين الاطيار انسيت
يا ابا خديج أى جار وأنا فى المدار حول هذه الديار آناء الليل واطراف
النهار ألقط النمل الكبار والصغار ولولا انا حارس مناخك ما ابقى لك النمل
أثرا ولا لفراخك فكل منا محتاج الى جاره مغتبط بجواره آمن به فى سربه
ومطاره فارفع من بيننا هذا النكد ولا يمنّ منا أحد على أحد فالحقوق
ماتضيع بين الجيران كما تراعى بين الاصحاب والاخوان وكما تدين تدان
ومع هذا فكلنا نصلى على نبيّ الله سليمان ملك الانس والجان وسلطان
الطيور وسائر الحيوان فانه بحسن عدله اعتدل الزمان وبيمن فضله صلح
الكائن والمكان ونحن أيضا كذلك نشكر الله رب الممالك اذ منّ علينا
بهذا السلطان المالك ملك الوحوش الاكابر وكاسر السباع الكواسر
المشفق على الضعفاء والاصاغر فلم يخل من فضله سبع ولا طائر ثم نهضوا

فوقفوا ودعوا للملك وانصرفوا هـذا آخر الباب والله أعلم بالصواب
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(الباب السادس)

(فى نوادر التيس المشرقى والكلب الافرقى)

قال الشيخ أبو المحاسن من ماء معارفه غير آسن ومن لمدود ارض الفضل من فضائله رواس وفى مشحون بحر العلم من فواضله مواس فابتهج الملك لهـذا الكلام وارتاح لما تضمنـه من الحكم والاحكام واستزاد اخاه من عقود هـذا النظام فقبل الارض فى مقام الخدام وقال بلغنى يا ملك الانام أن راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام وحيلة من المعز الجسام وفى ماشيته تيس مطاع كلها له اتباع وهو قديمها وقائدها وزعيمها وابو نتاجها وجو نعاجها واصله من الشرق لم يكن بينه وبين ابليس فى الشيطنة فرق اسمه الذميم التيس الزنيم وكان بواسطة الفحولة والكبر والتقدم فى الحضر والسفر يستطيل ويصول وينطح الكباش والوعول ويكسر أصحاب القرون من الفحول فيجرح ضعيفها ويطرح نحيفها ويضرب بخالصها القيفها الى أن أباد اعيانها واعجز رعيانها وطال منه العقوق فذهب به الراعى الى السوق ليبيعه ويستريح ويخلص الماشية من شره ويريح فبينما هو يطوف اذا برجل مهول مخوف طويل القامه كبير الهامه كانه زبنى القيامه شثن اليدين ازرق العينين أسود الخفين بثوب وسخ وطرطور سخ وسطه محزوم بسير مبزوم فصادف الراعى وهو فى السوق ساعى فمد يده الى التيس وقال بكم هـذا يا أبا الكيس فوقع بينهما الاتفاق ووقع الزنيم فى شبكة الرباق فتأمل شكل القصاب وصورته القاضية بالعجاب فرأى رجلا كانه من الشياطين معلقا فى وسطه عدة سكاكين فدخله الرعب ورجف من الرهب وأدرك بالفراسه انه سيهلكه ويحذف راسه وقال ظنى والظن يخطى ويصيب انى وقعت مع هذا فى يوم عصيب وانه قاصد هلاكى ومقيم على البواكى فالاولى الاحتراز والتأهب قبل زمان الجزاز فان حصل خير فما فى الاحتراز ضير وان وقع على الاهلاك العزم فاتلقى سيفه

بما

بما اعدته من ترس الحزم فوزن الجزار الثمن وشحط الزنيم بالرسن واتى به مطابخ فقطعها الى مسالخ فشم رائحة الزهومه واحس من الجزار نكده وشومه فلما دخل المسلخ ورأى القصابين هذا يذبح وهذا يسلخ واللحم شقات على الجدران معلقات وأنهر الدماء كدموع العشاق جاريه ورؤس الغنم وجلودها واكارعها كل كاشيه هذه الكاشية فى ناحيه وهذه الكاشية فى زاويه فرجف قلبه وازداد رعبه والتجأ الى الله تعالى وتاب اليه عما عليه من الذنوب ومالا فما واطا القصاب المصارع أن شد من المشرقى الاكارع وجدله على الجداله واخرج لذبحه الآله فلما رأى هذه الحاله تحقق ما كان ظنه فاستحضر باله وايقن انه هالك لا محاله فنظر الى القصاب وذكر ما قيل فى حق السلاب

نظروا اليك بأعين محمرة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كاله ليس للذبح بها حيله فطلب المسن ليحدها ويريح ذبيحته ان حدها فتركه وذهب للمسن وقد تحقق الزنيم ما كان ظن فتنفس له البلا وارتخى عنه عقد القضا فتمطى فى رباط الاكارع فخزقه بحيل قاطع ثم وثب وقصد الهرب وخرج من الباب وصاحوا عليه هراب فلم يلتفت الى الصوت وفر فرار من عاين الموت وطلب الخلا وطريق الفضا فادى به الذهاب الى بستان بجوار بيت القصاب فدخل البستان وامتد فى الجريان والقصاب وراءه بهيئته المهوله والسكين فى يده مسلوله وكان قبل هذا الزمان بين زوجة القصاب وصاحب البستان ما يكون بين الحرفاء والاخدان وكانت كلما وجدت فرصه جعلت للبستانى من نفسها حصه تنزل من بيتها الى بيته وتغمس سراجها من فتيلة قنديله وزيته فاتفق أن فى تلك الحال طلب كل من المحبين الوصال وكان زمان اشتغال اللحام بالمعاملة مع الخاص والعام فلاشتغاله وهله لا يتردد فيه الى أهله فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب ونزلت من بيتها الى بيت الحبيب فكان المحبان آمنين وقد تعانقا تحت دوحة ياسمين فاتفق ان الهارب من الموت ودواهيه أخذ على مكان هما فيه والقصاب يتبعه رافعا يده والسكين فى يده مجرده فلم تشعر الا وزوجها رافع الصوت واقف على رأسهما وبيده

آلة الموت وماشعربدواهيهما حتى عثر عليهما فقفز كلاهما من مكانهما مفتضحين فى مكامنهما فاشتغل القصاب بنفسه والتهى بنجته عن تيسه وكان الناس تابعيه فوقفوا على ماوقع فيه وقامت الغوغا وقعدت للعار من البلا فتفرس النجاة من الردا فلم يزل فى ميدان الجرى ذاهلا عما جرى حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا فانقطع عن ذلك الجنى تابعه ولم يوجد من شياطين الانس رائيه وسامعه فانتهى به التسيار فى تلك الصحارى والقفار الى جبل فآوى فيه الى غار كان ياوى اليه مع المواشى أوان الامطار فامسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار

فلما رأى الليل العبوس صنيعه * تبسم فافترت تباشير فجره

فلما أصبح الصباح خرج الى السراح وهو فى نشاط ومراح وجعل يرتاد انيسا ليكون جليسا اورفيقا صالحا اوصديقا ناصحا يتانس به فى الغربه ويمسح باناملِ مؤانسته ثفل الكربه ومايحصل على جبين راحته من عرق القربه وبينما هو ينشر البيداء ويطوى اذ سمع نباح كلب يعوى فترجى الخير وزوال الضير ثم قصد نحوه فرآه مقبلا من نحوه فناداه أهلا باحب الاحباب واعز الاصحاب المفضل على كثير ممن لبس الثياب فلما دنا منه بادر الى عناقه وتباكى لاليم فراقه فتعانقا تعانق المحبين وتباثا مابانه من مضه البين ثم قال له اعلم يالطيف الحركات وكثيف البركات ان كلا منا غريب وكل غريب للغريب نسيب وانا قد تفرست فيك وماتكاد فراستى تخطيك انك رفيق صالح وشفيق ناصح واحسن مليح مماالح وفى طريقة اخوان الصفا قيم وراجح وان كانت الجنسية بيننا مختلفه لكن القلوب بحمد الله تعالى مؤتلفه وكم لك من اياد سابقه وصدقات متناسقه وكم حططنا فى المراعى وبتنا فى الحظائر نائمين وأنت لحفظنا ساعى تحرسنا من الغداة الى الرواح ومن المسا الى الصباح فاخبرنى ماشأنك واين مكانك وما اسمك وماصنعتك ورسمك ومجيئك من اين وماحاجتك فى البين قال أما اسمى فيسار وأما مكانى فبلاد التتار وصنعتى راعى وسبب مجيئى ضياعى ولى صاحب اسمه اقرق من دشت قفجاق بن شقرق كنت فى خدمته راعى ماشيته فاضلات رعيتى وضيعت حق حرمتى فانا اطلب ولى نعمتى لأمحو من وصمة

الجفاء سيمتي فهذا شأني وجل بغيتي قال الزنيم أنا من حين شاهدت في وجهك الانوار علمت أنك يسار وأنك معدن الذكاء والالقاب تنزل من السماء وأما طلبك لصاحبك ورعيتك فانه دال على كمال مروءتك ولا ينكر لك الرفاء فان بينك وبينه الوفاء مقام الصدق والصفاء ولم يقع بينكما قط بعد ولا جفاء وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات التي قلما تجتمع في زكي الذوات ولا تصفو الا للاولياء والبررة المبرزين الاصفياء من المسكنة والقناعه والجراءة والشجاعه وحفظ العهود والوفا وكسر النفس والصفا وعدم الحقد والحسد واطراح العجب والنكد والحراسة والسهر وقيام الليل الى السحر والتودد الى الناس حتى قال فيك ابن عباس كلب امين خير من صديق خؤن وعندك من التهذيب وقبول التعلم والتاديب مايصير صيدك مذكى وسنك كالشفرة مزكى وفي شأنك ياذا الوفاء والمنفعه قال الحرث بن صعصعه

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجبا للخل يهتك حرمتي * ويا عجبا للكلب كيف يصون

ومن هذا الضرب مارواه أحمد بن حرب عن ذى العتاب منادم الكلاب ان الكلب يكف عني اذاه ويكفيني اذى سواه ويشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي فهو من بين الحيوان خليلي ثم قال احمد بن حرب تمنيت والله ان اكون مثل هذا الكلب لاحوز هذه الصفات وارقى هذه الدرجات وارجو الله تعالى ان يعطفك علي ويقلب قلبك ووجهك الي بحيث ترغب في صحبتي وتميل الى صداقتي فترى اذ ذاك مني بحمد الله تعالى من الاخوة والصداقه والمروءة والرفاقه ماتنسى به كل صديق وتفضل به الصاحب الجديد على العتيق فتترك سائر أصحابك وتلتهي بي عن اعز اوليائك وأحبابك خصوصا بني آدم الذين أنت بهم أعلم من أذهبت عمرك في خدمتهم والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم وحراسة مواشيهم ودورهم وكمال فضلك في حياطة بيوتهم وقصورهم ورعاية رعيانهم وصيانة أهلهم وجيرانهم مع قناعتك منهم بما يفضل عنهم من كسرة خبز شعير أو عظم يابس كسير اوفضلة مرقة قدير واضاعتهم

حقوق خدمتك ونسيانهم وجبات شفقتك حتى لو وصل فمك الى زادهم أو الى شئ من عتيد عتادهم رموك بالحطب ورضوا رأسك بالحجارة والخشب ولو ولغت فى انائهم أوشربت من مائهم ماقنعوا فى تنظيفه وتطهيره وتشطيفه بمرة ولا مرتين ولا اكتفوا فى ازالة لعابك بالعين بل دونوا الغسل بالحساب وعفروا الوعاء بالتراب ويعدون ذلك من التعبد ولا يرعون مالك من تحبب وتودد وأنا ارجو ان ترتفع منزلتك وتعلو درجتك ويساعدك رب العرش حتى تصير سلطان السباع وملك الوحش وأجتهد فى هذه القضيه الى ان ابلغ هذه الامنيه وأكون السبب فى ذلك الى ان تصير رئيس الممالك فان لك على حقا قديما وفضلا جسيما طالما نمنا آمنين فى ظل حراستك ورعينا مسرورين مكنوفين بحياطتك وأجلنا منك فى الخاطر ماقال الشاعر

بقاؤك فينا نعمة الله عندنا * فنحن باوفى شكرها نستديمها

قال يسار يا أخى جميع ماقررته صحيح مقبول داخل فى الفضل خارج عن الفضول ولكن أنا من جنس السباع مجبول على مالهم من الطباع ومع هذا فانا عدوهم وبسببى يزول هدوهم وانا لم اعادهم الا فيكم ولا لى واد الا فى ناديكم فان تربيتى بينكم وعينى مقارنة عينكم وانا اليكم أقرب منى اليهم ومعولى عليكم دون معولى عليهم وعلى هذا وجدت آبائى وأجدادى ونشأت من حين ميلادى والخروج عن طريقة الاباء دليل على العقوق والاباء وهو أمر مذموم وهذا شئ معلوم وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث والبغض يتوارث ولكن ياسليم الطباع وخصيب الرباع قولك تصير سلطان السباع سخرية منى واستهزاء ولا استحق منك هذا الجزاء فان معنى هذا القيل أمر مستبعد بل مستحيل ان ابا طاهر نجس العين فانى من اين وهذا الهوس من اين فان أردت اعانتى على ذلك وتكفلت لى برياسة الممالك فكلانا فى هذا الهوى سوا وان صممنا على ذلك فالجنون دوا وهذا الوسواس من خيالات الافلاس وفى مثل هذا الخيال قال من صدق فى المقال لاخيل عندك تهديها ولا مال وانا اعلم أنما تتكلم بما يطيب خاطرى ويسر سرائرى ويقربك فى الحب من ضمائرى قال المشرقى

لا تقل ذلك يا اثق فانا شاهدت فى جبينك مخايل السياده ومن شمائلك
تقاطر السعاده وقد قيل يا فضيل المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه
اما بلغك يا خير عالم ما رواه الشيخ علاء الدين بن غانم ذو الفضل الكثير
عن تاج الدين بن الاثير قال يسار اخبرنى بهذه الاخبار قال قال ابن الاثير
وهو بالرواية خبير محرز ابدى المعانى عن الامير حسام الدين البركة خانى
قال كنت فى عصر الشباب اصحب من صالح الشباب الملك المظفر قطز
الغضنفر وكان خشداشى وبرؤيته انتعاشى فكنا ونحن صبيان كاننا
ظبيان غير انا كنا فى قله فكنت أفلى قمله وأسرح رأسه واذهب باسه
وتقدمت اليه بالشرط عليه ان يعطينى لكل قمله فلسا او اصفعه صفعة
ملسا ففى بعض الاوقات أخذت عنه قملا كثيرا وصفعته صفعات وقلت
فى غضون ذلك ونحن فى حال حالك اتمنى على الله عز وعلا ان يعطينى امرة
خمسين رجلا فقال لى طيب خاطرك وسر سرائرك فانى ابلغك سؤلك
واعطيك مسئولك واجعلك امير خمسين فارسا فابشر ولا تكن عابسا
فصفعته صفعه وقلت ويلك أنت تعطينى امرة ورفعه قال نعم وأغمرك
بالنعم فصفعته أخرى وازددت نكرا فقال لى عله وتحس المسله يا قليل
اليقين اتريد شيئا غير امرة خمسين انا والله أعطيك وأعليك على ذويك
فقلت ومن أين لك تعطينى وترضينى فقال أملك هذه الديار واكسر
التتار وأحل الكفرة والعلوج دار البوار فقلت له يا مفتون أنت
مجنون بقملك وقلك وفقرك وذلك تملك الديار المصريه وتصير سلطان
البريه قال نعم ولا تعمل زعم فانى رأيت فى المنام النبى عليه السلام
وقال لى أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتر ولا شك فيما يخبر به النبى صلى
الله عليه وسلم من خبر قال فامسكت عنه لانى كنت أعرف الصدق منه
ثم تنقلت به الاحوال وتنقل الى ان بلغ الكمال وتملك هذه الديار ثم كسر
على عين جالوت التتار وأعطانى ما وعدنى به وأرضانى وانما أوردت
هذا المثال لتعلم ان سلطنتك غير محال وأنا أرجو الله تعالى ان ييسر لى
القيام بجميع ما قلته لك يا امام وانا اجلسك على السرير واقيم
فى خدمتك الكبير والصغير وارفع راية مراسيمك وانفذ اوامرها

فى ممالكك وأقاليمك وأجعل جنود الوحش تحت رايتك وأقاليم القفار كلها تحت ولايتك ولكن بشرط ان تتبع ما أراه ولا تخرج عن طوره ولا تتعداه وتعمل بكل ما اشير اليه ومهما ارشدتك اليه تعول عليه فقال أنا طوع يديك وجميع أمورى منك واليك فقل فانى سامع ولامرك طائع فانهض وعانى هذه الامانى عسى يصير هذا الباطل حقا وينقلب هذا الكذب صدقا وقل ما تقتضيه لاتبعه وأرتضيه قال ترجع عما أنت عليه من الاخلاق السبعيه والاوصاف الكلبيه من الحرص والشره والتكالب والتره والنفس المتمره والطبيعة المذمره وتصوم عن الدماء واللحوم وعن تمزيق الحيوانات وتفريق الجماعات وتحمل النفس على الاخلاق الجميله والتلبس بالاوصاف الفضيله من العفة والكرم والعفو عن ظلم والقناعة بالنبات عن لحوم الحيوانات ومعاملة الكبير والصغير بالفضل الكثير والبذل الغزير وتلافى خاطر الخطير والحقير ليسهل العسير وينقاد لك المأمور منهم والامير وهذا أمر عليك يسير وهذا لانك طالما جرحت جوانحهم وكسرت جوارحهم واصطدت سارحهم وابدت بارحهم فهم منك متخوفون والى الايذاء والضر منك متشوفون واذا رأوا اشيأ خلاف العاده وعلموا ان ولايتك فيها الحسنى وزياده واصابوا الخير من مواقع الضير ورأوا ما سر من مواضع الشر والضر تشرب محبتك منهم الكبير والصغير وانهال أن يراك من الوحوش العير والنفير فيتخذك الغريب حبيبا ويصير البعيد منك قريبا فتصيد بالمحبة أرواحهم كما كنت اولا تبيد اشباحهم واذا ضرب صيتك فى الارض وتردد بالطول والعرض وتسامعت بك الوفود وتحققوا انك عدلت عن خلقك المعهود اقبلت اليك منهم الجنود وزان جيد جنودهم من جواهر محبتك عقود وانعقدت بينكم بالمحبة والولاء عقود العهود فتوفرت اذ ذاك جنودك وعلت على رؤس الاقران راياتك وبنودك وجعلوا ذراك مأواهم وحماك مصيفهم ومشتاهم مع ان هيبتك فى قلوبهم مركوزه وأسنة مخافتك فى احشائهم من قديم الزمان مغروزه وأعلى من فيهم يهابك ويخشاك ويتوقى مكانك ويتحاشاك قال يسار اعلم يا خير سار ان حبال

الآمال ومطامع الخيال مالم تتعلق بمامول ولم ترتبط باطراف سول فالنفس ساكنه والروح مطمئنة هادنه والقلب فرح والخاطر منشرح اذ الطمع ذل وشين واليأس احدى الراحتين ومتى تعلقت بذيل المطامع مخاليب الامال وبلغت الى حصول مامول الخيال وقامت النفس فى تحصيله وتحركت الجوارح لنيل مأموله وانبعثت الهمة الى ادراكه وتعلق القلب بسير افلاكه توزعت الافكار وتفرقت وتمزعت الخواطر وتمزقت وركب لذلك كل صعب وذلول وتقاذفت النفس فى كل مخوف ومهول وتقلدت بحمائل قول القائل

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول ما يجنى عليه اجتهاده

ثم اذا لم يحصل المأمول ولم تبلغ والعياذ بالله النفس السول مع بذل هذا الجهد والمبالغة فى السعى والكد ومقاساة التعب ومعاناة النصب ترادف النكد وتضاعف السهد وصارت النفس لهذا البدد وكان فى جيد حياتها من فوات المقصود حبل من مسد فلا تزال بين تشويش ضمائر وتقسيم خاطر وفكر غائب وهمّ حاضر وهذا الامر الذى عزمت عليه وهممت بالترقى الى الوصول اليه الى عدم الحصول أقرب منه الى الوصول وأنا أخاف وذا غير خاف أن يغرنا الطمع فى هذه الحركه فينتزع من فراغ اوقاتنا البركه ولا نحصل الا على مثل ما حصل لمالك الحزين من السمكه قال الزنيم نبئنى أيها العليم بذلك المثل القويم قال بلغنى انه كان فى مكان مكين ماوى لمالك الحزين وفى ذلك المكان غياض وغدران تضاهى رياض الجنان

حكى بانها قد الحبيب تمايلا * فجن وفى هذا الجنون تفننا

فدار عليه النهر وهو مسلسل * فقيده اذ قد جنا وتجننا

وفى مياهه من السمك ما يفوق سابحات السماك فكان ذلك الطير فى دعة وخير يزجى الاوقات بطيب الاقوات وكلما تحرك بحركه كان فيها بركه حتى لو غاص فى تلك البحار والغدران لم يخرج الا وفى منقاره سمكه فاتفق انه فى بعض الاناء تعسر عليه اسباب الغذاء وارتج لفوت قوته ابواب العشا فكان يطير بين عالم الملك والملكوت يطلب ما يسد الرمق من القوت فلم

يفتح عليه بشئ من اعلى السماك الى أسفل الحوت وامتد هذا الحال عدة ايام وليال فخاض يوما فى الرقراق يطلب شيأ من الارزاق فصادف سمكة صغيره قد عارضت مسيره فاختطفها ومن بين رجليه التقفها ثم بعد اقتلاعها قصد الى ابتلاعها فتداركت زاهق نفسها قبل استقرارها فى رمسها فنادت بعد أن كادت ان تكون بادت ما البرغوث ودمه والعصفور ودسمه اسمع ياجار الرضا ومن عمرنا فى صونه انقضى لا تعجل فى ابتلاعى ولا تسرع فى ضياعى ففى بقاءى فوائد وعوائد عليك عوائد وهو أن أبى قد ملك هذا السمك فالكل عبيده ورعيته وواجب عليهم طاعته ومشيئته ثم انى واحد ابوى واريد منك الابقاء على فان أبى نذر النذور حتى حصل له بوجودى السرور فما فى ابتلاعى كبير فائده ولا اسد لك رمقا ولا اشغل لك معده فتصير مع الى الفضيل كما قيل فافقرنى فيمن احب ولا استغنى فالاولى ان اقر عينك واعرف ما بين ابى وبينك فاكون سببا لعقود المصادقه وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقه ويتحمل لك الجميله والمنة التامة والفضيله وأما أنا فاعاهدك ان أعتقتنى ومننت على واطلقتنى أن اتكفل لك كل يوم بعشر سمكات بياض سمان ودكات تأتيك مرفوعه غير ممنوعة ولا مقطوعه يرسلها اليك أبى مكافأة لما فعلت بى من غير نصب منك ولا وصب ولا كد تتحمله ولا تعب فلما سمع البلشون هذا المجون اغراه الطمع فما ابتلع فسهاولها ثم قال لها اعيدى هذه الرمزه فبمجرد ما فتح فاه بالهمزه انملصت السمكة منه بجمزه وغاصت فى الماء وتخلصت من بين فكى البلاء ولم يحصل ذلك الطماع الاقطع الاطماع وانما أوردت ياذا الدرايه هذه الحكايه لتتأمل عقبى هذا الامر قبل الشروع فيه وتتدبر منتهى أواخره فى مباديه فقد قيل اول الفكر آخر العمل قال المشرقى اعلم يامرتقى ان مبنى الامور فى مجاريها وقواعد ما اسس عليه مبانيها تقدير خالقها وتدبير باريها وما حكمه وقضاه وأحكمه وأمضاه لكنه كتمه وأخفاه فلا تدركه العيون والابصار بل ولا البصائر والافكار فانه علم غيب وجهلنا به ليس بعيب لانه تنزه أحدا صمدا قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا كما قيل

على المرء ان يسعى ويبذل جهده * وليس عليه ان يساعده الدهر
فان نال بالسعى المنى تم أمره * وان غلب المقدور كان له عذر

وان الله العلى الاعظم قد وضع اساس بنيان العالم على الاسباب وفتح لتعاطى الاسباب الابواب فقال ذو الجلال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال القائل

اذا ما كنت فى امر مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
يرى الجبناء ان العجز حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم
فطعم الموت فى شئ حقير * كطعم الموت فى شئ عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام علو الهمة من الايمان والمرء يسعى فى تحصيل مرامه ولا يترك شيأ من أسباب قيامه فان ساعده القدر بقدره انقاد اليه مرامه بشعره وكان مصادمه مساعده ومقاومه معاضده كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيساعده اذ ذاك الكون والمكان ويمضى سهم أوامره رامى القضا من قوس الزمان فيقيض له المساعد ويتعبد له المقارب والمباعد وحسبك يا ذا الصوله ما اتفق من السعد لعماد الدوله فساله يسار عن سرد هذه الاخبار قال كان رجل صياد له ثلاثة أولاد كانهم حمك وقوتهم السمك تقلبت بهم الاحوال حتى صاروا برياستهم على الدنيا احمال وانتهوا فى الرياسه وساسوا الخلق احسن سياسه وانتشر أمرهم وطاب فى الدهر ذكرهم ومما ملكوه العراقان والاهواز وفارس وسريتها شيراز اكبرهم أبو الحسن على بن بويه الملقب بعماد الدوله وكان فى السلطنة ذا جولة وصوله ولما انتهت ايام خموله واتصل بالسعد أسباب وصوله حل ركابه بشيراز وصعد الى حقيقة الملك من المجاز ووفدت عليه الوفود واحاطت به جموع الجنود وطالبه أهل المراتب بالرواتب والروامك بالجوامك والرفاق بالانفاق والاجناد بالارفاد وأرباب الولايات بالخلع والجرايات وأصحاب الاقامات بالنفقات والانعامات ولم يكن فى خزائنه من ظاهر المال وباطنه ولا فى ذخائره من ظاهر الرفد وضمائره ما يسد رمقهم ويرد شرقهم فترا كمت همومه وتصادمت غمومه وتوالت افكاره

وتجاذب به من بحر الحيرة دردوره وتياره لان امره كان فى مباديه وليل سعده فى هواديه وقد قصرت عن طول الطول اياديه واشرف أمره على الاختلال وملكه على الاضمحلال ووقع فى يوم لا بيع فيه ولا خلال فدخل الى مكان خال وهو مشغول البال فاستلقى فيه على ظهره وغرق فى بحار فكره فبينما هو يلاحظ السقوف وافكاره بين تردد ووقوف واذا بحية عظيمه بجثة جسيمه من السقف خرجت ودرجت وفى مكان آخر ولجت فوثب واقفا ورقب خائفا لئلا تسقط عليه ويصل اذاها اليه ودعا الفراشين وجماعة فتاشين بمعاول النباشين وأمرهم بنصب السلم والفحص عن الارقم وتتبع آثارها واطفاء شرارها فصعدوا الحيطان وحفروا ذلك المكان وخرقوا سقفه فانفتحت لهم غرفه كانت مخبأ لمن تقدمه وضع فيها ديناره ودرهمه وفيها عدة صناديق محكمات التوثيق والمغاليق فاطلعوه على تلك الخبيه والتهوا عن طلب الحية الجبيه فأمرهم فنقلوها اليه ووضعوها بين يديه فاذا فيها من الذهب النضار خمسمائة ألف دينار فعرف ان ذلك عناية ربانيه ومواهب صمدانية رحمانيه فصرف المال فى اصلاح حاله وبذره فى مزارع قلوب خيله ورجاله فثبتت اوتاده واستقامت أجناده وقويت سواعده وأعضاده وكان أمره قد أشرف على الاختلال وعقد نظامه على الانفراد والانحلال وكان من تمام هذه السعاده وتعقيب هذه الحسنى بالزياده أن الملك المذكور بعد هذه الامور وحصول هذا السرور وانتظام مصالح الجمهور أراد تفصيل قماش وخياطة خلع ورياش فطلب خياطا ثقه ليقلده هذه المنطقه فأرشد الى خياط ماهر شكله زاهر وفضله ظاهر وحذقه فى صناعته باهر الا انه اطروش حقل سمعه بدبى الوقر مدبوش فما يصل ملك الكلام الى سرير صماخه الابزمر وطبل وجاوش فدعاه فاجلسه بين يديه وطلب الثياب ليعرضها عليه فتصور الخياط انه سعى به اليه بسبب وديعة كانت لصاحب البلد لديه وانما طلبه ليطالبه فاما يؤديها أو يعاقبه فتقدم باليمين مثل المصارعين واقسم بالله خالق المخلوق ورازق المرزوق انها اثنتا عشرة صندوق لم يشعر بها مخلوق وانه لا يدرى ما فيها وانها مختومة بختم

معطيها فعجب عماد الدولة من كلامه وسجد لله شكرا على انعامه
ثم وجه معه من أتى بها ودخل الى بيوت مافيها من أبوابها فكان مافيها
من الاموال ونفائس القماش العال جمل متكاثره وأصناف متوافره
واستولى على ذلك كله وثبت بواسطة المال فى ركاب الملك واطئ نعله
وانما أوردت هذا التنظير ياذا الرأى والتدبير لتعلم ان مسبب الاسباب
وميسر الامور الصعاب اذا دبر مصالح عبده وشمله باحسانه ورفده هون
عليه كل عسير وصغر عنده كل كبير وانت بكل هذا بصير قال يسار صدقت
وصوابا نطقت ولكننى نظرت الى الدنيا ورزت أحوالها السفلى والعليا
ورأيت كلما زاد الشخص حرصا وطمعا ازداد لنفسه عبودية وتبعا وللدنيا
رقا وللاخرة رشقا فصارت قيوده اثقل وحسابه أشد وأطول وهمومه
أتم وغمومه اعم وان الواثق بالدنيا والراكن الى مافيها من اشيا كالجاعل له
من السحاب حصنا ومن الحباب كنا وأى وقاية تحصل من السحاب وأى
ايواء يصدر من الحباب ومن تأمل الدنيا بعين التبصر وتفكر فى تقلباتها
بعصيب العقل والتدبر عد جمعها شتاتا ووصلها انبتاتا ومجيئها ذهابا
وشرابها سرابا واقبالها ادبارا ونسيمها اعصارا وعطاءها أخذا
وعهدها نبذا وصلتها قلذا ووهبها نهبا وايجابها سلبا وحربها سلما
ووجودها عدما وكثرتها قلا وعزها ذلا وضحكها نياحه وطلاقها
راحه فلم يكن عنده أحسن من فراقها ولا أرصن من طلاقها والقناعة
منها بالكفاف والرضا منها بالعفاف كما سلك الفلاح صاحب
الماشية واستراح فقال الزنيم اخبرنى كيف كان ذاك يا حكيم فقال ان
مخدومى الذى كنت عنده احفظ ماشيته وعبده كان ذا ثروة عظيمه
وأموال كثيفة جسيمه وكان ماشيته لاتزيد فى القياس عن ألف راس
وان حصل من النتاج المعهود مايزيد على هذا القدر المعدود تصدق به
او باعه أو وهبه لبعض الجماعه ولو أراد لجعلها الوفا مؤلفه وأضعافا
مضاعفه وكان فى الجيران والاصحاب والاخوان من هو أقل منه مالا
واقصر باعا وأضيق مجالا له الالوف من المواشى وكذلك من الخدم
والحواشى وهم فى كل وقت فى ازدياد وتضاعف الاعداد من الاصول

والاولاد ومخدومي لايقصد الزياده وان زادشيء اباده فقال له الراعي وكان عليها اشفق ساعي يامخدوم مالك لاتريد ان تزيد مواشيك وحواشيك وتكثر بالرفق والرفد فواشيك وبالورود والاصدار غواشيك فان المواشي تزداد فوائدها وتتوفر عوائدها باعتبار زيادة اصولها وادرار منافعها ومحصولها وجيراننا كانوا اقل عددا من هذا المقدار فصاروا بالتوفير اكثر عددا في الاغنام والابقار فزادوا على مواشينا بعد ان كان اوساطهم كحواشينا ولا أعرف لهذا موجبا ولا أدري له سببا غير الاهمال وقصد تضييع المال فقال له مخدومي هذا محيط به معلومي ولكن أيها الولد اعلم أن أنواع العدد آحاد وعشرات والوف ومئات فالالوف غاية الاعداد اذا اعتبرنا التعداد والشيء اذا جاوز غايته وتعدى نهايته أخذ في النقص واذا بلغ مداه تراجع بالنكص وقد قيل الشيء اذا جاوز حده شاكل ضده ومن لم يقنع بالقليل لم يرض بالجزيل ولقد أحسن المقال وصدق فيما قال من قال

وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات مافيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن كان أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا ما رأيت وسمعت ووعيت عن أصحاب الالوف القاصدين الازدياد المألوف نزلت ألوفهم الى الواحد من الآحاد فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد فتكدرت خواطرهم واشتغلت ضمائرهم واما انا فلم أعلم أن الني ءنقص ولا جارى حلبة مداه نكص فاذا عدى غايته ألزمته نهايته وكبحت جامح طرفه وكففت طامح طرفه طلبا للراحه ورغبة في الاستراحه

فكم دقت ورقت واسترقت * فضول العيش أعناق الرجال

وانما أوردت هذا التمثيل لتعلم بإذا التفضيل أني مادمت له خادما وفي صف الخدمة قائما ولم أتعد طوري وهو مقام الخادميه الى ماليس لي وهو مقام المخدوميه فانا مستريح ولغيري مريح ونفسي مطمئنه وجوارحي عن طيش السعي مرجحنه وأصحابي أحبابي وأحبابي أصحابي والخواطر صافيه والمحبة وافيه والصداقة باقيه ومياه المودة في رياض

الارواح ساقيه وفى عروق الاشباح واقفة جاريه فاذا رمت مع وجود هذه الحسنى الزياده وقصدت التعدى الى ماليس لى به عاده فانا بين امرين متقلب على جمرتين اما عدم الحصول والانقطاع عن الوصول فتتضاعف المنكدات وتترادف المقسمات وبحسبها تصل الهموم وتحصل الغموم كما مر سالفا وذكر آنفا وأما الظفر بالمراد على حسب مايراد فبقدر ذلك يقع الصداع ويقوم التحاسد والنزاع وأول ذلك معاداة الاصحاب ومعاناة الاحباب ومقاساة الاتراب وحصول الضغائن وبروز المكامن بواسطة الترفع عليهم وصدور المراسيم والتقدم بامتثالها اليهم فالاولى بحالى التفكر فى مآلى واللائق بشورى أن لا اتعدى طورى ولا أتورط فى هذا البحر العميق والبئر الغميق ولا أخرج عن سواء الطريق فتهوى بى طير الهوان فى مكان سحيق

وانى يسار خائف أن يردنى * زمانى بما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقى ابوزغمه ما أحسن هذه الكلمه وأبين هذا النظر وأرصن هذه الفكر وأدق معانى هذه المبانى ولكن اذا رفعك الله من يضعك واذا أعطاك من يمنعك وقد قال ذو الجلال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما اعطيت

وكل الناس تطلب المعالى * ونفس الحر تأبى أن تضاما

فلما بلغ بهما الكلام الى هذا المقام قال يسار اعلم يا فحل الفحول وامام المعقول والمنقول أنى ما بالغت فى الامتناع الا لاقف على ما فيك من طباع أسبر ثبوت قدمك وثباتك وراء كلمك فلقد وجدتك فى هذا الامر الخطير فوق ما فى الضمير وفى مواطن الاختبار اثبت جنانا من ابن الليث الصفار فانهض لقصدك وحركته على خيرة الله تعالى وبركته فانى وضعت عنان جموح هذا المرام فى يد تدبيرك وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة تفكيرك وسلك نظامه ونظام قلادته جودة تصويرك فانك أهل لذلك وبرأيك تقتدى المسالك فابتهج أبوزغمه بهذا المقال ووثب قائما فى مقام الخدمة وقال حيث انشرح صدرك لكلامى فستري فى وجهك مجالس قيامى وانا اعلم ان معبودك سيبلغك مرامك ومقصودك ولكن يجب التيقظ وقبل الشروع

التحفظ اما التيقظ فلامور يجعلها الملك مقتدى ولا يغفل عنها أبدا كما فعل
الملك الظاهر الموفق أبو سعيد محمد جقمق حين اضطربت الاوامر
واختلفت العساكر واصطدمت الامور وخرج عليه من عساكره
الجمهور وقل المعين وذلك فى سنة اثنتين وأربعين فعصى تنكرى وتترس
فى حلب وقام بالراكمة الجلب واينال الحلبى بالشام وكاتبه الطغام
والعظام وهرب بالقاهرة العزيز وأزت الشياطين فاشتد الازيز وتخبط
بالصعيد العربان وفشا فى عساكر الاسلام الطربان فسفه الحليم وجار
الحكيم وضل كل ذى رأى قويم فثبت الملك الظاهر جاشه وتعرف الى
الله تعالى فازال استيحاشه واصفى سرائره ولم تزل سيرته ظاهره فكان
الله عونه وناصره فاطفأ بادنى لطفه شواظ تلك الثائره وقد بسط ذلك
فى سيرته الظاهره فتبدل الجحيم بالنعيم ورفع الله تعالى عن الاسلام والمسلمين
العذاب الاليم كل ذلك بثبات القدم وعلو الهمم ولم تحصل هذه
الفعلة الزكية الراجحه الا بالطوية الطيبة والنية الصالحه وأما التحفظ
فمن مواد شرور ملتبس بها الجمهور منها الحقد والملال والكذب فى المقال
والحسد والاحتيال فان الحقود وقود والحسود لايسود والكذوب
يذوب والملول لايطول والمحتال مغتال وباقى النصائح الزكية الروائح
تأتيك بالسعد فيما بعد وانا الآن اقدم للبيان واذكر الاهم ومافائدته
أعم قبل الشروع امام المقصود وهو تأكيد مواثيق العهود فانه اذا
حفتك الجنود وأحاط بك أرباب الرايات والبنود وأنت جالس على السرير
وفى خدمتك المأمور والامير والكبير والصغير يعثر على استيفاء الخطاب
واستيعاب الجواب ولا يليق بعظمتك ومقام حرمتك اطالة الكلام
ولو اقتضاه المقام خصوصا بحضور الخاص والعام ولو كان المتكلم أعز
الخدام وأقرب الالزام فلا اقدر ان أتجرأ عليك وانهى جميع ما اريده
اليك لان قصد الخادم اقامة حرمة مخدومه والمبالغة فى حفظ ناموسه
وتعظيمه وكثرة الكلام تمنعه عن هذا القصد وتدفعه وأما فى هذا
الوقت فان كثير كلامى لايورث شيا من المقت فلا حرج على كلامى كيفما
خرج قال يسار بارك الله فيك وابقاك لذويك فما ادق نظرك واحسن

فى عواقب الامور فكرك واصوب غوصك على جواهر الانتقاد واغرب بوصلك الى زواهر الاعتقاد فقل ما بدا لك مما زين حالى وحالك فان حرمتى حرمتك وحشمتى حشمتك فان عظمتنى فقد عظمت نفسك وان وفرت مالى فقد زدت كدسك والخادم اذا لم يقصد رفعة مخدومه ويعد ذلك من أكبر همومه ويسعى فيه ساعة فساعه وفى كل مكان وعند كل جماعه والا فيدل ذلك على خساسة مقداره وقصور نظره ولؤم نجاره وركاكة همته واستبذال حرمته فقال أبو زنعه اوّل شروطى ياذا العظمه ان لا تقرب المؤذين ولا تلتفت الى الاشرار المغتابين ولا تضيع الاوقات فى الاصغاء الى القينات ولا تسمع كلام واش وتعدّ كلامه اقل من لاش ثانيها ان لا تعجل فى فصل الحكومات بل تتعاطاها بالتفتيش والالتفات الى ان تنجلى صورتها وتتبين حقيقتها فاذا وضحت لديك وتجلت مخدّرة حقيقتها عليك اجهد فيها بالصدق واعمل بما يقتضيه الحق ثالثها ان لا تعوّد لسانك الفحش والبذاءه فان فى ذلك على الملك اسوأ اساءه فان الكلام يؤثر فى القلوب وينفر من قبيحه الطالب والمطلوب وقد قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

وقد قيل ان عيسى عليه السلام مرّ بجماعة فى بعض الايام فصادفوا كلبا اجرب فقال له سلمك الله اذهب فقال كل من أصحابه مما كان معى فى جرابه من الاستنقاص وطلب البعد عنه والمناص وماسلموا الى عيسى حاله بل سألوه عن كلامه له ومادعاله فقال انى عوّدت لسانى ببيان ما فى جنانى وهو المقاصد الحسنه وترك الالفاظ والعبارات الخشنه وقيل انه مرّ فى بعض الاوقات ومعه جماعات بكلب من الاموات ملقى على مزبلة فى جملة القاذورات فوضع كل منهم يده على خطمه وتكلم فى رائحته عند شمه فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض اسنانه فقيل له عما سمع من بيانه فقال عوّدت لسانى بلفظ الخير وان لا يتكلم بما فيه ضير وكما يجب على الملك كف اللسان الفصيح عن الكلام البذىء القبيح كذلك يجب عليه ان لا يصغى اليه ويتأمّل قول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

ووجد فى كتاب آداب الصحبة لابى عبد الرحمن السلمى بيتا ثالثا

وكم ازعج الحرص من طالب * يوافى المنية عن مطلبه

وهذا الامر يا مخدوم لكل أحد معلوم على العموم وأما اكابر السلاطين والملوك الاساطين فهم أعلى مقاما ان يكون الفحش لهم كلاما وان يجرى فى مجالسهم أو يسمع من محادثهم ومجالسهم وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام اختل نظامه ومقته الخاص والعام ونفرت عنه قلوب الرعيه وبحسب رغبة الرعية تكون الممالك راضية مرضيه واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه وتوقعوا غيره ليقوموا معه وينصروه واذا لم يوجد عقدوا الحقود واستمروا اذلاء كاليهود والبغضة كامنه والحسائف باطنه فتتقدم العداوة وتتقدم وتتأكد وتتأزم واذا تقدمت العداوه ذهبت من الصداقة الحلاوه فلا بد يوما من الايام ان تبرز رأسها من جيب الانتقام واذا وجدوا فرصه وثبوا عليه وقصدوا اقتصه كما جرى للفريره مع الهوبره قال يسار بين لى هذه الاخبار فقال ذكر شخص معتبر من رواة الخبر ان فى القديم كان رجل عديم وعنده قط رباه وأحسن مرباه فكان عنده كالولد الاعز واكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز وكان القط قد عرف منه الشفقه وألف منه المودّة والمقه فكان لا يبرح عن مبيته ولا يسعى لطلب قوته فحصل له هزال وتغير ماله من امر وحال لا عند صاحبه ما يغذيه ولا هو ذو قوّة على الاصطياد تغنيه الى ان عجز عن الصيد فصار يسخر به من أراذل الفيران كل عمرو وزيد وصار كما قيل

خلت الرقاع من الرخا * خ وفرزنت فيها البيادق

وتسابقت عرج الحمير * فقلت من عدم السوابق

وسطا الغراب على العقا * ب وصاد فرخ البوم باشق

سكتت بلابلة الزما * ن وأصبح الخفاش ناطق

وأيضا

واذا خلا الميدان من اسد * رفص ابن عرس وتومس النمس

وكان فى ذلك المكان مأوى لرئيس الجرذان وفى جواره مخزن لسمان فاجترأ الجرذان لضعف أبى غزوان وتمكن من نقل ما يحتاج اليه وصار

يمرّ على القط آمنا ويضحك عليه الى ان امتلا وكره من أنواع المآكل والمطاعم وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم واستطال على الجيران واستعان بطوائف الفيران على العدوان فافتكر الجرذان يوما فى نفسه فكرا أداه الى حلول رمسه وهو أن هذا القط وان كان عدوا قديما ومهلكا عظيما لكنه قد وقع فى الانحلال وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال وقوتى انما هى بسبب ضعفه وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه ولكن الدهر الغدار ليس له على حالة استمرار فربما يعود الدهر عليه وترجع صحته وعافيته اليه فان الزمان الكثير الدوران ينهب ويهب ويعطى ما سلب ويرجع فيما وهب كل ذلك من غير موجب ولا سبب واذا عاد القط الى ما كان عليه يتذكر من غير شك اساءتى اليه فيثور قلقه ويفور حنقه ويأخذه لاذاى والانتقام سهره وأرقه فلا يقرّلى معه قرار فأحتاج بالاضطرار الى التحول عن هذه الديار والخروج عن الوطن المألوف ومفارقة السكن المعروف امر صعب مشوم الكعب فلا بدّ من الاهتمام قبل حلول هذا الغرام والاخذ فى طريقة الخلاص قبل الوقوع فى شرك الاقتناص ثم انه ضرب اخماسا لاسداس فى كيفية الخلاص من هذا الباس فاداه الفكر الى اصلاح المعاش بينه وبين ابى خراش ليدوم له هذا النشاط ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط فرأى انه لا يفيده ما يريده الا بزرع الجميل من كثير وقليل خصوصا فى وقت الفاقه فانه اجلب للصداقه وأبقى فى الوثاقه ثم بعد ذلك يترتب عليها العهود ويتأكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود وهو أن يلتزم الجرذان أن يقوم لأبى غزوان فى كل غداه من طيب الغذاء ما يكفيه لغداه وعشاه لانّ الشيخ فى الدرس قال خير المال ما وقيت به النفس الى ان يصح جسده ويردّ اليه من عيشه رغده ويكون ذلك سببا لعقود الصداقه وترك العداوة القديمة المساقه وان تشترط دوام المحبه وازدياد الوداد والصحبه وان لا يقصد أبو الهيثم ابا راشد بشئ من الاذى والشرور والمفاسد ويعمل هذا الهرّ بموجب ما قال الشاعر

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم ان الجرذان جمع من الاخبازو الاجبان واللحم القديد والمطعم المزيد

ماقدر على حمله ونهضت قوته بنقله وقصد مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر محب قديم وصديق حميم وقدم ما معه اليه وترامى بكثرة التودد والاشتياق عليه وقال يعز على ويعظم لدى انى أراك ياخير جار فى هذا الضرر والاضطرار ولكن العاقبة الى خير وسيقبل السعد باحسن طير فتقدم أيها الخيطل وكل من هذا المأكل فاذا سددت خلتك كلمتك بشئ استشير به خدمتك فانه قد قيل

ان الصداقة أولاها السلام ومن * بعد السلام طعام ثم ترحيب
وبعد ذاك كلام فى ملاطفة * وضحك ثغر واحسان وتقريب
وأصل ذلك ان تبغى شمائلها * بين الاحبة تأييد وتأديب
لم تنس غيبا ولم تملل اذا حضروا * قد زان ذلك تهذيب وترتيب
ان الكرام اذا ماصادقوا صدقوا * لم يثنهم عنه ترغيب وترهيب

فتناول القط من تلك السرقه ماسد رمقه وشكر للجرذان تلك الصدقه ولما اكل فيه استحيت الحدقه ثم قال له انشد ما أنت ناشد ياأبا راشد قال ان لى عليك من الحقوق مثل ما للجار الصدوق على الجار الشفوق وأردت ان يتأكد الجوار بالصداقه وترتقى الى درجة المحبة باوثق علاقه وان كانت بيننا عداوة قديمه فنترك من الجانبين تلك الخصلة الذميمه ونستأنف العهود على خلاف الخلق المعهود وتدبير الامور على مصلحة الجمهور ونبنى القاعدة فى البين على مايعود نفعه على الجانبين وأذكرلك أشياء تحملك على ترك خلقك القديم وتهديك فى طريق الاخاء الى الصراط المستقيم وهو ان اكلى مثلا مايغذى منك بدنا فضلا عن ان يظهر فيك صحة وسمنا ولكن ان أمنتنى مكرك وأعملت نظرك وفكرك ثم رغبت فى صحبتى وعاهدتنى على سلوك طريق مودتى واكدت اى اباغزوان ذلك بمغلظات الايمان الى ان استوثق باستصحابك وأبيت آمنا فى مجيئك وذهابك ولو كنت بين مخالبك وأنيابك فانى ألتزم لك فى كل يوم اذا استيقظت من النوم بمايسد خلتك ويقى مهجتك صباحا ومساء وغداء وعشاء وان قلت ان ذلك شئ مجهول فانا اقدره بنظير هذا المأكول فان هذا الغذاء يكفيك عشاء وغداء وماقصدت بذلك الا رعاية لحق الجوار ولقد آنستنى بتسبيحك بالليل

والنهار

والنهار وأظن وظنى لايخيب انك تبت الى الله ورجعت من قريب وكففت عن اذى الجيران وعففت عن اكل الفيران ثم اعلم يا اسد الضياون ان لى من هذه المونة عشر مخازن قد أعددتها لمثلك وأنا اقدمها لنزلك وأذخرها لاجلك والقصد أن اكون آمنا من سطواتك ساكنا فى صدمات حركاتك وذلك انما يعلم بتأكيد الاخاء وتأييد المحبة والولاء فلما رأى الهر هذا البر اعجبته هذه النعم وأطربه هذا النغم واقسم طائعا مختارا ليس اكراها ولا اجبارا أنه لايسلك مع الجرذان الا طريق الامان والاحسان وانه لاينوء اليه بقصد سوء بحيث تتأكد المحبة وتزداد يوما فيوما الصداقة والصحبة فرجع الجرذان وهو بهذه الحركة جذلان وصار كل يوم يأتى اباغزوان بما التزم به من الغداء والعشاء كل صباح وعشاء الى ان صح القط واستوى وسلمت خلوات بدنه من الخو والخوا وصارت المحبة تنعقد كل يوم عقدا مجددا و يزداد كل منهما فى الآخر محبة وتوددا وكان لهذا القط ديك وهو صاحب قديم وصديق نديم كل منهما يأنس بصاحبه ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه فحصل للديك تعويق عن زيارة الصديق فغاب عنه مدة وكل منهما للفراق فى شدة فلم يتفق لهما القاء الا وقد حصل للقط الشفاء وزال الشقاء فسأل الديك صاحبه بماذا صارت علته ذاهبه وذلك الهزال باى شئ زال فاخبره باحوال الجرذ ابى جوال وانهى أمره من الاول الى الآخر وبالغ فى الشكر فى الباطن والظاهر وانه كان سبب حياته ونجاته من مخاليب مهلكاته وانه لم يكن مثله فى الاصحاب وقد صار أعز الاصدقاء والاحباب فغار الديك على الصاحب القديم واختشى ان يفسد ما بينهما المفسد الذميم فضحك مستغربا وصفق بجناحيه متعجبا فقال له مم تضحك فقال من سلامة باطنك وانقيادك لمداهنك وحسن صنائعك مع المنافق مخادعك ومكارم اخلاقك مع ناقض ميثاقك واصغائك لهذا الخبيث بحشو الكلام ومموه الحديث ومن يامن لهذا البرم الواجب القتل فى الحل والحرم المفسد الفاسق المؤذى المنافق الذى خدعك حتى أمن على نفسه واستطرق بذلك الى التمكن من اذاه ونحسه فتسلط فى الاذى كما يختار وانهمك فى الشر آمنا

منك البوار كل ذلك بسببك ومكتوب فى صحائف كتبك مع انك لست بمشكور ولا بالخير مذكور وان الذى شاع وذاع وملأ عنك الاسماع انك ستحل عقده وتنكث عهده وتنقض الايمان وتجازى بالسيئة الاحسان وانه لم ير منك ما يسره وهو متوقع منك ما يضره واعظم من هذا انه آذى وحشر فنادى وبالشر بادى فقال انه احياك بعد الموت وردك بعد الفوت ولولا فضله عليك وبره الواصل اليك لمت هزالا وجوعا ولما عشت اسبوعا ولكنه اشبع جوعك وجابر هجوعك واستنقذ من مخاليب المنية بعد ذهابك رجوعك فشفاك وعافاك وصفالك وصافاك وكفاك المؤنة وكافاك وأنك كافيته مكافاة التمساح وجازيت حسناته بالسيئات القباح ولم يكن لاحسانه اليك ولا لما من به عليك سبب ولا علاقه سوى طهارة نفس زكت اخلاقه ولا لاساتك عليه سبب تنقم به عليه الا ما اسداه من مكارم شيمه الواصلة اليك وفوائد نعمه السابغة عليك وقد أشاع هذا كله فى الشوارع والحارات خصوصا فى هذه المحله ثم اقسم بمن عطفه عليك وساق فضله اليك وجعلك محتاجا الى نواله وأسبل عليك لباس صدقاته وافضاله ليستوفين منك ما صنعته وليحفظن عليك ما عليه ضيعته وليوقعنك فى طوى بليه يعجز عن خلاصك منها كل البريه فلم يحن منك جنس الفار وليخلدن ذكر هذه القضية فى بطون الاسفار وبالجملة فهل سمعت ان جرذان صادق هره او اتفق بينهما مرافقة فى الدنيا ولو مره ومناصحة القط والفار كمصادقة الماء والنار

فانت كواضع فى الماء جمرا * وأنت كمودع الريح الترابا

فلما سمع القط هذا الكلام تالم باطنه بعض ايلام وما صدق ولكن ظن واشتغل خاطره لامر عن وتلهب واشتعل ومن يسمع يخل وقال للديك جزاك الله عنى خيرا وما أكثر شفقتك طيرا ولكن من قال لك هذا المقال قال أنت محب وعلى مودة الجرذان مكب وقد قال سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم وقال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب عمية * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ولقد غرك بلقيمات من الحرام والسحت المنغمس فى الآثام وجعلها بمنزلة

حبة

حبة الفخ فلاتشعربها الاوانت فى السلخ قدوقعت ولارفيق ولاأخ هنالك يعرف بتحقيق هذا الكلام ولكن انت الآن راقد مثل النيام والكلام مايفيد ولابد أن الله تعالى يجرى مايريد ومافى اشاعة الكلام طائل وكانك أنت القائل

ظن العذول بان عذلى ينفع * قل ماتشا فعلىّ ان لا اسمع

وماقلت لك هذا الكلام الامن فرط الشفقة والضرام ورعاية لحق ماوجب علىّ من القيام وحفظا للصداقة القديمه والمودّة التى سحائبها ديمه وأنا لوغششت كل أحد ماخطر لى ان اغشك وأنا لااستشهد على صدقى الايقينك الساكن عشك فرجح جانب صدق الديك كفاك الله شر من يؤذيك وقال القط فى خاطره بعدما اجال قداح ضمائره هذا الديك من حين انفلقت عنه البيضه وسرحت انا واياه من الصداقة فى روضه ماوقفت له على كذب ولاسمعت عنه انه لزور مرتكب مع انه مؤذن امين بين ظهور المسلمين وهو بالصدقين وماحمله على هذا الا المحبه وقديم المودّة والصحبه وهو أبعد من ان يكذب ويخدع وأى قصد له فى ان يغش ويتصنع وتردد ابو هريره فى تيه الحيره بين الديك والفريره ثم قال للديك وقاك الله شر أعاديك فكيف اعرف صدق هذا الخبر وهل للدلالة على سوء طويته علامة تنتظر قال نعم ورب الحرم علامة ذلك أنه اذا دخل عليك ونظر اليك ان يكون منخفض الراس مجمع الانفاس متوقعا حلول نائبه أونزول مصيبة صائبه أوشمول بلية غائبه متلفتا يمينا وشمالا متخوفا نكالا ووبالا طائفا يتنقب خائفا يترقب وذلك لانه خائن والخائن خائف وهذا بائن وبينماهما فى المحاوره والمناظرة والمشاوره يتجاذبان القيل والقال دخل المفسد أبو جوال وهو غافل عن هذه الاحوال فرأى أبا اليقظان يخاطب أبا غزوان فخنس وقهقر وتخوف وتشوّر وهو غافل عما قضاه الله وقدّر فاشمأز لرؤيته الديك وابرأل وانتفض واشعل فارتعد الجرذان من شيخ الديكه لما رأى منه هذه الحركه وانتفش وانزوى وتقبض وزوى وأشبه بغدادا بابلع الدوا ونظر يمينا وشمالا كالطالب للمفرّ مجالا والقط يراقب أحواله ويتميز حركاته وأفعاله

فتحقق ماقاله أبو سليمان ونظر الى الجرذان نظر الغضبان وهمزوا كفهر ورقصت شواربه وازبار فاضطرب الجرذان وطلب الامان فنسى السنور العهود والايمان ونقض عرق العداوة القديمة والعدوان وظفر على الجرذان وأدخله فى حيز خبر كان وأخلى منه الزمان والمكان وانما أوردت هذا التنظير أيها الصاحب البصير لفائدتين جليلتين عظيمتين احداهما الاعلام بالتحقيق ان العدو العتيق لايتاتى منه صديق ثانيتهما الاعلام بان الواجب على الحكام ان لايعجلوا بالانتقام فربما يورثهم الاستعجال الندامة فى المآل فى حالة لايفيد العذل والتفنيد وعند ذلك لايمكن التدارك بل اذا نقل اليهم واورد عليهم مايثير غبار الغضب ويحمى من نار السخط اللهب لايفلتون زمام التثبت والتفكر من انامل التانى والتدبر خصوصا السلاطين والملوك الاساطين فان قدرتهم واسعه وأطراف أوامرهم شاسعه وأوهاق اختيارهم طويله ومرامى المراد لمرامهم منيله وآذان الكون لاوامرهم سميعه وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعه فمهما أرادوا من النفع أوصلوا ومهما اختاروا من الضر فعلوا وذلك فى كل حين ممسين أومصبحين ولذلك قالوا القاضى لايحكم حكما الاوهو راضى ولايحكم وهو غضبان ولامشغول الخاطر ولاغرثان فان وجدوا طريقا الى الخير بادروا اليه واذا قصدوا ايقاع شر توقفوا لديه ولايهملوه بل يسبروا غوره الى ان يقفوا عليه فربما يكون من مداخلة عدو أو حاسد أو تعاطى من له غرض فاسد ثم اعلم ياذا التبصره والفضل والتذكره انه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلما وعى يسار هذا الحوار قال ما ازهى هذه النصائح واذكى مالها من روائح وأنا اقبل عليها واقبلها ولايزال يترشف سمعى مقبلها وعلى ذلك اعاهدك ومهما رأيت غيره اعاقدك فانه للملك عين المصلحة وللملك زين ومسلحه وأيضا فاشترط مابدالك مما يزين حالك ويصون مالك ومالك قال وأريد أن تكون حرمتى موفره وكلمتى معتبره ومنزلتى على أقرانى مرتفعه ومكانتى فى الممالك متسعه بحيث تكون مزيتى ظاهره ومرتبتى لاكفاءى باهره وكلامى فى محل الاصغاء والقبول متصلا بالنجاح فى السؤل والمسؤل فان

حسن العهد وحفظ الود ورعاية الحقوق القديمة السابقه والخدمة المستمرة المتلاحقه دليل على كمال المروءة والوفاء ونهاية الفتوة والصفاء لاسيما من الملوك والاكابر فى حق خدمهم الاصاغر ففى الحقيقة رفعة الخادم وكمال حرمته من رفعة مخدومه وعزته وكل من رفع قدر خدمه وحافظ على حفظ حشمه ومنع جانبهم ورعى حاضرهم وغائبهم انما حفظ اطراف حشمته وراعى جانب عظمته وحرمته وكل كبيرامتهن خدامه واذل جماعته وقوامه ولم ينزلهم منازلهم ولاعرف فضائلهم وساوى باواخرهم أوائلهم فانما أضاع مكانة نفسه ولم يفرق فى الفكر بين يومه وغده وامسه واذالم يصغ الملك لكلام الوزير واستقل باوضاع ناصحه والمشير فابتذله وانتهره واستقله واحتقره خصوصا فى المجامع والمحافل بين العساكر والجحافل فاى حرمة تبقى له عند البقيه من سائر الخدم والرعيه وأى مرسوم وكلام يسمع له عند العوام فيتكدر خاطره وتتغير سرائره فيدعوه ذلك والعياذ بالله الى شق العصا اذ صار على باب مخدومه معلقا كالخصا وقدره فى المكانة وقوله فى البلاغه صار كالزيف فى الصاغه والفسو فى الدباغه وناهيك ايها الخبير ما قالته لامها الزاغه قال يسار أخبرنى بذلك يا جهينة الاخبار قال ذكر أن زاغه فى بلد مراغه انتشا لها فرخه انتشر لها بين الطيور صرخه وكانت ذات بهجة لطيفه وصفات ظريفه وتربت يتيمة بالدلال وجمعت بين فنون الكمال فلما بلغت مبلغ الزواج خطبها من صنوف الطير الازواج وترادفت عليها الخطاب ودخلوا على امها فى ذلك من كل باب فكانت تأبى عليهم ولا تلتفت الى بذلهم ولا اليهم الى ان بلغ خبرها الى بومه كريهة الوجه مشومه بينها وبين ام الزاغة صداقة قديمه فخطبتها لابنها وابانت للطير مزيد غبنها فاستشارت الام ابنتها وأظهرت فى ابن البومة رغبتها وقالت أى ربيبة الخير قد رغب فيك أصناف الطير فكنت ادافعهم واسوف بهم واما نعهم وقد اشتهر صيتك بين الكبراء وخطبك منى الامراء والوزراء وانا على المطاوله والرد والمقاوله وقد استحييت منهم واختشيت غائلة ما يصدر عنهم ولم أفعل ذلك الا رعاية لحالك وخوفا من زوج ظالم بقدرك غير عالم يستضعف جانبك ويكره أهلك واقاربك

ثم لا نقدر على مقاومته ونتعب في مرافقته ومفارقته لا سيما ان صار بينكما معاشقه فيصير نكاحكما كنكاح الدماشقه كل يضمر السوء لصاحبه حالة المعانقه وكل يا احسن طائر معنى بما قال الشاعر

رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

ونعوذ بالله من اختلاف الوداد وأن يصير نكاح السنة كنكاح أهل بغداد فان صاد فتما في محله مثل ابى بكر الربانى ودله او مثل الفرغانى وعلى او جارة تشبه عيشة تلى خرجتما من يدى وزدتما نكدى فكنت لهذه الامور اخشى تقلبات الدهور واردّ خطاب الجمهور وقد خطبك يا كريمه ابن صاحبة قديمه وهى البومة الفلانيه وهى صاحبة هنيه وأخلاق ابنها رضيه وهو شخص فقير ضعيف الحال حقير نقلبه في أيدينا كما نريد ونتصرف فيه تصرف الموالى في العبيد لا في الطير جنس يحبه بل كلهم يكرهه و يسبه ولا له ناصر علينا ولا جارح يدلى به الينا فهو تحت طاعتك كما تحبين وفى ربقة ارادتك كما تريدين لا كالحمام يتطوق بطوق الفخر ولا كالهدهد يتتوج بتاج الكبر فما رأيك في هذا الامر فقالت الزويغه مقالة بليغه حفظت شيأ وغابت عنك اشياء ما اصنع بزوج ممتهن وبغض الاجناس ممتحن مكسور مهجور يتطير منه بين الطيور هذا يخطفه وهذا يلقفه وهذا ينقره وهذا ينتره وهذا يأسره وهذا يكسره واذا لم يكن للزوج حرمه ولا تسمع له كلمه خصوصا عند زوجته وأهل بيته وعترته فاى قدر يكون له عند غيرها وأنى ينشر بالسعد جناح طيرها وقد قال رب السموات والارض ومالك الطول والعرض والبسط والقبض والرفع والخفض الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وذوات نساء معوجه وللرجال عليهنّ درجه ومقدار المرأة بين جيرانها واهلها انما يعرف بقدر حرمة بعلها وانا كيف يبقى حالى وبالى وما على ومالى بين جيرانى وصواحبى وأهلى وأقاربى اذا كان زوجى ذليلا مهينا محتقرا بين الناس حزينا والله لا يكون لى بزوج ولو بلغ رأسه الى الاوج ولا امدّ اليه باعى ولا يرفع له في مركب الزوجية شراعى وانما أوردت هذا المثال يا شبه الغزال لابين انه

اذا لم يكن لى فى دارك عزه ولا يرفع مكانتى ومكانى نشاط وهزه فلا يرجونى الصديق الموافق ولا يخافنى العدو المنافق فيختل أمرى ويضيع فى غير حاصل عمرى واذا ما أهمل مرسومى تعدى الوهن الى مخدومى قال يسار أبشر أيها الوزير المشفق والكبير المحقق والحكيم الماهر المدقق بالدرجة العليه والمرتبة السنيه والكلمة المقبوله والوظيفة الفاضله لا المفضوله ولكن انا أيضا لى عليك شروط تزين عقودها المتفقات فى المروطهن لدار السعادة أبواب وللترقى الى درج السيادة أسباب ومثلك لا يدل على صواب وهى أن تتقلد العمل مبسوط الامل بجميع ما قررته وتتعاطى ملازمة كل ما حررته من اقامة ناموس المملكة المبجله ورعاية شرائط السلطنة المفضله ومحافظة جانب مخدومك والانهاء الى مسامعه جميع ما فى معلومك وتقديم مصالحه على مصالحك ومعاملة رعيته بالجهد فى نصائحك وكفه عن المظالم والعدول به عن طريق المآثم والغيرة على دينه واعتقاده ويقينه أكثر من الغيرة على دنياه وفى الجملة لا يكون الملك الا لله بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون ما لا تفعلون واياك والرشا والبرطيل والدخول لعرض الدنيا فى الاباطيل وتوقظ لم الرعيه للاغراض الدنيه او الاعراض الدنيوية واتق دعوة المظلوم وأن يصل سهامها الى مولانا المخدوم واعلم اننا ان بنينا أساس الامور على قواعد الظلم والشرور فنحن من الخاسرين ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين وسيقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين بل ابن الامور على اساس التقوى فانك بالتقوى تقوى وبراويتها تروى فمن تحلى بالقضايا العاطله وتشبث باذيال الامور الباطله ولم يقصد وجه الله فى حركاته وسكناته وادخل شوائب الرياء والسمعة فى اعماله وطاعاته لا يمشى له حال ولا يصلح له مال ولا مآل ويصيبه ما اصاب السائح الذى ادعى اخلاص العمل الصالح ثم شرع فى حركته واخلص فظهرت آثار بركاته فلما قصد الاعراض الدنيه فسد ظاهره بفساد النيه فسأل المشرقى عن حال ذلك الشقى قال كان فى أقصى بلاد الصين طوائف غير ذى عقل رصين انبت لهم فى بعض الجبال زراع القدرة ذو الجلال فى رياض النزاهة والكمال شجرة ذات بهجة وجمال أصلها فى أرض الملاحة ثابت وفرعها فى أصل المحاسن

نابت وغصنها الى سماء العلا واصل وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل
لا سموم الصيف يزيل زهرتها ولا عواصف الخريف تذهب خضرتها
ولا صرصر الشتاء يعرى أغصانها ولا لواقح الربيع تذوى افنانها فأعجب
بحسنها أهل تلك الديار وأشربوها اشراب بنى اسرائيل عجلا جسدا له خوار
ثم تفانوا فى حبها وتهالكوا على قربها فعبدوها كما عبدوه واعتقدوها
كما اعتقدوه واستولى على عقولهم الشيطان وصار يخاطبهم من
الشجرة واحد من الجان فزادهم فيها اعتقادا وعمهم بعبادتها كفرا
وعنادا فقدم تلك البلاد فقير من السائحين وهو من عباد الله الصالحين
فلما رأى تلك الحاله افزعه ذلك وهاله وأخذته غيرة الاسلام وغضبة
دعته الى القيام فاخذ فاسا وقصدها ليقطع ساقها وعضدها فلما قرب
اليها وأراد وضع الفاس عليها سمع منها صوتا تخوفه وعن مراده أوقفه فقال
أيها الرجل الصالح والقادم السائح فيم ذى الهمه وعلام هذه العزمة المهمه
وماقصدك بهذه الصدمه فقال غيرة لله ايها المضل اللاه شجرة تعبد من
دون الرحمن ولا يغار لهذا الشان انسان فلاقطعنك أيتها الشجرة المضله
ولاجعلنك حطبا ومثله فانك قد اضللت كثيرا من الناس وفعلت مالم يفعله
الوسواس الخناس وانك لا تنفعين ولا تضرين سوى انك الى النار تجرين
فقالت ايها الرجل الزاهد الصالح العابد انا ما آذيتك ولا ضاررتك وان
رأيت نفعتك وبررتك وحاشاك أن تؤذى من لا آذاك وانا اعلم ايها
الرجل الكبير أنك غريب وفقير وما اقدمك على هذا الباس الا الغربة
والافلاس فكف عن هذا الامر وأطفئ نائرة هذا الجمر وارجع الى
منزلك واشتغل بطاعتك وعملك وانا اوصلك كل نهار دينارا ذهبا
نضارا كاملا وافيا معيارا يأتيك هنيئا ميسرا كل صباح مبكرا
اذا استيقظت من رقدتك تجده موضوعا تحت وسادتك وهذا هو الاليق
بحالك وأفرغ لخاطرك وبالك وأخلص لك من ورطات المهالك واذا اصلحت
مع الله سريرتك وطهرت من ادناس الدنيا سرك وسيرتك فاترك الناس
ولو كانوا جيرتك أو أهلك وعشيرتك وعليك بخويصة نفسك فاذا انقذتها
من الورطات فأمسك وقد قال منزل القرآن لحرسكم يايها الذين آمنوا

عليكم انفسكم فلما سمع بالدينار الهاه الطمع والاغترار فبردت همته
وضعفت فى الله قوته وتركها ورجع وترك القيام وهجع فلما أصبح
الصباح وحاز بالصلاة الفلاح بادر الى الفراش وطلب المعاش فوجد
الدينار كما ذكره الشيطان واشار فالتقفه وابتهج وتحقق انه فتوح باب
الفرج واستمر على ذلك اسبوعا والذهب عنده مجموعا ثم بعد ذلك قصد
الفراش بسرور واهتشاش فلم يجد شيأ من الذهب فتحرق قلبه والتهب
فاخذه الحنق والقلق وأخذ الفاس وانطلق فلما قرب من الشجرة نادته
بالفاظ عكرة قف مكانك واذكر شانك وقل لى فيماذا جيت فلا
حييت ولا حييت فقال جئت لاقطعك ومن الارض أقلعك غيرة على
الدين وقياما بحق رب العالمين فقالت كذبت انما غرت وسببت وقت
وقعدت وبرقت ورعدت لفقدك الذهب الذى عنك ذهب وانما
كانت الغيرة الصحيحة والقومة المليحة الناهضة النجيحة القومة الاولى
فانها كانت والحق قد تجلى فلو قامت الخلائق لرذلك واجتهدوا فى منعك
وصدك لما ظفروا بك ولا قاموا بحروبك وأما الآن فهذه الغضبه
غضبة الفاجرة القحبه التى حصلت بواسطة عدم الدينار فهى التى اثارت
منك ما اثار فلو دنوت منى خطوة أو تقدمت من مقامك ربوة دققت
عنقك وشققت زقك وقد قلت انى لا اضر ولا أنفع ولا اجاب ولا أدفع
فاما المنفعه ياصلعة بن قلعه فانك رأيتها فى الدنانير التى لقيتها فتقرر النفع
يامستحق الصفع وأما المضره فقسها على المنفعة ياابا مره فان الذى له قدرة
على المبره ربما يقتدر على الايذاء والمضره وان شئت تقدم وجرب لتعلم
واخبر واسبر وانظر كيف انثر منك الراس بهذا الفاس وحقق وصدق
ان كتفك حملت حتفك فبهت الرجل وتحير وخاف وخار وقهقر وانقطع
حبل رجائه وافلت يتلفت الى ورائه وانما ذكرت هذا لتعلم أيها
الوزير المكرم ان كل أمر لا يقصد به وجه الله فان عقباه الندم وان حسن
اولاه وكل قصد ليس لغرض صالح فان شجرة غراسه لا تثمر الا الفضائح
فترك الشروع فيه اولى ومحو صورته من لوح الضمير اجلى ومن لم يترك
ما لا يعنيه وقع فيما يعنيه وحل به من الفضيحة والايلام ما حل بذلك

المفسد في مدينة السلام فسال الزنيم المشرقي البصير الافرقي كيف
كانت تلك الفضيحه لياخذ منها النفسه النصيحه قال كان في مدينة بغداد
صانع حرير استاذ خبير له جار سني الجوار وزوجة تخجل البدر عند
الكمال والشمس قبل الزوال وذاك الجار الجاني يدعى ابن الفرغاني
ففي بعض مطاره لمح زوجة جاره فتعلق قلبه بها واشتعل من هواها نار
احشائه بحبها فاخذ يلهو بها الى ان افسدها والى الضلال أرشدها
وكان الزوج مغرما بها فوجد على حالها منها فصار يراقبها من كلفه
ولا يغفل عنها لشدة شغفه ويجتهد في كفها عن الخيانه وان تحفظ الغيب
وتؤدي الامانه ففي بعض الاوقات رأى في بعض الطرقات صيادا ومعه
طير قد اوثق رجليه بسير فسأله عن طيره والى اين قصده في سيره فقال
هذا من الجوارح السوانح لا البوارح يحاكي الصوادح ويباكي
النوائح وفيه سر عجيب وأمر غريب وهو انه اذا كان في بيت ورأى
فيه على صاحبته كيت وكيت أخبر زوجها خبره وقص عجره وبجره وقد
رغب فيه رئيس يشتريه فانا ذاهب به اليه اقدمه لديه وامتن به عليه
فرغب فيه الحريري واشتراه وأتى به الى ذراه وقال لزوجته اكرمي مثواه
وأحسني مأواه فانه يخبر بكل ما رآه وهو من أحسن صفاته واعجب
أموره وحكاياته ومهما فعلت زوجة الانسان ذكره على وجهه كما كان
فقالت نحن بحمد الله في بركه آمنون مما ينقل عنا من حركه فان رأى شيأ
يهوله لا يكتمه عنا بل يقوله فتركه الزوج وذهب فدخل الحريف الملتهب
فرأى المرأة وحدها والطير عندها فاخذ في المهارشه ومد يده للمناوشه
فقالت كف يدك واحفظ الذمام فانه قد حصل علينا رقيب نمام فكف
يدك يا حبيب لئلا نصاب ولا نصيب وتفكر في قول الشاعر المصيب

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب

فقال واين الرقيب باست الجار والحبيب قالت هذا الطير ليس غير فان
له خواص عجيبه وفيه أشياء لطيفة نجيبه منها انه نمام ومهما رآه
أو سمع من الكلام فانه يفض عنه الختام ويذكره لصاحب البيت على
التمام فقهقه بصوت عال وسخر منها وقال صدق سيد المرسلين الذي

قال النساء ناقصات عقل ودين ثم أقسم بحياتها وحسن ذاتها وصفاتها
ليولجن القضيب في الكثيب بمرأى من ذلك الرقيب حتى اذا فرغ من
أمره يمسح في منقاره رأس ايره ليعلمها صحة ما اوهمها ثم حاورها وغلبها
وساورها وقلبها وحل الصدر بالتكه وتعلقت الحلقة بالسكه وامتزجت
الالف العربية بالكاف الكوفية والتهم زر الوردة النصيبيه شفاه
الوردة النسرينيه واستمر في أخذ وعطاء بلا غطاء ولا وطاء كأنهما افواج
الحجاج أو شباح الامواج في شيل وحط وقبض وبسط وهرج ومرج
ودخل وخرج واستمر من نحو هذا التصريف في بحث الرفع والجر ومن
علم المطاردة والركوب في صنعة الكر والفر ومن علم الزندقة والالحاد
في عالم الحلول والاتحاد الى ان دفق الابريق العقيق في قدح اللجين شراب
الرحيق وقد أنشد الحريف هذا النظم الظريف وهو

لو تنظر الرقبا وقد عانقته * والشمع مشتعل وبابي مقفل
طورا اشاهده وارشف تارة * واضمه من بعد ما اتأمل
واذا تغشى ذيل ثوبي بان لي * من جيبه شئ عليه المقتل

فلما سال الميزاب بما جرى وقضى زيد منها وطرا نهض ليبر قسمه حسبما
ميزه وقسمه وادنى من منقاره غرموله وكان للطائر مدة لم يتناول
ماكوله فتصوره قطعة لحم قدمها اليه طعمه فأنشب مخالبه فيه
فاستغاث بملء فيه وكاد ان يغمى عليه واستعان بحبيبة قلبه اليه
فاقبلت المرأة كالحدأة فاشار عليها أن تكشف عن ساقيها وترى الطير
بظرها وحرته فربما يلتهي به ويترك آلته فتكشفت وادنته اليه وعولت
في خلاص صاحبها عليه فوثب لشدة قرمه وتاثير الجوع وألمه ليلهم
ذلك الفلهم فأنشب مخاليب رجله الاخرى في فلهم تلك البظرا فاشتبكا
وفي البلاء اشتركا وبينما هما في تعاظل الكلاب واذا بالزوج قد دخل من
الباب فرآهما على تلك الحال من الاشتباك والاعتظال ونقل الطير
ما قال بالافعال دون الاقوال فصح قوله وفعله وفعل معهما ما يجب فعله
وانما أوردت هذا البيان لأعلم اشرف جنس الحيوان ان الشروع فيما
ليس فيه منفوع يجب الابعاد عنه والفرار منه وعدم الاصغاء اليه

والتوجه والاقبال عليه ولهذا قال النبي النبيه من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه قال المشرقي مابقي يانقي الآن ترتقي فلقد طال البيان وضاع الزمان (شعر)

فانهض هديت الى مارمته عجلا * فالدهر عات وللتاخير آفات

وكانت هذه المحاوره تحت ظل شجره فيها وكرحمامه وكان لها بالبلد اقامه في برج رجل من أهل الزعامه ثم اختارت العزله واحتسبتها نعمة جزله فاختارت هذا المقام ولها فيه عدّة أعوام فسمعت جميع ماقالاه من مبدئه الى منتهاه فلما وعت مااتفقا عليه وتداعيا اليه اخذت تضرب اخماسا لاسداس وتتامل فيما يتجلي من عرائس معانيه من القدم الى الراس وتجيل في صور مبانيه قداح النظر وتلاحظ سيرة خاويه بلوامح الفكر وتجوز مذاهبه وتروزعواقبه وتقيس مداركه بمعارجه وتميس في مداخله ومخارجه فادّى قائد فكرها ورائد نظرها الى انه ربما يكون لهما شان وعلوّ مكانة ومكان فان محاوراتهما ومامرّ من مناظراتهما كانت منطوية على ذكاء وفطنه وتجارب وحكمه وعلوّ همه صادرة عن فكر مصيب ورأى له في السداد اوفر نصيب ولم يبق لهما في القدر الامساعدة القضاء والقدر واذا كان الامر كذلك فالاليق في قطع هذه المسالك المبادرة الى التعرف بهما واعانتهما والتقرب الى خواطرهما ومساعدتهما على ماهما فيه ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتحويه لانهما في حالة الشدّه وزمان الانفراد والوحده محتاجان الى المساعده والمساعفة والمرافده وفي مثل هذه الحالة تظهر الفضيله ويتحملان المنة والجميله وتقع مساعدتي أحسن موقع ويتميزلي عندهما أرفع موضع فانه اذا علا شانهما وارتفع بدون معاونتي قدرهما ومكانهما واجتمع عليهما الجنود وأقبل اليهما الوفود وكثرت الحفدة والاتباع وتكاثفت العساكر والاشياع فمايظهر لمن يتقرب اليهما ويترامى لديهما اذذاك كبير فائده ولا كثير عائده ثم انها توكلت على الرحمن وصدحت على الاغصان بقولها

على الطائر الميمون والبشر والسعد * سموت الى العلياء نهدا على نهد

ثم

ثم هبطت وبين أيديهما سقطت فاذكرت قول الرئيس هذا الشعر النفيس

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض ووقفت فى مقام العرض ولزمت شرائط الحشمه وادت مواجب الخدمه وهنأت نفسها والكون بسلطنة الملك يسار ذات الصون وقالت انى لكما نعم العون وموطنى فى هذه الشجره وانا لاوامركم مؤتمره وقد وعيت ما قلتماه ومادار بينكما وذكرتماه ورأيته صادرا من مشكاة السعاده مشرقا بانوار السياده سهامه نافذة فى قلب الغرض وسيستعبد جواهر الرعايا بادنى عرض فان حسامه مطبق لفصل القصد وشانه سيبلغ أعلى اليمن والسعد وها قد جئت مبادره واردة منهل الطاعة وصادره فأمر الامتثال وانظر الاحتفال وتحكما لا طيع وتكلما فانى سميع فان اشرتما فالقصد قاف وان استشرتما فالرأى كاف وان خبرتما فالحزم واف وان استنهضتما فالعزم شاف وان استخدمتما فالعبد خادم صاف مصاف فلما رأيا من الحمامه هذه الكرامه تبسم الزنيم وتفأل واشرق وجهه وتهلل وتيمن بطلعة الورقا وعلم أن أمرهما يرقى وقال ليسار هذا من علامات اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار وعنوان السعود وحصول النجح والمقصود فان مسبب الاسباب العزيز الوهاب تبارك وتعالى وجل جلالا هو مسهل الصعاب ومفتح الابواب واذا أراد أمرا هيأ اسبابه وفتح على الضعيف طاقته وبابه ووسع رحابه وسدد الى مرامى المرام لراميه نشابه وحصول مثل هذا الصاحب الصادق والرفيق الموافق والمعين المصادق ادل دليل على أن الله الجليل ييسر هذا المطلوب ويظهر هذا النجح المحبوب ثم انهما استشارا الحمامه فى كيفية نيل الزعامه والشروع فى هذا الامر والتوصل الى دعوة زيد وعمرو وطريقة اشتهاره وتعاطى أسباب انتشاره فقالت أنا من جنس الطير ومشهورة بينهم بالخير ولهم الى سكون وعلى مناصحتى اعتماد وركون فالصواب فى فتح هذا الباب دعوة الجمهور من الطيور وانا به زعيم وفى الرسالة حكيم فان اقتضى الرأى الرفيع توجهت ودعوت الجميع بعد التخبير والتشهير بين الكبير منهم

والصغير ان ابا الجراء السلطان وابا الجداء الوزير وقد وقع الاتفاق
فى الآفاق على هذا الوفاق فليبتهج سائر الطيور بهذا الفرح والسرور
وليقرأ على رؤس الجهور هذا المقال المنشور وليبادر الى الخدمة
بالحضور ولا يتخلف احد من آمر ومأمور والحذر الحذر من المخالفه
وعدم الانقياد والمؤالفه فقد طاب الوقت وراق وزال المقت والشقاق
والمسارعة فى أقرب زمان ليأخذوا لانفسهم الامان ولا يركنوا من
التعويق سوى متن مسافة الطريق فاعجب الملك والوزير من الهديل
هذا الهدير فكتب بذلك بطاقه وحملتها الحمامة باحكم وثاقه ثم اخذت
الى الجو ووقيت من الجوارح السو ثم هبطت الى مجمع الطير وهو نادى
الندى والخير فرأت منها خلقا كثيرا وجمعا غزيرا فسلمت سلام المشتاق
وعانقت عناق العشاق فترحبوا بقدمها وسألوا عن معرب أحوالها
ومجيها وقدموا موائد الضيافه واظهروا السرور واللطافه فبثتهم كثرة
الاشواق وما عانته من الم الفراق وقد حرضها شدة الشوق وساقها اليهم
اشد سوق وبعثها أيضا باعث وهو من أحسن الوقائع وأيمن الحوادث
وذلك أن شخصا من أصلاء بنى سلاق الحاكم على بنى زغار وبنى براق تولى
سلطنة السباع ومالكية الذئاب والضباع مضافا الى ذلك الحكم على
الطيور والقيام بسياسة أمور الجهور واقام له فى ذلك وزيرا كافيا ناصحا
مشيرا يدعى ابازنة المشرقى من نسل تكابك الارتق وهو من الفحول
وكباش الوعول وقد أرسلونى الى الجماعه يامرونهم بالدخول فى رياض
الطاعه ليحصل لهم الرعى والرعايه والرفاهية والحمايه ويامنوا صيد الكائد
وكيد الصائد ثم شرعت تبث للكبير والصغير ما شاهدت من مخايل الملك
والوزير وحسن شمائلهما ويمن خصائلهما وماهما عليه ونسبا اليه
من الشجاعة والدين والعقل المتين والفضل المبين والقناعة والعفه
والمجد الذى لا تدرك وصفه وان الملك المعلوم قد عف عن تناول اللحوم
وقد قنع بما يسد الرمق من حشيش النبات والورق وقد تكفل برفع
المظالم وردع الظالم واجراء مراسيم العدل واحياء مواسم الفضل
فان انابوا واجابوا ربحوا واصابوا وطالوا وطابوا وان ابوا وصبوا

واهتزوا للمخالفة وربوا ثم وكسهم الدمار وارتكسهم فلا يلوموا الا أنفسهم فصدقوها من أول وهله والرائد لا يكذب اهله لانهم كانوا بها واثقين ولكلامها فى الحوادث مصدقين فما وسعهم الا الطاعه والتوجه الى خدمة الملك فى تلك الساعه وبعد ما تبادروا بالتصديق طاروا بالفرح ودخلوا الطريق واستصحبوا من الخدم والتقادم ما يصلح للمخدوم من الخادم فلما قربت الديار ودنوا من ولاية الملك يسار تقدمت الحمامة وسبقت وأخبرت الملك والوزير بما فتقت ورتقت فاستبشروا بما تقدم وبادر الوزير لملاقاة المقدم فتلقاهم بالاحترام والتوقير وأكرم الكبير منهم والصغير ومشى معهم بالاكرام والحرمه واوقف كلا منهم فى مقام الخدمه وحين استقر بهم المقام افتتح الوزير الكلام فاثنى على الله تعالى وضاعف التحية على نبيه ووالى ثم امتدح الملك الذكى بثناء يخجل المسك الذكى وذكر بعد ذلك ما يتعلق بسياسة الممالك وأن الله من بالملك عليه وساق سلطنة الوحش والطيور اليه وذكر مقام كل من الطيور وما وظيفته بين اولئك الجهور فاطاع الكل وتابعوا وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا وأنشدوا فارشدوا

ونحن أتينا طائعين ولم نكن * عصاة فرم غير الطيور عساكرا

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير أخذوا فى استدعاء جموع الغير من الوحوش الكواسر والبهائم الجواسر والهوام النواشر والجوارح النواسر وأرسلوا من تلك الجماعة الحمامه وقلدوها فيه طوق الزعامه فتوجهت نحو الوحش والى كل قارح من الصيد وجحش وكانوا بذلك قد سمعوا وللمشاورة فيه قد اجتمعوا فبلغت الحمامة الرساله وأظهرت ما فيها من بساله وكان آخر ما وقع عليه الاتفاق الوفاق وعدم النفاق وقصد الارتفاق والتوجه الى خدمة الملك يسار بصحبة الرفاق وقالوا لاشك أن الكلب بالوفاء مشهور وبحسن الرعاية والحراسة مذكور ويقدر أن يرعانا من الانسان ويحمينا من السباع ومؤذيات الحيوان واوصافه مذكورة فى الكتاب وناهيك بفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب فتقدم خزز من بين تلك البزز يدعى رئيس الارانب محبب الى الاقارب

والاجانب وهو مشهور بالحصافه موصوف بالذكاء والظرافه والمعرفة التامه والتجربة المفيدة العامه بعيد الفكر فى العواقب سديد الرأى حازم مراقب وقال يامعشر الاصحاب واولى الابصار والالباب كيف خفى عليكم ولم يتضح لديكم عاقبة هذه الامور ومافيها من عكوس وشرور وهل يصلح للرياسه واقامة السلطنة والسياسه أهل النذالة والخساسه المتصف بالقذارة والنجاسه اوماعلمتم أن من اخس السباب الشتم باخس من الكلاب أوماسمعتم فى كلام مالك ازمة القلب فى حق من عامله بالسلخ والسلب فمثله كمثل الكلب اوماقال صاحب الشرع فى حق ماولغ فيه الكلب بالسبع ثم التعفير بالتراب وهو مذهب كثير من الاصحاب وأن لايطهر بالدباغة منه الاهاب لااصل تقى ولاوصف نقى ولانسب طاهر ولاحسب ظاهر ولاوجه زاهر ولاشكل باهر فان كنتم نائمين انتبهوا وأعرضوا عما قصدتم اليه وانتهوا فلعن الله زمانا صار فيه التيس وزيرا والكلب سلطانا ولقد أرشد من انشد

لقد جار صرف الدهر فى كل جانب * من الارض واستولت علينا الاراذل

هل المسخ الأن ترى العرف منكرا * اوالخسف الاحين تعلو الاسافل

فتصدى الهديل للجواب وقال لاشك ولا ارتياب أن المستحق للسلطنة الامام العادل والشخص الكامل الفاضل ولايقدح فى هذا الفصل دناءة الاصل فقد قال القيوم الحى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وكل من اتصف بالهمة العليه والاوصاف السنيه ومكارم الاخلاق والشيم وانتشر بها صيته بين الامم يستحق أن يرأس بين العرب والعجم وأما الانساب ففى نص الكتاب قال من بقوله يهتدى المهتدون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * فسوف يغنيك ذاعن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ماتجلى يومه لا ابن امسه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

وأمّا الاوصاف فلاشك ولاخلاف فى أن الكلاب فضلت على كثير ممن لبس الثياب وماذاك الالاوصاف اختصتها وآثار اقتفتها واقتصتها وهى مشهوره وعن الكلاب مسطوره ومن جملة محاسنهم ماثوره وأمّا الاوصاف الذميمه فيمكن صيرورتها مستقيمه وذلك بحسن التأديب والتربية والتهذيب والتمرين والتشذيب حتى يصير نابه مديه وهذا ليس فيه مريه ويجتزى بالفاكهة والبطيخ عن اللحم السليخ وبالخبز الشعير عن أكل لحم الحمير وناهيك يااباوثاب ماقيل فى الكلاب ولابسى الثياب (شعر)

وماضرّ أهل الكهف ايمان كلبهم * ولكنهم زادوا يقينا على هدى
وماذا افاد العلم بلعام وهو من * بنى آدم لما الى الارض اخلدا

وهذا السلطان قد عاهد الرحمن أن لايمزق حيوان ولايذوق لحمان وأن يقنع بالكفاف ويسلك طريق العفاف وماذاك لعجز ينسب اليه ولا لوهن طرأ عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا وسلك طريق الملوك فى احياء همها ومعاليها تطبعا (وبضدّها تتبين الاشياء) فان اجبتم كان لكم الحظ الاوفر وان امتنعتم فقد اعذر من انذر وبلغ من حذر وماقصر من بصر والعاقل من يتبصر عيوبه ويسلك من الخلق الجميل دروبه وقد قيل لامير النحل ذاك الاسد الفحل كرّم الله وجهه وجعل له الى الرضوان أحسن وجهه ياأمير المؤمنين وابن عمّ سيد المرسلين ممن تعلمت الادب قال من قليل الادب يعنى اذا رأيت فى احد خلقا ذميما اووصفا فسد بادرت الى افتقاد نفسى وتاملت فى حدسى وحسى هل انا محلى بذلك الوصف ام لا فان لم يكن اجتهدت أن لايكون وان كان أبعدته عنه عرضى واصون وحسبك ياذا الرتبة العاليه استنكاف اللص العاقل من قول تلك الزانيه فقالت الخرز للحمامه أخبرينى بذلك الاستنكاف ياذات الكرامه قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار عن شاطر من الشطار قد بلغ فى الشطاره واللصوصية غاية المهاره يسرق الوهم من الخاطر والرائحة من الطيب العاطر والنوم من اجفان الوسنان واللماظة من اسنان الجيعان ويأتى على كوامن الغيوب فضلا عن خزائن الجيوب ويلف الرخيص والغالى

والوضيع والعالى وقد اعجز المقدم والوالى ففى بعض الاوقات قصد جهة من الجهات فبيناهو فى المناهضة والمناهزه غشيه الوالى مع العسس والجلاوزه ومعهم امرأة بغى قد خرجت عن الصراط السوى وهم يضربونها وعلى افظع حالة يسحبونها وهى تستصرخ المسلمين وتستغيث ايمة الدين فلما أحس اللص بهم تنكب عن دربهم وولاهم عطفه وانزوى فى عطفه وانتظر حتى يمروا فسمع المرأة وهم بها قد اضروا وهى تصيح بلسان فصيح وتقول يا أهل الاسلام وامة خير الانام أنجدونى وارحمونى وأسعدونى لا سرقت ولا نقبت ولا اختلست ولا سلبت ولا طمعت فى مال أحد ولا نهبت ولا وقفت لاحد فى درب وانما استنفق من حاصل دار الضرب وذلك ملكى وحوزى وثمرة لوزى وجوزى باشارة سهام الحاظى الملوزه من قسى حواجب بالجمال متوزه وسفارة نظام ألفاظى المعززه المشبه باب طربقها در رافى العقيق والرحيق مغززه فمالى على احد ثقل ولا طمعت فى مال أحد فيحصل له منى ملل فلما سمع قاصد الحرام هذا الكلام افاق وصفا خاطره وراق وتنبه لقبح صنعته وان الزوانى تأنف من حرفته وتستنكف مما هو مفتخر فضيلته فقال لعن الله فعلا تنتقصه الخواطى وتباو محقا المتعاطيه من متعاطى ثم عاهد الله التواب ورجع اليه عن صنعة الحرام وتاب وانما أوردت هذه المناقب ياشيخ الارانب لتعلم أن العاقل من يتصفح جرائد أعماله ويتأمل صحائف حركاته وأحواله وان هذا الملك صفى شراب صفاته من كدورات الهوى براووق المراقبه ونقى رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمة بمنكاش المعاتبه بقدر طاقته وامكانه وهو مثابر على ذلك فى غالب ازمانه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس لك أن تعترض بان النفس لا تغير طبعها وليس الاكمه كالارمد ولا السطيح كالمقعد ولا سحبان كباقل ولا العاقل كالمتعاقل

ليس التكحل فى العينين كالكحل

وتحتج يامسكين بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين مع وزيره حسن الميمندى بسبب القضية الواقعة لابن الجندى فسأل أبو عكرشه اباعكرمه عن هذه الواقعه ليتبين من التمثيل مواقعه فقال ان السلطان محمود

ذا الطالع المسعود الذى فتح بلاد الهنود جرى بينه وبين وزيره مباحثه
وقع فيها عن دقيق العلوم منابشه فى أن الطباع هل تقبل التغيير
ام لا تستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير فقال الوزير نعم تقبل التغيير
بواسطة التاديب وحسن التشذيب والتهذيب وقد شاهدنا الطباع
من الوحوش والسباع بواسطة التعليم تركت الخلق الذميم واكتسبت
الوصف المستقيم فجريان هذا الامكان احرى أن يوجد فى جنس الانسان
فقال السلطان المظفر لا تتحول الطباع ولا تتغير ولا يمكن صرفها عما
جبلت عليه ولا يتصور قال من ليس فى كلامه اشتباه فطرة الله التى فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله وقال القائل

وتابى الطباع على الناقل

واستمر هذا الكلام بينهما عدة أيام الى أن ركب السلطان وقصد
السيران والوزير فى ركابه بين خدمه وأصحابه فرأيا من بعد شابا من
أولاد أحد الجند وهو جالس على فرع شجرة يابس يريد قطعه لما عدم
نفعه وقد جعل ظهره الى طرف الفرع وهو عمال بالمنشار فى اصله للقطع
فتأمل السلطان والوزير فى هيئة ذلك الظبى الغرير ثم قال السلطان للوزير
بين الاعيان وطبع هذا أيضا داخل فى الامكان وهو يقبل التغيير
والتعليم ويمكن استحالته بالتاديب والتفهيم فلم يحر الوزير جوابا لا خطا
ولا صوابا ثم اشار الى بعض خوله أن يذهب بذلك الشاب الى منزله فلما
نزل من الركوب أحضر ذلك الشاب المرغوب الغافل المحبوب ثم طلب
له مؤدبا حاذقا مهذبا وأمره أن يجتهد فى تعليمه ويبالغ فى تأديبه وتقويمه
ويوقفه من العلوم على دقائقها ويسلك به الى خفايا طرقها وطرائقها
فاشتغل بتربيته ليلا ونهارا وبذل مجهوده فى ذلك سرا وجهارا الى أن برع
فى أنواع العلوم وضبطها من طريقى المنطوق والمفهوم ولما فرغ من
العلوم ادناها وأنهاها من مبتدئها الى منتهاها شرع به فى علم ادريس
وهو علم النجوم النفيس واستطرد منه الى علم الرمل المنير وتوسل به الى
أن توصل الى اخراج الضمير فاتقن هذه العلوم لا سيما اخراج الضمير الموهوم
فلما اتقن ذلك وسلك فيه ادق المسالك أحسن الوزير اليه واستصحبه

الى الملك ودخل به عليه فقبل الارض وأدّى من شرائط الخدمة النافلة والفرض وقال للسلطان محمود ان هذا هو ذاك الشاب المعهود وقد برع فى العلوم ووصل الى استخراج الضمير المكتوم وقد بدلت بالادته بالذكاء وصار فؤاده كابن ذكاء فان اقتضت الآراء السلطانية سبرته واعتبرت فهمه بعد ما اختبرته فادخل السلطان يده فى كمه ونزع خاتمه من بصمه واطبق يده عليه ليسبر منتهى علمه وينظر ما قاله الوزير فى كيفية هذا التبديل والتغيير ثم اخرج يده من كمه وقال ليظهر نتائج علمه ليخبرنا بما فى كفى وعن حواس العيون مخفى فتقدم الشاب ورفع الاصطرلاب ووضع أوضاع الحساب وخط ذلك النقى اشكال لحيان والنقى وسائر الاوضاع من الطريق والاجتماع ثم نظر وسبر وعبس وبسر وقدر وافتكر وقال دل الشكل والله أعلم أن ما حواه الكف المكرّم شئ من المعادن محفوف بسودد او سواد بائن وهو فى أفضل الاشكال لانه مستدير وفى أحسن الالوان لانه مستنير وفى دائرته قطر ومركز وفى وسطه ثقب لمغرز وهو ثقيل اما فى الثمن أو فى التحميل ثم تامّل بعد الوقوف فى أن هذا الموصوف ماذا يكون فقال كانه والله أعلم فردة طاحون فضحك السلطان الكبير وخجل لذلك الوزير ثم قال السلطان أبى الله السبحان أن يكون باقل كسحبان

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع ادب الاديب

وانما أوردت هذه المسائل لئلا يعترض قائل ويستدل بمثل هذا الدليل على أن الطباع لاتقبل التغيير والتحويل بل الطباع تتغير (ومن ذا الذى يا عز لا يتغير) فسبحان من لا يحول ولا يزول الذى وضع عالم الكون على الانتقال والحلول وكل لجلال عظمته مخبت يمحق ما أراد وينبت ويمحو ما يشاء ويثبت ومذهب أهل الثبات فى المحو والاثبات أن الكافر قبل الاسلام كافر عند الملك العلام وبعد ما انخرط فى سلك المؤمنين صار مؤمنا عند رب العالمين وعلى هذا التقدير والتقرير أيها الفاضل الكبير والعالم النحرير فالملك يسار نظر بعين الاعتبار وتنصل من رذائل الاوصاف وتخلق باخلاق الاشراف من التلبس بالعدل

والانصاف ولولا نيته الصالحه ماصارت صفقته فى المبايعة رابحه ولا كانت كفة فضله راجحه ولا زايله النكد ولا اطاعه أحد والاعمال بالنيات وعلى مقدار النيات العطيات وجنس هذا الملك فى الاوصاف المتباينة مشترك فانه قد جمع بين خصائص الحيوان حتى كأنه سبع بهيمة انسان كما قيل

جمع الكلب فى حلاه صفات * فهو سبع بهيمة انسان

وكما قيل أيضا

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو اعجم

وانا يا مولاى اعرض عليكم هذا الراى وهو شاهد عدل وحكم فصل وهو أن يقع الاتفاق على واحد منكم من خاص الرفاق من تحققتم حسن آرائه وصدقه فى انبائه وصحة دينه ورصانة عقله ويقينه فأنطلق فى ركابه الى حضرة الملك وجنابه فيكتحل بانوار طلعته ويشمله ضيا من رؤيته ويطالع جميل صفاته ليسكن الى فضيل حركاته وينتقل من علم اليقين الى عين اليقين فيزول باليقين الشك ويظهر خلاصة الذهب بالحك ثم يأخذ لكم العهد والميثاق بما يقع عليه الاتفاق وما ترضونه وترونه من الصواب ويرد عليكم بذلك الجواب فان وافق قصدكم تو كدون عليه عهدكم وتتوجهون بقلوب مطمئنه وخواطر فى حصول المرام مستكنه والافترون رأيكم فيما عليكم ومالكم فاستصوبوا هذا الرأى واسترضوه واستعذبوا لطيف معناه واستحسنوه وانتدبوا لهذا الامر الخطير من يصلح أن يكون عند الملوك السفير فوجدوا ظبيا طيب العناصر قد عقدت على غزارة فضله الخناصر من أعقل الجماعة وأذكاها وأحسنها رأيا وأدهاها فقلدوه الزعامة وأرسلوه مع الحمامة على ان يجتمع بالملك يسار ويعاهده على مايقع عليه الاختيار ثم يسمع أقواله ويشاهد أفعاله ويميز أحواله ثم يرد عليهم الجواب فيميزوا مافيه من خطأ وصواب فيبنوا عليه ويرجعوا اليه فتوجه الظبى والحمامه مستصحبين الأمن والسلامه فلما قربت الديار سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار وأخبرته بصورة الاخبار وأن الظبى فى العقب مقبل بما يحبه الملك ويحب

فأمر الملك الوزير أن يتلقى الظبي الغرير مع جمع الطير الكثير فتقدم
الوزير وقال أسأل مولانا الملك المفضال ان صدر من هذا القاصد خطاب
ان يشار الى ردّ الجواب فان ذلك اعلى للحرمه وأدنى للحشمه وأقوى
لناموس الملك والرياسه وأزهى لطاوس الياساق والسياسه فان كان ذلك
الجواب متحليا جيده بعقود الصواب كانت سعادة الملك الملهمه وفى
خدم الملك من تصدى للامر وأبرمه فان خرج عن طريق الجاده فلا
ينسب الى الملك تلك المادّه بل يتلقاه الملك بكرمه ويكون الخطأ منسوبا
الى خدمه فاجابه الى ماسأل وتقدم الوزير للملاقاة مع سائر الخول
فتلقوا الظبي بالترحاب وفتحوا فى وجهه للكرامة أوسع باب ومشوا معه
حتى وصل الى الحضره وشاهد تلك الحشمة والنضره فقبل الارض ووقف
وعرف مقدار الملك واعترف وأدّى الرساله وبين للملك مافيها من رقة
وجلاله فقابله الملك بما يليق بحشمته وأجلسه بالقرب من حضرته وخاطبه
بما أذهب دهشته وآنسه بملاطفات جلت وحشته وساله عمن خلف
وراءه واستقصى فى التفحص أحواله وانباءه فبلغ عبوديتهم وطاعتهم
وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم وفتح فم الدعاء بلسان ذلق وخطاب
طلق وكلام غير معقد ولا قلق واطال فى الدعاء وأطنب فى الشكر والثناء
وسأل شمول المراحم وكف المتعدى والمزاحم فانهم انبسطوا
وانشرحوا وابتهجوا باستيلاء هذا الملك وفرحوا وشكروا الله هذه
النعمه وأنى يفون بشروط العبودية والخدمه ثم سال أخذ الميثاق
وتأكيد العهد بالايثاق بالامان والاطمئنان لمن وراءه من الوحوش
والغزلان فاعطاهم الامان وشملهم بالاحسان على أن لايراق لهم دم
ولا يهتك لهم حرم وانهم يرعون حيث شاؤا ويسرحون حيث ذهبوا
وجاؤا وان الملك يسار حاكم سلوق وزغار وخليفة براق وكوبالك والتتار
قد عاهد الملك الجبار أن لا يتعرض لوحش القفار ولا لاحد من أجناس
الاطيار حتى ولا الحيتان البحار ولا يريق لهم دما ولا يقصد لهم أذى ولا ألما
ويرعى جانبهم ويقضى مآربهم ويحفظ شاهدهم وغائبهم ويمنعهم من
مناويهم ولا يسلط عليهم من يؤذيهم مادام وا تحت طاعتى وفى جوارى

وذمتى فقبلت الغزاله بشفاه العبودية خدّ الجداله وقالت هذا كان المامول وجل القصد من الصدقات والمسؤل والذى جىء لأجله فقد حصل من صدقات الملك وفضله ولكن العلم العالى محيط بان وحوش البسيط أقوام ضعاف ليس بينهم ائتلاف وهم طوائف كثيرون الاختلاف أجناس متفرقه وأنواع متمزقه ليسوا كقطائع الغنم مجتمعين ولا كحشار الخيل ممتنعين ولا بعضهم لبعض متبعين ثم لم تزل العداوة بينهم قائمه وعيون الصلح والاتفاق عنهم نائمه لا يضبطهم ديوان ولا يحصرهم حسبان ولا يمنعهم من التعدى سلطان القوى يكسر الضعيف ويمزقه والشاكى يستطيل على الاعزل ويفرقه ولاجل هذا المعنى لا يمكن اجتماعهم فى مغنى بل البعض فى قلل الجبال متوطن والبعض فى سرب التلال متحصن والبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات والبعض فى الآجام والاكام خوف الغارات وكل يخاف حلول البلاء قد اتخذ لذلك القاصعاء والنافقاء واستعد بفنون الكيد خوفا من جوارح الصيد واذا كان الامر كذلك فاجتماعنا متعسر وحفظنا فى الملك غير متيسر فلا بدّ من ترتيب قاعده تعمّ منها جميع الوحوش الفائده ويشمل أمنها غائب الملك وشاهده والا فالحاضر آمن وقلب الغائب غير مطمئن ولا ساكن فليفتكر للرعية فى ضابطه تكون الحرمة فيها للقريب والنائى باسطه فالتفت الملك للوزير وقال أجب هذا السفير فقال الزنيم يا أحسن ريم هذه الافكار من قصور الانظار وعدم التأمّل والاستبصار والافان السلطان فى كل مكان كلمته عليا ووجوده كالشمس فى الدنيا فكما ان الشمس اذا استوت وعلى سرير كبد السماء احتوت عمّ فيض شعاعها الجبال والاكام والتلال والآجام وانتشر على البحر والبر واشتهر على الفاجر والبر فربت الازهار والاثمار وشبت مشاعل الكلأ فى القفار وطبخت الغلال وفواكه الاشجار وصبغت فى كوامن المعادن جواهر الاحجار كما قيل

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

كذلك الملك العظيم اذا انتشر صيت عظمته وعدله فى سائر الاقاليم

شمل فضله الشريف والوضيع وبلغ جود وجوده الدنى والرفيع وردع عدله الطائع والعاصى ووسع نواله الدانى والقاصى وانه كالغمام الصيب الصيب على الربيع الخصيب والديمة المطبقه والمزنة المغدقه اذا انتشرت فى الآفاق وصارت لام عهدها عاهدها للاستغراق فروت الخضيض والبقاع وعمت الوهاد والتلال والبقاع وخاطبها ظمآن الرياض وعطشان الغياض شعر

أمطر على سحاب جودك مرة * وانظر الى برحمة لا أغرق

هذا ومتى انتشر فى الاطراف انكم التجأتم الى هذه الاكناف وتطرز بشمول الصدقات السلطانية من ملابس طاعتكم الطراف والاطراف منعت العواطف الملوكيه والخواطر الشريفة السلطانيه عوادى المعادى وكفت أكف المصادم والمصادى فلا يجترئ أحد على التعرض لكم ولا يخطر ببال مخالف أن يقطع سبلكم قال الرسول الامر كما يقول مولانا الامير وما أحسن هذا التقرير ولكن مع المراحم السلطانيه وصدقات العواطف الملوكيه وحسن الطويه واحسان النيه فلا بد للسياسه وضبط الرياسه وقواعد الملك فى الحراسه من ضابط يبنى عليه الملك لامره اساسه لا يتميز به كبير دون صغير ولا يختص برعايته جليل غير حقير فان من أحسن أوصاف الملوك والاكابر أن لا يغفلوا عن تفقد أحوال الصعاليك والاصاغر ولا يقتصروا فى ذلك على نوع دون جنس كما يفعله لغلبة الهوى بعض حكام الانس مع انهم مسؤلون عن جليلها وحقيرها ومحاسبون على كبيرها وصغيرها وفى شأنهم قد قال من فى ضبط حركاتهم وملكاتهم استقصاها ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقد تنبه لهذا الفعل الرجيح أيها الوزير النصيح والمنطيق الفصيح انوشروان وهو من الكفار واشتهر عنه قضية الحمار فسال الوزير بيان هذا التقرير فقال الريم بلغنا أيها الكريم أن أنوشروان بالغ فى نشر العدل والاحسان ومعاملة الرعيه كبيرا وصغيرا بالسويه وبذل فى ذلك جهده واستنهض لمساعدته وكده واختشى ان يمنع المتظلم الفقير الابواب بسبب حاجب

او

اوكبير لغرض اوعرض اوارتشاء من فى قلبه مرض فيمشى مدلس البراطيل من خوف الاباطيل ويضيع بحث صارخ الحق فى اوقات التعطيل فاداه قائد اجتهاده وانتهى به رائد مراده الى ان يعقد فى طاق مبيته ويجمع خاطره عن تشتيته من محاذى السرير حبل من الحرير ويربط طرفه الادنى فى حلقة الباب حيث لا حاجب ولا بواب وهو مكان مجتمع الجمهور ولا يمنع أحد فيه من الوقوف والمرور وان يشد فيه اجراس من خالص الذهب لا النحاس بحيث انه اذا حرك الحبل صوتت الاجراس صوتا أخرس الطبل ثم أمر مناديا ان يرفع صوتا عاليا بان من كان شاكيا فعليه بتحريك ذلك الحبل ليقع الظالم فى الكبل وينتصر المظلوم من بعد ومن قبل فاشتهرت هذه العاده ونال بها فى الدنيا السعاده وعظم صيته وخمدت عفاريته وانتصفت صفاريته ففى بعض الظهائر عند قائلة الهواجر وانوشروان فى مبيته قد طاب اضطرب الحبل والاجراس أشد اضطراب فقفز أنوشروان مذعورا وتصور المحرك مظلوما مقهورا فابتدر بطلبه لينظر فى ظلمه وسببه فتبادروا الى احضاره واستكشاف أخباره واذا هو حمار جرب جنبا جسمه من الجرب خرب ومتن ظهره من الحكة نقب وقد هد عمارة عمره هادم الهرم وألهب حشيش حشاشته من الجوع ماضى الضرم يحمله صاحبه مالا يطيقه ويقطع عنه قوته وعليقه يؤذيه ولا يداويه ويدور به ولا يداريه فطلب مالكه وعتبه ثم زجره وضربه ثم أمر بالنداء فى الاسواق وامتد ذلك حتى بلغ الافاق وعم الضواحى والرزداق ان يسلك بما ملكت اليمين الارفاق ولا يقتر عليها فى الانفاق وكل من عنده دابة قد استعملها فى صباها واستوفى فى خدمته قواها يراعى حقوقها اذا كبرت ولا يضيع ما قدمت بما اخرت وصك وجه ذلك الرجل صكا وكتب عليه بفرض حماره صكا وانما ذكرت هذا المثال فى معرض ما يقال من ان عدل السلطان خير من خصب الزمان وأيضا فان قصد الملك اذا كان صالحا كان أمره فى جميع الازمان ناجحا وسخر الله له من يرشده الى قصده ويعينه على أمور شعائره ويحيى ذكره من بعده وتدر على يده سحائب البركات ويجرى منها على غير قصده ابحر الخيرات وحفظ كل من اليه ينتسب ورزقه كل ذلك من حيث

لايحتسب وحاصل هذه المقدمه ان المسؤل من الصدقات المعظمه انه اذا ترامى على أبواب عدلها شاكى أو تعلق بأسباب معدلتها متظلم باكى تتصدى هى بنفسها لكشف ظلامته ولا تترك الغير فى فصلها لاقامته وان الفقير من جماعتنا والضعيف من أهل طاعتنا اذا مست الحاجة به الى بث شكوى اورفع بلوى يتقدم الى شكواه بلا واسطه ليامن فى أمره المغالطه ويصادف مقسطه لاقاسطه ويتساوى فى كل من مشرب العدل والانصاف ومراعى الفضل والالطاف الظباء والاسود والذئب والعتود والعقاب والعصفور والحمام والصقور ولا يتقدم فى الدعاوى من حيث التساوى الوجيه على الجاهل ولا النبيه على الخامل ولا الكبير على الصغير ولا الجليل على الحقير فان اقتضت الآراء العاليه تولية عامل فى ناحيه فليكن ممن له شفقة تامه ورحمة فى أمر الرعية عامه ويعرف ذلك بمن جربته العلوم الكريمه وتحققت ان نيته فى رعاية الرعيه مستقيمه قد صارت له الشفقة ملكه وكل من العدل والانصاف قد ملكه ولا تولى أحد الغرض أو من فى قلبه من اذى المساكين مرض وان الطبيعة اذا اعتادت عاده والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلاده سواء كان ذلك مذموما او محمودا مقبولا عند العقل والشرع او مردودا فانها تبرزه فى غالب الاوقات ولا تتخلف عن ملابسته فى أكثر الحالات شعر

العين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وكل قضية لا يساعدها القلب فنتها على العكس والقلب ونظيرها يا رئيس المداره قضية من زوجته امه وهو كاره فسال الوزير من السفير تقرير هذا النظير فقال كان شاب من العراب قصدت امه تاهله فزوجته بامرأة أرمله ولم يكن له احتياج ولا رغبة فى الزواج واختار التخلى للصلاه على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ولكن فر من العقوق وكتب على نفسه الحقوق فلما عقدت الوليمه وصممت العزيمه وجمعت النساء والرجال أرسلت أمه الى جارلهم قوال استاذ فى صنعته ماهر فى حرفته فدعته الى الجمع ليبتهج بحسن غنائه السمع فيشغل الوقت ويذهب المقت ويحصل للحضور النشاط والسرور فتخلف وابى وعن

الحضور

الحضور بنا فسئل عن تصلفه وسبب تخلفه فقال بلغنى ان الزوج الخاطب غير طالب ولا راغب واذا كان كذلك فلا يغنى الغناء الا العناء ولا يؤثر فى القلوب والاسماع بل تنفر عند سماعه الطباع فكل شئ لا يصدر عن رغبة القلب فان ايجابه لا يفيد الا السلب فيضحك على القائم والقاعد ويسخر من الصادر والوارد ويروح تفزلى فى البارد وانما ذكرت ذلك لاعرض على آراء المالك انه اذا أولج أمر الرعيه الى أحد من الخاصكيه ينظر الى شفقته ويسبر وفور مرحمته ثم يوليه عليهم ويتقدم بالطاعة اليهم فيستقيم اذ ذاك فعلهم وفعله ويظهر فى حركاته وسكناته عدله وليس العدل فى القضايا تساويها ولا اجراؤها على نسق واحد يحويها بل معرفة مقاديرها وبيان تقريرها فى المبادى وتحريرها ثم اجراءها على مقتضى مدلولها وردّ فروع كل مسئلة الى أصولها ووضع الاشياء فى محلها وايصال الحقوق الى أهلها ومعرفة منازل أربابها وأوضاع أصحابها ومراتب طلابها فمن لم يحقق هذه الامور اضاع مصالح الجمهور فاعطى غير المحق ما لا يستحق ومنع الحق عن المستحق وقد قيل يا أبا السعود ان حقيقة الجود اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى والا كان كالباذر فى السباخ واشبه فى امره اجير الطباخ الذى لم يعرف معنى العدل فقصده فوقع فى الحدل فسال الغزال شيخ الاوعال عن هذا المثال فقال كان عند بعض الاشياخ من الطباخين أجير طباخ له رغبة منهمة على معرفة طبخ الاطعمة وكيفية ترتيبها وصنعة تركيبها وكان مغرما بذلك يسلك فيه كل المسالك ويردفيه الموارد ويتبع كل صادر ووارد ففى بعض الآناء وقف على طبيب من الاطباء فسمعه يقول ان أصلا من الاصول العدل والتسويه بين الاطعمة والاغذيه والعقاقير والادويه فمن لم يستعمل الاستوا فى درجات الغذاء والدوا ضل عمله وغوى واصل هذا المزاج ولا ينكره الاذوبخاج فان العناصر الاربعه منها المضرة والمنفعه وقد تولد منها السوداء والبلغم والصفراء والدم فمتى اعتدلت هذه المتولدات صحت الابدان والذات ومتى عن الاعتدال عدلت أمرضت وقتلت وكذلك النير الاعظم والكوكب المضىء فى العالم اذا حل فى مركز الاعتدال استقام للعالم الحال وطاب الزمان واعتدل

وذلك عند نزوله فى برج الحمل فتصور ذلك الولهان أن المقصود التسوية فى الاوزان فانصرف وهو فرحان وقصد طعام الزيرباج ووعى من مفرداته مايحتاج ثم انه ساوى بين أوزانها وقصد العدل فى ميزانها وخلط كعقلها اخلاطها ووضعها فى قدور وساطها نخاب عمله فى عدله وبان نقصه فى فضله فلما وعى الملك والوزير ماسلكه السفير فى نظام هذا التقرير شكرا له مساعيه وأخصبا فى الاكرام والاعزاز مراعيه وقالا جزاك الله خيرا عن شفقتك وحسن صنيعك لمرسليك ورفقتك فمثلك من يصلح للسفارة بين الملوك وتولى أمور الرعية من الغنىّ والصعلوك فانك ناصح لمن فوقك شفيق على من دونك ثم قال الوزير ان هذا الملك الكبير مقاصده العظيمه ان تكون الامور مستقيمه وان يصلح العباد والبلاد ويطمئن المستفيد والمستفاد فاحتفظ أيها السفير المنير الضمير بما سمعت ورأيت وشاهدت ووعيت واجعله من عنوان انبائك ومقدمات افعالك وآرائك وأبلغه من يحفك من امامك وورائك ومهما وصلت اليه قدرتك واحاطت به يدك وكلمتك من ابلاغ الخبر الى مسامع الوحش والطير عن هذا الملك وأوصافه وتطلعه الى مراقى البر والاحسان واستشرافه وماتسكن به الخواطر وتطمئن اليه الضمائر وتقر به العيون بالسرور وتستقر به القلوب فى الصدور فلا تال فيه جهدا واوسع فيه جدا ولاتنته فى انهائه حدا فان المجال واسع وميدان المقال شاسع وقد اذن لك فيه وان اخفيته فى نفسك فالله مبديه ثم كتب له بذلك مراسيم عن ثغر الامانى مباسيم وافيض عليه خلع الكرامه واضيف اليه الحمامه ورجع الى أهله مغمورا بفضله مسرورا بقوله مشكورا بفعله فائزا بالمطلوب ظافرا بكل مرغوب فارغ البال طيب الحال فاتصل باهله فى دياره وهم فى انتظاره فبادروه بالسلام وقابلوه بالاستلام وقالوا ماوراءك ياعصام فبلغ الجواب بارشق عبارة واليق خطاب وذكر لهم مارأى وسمع ووعى فانتشرت هذه الاخبار حتى ملأت الاقطار وتسامع بها وحوش القفار وفاح بطيب نشرها الازهار فكان جميع البر معطار ثم اجتمع رؤساء الوحوش والبهائم وعرفاء الصوادح والبواغم

وكل

وكل ساكن فى القفار من سائم وحائم وأرسل كل الى أمته رسوله يدعوها الى ما يحصل سولها وسوله فلبت كل امة دعوة رسولها واقبلت لاستماع المراسيم وقبولها فاجتمعوا فى رياض مرج اخضر وحلقوا لاستماع المراسيم حول المنبر وأطرقوا وسكتوا واستمعوا وأنصتوا وتناول المرسوم الصادح من الباغم وصعد على الغصن الناعم مطوّق الحمائم وابتدأ باسم الكريم الغفور وقرأ على رؤس الاشهاد مضمون المنشور ودعاهم الى الطاعه والدخول فى سنن السنة والجماعه وأنهم لا يتأخرون عن الحضور بعد الاطلاع على مضمون المنشور فانه فرمان أمان لكل من أجناس الحيوان ولم يبق مقالا لمتخلف ولا مجالا لمتأخر ومسوّف كما قيل

فمن جاءنا طوعا أقمنا بمجده * ومن يأب لا يعتب علينا فعالنا

الى آخر الرساله مع ما تحمله الرسول من مشافهة ومقاله ومن ملاطفات تشرح الصدر وتستنزل البدر وتوضح ما للملك من جلالة وقدر فتلقى الكل هذا الكلام بآذان القبول والاكرام واتفقوا على التأهب والمسير والاحتفال بالكبير والصغير وأخذوا فى تعبية التقادم والخدم وفرضوا ذلك على مال الكل من طوائف وحشم وتصدعوا عن هذا المرسوم على ان يجتمعوا فى يوم معلوم ثم اعدّ كل عتاده واكمل خدمته وزاده واجتمعوا لذلك اليوم الموعود وتوجهوا الى الخدمة فى الطالع المسعود ولما دخلوا الدرب وضربوا فى الارض أين ضرب توجهت الحمامة بالبطاقه بهذه البشارة والطلاقه فانتشر هذا الخبر وملأ البدو والحضر فلما وصل الطائر دقت البشائر وسرّت الاهل والعشائر ثم ان الملك دعا الوزير وقال اعلم أيها الناصح الخبير والبحر النحرير أن الوحوش واصلة الى منزلك وبخفها وحافرها نازلة فى ساحلك وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت وفى هذه الجيوش أصناف الوحوش وطوائف السباع وأنواع الذئاب والضباع وفيهم الفراعل والثعالب والعسابر والارانب ولاشك ان هيبة الملك صادعه وحرمة السلطنة باسطة فارعه

وحضرة السلطان ذات جلال وان كانت جامعة لصفتى الجمال والكمال
وما عند كل احد مسكة للملاقاه ولا ثبات جنان عند المشاهدة للملك اذا رآه
فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع فقد وقرت هيبتنا فى قلبه على السماع ومن
تصدينا له فى ميادين الصيد وأفلت بعد معاناة الكد والكيد قد رأيته
على العيان ولا يحتاج فى معرفة قوة سلطاننا الى ترجمان وعلى كل تقدير
فمشاهدتنا على غالبهم أمر عسير لانه ربما يتذكر منهم متذكر أو يتفكر منهم
متفكر واقعة سبقت أو سابقة وقعت انجرح فيها من نصل أنيابنا
مفاصل عراقيبه أو تعلق بها من أشعاره وأوباره مشاطة جلابيبه ومن لم
يجبه مناضباحه ولم يكن سلاحه من كلاليب مخالبنا الاسلاحه فبمجرد
ما يقع نظره علينا أو تمثل بالوقوف لدينا يرجف فؤاده وينفض من عيبة
كرشه زاده فينكص من الخوف على عقبيه ولا يعرف أمره من
حواليه فيتبعونه ويحصل الفشل ويقع الخباط والخلل فيهم ما اوضحناه
ويفسد أضعاف ما اصلحناه وينهدم من أول الامر الى آخره ما بنيناه
ويتعوج من مستقيم السلطنة ما سويناه فلا يحصل من عزة المملكة
الاعلى مثل ما حصل لابى الحصين من شيخ الديكة فقال الوزير نعم مولانا
الاجل بتقرير هذا المثل قال الملك سمعت مخبرا انه كان فى بعض القرى
للرئيس ديك حسن الخلق وديك مرت به التجارب وقرأ تواريخ المشارق
والمغارب ومضى عليه من العمر سنون واطلع من حوادث الزمان على
فنون وقاسى حلوه ومره وعانى حره وقره وقطع للثعالب شباك مصايد
وتخلص لابن آوى من ورطات مكايد ورأى من الزمان وبنيه نوائب وشدائد
وحفظ وقائع لبنات آوى وثعالب وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب
وأحكم من طرائفها عجائب وغرائب فاتفق له فى بعض الاحيان انه وقف
على بعض الجدران فنظر فى عطفيه وتأمل فى نقش برديه فرأى خيال
تاجه العقيقى ونظر الى خده الشقيقى ونفض برائله المنفش وسراويله
المنقش والثوب الذى رقمه نقاش القدرة من المقطع المبرقش فاعجبته نفسه
واذن فاطر به حسه وتذكر ما قاله الاسعد المادح فى المعتصم بن صمادح
وهو

كان

كان انوشروان أعطاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سباحلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبا المشية البطا

فصار يتيه ويتبختر ويتقصف ويتخطر فاستهواه التمشي سويعه حتى ابعد عن الضيعه فصعد الى جدار وكان قد انتصف النهار فرفع صوته بالاذان فانسى صوته الكتاني والدهان فسمعه ثعلب فقال مطلب وسارع من وكره وحل شبكة مكره وتوجه اليه فرآه فسلم عليه فلما أحس به أبو اليقظان طفر الى أعلى الجدران ثم حياه تحية مشتاق وترامى لديه ترامي العشاق وقال انعش الله بدنك وروحك وروى من كاسات الحياة غبوقك وصبوحك فانك احييت الارواح والابدان بطيب النغم والصياح فى الآذان فان لى زمانا لم اسمع بمثل هذا الصوت وقاه الله نوائب الفوت ومصائب الموت وقد جئت لأسلم عليك واذكر لك ما أسدى من النعم اليك وابشرك ببشاره وهى أربح تجاره وأنجح من الولاية والاماره لم يتفق مثلها فى سالف الدهر ولا يقع نظيرها الى آخر العصر وهي أن السلطان ايد الله بدولته أركان الايمان أمر مناديا فنادى بالأمان والاطمئنان واجراء مياه العدل والاحسان من حدائق الصحبة والصداقة فى كل بستان وأن يشمل الصداقة كل حيوان من الطير والوحش والحيتان ولا يقتصر فيها على جنس الانسان فيتشارك فيها الوحوش والسباع والبهائم والضباع والأروى والنعام والصقر والحمام والضب والنون والذباب وأبو قلمون ويتعاملون بالعدل والانصاف والاسعاف دون الاعساف ولا يجرى بينهم الا المصادقه وحسن المعاشرة والمرافقه فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقه فيطير القطا مع العقاب ويبيت العصفور مع الغراب ويرعى الذئب مع الارنب ويتآخى الديك والثعلب وفى الجملة لا يتعدى أحد على أحد فتأمن الفارة من الهرة والخروف من الاسد واذا كان الامر كذا فقد ارتفع الشر والاذى فلا بد ان يمتثل هذا المرسوم ويترك ما بيننا من العداوة والخلق المذموم ويجرى بيننا بعد اليوم المصادقه وتنفتح أبواب المحبة والمرافقه ولا ينفر أحد منا من صاحبه بل يراعى مودته ويبالغ فى حفظ جانبه وجعل

الثعلب يقرر هذا المقال والديك يتلفت الى اليمين والشمال ويحتاط غاية الاحتياط ولا يلتفت الى هذا الهذيان والخباط فقال الثعلب يا أخى مالك عن سماع كلامى مرتخى انا أبشرك ببشائر عظيمه لم تتفق فى الاعصر القديمه وانما برزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمه وأراك لا تلتفت الى هذا الكلام ولا تسر بهذا اللطف العام ولا تلتفت الىّ ولا تعول علىّ وتستشرف على بعد الشى فهلا اخبرتنى بما اضمرت ونويت وتطلعنى فيما تتطاول اليه على ما رأيت حتى أعرف فى أى شئ أنت وهل ركنت الى اخبارى وسكنت فقال أرى عجاجا ثائرا ونقعا الى العنان فائرا وحيوانا جاريا كأنه البرق ساريا ولا عرفت ماهو ولكنه اجرى من آهوا فقال أبو الحصين وقد نسى المكر والمين بالله يا أبا نبهان حقق لى هذا الحيوان فقال حيوان رشيق له آذان طوال وخصر دقيق لا الخيل تلحقه ولا الريح تسبقه فرجفت قوائم الثعلب وطلب المهرب فقال ابو المنذر تلبث يا أبا الحصين واصبر حتى أحقق رؤيته واتبين ماهيته فانه يا ابا الحصين يسبق طرف العين ويكاد يا أبا النجم يخلف النجم فى الرجم فقال اخذنى فؤادى وما هذا وقت التمادى ثم أخذ يسلح وولى وهو يصدح بقوله

لابس التاج العقيق * لا تقف لى فى طريقى
ان يكن ذا الوصف حقا * فهو والله السلوقى

فقال الديك واذا كان وقد قلت ان السلطان رسم بالصلح بين سائر الحيوان فلا باس منه عليك فتلبث حتى يجئ ويقبل يديك وتعقد بيننا عقود المصادقه ويصير رفيقنا ونصير رفاقه فقال مالى برؤيته حاجه فدع عنك المحاجة واللجاجه فقال او ما زعمت يا أبا وثاب ان السلطان رسم للاعداء والاصحاب ان يسلكوا طرائق الاصدقاء والاحباب فلو خالف المرسوم هذا الكلب لما قابله الملك الا بالقتل والصلب قال لعل هذا المشوم لم يبلغه المرسوم ثم ولى هاربا وقصد للخلاص جانبا وانما أوردت يا نفيس هذا المثال لتقيس أحوال من دان لك من هذا الحيوان ولا تشقها بعصا واحده واحسب حال كل واحد على حده فربما يكون فى هذه

البهائم من لا هو باحوال الصلح عالم ولم تبلغه الدعوه وانما انضاف بسبب رجوه اوآمن على سبيل التبعية والتقليد ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد ولا وقف على ماوقع من الاتفاق ولا يثبت لمصادمة اللقاء وقت التلاق فيصدر منكم حركه تؤدى الى قلة بركه وتستطرد الى نفرة وجفول فيدهمنا هادم ما أسسناه على غفول ويقع من الفساد ما لا يمكن تلافيه ويضيع نقود جواهر جهدنا وكدنا فيه واذا كانت الدنيا محل العوارض والغالب انه عند مشارفة المقصود يحصل العارض والعاقل لا يغفل عن هذا الخطر فعند صفو الليالى يحدث الكدر وقد كفاك من ناداك بقوله

اذا قربت يداك الى مرام * وقلت تحولت نفسى مناها
فلا تأمن من الدهر اختلاسا * يحول فكره فى ذا تناهى
كجان لم يصبه الشوك الا * وقد وصلت يداه الى جناها

فالرأى السديد يا أبا سعيد يقتضى أن تمضى الحمامة المطوقه الى تلك الجموع المفرقه وتنادى فى كل نادى بين الحاضر والبادى والرائح والغادى بحقائق الامور وتطييب خاطر الجمهور وماهم قادمون عليه ومن هو الواصلون اليه ليعلموا انهم فى صفقتهم رابحون وانهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون فتوجهت الحمامة بهذه النقوش وشهرت النداء فى طوائف الوحوش بما هم عليه قادمون وأنهم للملك يسار خادمون ثم تبعها الوزير ومعه كل أمير وكبير من خواص المباشرين والاعيان الملازمين وكبراء الاطيار ورؤساء الاخيار واستقبلوا ملوك الوحوش والهوام ورؤساء السوائم والسوام وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام ووعدوهم بكل خير واحسان ووصلوا بهم الى ميدان الامان وحين حل عليهم نظر السلطان قبلوا الارض ووقفوا فى مقام العرض وأدوا من واجب العبودية النفل والفرض فانزل كلا فى مقامه بعد أن احله فى محل اكرامه وأفاض عليه خلع احسانه وانعامه وعلت منزلة الوزير وتقدم كما تقدم وأشير وصفا لهم الزمان وعاش فى ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان وتقلبوا فى رياض الامانى على بساط الامان وفائدة هذه

الحكايات تنبيه أشرف جنس المخلوقات والطف طائفة المكونات وهو نوع الانسان الذى اختصه الله تعالى بأنواع الاحسان وايده بالعقل وامده بالنقل على انه اذا كان هذا الفعل الجليل يصدر فى التنظير والتمثيل من أخس الحيوانات ومالا يعقل من الموجودات فلأن يصدر من أولى النهى وأولى الفضل والمكارم والعلا أولى وأحرى لاسيما من رفع الله فى الدنيا مقداره وأعلى على قمم الخلائق مناره وحكمه فى عبيده المستضعفين واسترعاه على رعية سامعين مطيعين وسلطه على دمائهم وأموالهم وبسط يده ولسانه فى رفاهيتهم ونكالهم والاصل فى هذا كله قول من عم عبيده بفضله وبقوله اهتدى العالمون وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون آخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين

(الباب السابع)

فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال قال الشيخ أبو المحاسن من ليس له فى الفضل مساو ولا مواس فلما انهى الحكيم حسيب كلامه الاحلى من النسيب قبل اخوه بين عينيه وأفاض خلع الانعام عليه ثم استزاده وفتح لجامع فضله باب الزياده وكان قد وقع بين ملك الافيال وبين ملك الاسود المسمى بالريبال المكنى بأبى الاشبال وأبى الابطال مقال أدى الى جدال واتصل بحرب وقتال فسأل الملك أخاه هل سمع من ذلك شيأ ووعاه فأجاب بالايجاب وذكر فى الجواب الامر العجاب فقال كان ياملك الزمان فى بعض أطراف الهنود من عساكر الافيال جنود فى جزيره عظيمة كبيره لهم من جنسهم وجلدتهم ونفسهم ملك عظيم ذو جسم جسيم وشكل وسيم منظره بديع وهيكله رفيع طويل الخرطوم واسع الحلقوم مبسوط الاذنين حديد العينين طويل الانياب كانه طود فى جراب كثيف فى المرأى خفيف فى الموطا عدد جيشه غزير ومدد جنده كثير وهو فيهم ملك كبير ذو قدر خطير منفرد بالسرير ورثه كابرا عن كابر وكل جيشه رؤساء

واكابر

واكابر لاوامره طائعون ولما يراه تابعون فبلغه فى بعض الايام ان
فى بعض الغياض والآجام مكانا فى غاية النزاهه معدن الفواكه
والفكاهه ذا مياه عذبه ومروج رطبه أراضيها اريضه ورياضها
طويلة عريضه أطيارها تسكر بألحانها وأشجارها تخجل قدود الملاح
باغصانها وأزهارها زهره وأنوارها نضره ونسيم الصبا والشمال تنشر
الى الآفاق طيب أنفاسها العطره وأنه يصلح ان يكون الملك الأقيال مقاما
مع ان فيه من الجبال والحصون معاصم وعصاما غير ان فيه أسدا هصورا
جمع فيه جندا كثيرا ولازال الناقل يصف ويطنب ويجم فى حسن
شمائلها ويعرب حتى قال بعض الندماء الحاضرين من الكبراء لو قصد
الملك ذلك المكان وجعله لنفسه من بعض الاسكان وتنقل اليه فى بعض
الاوقات وساعات التفرج فى المنتزهات لاراح نفسه الخطيره من وخم
هذه الجزيره ووجد لذة الطعام ونشوة الشراب على المدام والاسد
الذى فيها وان كان مالك نواحيها وبيد تصرفه زمام نواصيها وجماجم
قلاعها وصياصيها لكنه ملك عادل وسلطان فاضل تمنعه شهامته وكرم
نفسه وكرامته ورياسته وزعامته ان يضايق الملك فى ذلك او يضيق
سلوكها على سالك وان شرع فى الممانعه وأخذ فى أسباب المدافعة
بالمقارعة والمنازعه فالعساكر المنصوره وأعدادهم الموفوره فيهم بحمد
الله لذلك قوة وكفايه ولهم فى بداية الحروب هدايه وفقاهة ليس لشرحها
غايه ولا لفروع أصولها نهايه يحيون فى مباحثها النفوس ويعيدون
فى مدارس الحرب بتكرار الضرب فانى الشجاعة بعد الدروس فيكفون
الملك امره ويكفون اذاه وشره ولازال يفتل منه فى الغارب والذروه
ويقوى بتمويهاته دواعى الحرص والشهوه حتى اقتنصته اشراك المطامع
واوقعته فى عبوديه شهوة تلك المواضع ودعته النفس الأبية وحمية
الجاهلية وباعث العصبيه الى الاستيلاء على تلك الاماكن البهيه والولايات
السنيه والمساكن الزهيه واسامة سوارح اللحاظ فى مراعى نزهة تلك
الغياض ومروج أراضى هاتيك الرياض وازعج فى ذلك المقتضى واسلمه
العدل والخلق الرضى وغلب عليه سيئ الطباع واستولت عليه فوارغ

الاطماع وعشقها على السماع وكان عنده اخوان هماله عضدان هما
وزيراه وفى مهامه مشيراه مسعداه فى الامور ومنجداه فى أحوال السرور
والشرور أحدهما واسطة خير قليل الشر عديم الضير قد جرب الزمان
وعاناه وقالب قوالب وقائعه بالمقايسة ماقاساه اسمه مقبل وهو كاسمه
مفضل والآخر بالعكس فى جميع حركاته وكس وهو كاسمه مدبر
بكل شئ مخبر قصده غبار فتن يثيره وعسكر بلاء يغيره وطالب اذى وعناء
يعيره أوسر يذيعه أومكر يشيعه أومتسوق شر يبيعه وهما ملازمان
الخدمه واقفان فى مقام الحشمة والحرمه كالفتق والرتق والباطل والحق
والكذب والصدق وفى الافساد والاصلاح كالمرهم والجراح ومصلح
الدرهم ومفسد الراح ومرشد العقل ومضل الاقداح وفى الوفاق والشقاق
كالسم والترياق وفى الحكم والقضاء كالداء والدواء وفيما يقع
من الحوادث المفرحات والكوارث كالحر والبرد والشوك والورد
فاختلى الملك بأخويه واستشارهما فيما أنهى اليه فقال أخوه المقبل
يامولانا أباد غفل لولم يكن بهذا المكان أحد من أدنى الوحوش فضلا
عن الاسد لكان قصده ترفعا وترفها والتوجه الى الاستيلاء عليه موجها
فكيف وذلك فى ولاية مالك وهو مالك صعب كأبى حفص الصعب ملك
كبير عادل وسلطان خطير فاضل مطاع فى صاغيته متبوع فى حاشيته
عادل فى رعيته سيرته مشكوره ومحاسنه مأثوره وهيبته وبسالته غير
منكوره وهو جار حسن الجوار لم يضبط عليه مايقتضى انتزاع ملكه
من يديه ولم يتعرض الى متعلقاتنا ولا آذى أحدا فى ولايتنا وان مولانا
السلطان لم يصدر منه الا العدل والاحسان الى الأباعد والأجانب فضلا
عن الجيران لاسيما الملوك والاكابر ومن ورث الملك كابرا عن كابر
ولقد تلقفت من أفواه الحكماء وتشنفت مسامعى من جواهر ألفاظ العلماء
بثلاث نصائح هن من أحسن المنائح احداها احذر أيها الموفق أن تقع
فى دم بغير حق ثانيتها اياك ياذا التوفيق وأموال الناس بغير طريق
ثالثتها اياك ياذا الشيم الكريمه وهدم البيوت القديمه واعلم أن الله تعالى
عم رزقه وخص كل موجود بما يستحقه وقد أقام الاسد فى تلك الاماكن

وهو وان كان متحركا فهو فيها ساكن ولو لم يستاهل لما اختص بتلك المناهل وماينكر هذا الاجاهل أو من هو عن الحق ذاهل وحاشى ان تنسب يارئيس الاخيار الى حسد أو سوء جوار وعظمتك تانف عن ذميم الاخلاق وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها فى الآفاق واذا كان للشخص مايكفيه فينبغى ان يقتصر عما يطغيه ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقد أحسن فى المقال من قال

يا احمد اقنع بالذى أوتيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
واعلم بان الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فالتفت الملك الى المدبر وأشار اليه كالمستخبر ماذا تشير أيها الاخ والوزير فقال جميع ماقرره مولانا الوزير حق وجملة ماذكره وحرره صدق نصائح ترشد العقول وتزين عقود المعقول والمنقول ولكن لا يخفى على كريم العلوم ان الاسد حيوان ظلوم غالب طالب وخلاص الرعية من شره واجب ويلزم كل أحد أن يخلص الرعايا من ظلم الاسد ومولانا لم يبلغه ظلمه ولم يحط باحوال الاسد علمه وانه من اظلم البريه لمن تحت يده من الرعيه وانه يجب على مولانا السلطان خلاص الرعية منه على أى وجه كان وأيضا فان انعامات مولانا البارة على كل أحد من الخلق دارة والخرج والكلف والكرم الذى بانامله ائتلف كل يوم فى ازدياد والعساكر المنصورة كل وقت تزداد واذا لم تتسع الولايات وتكثر الجهات والاقطاعات كان الخرج اكثر من الدخل والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالطل واذا ازداد المصروف على الحاصل عجز الواصل وفرغ الحاصل ودل ذلك على ركاكة الهمه وقصور النهمه والملك يجب عليه والمندوب فى شرع همته اليه ان يكون كل وقت جديد فى فتح سعيد وترق مزيد وتوسعة الممالك وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك والاستكثار من الجند والرعيه واستجلاب خواطرهم الابيه بالجوائز السنيه والانعامات السميه ولا يجوز فى ملة الاسلام ان يتعدد الخليفة الامام ولله در القائل العلى الشمائل

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا

فان لم تملك الدنيا جميعا * كما تهـواه فاترکها جميعا

وناهيك يامالك الممالك والمماليك فى علو الهمه وصدق العزمه وغوص الافكار فى استخلاص ممالك الاقطار قضية فحل الرجال تيمورلنك الاعرج الدجال مع نائبه الله داد أحد القواد ونواب البلاد فسال أبو مزاحم أخاه عديم المراحم عن تلك القضيه وايضاحها عن جليه فقال ان تيمور رأس الفساق الاعرج الذى أقام الفتنة على ساق لما حل بالممالك الروميه فى شهور سنة خمس وثمانميه واسر مالكها واستخلص ممالكها استمر فى ممالك العرب يصول وفى فكره استخلاص ولايات الشرق يجول وكان اقصى ما انتهت اليه فى الشرق مملكته ونفذت بسهام احكامه فيه اقضيته بلد ايسمى اشباره قد اعده لشياطين النهب والغاره وبنى فيه قلعه ونقل اليه من ذوى المنعه جندا منتخبا من كل بقعه وهو فى بحر ممالك المغل والتتار والحد الفاصل بين ممالكه وولايات عباد الشمس والنار وأمر على اولئك الاجناد شخصا يدعى الله داد وهو من خواص أمرائه ورؤساء جنده وزعمائه فمن جملة ما أمره به ذلك المشوم وهو مخيم ببلاد الروم انه ابرز اليه مراسله فيها امور مجملة ومفصله أمره بامتثالها وارسال الجواب ببيان كيفية حالها منها انه يبين له أوضاع تلك الممالك ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر له مدنها وقراها ووهدها وذراها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها وأوعارها وصحارها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها وشعابها ومضايق دروبها ورحابها ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها ونائيها وآهلها بحيث يسلك فى ذلك السبيل الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز خصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين المنزلتين وكيفية المسير بين كل مرحلتين من حيث تنتهى اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم ان مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو واطناب وتطويل واسهاب وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق

الخفى

الخفى فى هذه الرساله الى ان يفوق فى وصف الاطلال وتعريف الرسوم
وحدود الدمن صفة الشيخ القيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصوّر له
ذلك على أحسن هيئة وآنق تمثال وهوانه استدعى بعدّة اطباق من نقى
الاوراق واحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها
ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن ومافيها من متحرك وساكن
فاوضح فيها كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا
يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وأرضا مرداء وشجراء
غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا منزلا وذكر اسم كل مكان ورسمه وعين
طريقه ووسمه بحيث بين فضله وعيبه وأبرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كانه
شاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترحه عليه كل ذلك وتيمور
فى بلاد الروم يمور وبينهما مسيرة سبعة شهور وكذلك فعل ذلك البطل
وهو بالبلاد الشاميه سنة ثلاث وثمانيه مع القاضى ولى الدين عمدة المؤرخين
أبى هريرة عبد الرحمن بن خلدون اغرقه الله فى فلك رحمته المشحون وقد
سأله عن أحوال بلاد الغرب وماجرى فيها من صلح وحرب وماوقع فيها من
خير وشر ونفع وضر ثم انه اقترح عليه وتقدم بالامر اليه بوضع أوضاعها
ورسم مدنها وقلاعها وحصونها وضياعها وتخطيط ولاياتها واشكالها
وهيئاتها فامتثل ذلك وأبداه وعلى حسب مااختاره واقترحه أنهاه وبين
ذلك مثلما ذكر أعلاه فشاهد أوضاعها وخبر وهادها وبقاعها كأن
الحايل رفع من البين وعاين عين ذلك الاقليم بالعين فانظر الى هذا الاعمى
وهو سطيح نصف آدمى وهمته العالية كالبرق تضرب تارة فى الغرب وأخرى
فى الشرق وانما أوردت هذه القضيه ليقف سامعها على مقدار الهمة
العليه فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنيه ولا يقنع بالدرجة الوطيه
بل يجتهد فى تكثير الجند والرعيه وفتح الاقاليم العربية والعجميه ولا يقتصر
على الحالة السويه وانما يلازم طلب الارتقاء بكرة وعشيه ويكون سعيه
كالشكر يطلب المزيد وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم
زيادة العبيد والا فينسب الى قصور الهمه وافلاس الذمّة ونقصان
الحرمه وبطلان الحشمه واعظم بها من وصمه وبالعجز والتقصير يضيع

حقوق الملك الخطير وتجد الرعية للطعن مقالا وفى ميدان الاعراض عن الملك مجالا وهذا خلاف موضوع الامامه وعكس ماتقتضيه الرياسة والزعامه فان موضوع السلطنه ان يتعاطى الملك مهما امكنه من أسباب الفتح والفتوح ومايستميل به من الرعية القلب والروح وذلك بالاحسان والاكرام والبذل والانعام فبه تقوى رغبتها وتزداد محبتها فاذا لم يكن ذلك فل المملوك عن المالك واسمع قول الاديب ذى الرأى المصيب وهو

اذا اهملت أمر العبد يوما * وقصرت العليق عن الحمار
توقف فى المسير ابو زياد * وقام العبد يجرى للفرار

وقيل والدر يقطعه جفاء الحالب وقال اشرف جنس الانسان علو الهمة من الايمان فالرأى السديد عندى والذى بلغ اليه جهدى انفاذ هذه العزيمه وسلوك طريقها القويمه وابرازها من مكان القول الى ظواهر العمل والحول والاعتماد على ماقيل

فلا تثن عزمك خوف القتال * بسمر دقاق وبيض حداد
عسى ان تنال الغنى اوتموت * فعذرك فى ذاك للناس باد
فان لم تنل مطلبا رمته * فليس عليك سوى الاجتهاد

فاقبل الملك على المقبل وقال توجه بكليتك على وأقبل شعر

ولا تبق مجهودا برأيك انه * سديد ومن يقف السديد سديد

فان القلب قد مال الى العزم والاخذ فى التوجه بالحزم وترجح جانب الوثوب الى جهة هذا المطلوب فأمعن النظر وأجل قداح الفكر ولاتخف رأيا يسنح فى أى جهة ترجح فقال أفعل بشرط أن يقبل اعلم زادك الله علما وفضلا وكرما وحلما ان الذى رآه العلماء وأشار به ذووا الحنكة من الحكماء ان من طلب وفور خيره وفائدة نفسه فى مضرة غيره لايتمتع بتلك الفائده ولاتثمر معه تلك العائده وهذا على تقدير حصولها والاستيلاء على فروعها وأصولها وان لم يظفر بها فلاتستفد النفس غير كربها مع زيادة الحسره وسوء الصيت فى الشهره ووفور الندم وزلة القدم وكل من أراد تمشية هواه ولم يلتفت الى ماسواه ورأى نفسه احق

من

من غيره فلا يطمع أبدا فى خيره ولا يكاد يسلم من الانكاد ولا يصفو له زمان ولا تدوم له أخلاء واخوان ولا تزال ديم الهموم من غمام الغموم تهمى على حدائق آماله وتسقى مزارع أحواله الى ان تحظل نخلات نيته وتيبس حقول طويته ويحصده حراث الفنا ويدرسه دراس الردى ويذرى حبات وجوده الهوان فى الهوا وينقل عن بيدر الشقاء الى طاحون البلاء فهنالك يجدح سويق افعاله مايزيغه فيحسوه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويصهر به ما فى البطون ويقال له ذوقوا ما كنتم تكسبون هذا واذا كان الدخل لا يفى بالخرج وخيف من ذلك وقوع هرج ومرج فبحسن التدبير بتصرف الملك الخبير وبكفاية الوزير وتوفير المشير يجل الحقير ويكثر النزر اليسير كما قيل

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالخلق الحسن وحسن السياسه تملك رقاب أولى الرياسه فضلا عن العوام وهذا بحسب المقام ولا يتصور أن مجرد المال هو شبكة صيد الرجال فان حفظ الممالك هو وراء ذلك وقد قال رسول خلاقكم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وشئ يحتاج فى تحصيله والانقطاع الى وصوله الى بذل أموال وأرواح وكد نفوس واشباح واتعاب خيل ورجال وارتكاب شدائد وأهوال وبعد حصوله يتكلف فى محافظته وحراسته وملاحظته الى تحمل هموم وغموم وكلام وكلوم وآخر الامر يخرج من اليد ولا يبقى الا النكد والكد فتزول فى الدنيا اللذات مع معاناة الكدورات وتجرع الغصص والمشقات وتبقى فى الآخرة التبعات لجدير بأن لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ولا يهتم له بشان ويستغنى عنه وان احتيج اليه بقدر الامكان والاخثل الذى يعلق به فؤاده ويربط بدوامه وبقائه اعتقاده ويتصور ذلك بفكره الفاسد ونظره الكاسد كمثل كسرى لما مات ولده وتفتتت عليه كبده وحصل له عليه الاضطراب ورده عن خطائه البهلول الى الصواب فسال أبو الحجاج أخاه المحجاج عن بيان هذا الامر وكيفية اطفاء هذا الجمر فقال المقبل ذكر محدث معتدل أن كسرى كان له ولد قد سكن منه سويداء الخلد

يخجل البدر ليلة تمامه ويستميل الغصن حالة قيامه وكان يحبه حبا جاوز النهايه وتعدى الحد والغايه وكان لشدة شغفه استبعد حلول تلفه بل أحال وفاته وأذهله عن درك الحق وفاته فأدركه الاجل المحتوم واستوفى مداه المعلوم فاضطرب كسرى لموته واضطرم واصطدم بصخور فراقه واصطلم ولم يقر له قرار ولا طاوعه اصطبار فوعظه العلماء فما افاد وثبته الحكماء بضرب الامثال فأعياهم المراد وكان في بلده رجل بهلول يتردد اليه ويدخل في أكثر أوقاته عليه فيلاطفه في محاورته ويبتهج بكلماته في مخاطبته فدخل عليه البهلول وهو كئيب ملول لا تسر حاله صديقا ولا يهتدي الى السكون طريقا فسأله عن حاله وما أوجب توزع باله وتغير أقواله فقال يا بهلول عدمت ولدي وقرة عيني وراحة روحي وجسدي شعر

لا صبر يجدي على فراقه * ولا معين على احتراقه

وقلت

أواه من فرقة الاحباب أواه * لقد كوى من حشا قلبي سويداه

قال البهلول نعوذ بالله من ساعات الذهول يا ملك الانام ان عيسى عليه السلام شكا اليه بعض حواريه شيأ يشابه ما أنت فيه فقال عليه السلام كن لربك كالف الحمام يذبحون فراخه ولا يفارق مناخه ولا ينفر عنهم ولا يشكو منهم ثم ان البهلول قال وأنا لي اليك سؤال فأجبني بجواب شاف فانك ذو ألطاف فلا يكن فيه جزاف فقال سل فكلامك لا يمل قال اكنت ترجو أن ولدك لا يموت أبدا وأنه يصير في الدنيا مخلدا فقال لا ولكن أردت ان يبقى مده ويتمتع بشبابه وبنعيمها عنده ويلتذ بطيب المآكل والمشارب ويقضي من أوطار الشباب المآرب ويؤنس أنداده وصحبه ثم يقضي بعد ذلك نحبه قال هب أنه عاش مهما رمت وقام وقعد في الدنيا كما قعدت وقمت وعاش العيش الطيب وهمى عليه من سماء ملاذها الوابل الصيب وحصل له من العيش الهني والعمر السني امثال الجبال وأعداد الرمال فعند مفارقته العيش وحلول الخفة والطيش هل يدفع عنه ذلك شرا أو يرفع عنه بؤسا وضرا أو يجاب له منفعه

أو يذهب من ذلك شيء معه أو يفيده أدنى فائده أو يعود عليه منه عائده
قال لا قال فلا تأس على معاش يكون عقبى امره الى لاش وعمر ذلك
مصيره سواء طويله وقصيره وكثير تنعمه ويسيره شعر

واذا كان منتهى العمر موتا * فسواء طويله والقصير

غيره

فعش ماشئت فى الدنيا وادرك * بها ماشئت من صيت وصوت
فحبل العمر موصول بقطع * وخيط العيش معقود بموت

فهب انه عاش ونهب الملاذ وحاش وعلا فى أرض التنعم وغلا وجاش كل
ذلك فى المقدار على حسب ماتختار وانه جاءه القضا وقد قضى وطره
ومضى ثم قضى نحبه وقضى فجبر بهذا الكلام كسرا وسرى عنه همه
واسرى وقال الآن سكنت فنعم الناصح أنت وانما أوردت هذا التنبيه
أيها الملك النبيه لأعرض على الخواطر السعيده والآراء السديدة الرشيده
أن الاقتصار عن هذا أولى وأليق بالركون تحت ارادة المولى قال المدبر
المفتن المعبر ثلاثة أشياء ينبغى لطالبها ان لا يفتكر فى عواقبها الاول
الاسفار فى البحار والغوص فيها الى القرار فان طالب الجواهر النفيسه
ومن قصد ان يكون فى صدر التجارة رئيسه لا يخشى من الغرق ولا عنده
من ذلك فرق فهذا يعبى بضائع المال وذاك يغطس الى قعر الأوحال
وكل منهما لا يفتكر فى العاقبة والمآل الثانى المقدم على الحرب
والرشق والطعن والضرب ومصارعة الابطال ومباشرة أسباب القتال
لا ينزعج لصوت ولا يفتكر فى الهزيمة والجراح والموت والثالث طالب
الرياسه والملك ذى السياسه لا يفتكر فى الاقتحام ولا يتوانى فى الاقدام
ولا يتأمل فى العواقب ولا يلتفت الى المناقب ويلقى نفسه فى الاخطار
ويضرب الى أعماق الاقطار ويجعل جل همه بلوغ الاوطار وقيل

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

وقيل

اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

قال المقبل الحكيم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أولو الالباب المميزون بين الخطأ والصواب الناظرون من مبتدا الامور فى اعقابها المستبصرون قبل وقوعها فى مآلها ومآبها الآتون بيوت النوائب والنوازل من أبوابها قالوا اذا تحصن أبو الحصين واغلق عليه من وراء جدار بابين ثم حاصره أسد من خارج ساوت قوة الخارج قوة الوالج ولاشك ان حركة العساكر وقطع الفيافى والدساكر والتوجه الى قتال من هو ساكن فى سربه محتاط فى اقليمه ودربه متحصن فى قلاعه متدرق بجحفة امتناعه يحتاج فى الاموال الى اخراج وفى الرجال الى ازعاج وتحمل اخطار وتجشم اسفار وأخذ ضعفاء تحت اقدام وهدم دور وقطع ارحام ومع هذا كله حصول المقصود موهوم والظفر به غير معلوم فان حصل فقد مر ان لاثبات ولا تمتع وان احتجب فهو وراء ستر التمنع فكم من دماء حينئذ تراق وقد كانت مصونه وأموال تهدر وقد كانت مضمونه واعراض تهتك وقد كانت محترمه وانفس تذل وقد كانت عزيزة مكرمه والحق فى هذا متضح ومن تجار رأسه فقد ربح وقد قدمت هذا التقرير وهندست هذا التقدير لان العاقل الماهر فى التجاره كما يحسب الربح يحسب الخساره وكل هذا فى العاجله فضلا عن المحذورات الآجله من غضب الله وعقابه وتوبيخه وأليم عذابه واذا خرج الامر عن اليد ودخل على القلب الاشتغال بالنكد وذهب المال والمنال ونقصت الأهبة والرجال وتناقص العدد والعدد وتناكص المدد والمدد فاى حرمة تبقى للملك عند الرعايا وقد قلت عنهم منه الارفاد والعطايا وكيف يستقر ملكه أو يدور على فلك الثبات فلكه فلا تخافه الرعية ولا يرجونه ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه ويصير كالسحاب الخلب لا يوثق منه بوعد ولا يحصل منه مطلب ان تكلم عابوا كلامه وان حكم نقضوا احكامه وان حلم قالوا عاجز وان تقدم فى الحرب قالوا مجنون مبارز واما الغنى ذو المال فهو على عكس هذه الاحوال فان رأوا منه فضلا كان لكل مكرمة أهلا فرفعوه الى العيوق وكان المعظم المرموق ان اعطى قليلا استصغروا حاتما عنده واطنبوا بلسان الثناء فى شكرهم رفده وان

بخل قالوا مدبر لا يضيع ماله وان كذب صدقوا قيله وقاله وفي الجملة حركات
الغني مستصوبه وكلماته مترشفة مستعذبه وقد قيل

ان ضرط الموسر في مجلس * قيل له يرحمك الله
او عطس المعسر في مجمع * سبوا وقالوا فيه ما ساءه
فضرط الموسر عرنينه * ومعطس المفلس مفساه

وكما قيل

الفقر يزري باقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

ولقد رشفت من افواه الحكماء ونصائح البلغاء بل شاهدت من النوائب
وتلقفت من ذوي التجارب وتحققت في الدهر ابي العجائب ان الفقر
شيب الفتيان وسقم صحيح الابدان ومبعد الاقارب وجاعلهم اجانب
وقاطع الارحام ومانع السلام ومبغض الاحباب ومفرق الاتراب
ومشتت شمل الاصحاب وبالجملة فالذي يجب على ولي الامر التأمل
في قصارى هذا الامر والتفكر في عاقبة هذه الحركة وما يحدث فيها
من شؤم وبركة وان يجيل قداح التدبر والتبصر والتصبر ويتثبت
في صدر هذا المورد المضيق وما فيه من مجال أوضيق ولا يعتمد فيه على
القوة والحول وأسباب الطول والطول وكثرة الشوكة والعدد وامداد
العدد والمدد مع عدم الاكتراث بالاخصام وقلة المبالاة بكل اسد ضرغام
فان الاسد سلطان السباع وملك عظيم كثير الجند والاتباع شجاعته
مشهوره وشهامته مأثوره به يضرب المثل ويشبه كل بطل ونحن وان
كان لنا عساكر كالجبال تهدم الحصون وتدك القلال لكن ما جربنا
مصارعة الاسود ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود ولا نعرف طريق
بلادهم ولا طريقة جدالهم وجلادهم وان لهم في الحروب اساليب
وفي افتراس الفرايس انيابا ومخاليب فأخشى ان لا تتم هذه الامور وتقصر
حبالنا عن مصادمة ما لهم من قصور فيرجع وبال هذه الامور علينا اذ
ابتداؤه اولا منسوب الينا ولا تحصل الا على الندامه والتوبيخ والملامه
ويخاطبنا الجد الوبيل بما قيل

تبني بأنقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض يوما بعد ايام

وقال المدبر ولا شك ان جوهر هذا النظام وعقود هذا الكلام صادر

عن فكر بعيد ورأى سديد وأمر رشيد وتأمل فى العواقب مفيد أصله الحكمه وفرعه الشفقه وزهره المعرفة وثمره الفطنه ولكن من حين استولى على الملك كيومرث ومرث على سرير التحكم اصبح الولاية ابلغ مرث وسن قواعد السياسه وأسس بنيان الرياسه وذلك زمان الابتدا وأول ما تملك على الدنيا والى هذا اليوم لم يزل القوم من الملوك فى روم وطلب الزيادة والسوم ولا عتب فى ذلك ولا لوم وقل لى أى ملك مالك تحكم فى الممالك وسلك فيها المسالك ولم يقصد فيها الولايات الشاسعه ولا الاقاليم الواسعه ولم يطلب الترفع على الاقران وعلو المكان بقدر الامكان والملك عقيم والعاجز سقيم وكيف يتصور أيها الملك الاكبر ان تكون همة الملك ادنى من همة تاجر فى البحر بتهمك فان التاجر اذا افتكر فى لذة الفائده ومايعود عليه العائده وغرته كما يقال التسع أواق الزائده يضع جميع ماله وماتصل اليه يده من خدمه ورجاله فى الفلك المشحون ولا يرهب ريب المنون ويركب هو أيضا فيه ولا يلتفت الى عجائب دواهيه ولا يفتكر فى الغرق ولا فى جبر السفينة ولو انخرق ويسلم قياده الى متصرف الهواء ونفسه وماله الى حاكم الماء ودونك ياذا الحشمه والوافر الحرمه ماقاله العاشق العالى الهمه

ان تم ويدرا فليكن * ابن الخليفة ذى السرير

اوابن سلطان الورى * اوذى الوزارة أو أمير

وتجنب الاوغاد والـ * ـغوغا وذا القدر الحقير

ان الخطير هو الذى * قد قام بالامر الخطير

وأما قولكم عساكرنا اغمار لا دربة لهم بتلك الديار ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود ومقاومة تلك الجنود فاعلم أيها الوزير الفاضل الكبير ان الاسد ملك كاسر وعلى سفك الدماء جاسر وان فى رعيته من اذاه وانكاه فى ذويه وابكاه وكسره جبرا واسترعاه قسرا واستولى عليه قهرا فهو منتظر تنفس الزمان مترقب انقلاب الحدثان متوقع أيها الفضيل معنى ماقيل

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولا حظ تمنى زوالها

فاذا سمع باحد خرج على الاسد ولو كان اقل الاعوان فضلا عن ملك

الافيال

الاقبال بل قبيل الاقبال الفاضل فى ذاته الكامل فى صفاته العادل فى رعيته البار بأهل ولايته المحسن الى أهل مملكته المشفق الحليم الرؤف الرحيم فبالضرورة يبادر الى الملاقاه و يسارع الى ما كان يتمناه ويغتنم عبودية الملك ويعدها غاية مرتجاه فيدل على عورات العدو ومظان عثراته ويرشد الى طرائق نكاياته ونكباته وينادى فى النادى نلت مرادى على رغم الاعادى ويعلن بانشادى للحاضر والبادى

اذا كان للانسان فى دولة امرئ * نصيب واحسان تمنى دوامها

وأيضا فى ذلك الاقليم من هو متشبث بأمر جسيم وهو ماله من مال واولاد واقطاعات وعقار وبلاد وسوائم ومواش واثقال وحواش فلا يمكنه التحول عن طريقنا ولا التحمل لرعودنا وبروقنا ولا قوة المقاومه ولا طاقة المصادمه فبالضرورة يصانع عن تعلقاته بالطاعه ويتشبث بذيل ستتبنا مع الجماعه فنستعد با رائه ورواته ونستفيد فيما نحن بصدده دواءه لدائه فقال الملك للمقبل ما الجواب عن هذا الخطاب فقال هذا المقال وان كان لا يخلو عن الاحتمال ووقوعه غير محال لكن الاقرب الى الذهن ان هذا لا يقع لانه أمر مبتدع ولان طبائعنا مخالفة لطبائعهم وأوضاعنا غير أوضاعهم وناهيك أن كلاب الحاره فى النهب والغاره يمزق بعضهم بعضا ويتناحرون فيما بينهم حرصا وبغضا حتى اذا دخل بينهم ذيب أو حيوان غريب توجهوا اليه واتفقوا عليه فمزقوا أديمه وهتكوا حريمه وجعلوا لحمه لجماعتهم وليمه وعند الاسد من الوحوش أنواع ما بين سباع وضباع ونمور وذئاب وبرود ورباب وفهود وكلاب كلهم على طباعه متفقون على اتباعه وان اختلفت عليهم الثياب لكن الكل كلاب أولاد كلاب وكل من هؤلاء على ما هم عليه متفقو الاهواء له على خصمه فى مجادلته وخصمه دربة فى المساوره ووثبة فى المغاوره وأنواع فى الكر والفر وروغات فى الخير والشر ومداخل ومخارج ومدارك ومعارج وليس فى عساكرنا سوى الصدمات والحطم بقوة النهضات والعزمات فان أفاد هذا الاصطدام والاقتحام الا الانهزام فلما بلغ المقبل فى الكلام الى هذا المقام وكان رسخ فى قلب الملك من كلام المدبر الوخ فما اثر نصح المقبل وما افاد لان النفس بطبعها

مائلة الى الفساد فشرع الملك واعتمد على التوجه الى بلاد الاسد وأمر
رؤساء فيلة الهنود بجمع العساكر والجنود واشيع ذلك فى اطراف الممالك
فاطلع على هذه الاحوال غراب يكنى ابا المرقال كان له وطن وولد وسكن
فى ممالك الاسد لكنه قدم جزيرة الافيال للتنزه على سبيل التفرج
والتفكه فشرع يتأمل فى هذه الامور ويستنتج من قضاياها ما يتولد من
سرور وشرور فانتهى سابق افكاره فى ميدان مضماره الى ان هذه
القضايا تسفر عن بلايا ورزايا واراقة دماء وخراب اماكن وهلاك رعايا
سواء تمت للافيال او رجعت عليهم بالوبال فخاف على سكنه ودمار اهله
ووطنه فأدى فكره الاسد ان يطلع على ذلك الاسد ليتداركه بحسن آرائه
ويعترف للغراب بحسن وفائه فبكر بكوره وقصد دوره فوصل
فى أقرب زمان ونادى الريبال ابا الزعفران وقال الله الله انى انا النذير
العريان وأطلع الاسد على هذا النكد وقرر معه حقيقة الاحوال
وما عزم عليه ملك الافيال فتشوشت لذلك الخواطر وتصدعت لخوفه
الاكابر والاصاغر ثم أمر السباع وطوائف الوحوش بالاجتماع مع
رؤساء مملكته واساطين خاصته ورعيته وذكر لهم هذا الامر المهول
وما عزم عليه ملك الفيول وأذن لكل واحد منهم فى ذلك بما يقول فوقع
الاتفاق من أولئك الرفاق ان يتفق أعيان كل جنس من الحيوان على
رئيس من جنسهم يقيمونه مقام نفسهم يرضون بأقواله ويقتفون آثار
افعاله وليكن من أهل الحصافة والكفايه واللطافة والدرايه والشفقة
العامه والمعرفة التامه يعقد معهم للمؤامره مجلس رأى ومشاوره
فهما وقع عليه الاتفاق واجمع عليه الرفاق واستصوبه الاسد وارتضاه
اتبعوه وعملوا بمقتضاه فتقدمت طائفة الآساد الى نأج منها نهاد سبع
يسود على طوائف الاسود طالما افترس الاقران وانغمس فى دماء
الشجعان واضاف جوارح الصيد فضلات ما افترسه من عمرو وزيد
كاسر جاسر باسل باسر حاسر قاسر ظاهره ابى وباطنه بالمكر غبى

اسد يسود على الاسود زئيره * رعد وعيناه بروق تخطف

فقدموه واختاروه واشاروا الى رأيه وامتاروه واختارت النمور نمرا

نمور سريع الوثبه بديع الضربه لطيف الحركات خفيف النهضات قوى الشماس خفى الاختلاس كثيرا ما كسر أسامه وسامى أسود خفان فامرض رغامه كما قيل

غر تخاف الاسد من وثباته * وتحار فى حركاته وثباته

وقدمت الثعالب ثعلبا لطيف الروغان ظريف الزوغان خفى الحيل قوى الميل طالما فر من طبل واهال على الصيادين من أهوال واحرق السلوقيات سلاحه ونفذ فى غاب الاسود بالمكر سلاحه

يضل بنى سلوق من دهاه * فيخلص من مخالبها سليما

واعتمدت الذئاب فى هذا الباب على ذيب فعله عجيب وأمره غريب سديد الختل والختر شديد المكر والكسر طالما افسد ثله ودخل فى قطيع ماشية فقطعه كله يعجز الاسود والنمور والفهود شيمته الغدر والخديعه ودأبه المكر وسوء الطبيعه شعر

وقد جمع الضدين نوما ويقظة * يخاف الرزايا فهو يقظان نائم

فاختلى بهم أبو الاشبال وشاورهم فيما دهمه من الاهوال وتوجه بالخطاب الى الاسد وقال ما رأيك فى هذا النكد فقال لا تطلب النصر فى هذا الحصر الا من مالك العصر ومصرف أحوال الدهر بين الفرج والقسر وهو الله سبحانه وتعالى وعز شأنه وجل جلالا فانا مظلومون وهم ظالمون ونحن ما اعتدينا عليهم ولا تقدمنا بالظلم اليهم فسيرد الله كيدهم فى نحرهم وسيحيق بهم عاقبة مكرهم وهذا أمر مقرر وأظنه هو المقدر وأما ما يتعلق بنا وبهم من الفرار والصلح أو حربهم فأذكره على التفصيل وأخبر فى ذلك الرأى الجميل اما الفرار فلا سبيل اليه ولا معول ابدا عليه وأنى ذلك وهو عيب ما وصمت به الاسود ولا لهم به وصف معهود وبنا يضرب المثل فى الشجاعة والبساله وتتشبه بنا الابطال فى الاقدام لا محاله وكيف نترك بلادنا وأهلنا وأولادنا من أول وهله ونعزم على الرحله ولا صادمناهم ولا واقفناهم ولو فعلنا ذلك فهربنا وتركنا ما لنا وذهبنا لفسدت أمورنا وخربت عمائرنا ودورنا ولانفرط نظامنا ونعوج قوامنا واستمرت هذه الملامه الى يوم القيامه ولدام علينا هذا

العار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار واعلم أيها الملك نور الله وجه السرير بك
ان العمر السنى ما مر فى العيش الهنى وقد قيل

ما العمر ما طال به الدهور * العمر ما طاب به السرور

والعمر الذى يمر فى نكد لا يحتسبه من ذوى الكفاية أحد وحسبك
ما ذكره المترجم من حكاية الملك المعزول مع المنجم فسأل أبو الاشبال
سرد هذا المثال فقال الاسد ذكر القائل ان أهل بابل كانت عادتهم
فى دينهم وسلوك طريقهم مع سلاطينهم انهم اذا اعتنوا بشخص ملكوه
واتبعوا الطريق أمره وسلكوه وبذلوا فى طاعته ما ملكوه فاذا
أرادوا عزله تركوه ونشزوا عنه وفركوه واهملوا احسانه وفذلكوه
وسكنوا غيره فى سرير الملك وحركوه فاتفق أنهم ولوا واحدا وأعزوه
ونصروه ثم خذلوه واقبلوا عليه أولا ثم قتلوه وكانت مدة ما بين ذلك يسيره
وعمر ايامه فى ولايته قصيره فحصل له اولا السرور ثم تراكمت عليه بالعزل
الشرور فاحتوشته الفكر وبات يصارع القضاء والقدر ثم قال لو راقبت
فى أول الجلوس ما فى الطالع من سعود ونحوس ثم اخترت لساعة ارتقاءى
وقتا يطول فيه بقائى وذلك بكون نجمى فى برج ثبت لما انقلبت كواكب
سعدى عن الاستقامة ولا نبت ولكن حيث فات ذلك فى الابتداء
فاتداركه فى الانتهاء فلعل ذلك يفيد ويردنى الى سرير السرور ويعيد
ثم طلب منجما حاذقا ماهرا فى صنعته فائقا وقال انظر فى طالع جدى
وتأمل برج نحسى وسعدى واختر لى ساعة يصلح فيها النزول عن السرير
ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر اليها غير عسير فان الناظر الى
الطالع هو الجالب والمانع فامتثل المنجم ما رسم وشرع فى وضع الاشكال
والقسم ثم قال احسن ما نظر فى الطالع المسعود من حين الميلاد فانه اول
الوجود فاذا أخذ الطالع من ساعة الميلاد ترتب عليه ما يصدر على ذلك
المولود من السعد والاسعاد ومن الخوف والرجاء فى عالم الكون والفساد
فهل اطلع الملك فى أى ساعة وجد وكم أتى عليه من حين ولد قال نعم اعرف
مدة عمرى جزما وهى اثنان وعشرون يوما فتعجب المنجم من مقاله ولم
يقف على حقيقة حاله فقال ليوضح الملك ما أشار لاقف على حقيقة هذه

الاسرار

الاسرار فقال مدة استيلاءى على السرير هو هذا القدر اليسير وانا لا احسب العمر ولا اعتد بوصال بيض ولا سمر الا هذه الايام والليالى ولا احتسب سواها عمرا ولو بيع باللآلى وقد قلت

وعمر مضى بالهجر لست اعده * ولكنني اقضيه فى زمن الوصل

وانما عرضت يا بطل على رأيك السعيد هذا المثل ليعلم ان ايام المحنة لا تعد عمرا ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا واما الصلح يا ذا الركون فعلى أى وجه يكون ومن أين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون وليسوا من جلدتنا ولا على ملتنا وفى أى عصر وأوان ذل الاسد واستكان وخضع للفيل ودان او اعطى الغضنفر النباح والضرغام الصعب النأج لغيره الجزية والخراج وهو فى الحقيقة سلطان الوحوش ووهاب التاج فلم يبق الا الاستعداد للمصادمه والتأهب للمقاحة والمقاومه ولنا من ذلك فى البين احدى الحسنيين اما الظفر بهم وهو المرام واما الشهادة فنموت ونحن كرام وقد قال السيد السديد من قتل دون ماله فهو شهيد وقيل يا حاتم طى حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحى والموت فى مقام العزه مع النشاط والهزه ارفع من الحياة بذلة ووخزه وكسرة ونخزه وقد كنت انشدت وقديما ارشدت

هو الموت ان لم تلقه ضاحكا تمت * عبوسا بوجه اقتر اللون اغبرا

ومن لم يمت فى ملتقى الخيل مقبلا * عزيزا يمت تحت السنابك مدبرا

فاقبل الريبال على أبى مرسال وقال أيها النمر وصاحب الخلق الزمر ماذا تشير فى هذا المهم والمشكل الذى دهم فقال ان الافيال اكبر جسوما وأعظم حلوما واقوى فى الضرب واعدى فى الحرب وقد استعدوا واقبلوا واتقنوا أمورهم واعملوا وانا اخشى ان يكونوا اقوى بطشا وان نعجز عن المقاومه فى المصادمه فان فينا العاجز والضعيف والذميم الجثة والخفيف ومن لا عرف الافيال ولا رأى تلك الاشكال فينفر من مصادمة الجبال فيطئوننا تحت اخفافهم وتنكسر شوكتنا فى اول مصافهم فلم يبق الا الفرار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار وينفرط النظام ونرضى عند ذلك بالسلامة

والسلام ونقع فى البلاء العريض الطويل وانظر يامولاى الى ماقيل

هل للحرائر من صون اذا وصلت * ايدى الرعاء الى الخلخال والخدم

فعندى الرأى ذو الاصاله ان ينتخب الملك من يصلح للرساله ويحسن السفاره ويحسن العباره فيسكن من فوره شغبهم وثورة لهبهم وسورة غضبهم ويعدهم ويمنيهم ويحسن التقريب ويقصيهم وفى ضمن هذه الاوقات واثناء هذه الحالات يراقب أوضاعهم ويخبر جمعهم واجماعهم ويتوصل الى أسرارهم ويواصلنا بأخبارهم ويطالعنا بما خامر أفكارهم ويكتب ماقدموا وآثارهم ونستمر على المراسله والمقاولة والمطاوله فان تيسر رجوعهم وانكشف بالهوينا جموعهم والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار فنتعاطى امورقتالهم بعد التأمل والاختبار وان امكننا ان نأتيهم بالليل ونحل بهم الدواهى والويل بعد ان ركنوا الى جانبنا ويأمنوا من نوائب مصائبنا فربما نصل الى بعض القصد او يوافق بعض حركاتنا السعد فالتفت الدوكس الى العملس وقال أى سيد وذا الامر الرشيد ماذا ترى فيما طرى وكيف طريق العوم فيما جرى قال السمسام يامولانا الضرغام الذى سمعته من أولى التجارب وتلقفته من الاصحاب والاجانب أنه من التوفيق اذا ابتلى الشخص بعداوة من لايطيق أن يدافعه بالهدايا والتحف ويحابيه بشئ من الطرائف والتحف فانه قيل فى الامثال ان خير الاموال ماادخر لدفع البوس ووقيت بنفائسه النفوس فاهب النهاب بابى وثاب ياأبا الحصين مارأيت فى البين وأى آراء الاصحاب أقرب الى الصواب فتقدم الثعلبان وتكلم فأبان وقال اسعد الله الاحد مولانا الاسد وجعل رأيه الاسد وفعله على اعدائه الاشد اعلم أيها الدلهاث ان أمورنا لاتخلو عن احدى ثلاث اما المقابلة بالمقابحه وأما المهادنة والمصالحه وقد تقرر فيما تقدم وتحرر بيان كل منهما ومايصدر فيهما وعنهما وأما الفرار وتولية الادبار وترك الاوطان والديار فأف لذلك من عار وسبة وشنار فمابقى الا الحالة الثالثه وهى بعسا كرهم عابثه ولقلوبهم كارثه وهى طريقة الاحتيال والتوصل الى القائهم بطرائق المكر فى جب الوبال فان صائب الافكار يعمل

ما

مالايعمله الصارم البتار فبشباك الحيله تصاد كل فضيله وتهون كل جليله
وانا أفصل ماأجملت وأبين مافصلت اما المقابله والاخذ فى أسباب المقاتله
فلا طاقة لنابه ولاباب لدخول قبابه لانا عاجزون عن المصادمه قاصرون
عن المقاومه محتاجون الى الطعام والشراب وبعض عساكرنا لايعيش
الابالليحم والكباب وجيشهم الذى قدملا وسد الوهد والفلا يقنعون
بالحشيش والكلا فلايتكلفون لحمل زاد ولايحتاجون الى عدة وعتاد
وأيضا أحوال عساكرنا المفرقة المضمومه لاختلاف أجناسها وأنواعها
غير معلومه فلا اعتماد عليهم ولايتحقق الركون اليهم فانهم أجناس
مختلفه وطوائف غير مؤتلفه وبينهم معاداه وفى جبلتهم النفرة والمنافاه
وبعضهم غذاء بعض وفى قلبه منه عداوة وبغض لوظفر به كسره واكله
وان استنصر به خذله فهم كالقفل المجمع ولون اتفاقهم ملمع وأما عساكر
الافيال فبينهم اتفاق على كل حال لانهم جنس واحد ومابينهم مخالف
ولامناكد ولهم اعتماد على قوتهم وعلى اتفاقهم وشوكتهم والمعتمد على
مثل عساكرنا ان لم يضبط بطريقة كلية أمر عشائرنا ينفرط أمره
ويخمد فى ايقاده نار الحرب جمره ويعلوه من بحر النوائب غمره ويظفر به
من اعدائه زيده وعمره ويصيبه من الخطه ماأصاب الصياد من القطه
فسأل أبو الحارث عن بيان هذا الحادث قال الثعلب ذكر أن رجلا
ذاكيد كان مغرما بالصيد وكان عنده قط صياد يجترئ على النمس
والفياد فكان يوما بين يديه فمر عصفور عليه فطفر كالنمور وحصل من
الهواء العصفور فاعجب به صاحبه ثم قصد الصيد وهو مصاحبه وحمله
تحت ابطه وبالغ فى حفظه وضبطه وركب جواده وتوجه يروم
اصطياده فرقاسفح جبل فخرج من وراء صخرة طائفة من الحجل فتوجه
اليه والقى القط عليه فطار الطير وخاف القط وقصد رجوعه الى تحت
الابط فطفر الى جبهة الجواد وأنشب فيها مخاليبه الحداد فجفلت الفرس
من القطه وخبطت بفارسها الارض شرخبطه ازهقت فيها نفسه
وابطلت حسه وانما أوردت هذا المثل ليحترز أيها البطل فى هذا الامر
من وقوع الخلل ويتفكر فى أمر هؤلاء الجماعه وكيف ثباتهم فى دعواهم

السمع والطاعه فانهم لايصلحون للقتال خصوصا مصادمة عساكر الافيال فالملك لايعتمد على مثل هذا العسكر اللهم الا ان يتقرر امرهم على صدق اللقاء ويتحرر وأما ماذكره مولانا أبو سهيل فى تبييت عساكر الافيال بالليل فهو رأى معتبر ولكن فيه نظر لان ذلك انما يكون اذا كان العدو فى سكون وعن توقع النكبات فى ركون فبيناهم فى غفلتهم ذاهلون جاءهم باسنا بياتا او هم قائلون وأما اذا كانوا مستعدين يقظين مجدين وقد توجهوا للقتال وانتصبوا للمناضلة على هذه الحال فلا شك انهم اتقنوا أمرهم وأخذوا أسلحتهم وحذرهم فأعدوا لكل نائبة نابا ولكل بائقة بابا ولكل حرب حرابا ولكل ضرب ضرابا ولكل شدة سده ولكل عدة عده ولكل جزة جزه ولكل وفزة فزه ولكل نفرة طفره ولكل فرة كره ولكل ازمة حزمه ولكل كسرة جزمه فربما يكونوا افتكروا مثل هذه المكيده وأعدوا فى مقابلتها داهية نصبوا لها مصيده فنتوجه اليها غافلين فننشب فى شركها ذاهلين فيصيبنا من النكال ما اصاب الجمل من الجمال فقال الرئبال هات يا أبا الترهات اخبرنا يا أبا نوفل اخبار الجمل المغفل قال كان جمال فقير ذو عيال له جمل يتعيش عليه ويتقوت هو وعياله بما يصل منه اليه فرأى صلاحه فى نقل ملح من الملاحه فجد فى تثقيل الاحمال وملازمته باثقال الاثقال الى ان آل حال الجمل الى الهزال وزال نشاطه وحال والجمال لايرق له بحال ويجد فى كده بالاشتغال ففى بعض الايام أرسله مع السوام فتوجه الى المرعى وهو ساقط القوة عن المسعى وكان له أرنب صديق فتوجه اليه فى ذلك المضيق ودعاه وسلم عليه وبث عظيم اشتياقه اليه فلما رأى الحزهزاله تألم له وسأله أحواله فاخبره بحاله وما يقاسيه من عذابه ونكاله وان الملح قد قرحه وجب سنامه وجرحه وانه قد اعيته الحيله واضل الى الخلاص سبيله فتألم الارنب وتأمل وتفكر فى كيفية عصر هذا الدمل ثم قال يا أبا أيوب لقد فزت بالمطلوب وقد ظهر وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والنجاة من الارتهاص والارتصاص تحت حمل كالرصاص فهل يعترضك يا ذا الرياضه فى طريق الملاحة مخاضه فقال كثير وكم من

نهر وغدير فقال اذا مررت فى خوض ولو أنه روض أو حوض فابرك فيه وتمرغ وتنصل من حملك وتفرغ واستمر فيه يا أبا أيوب فان الملح فى الماء يذوب وكرر هذه الحركه فانك ترى فيها البركه فاما انهم يغيرون حملك أو يخففوه أو تستريح بذوبه من الذى اضعفوه فتحمل الجمل للارنب المنه وشنف بدرة هذه الفائدة اذنه فلما حمله صاحبه الحمل المعهود ودخل به فى طريقه المورود ووصل الى المخاضة برك فضربوه فما قام ولا احترك وتحمل ضربه وعسفه حتى اذاب من الحمل نصفه ثم نهض انتهاضه وخرج من المخاضه ولازم هذه العاده الى أن أفقر صاحبه وأباده فأدرك الجمال هذه الحيله فافتكر له فى داهية وبيله وعمد الى عهن منفوش وغير فى مقامرته شكل النقوش واوسق للجمل منه حملا بالغ فيه تعبية وثقلا وسلط عليه الظما ثم دخل به الى الما فلما توسط الماء برك وتغافل عنه صاحبه وترك فتشرب الصوف من الماء ما يملؤ البرك ثم أراد النهوض فناء به الربوض فقاسى من المشاق ما لا يطاق ورجع هذا الفكر الوبيل على الجمل المسكين باضعاف التثقيل فساء مصيره وكان فى تدبيره تدميره وما استفاد الا زيادة النصب وامثال ما كان يجده من التعب والوصب وانما أوردت هذا المثل عن الجمل ليعلم الملك والحضار ان العدو الغدار والحسود المكار يفتكر فى أنواع الدواهى ويفرع أنواع البلايا والرزايا كما هى ويبذل فى ذلك جده وجهده ولا يقصر فيما تصل اليه من ذلك يده فتارة تدرك مكايده وتعرف مصايده وتارة يغفل عن دواهيها فلا يشعر الخصم الا وقد تورط فيها وعلى كل حال لابد للشخص له وعليه من الاحتيال وأما طلب الصلح وارسال الهدايا فمن أعظم المصائب وأكبر الرزايا فان ذلك يدل على عجزنا والخور وينادى على هواننا فى البدو والحضر ويجرئ علينا الغريب ويذهب حرمتنا عند القريب ودونك يا أبا العباس ما أنشدتك فى المقياس

وما انا ممن فر من نار خصمه * لظل حسود أو الى فى شامت

ولكن الرأى الانور أيها الورد الغضنفر ان ترسل اليهم رسولا عاقلا فصيحا جميلا بصيرا بعواقب الامور قد مارس تقلبات الدهور وقد ربى

وتربى وعن الرذائل تابى وبأنواع الفضائل تعبى واحرم الى كعبة
محاسن الشيم ولبى ولولا ان باب النبوة استد لتنبى برسالة تخله تسفر عن
بسالة تجزله تتضمن سؤالهم عما أوجب ارتحالهم وسبب قصدهم لبقعتنا
وتوجههم لدخول رقعتنا وماموجب هذا الاعتداء ولم يصدر منا لهم
الا المحبة والولاء وحسن الجوار والاحسان الى الكبار والصغار
ومعاملة القريب والغريب بالفضل المجيب والكرم الذى لايخيب
ويذكرلهم بسالتنا وشجاعتنا وفى معاملات المضاربة بضاعتنا ويكشف
لهم فى ملابسة الحرب والضرب صناعتنا ويحقق عندهم ماعندنا من اسود
الحرب وفوارس الطعن والضرب وأجناس الوحوش الكواسر
والسباع الجواسر وأصناف الفراعل والعسابر ويتكلم بكلام يراه
مقتضى المقام ومناسبا للحال ويوسع فى ذلك المجال ويميز أوضاعهم
وعساكرهم ويسبر بمسبار العقل أمورهم وأوامرهم ويسمع الجواب
ومافيه من خطا وصواب ويورده الينا ويعرضه علينا فنعمل بمقتضاه
وينظر الرأى السديد فيه ماارتضاه ونبنى على ذلك الاساس وتفصل عنى
ذلك القياس فاستصوبوا هذا الرأى من الآراء وطلبوا له كفوا من الاكفاء
فوجدوا ذئبا هو من خواص الحضره ومن ذوى النباهة والشهره
له فى ميدان الفضائل كر وفر وفى مظان النفع والضر خير وشر قد جرّب
فى المصايد ودرب فى المكايد وهذب فى المصادر والموارد ورتب
فى المطارف والمطارد ادنى فضائله حسن السفاره واحدى فواضله ترتيب
العباره حلال المشكلات كشاف المعضلات فوقع عليه اختيارهم
ورضى به كبارهم وصغارهم فحمله الاسد كلامه وجعل البسملة مبدأه
والحسبلة ختامه ومن مضمونها بعد ابلاغ التحيه والاثنية السنيه الى
الحضرة العليه ملك الافيال أبى مزاحم المفضال الهمه الله هداه
وصرف عنه رداه وبصره مواقع الخير وهداه ولاشمت به اعداه
وحفظه بالعشى والغداه وجعل عقباه خيرا من مبتداه نحيط علومه
الكريمه وآراءه العلية الجسيمه ان قوتنا من قديم الزمان ظاهره وهيبتنا
باهرة وصولتنا قاهره لم نزل نفترس الفوارس ونكرم أصناف الاضياف

من

من الوحش والطير بالفرائس ويضرب بنا فى الشجاعة والكرم الامثال ويفر من بين أيدينا اسود الابطال ولا عار على من فر من بين يدى الرجال وقد اتصل بنا ان ملك الافيال توجه الينا بجنوده وهيأ فى ذلك اجناس عساكره وبنوده وما علمنا لذلك موجبا ولا تقدم منا بعداوة تنشى حربا وحربا بل ولا تعرضنا لاحد فى ملكه وملكه وعدلنا بحمد الله تعالى جار فى بحار الملك وفلكه والرعايا شاكرة منا ولم ينشر سوى الذكر الجميل عنا فانعموا برد الجواب وميزوا الخطا من الصواب قبل ان يكشر الشر نابه ويفتح جرابه ويحرش للهرير كلابه ويسلخ ليله اهابه ويكسر رايد الفتنة بابه فتتفاقم الامور وتتعاظم الشرور وتتلاطم بحارها وتمور عند التهاب شواظ الغيظ من الاسود والنمور مع ان اعتمادنا على الله العظيم وتوكلنا على العزيز الرحيم فلما بلغ الذئب الرساله وأدّى ما فيها من شجاعة وبساله وبين لملك الافيال ما تضمنته من عظمة وجلال استشاط ملك الافيال وتغيرت لاضطرابه الاحوال ونظر من تلك الفيول الى فيل ظلوم جهول وبدر اليه من غير تدبر ولا تأمّل فى الامور وتفكر وقال اذهب الى هذا المعتمد على كلامه الراقد فى غفلة منامه وقل له متى مارست معركة الشجعان أو صارعت رجال الميدان وأنى لك طاقة بمصادمة الجبال ومن أين تعرف مقاومة الافيال فاستيقظ لنفسك فعن قريب تحل برمسك واستعد الجنود لا قبل لك بها فستشاهد ما لم تسمعه من ضربها فى حربها فلقد أتاك عسكر القضاء وبنوده وليحطمنكم سليمان الافيال وجنوده فليريقن الدماء وليستأسرن الحرائر كالاماء وليدوسن الاطفال ولتربن منه الانكاد والانكال وليظهرن اثار الدمار والبوار بممالك من ممالك ومساكن وديار وليفعلن بولاياتك ما فعل بممالك الاسلام التتار وأنت بين أمرين وبخير النظرين اما ان تطيع لامرنا وتنقاد وتسلم الينا ما بيدك من بلاد واما ان تختار طرق الفراق والفرار وتنجو منا منجا الذباب وتتنحى عن طريقنا بما معك من كلاب وذئاب وقد بالغنا فى النصيحه بعباراتنا الصحيحه وأقوالنا الفصيحه قبل افشاء الفضيحه فوصل الفيل الرسول وادّى هذا المقول فتشوش الاسد وداخله الغيظ والنكد فاراد الايقاع بالرسول

الظلوم الجهول ثم تمالك وعن ذلك تماسك وقال لولا ان عادة الملوك
ودرب السياسة المسلوك ان لا تهاج الرسل ولا تضيق عليهم السبل لقابلتك
على كلامك القبح بما يجب من العج والثج ثم التفت الى الثعلب وقال
يا أبا الحصين ما عندك فى جواب هذين الخسين قال الثعلب أنت الاغاب
هذا القبيل أقوى دليل وأوضح سبيل على عدم عقل الفيل وان فكره
وبيل وبصيرته قد عميت وطرق هدايته قد خفيت وانه غوى واضل
قومه وما هدى وكل من اعتمد على قواه وحوله واستحلى غروره وقوله
فقد زال وزل وفى عقد البلاء حال وحل وهذا الجاهل السخيف الكثيف
الثقيل الجثة الخفيف قد استحقرنا فى عينه فسيرى منا حلول حينه
وكل من استحقر واستخف بعدوه فسيعدم حلاوة هدوه وسيحرم مواصلة
مرجوه وقد قالت الحكماء الاخيار والعقلاء ذوو الاعتبار واولوا
التجارب والاستبصار لا تستحقر السقم والنوم والدين والعدو والنار
فالملك اعز الله نصره واعلى مناره وقدره وسلط على الاعداء قهره
لا يلتفت الى هذا الكلام ولا يتزعزع لهذه الاوهام ولا يخف من جهامة
الافيال فكل ما هم فيه باطل ومحال بل يعتمد على الله العزيز الجبار ويصفى
نيته بالعدل والخير مع الكبار والصغار ويقوى جنانه على الملاقاه
وقد وافاه النصر وآتاه ولاغاه السعد ولاقاه فان هؤلاء اعتمدوا على
ولايته واتوها فسينزل الله تعالى عليهم جنودا لم يروها فكم من مستضعف
حقير صدر منه بالحيلة أمر خطير وبحسن التدبير ومساعدة التقدير
تم له أمر كبير وناهيك قصة الفاره مع رئيس الحاره وما فعلته اذ ختلته
الى ان قتلته فسأل حيدره عن تلك المأثره فقال بلغنى أيها النفيس انه
كان رئيس ضيق العطن خسيس له زوجة ذات صيانه ودين وامانه
لم تزل تتجنب الخيانه وتتعاطى العفة والرزانه وله دجاجة تبيض على الدوام
فيسرق بيضها أبو راشد وهم نيام فاذا افتقد الرئيس بيضته طالب بها
زوجته فتحلف انها ما رأتها ولا تعرف يدا اخذتها فيؤلمها سبا ويوجعها
ضربا ولا يصدق قولها ولا يرحم عولها ففى بعض الاحيان رأت المرأة
الجرذان وهو يجر البيضة الى جحره وقد بلغ بها باب وكره فدعت بعلها

لتربيه الفارة وفعلها فعلم براعة ساحتها وعمل على راحتها واعتذر اليها
وطلب الفارة وحنق عليها وأعمل المكيده ونصب للفارة دون البيضة
مصيده فلما رأت الفارة الشرك علمت ان وراءه الدرك فشعرت بما وضع
عليه فلم تتقدم اليه الى ان زار الجرذان أحدا قاربه من الفيران فلم
يجد شيأ يضيفه فاعتذر الى الضيف بما هو مخيفه واراه من البيضة
سعاد وان دونها خرط القتاد وكان الضيف الغر لا يعرف مرا من بر
فحمله السفه والحرص والشره على ان قال انا اخوض هذه الاهوال
وارد من الموت حوضه واصل الى هذه البيضه ثم قصد المصيده فقضت
وريده وفجعت به والده ووديده فتنكدت الفارة وتكدرت والتطت
احشاؤها وتسعرت وتألمت لموت ضيفها وبلغ جيرانها حديث حيفها
فخجلت منهم واختفت عنهم وشاعت قضيتها وذاعت بليتها فلم تجد لبرد
النار سوى اخذ الثار فاخذت تفتكر فى وجه الخلاص فرأت انها
لا تخلص من عتب الجيران الا بالقصاص فشرعت فى تعاطى أخذ الثار
من صاحب الدار وكان لها صاحبة قديمه عقرب خبيثة لئيمه معدن
السموم فى زبان ابرتها وطعم المنايا مودع فى شوكتها فتوجهت اليها
وترامت عليها وقالت انما تدخر الاصحاب للشدائد ولدفع الضرر والمكايد
وانزال الداء بساحة الاعداء ولاخذ الثار والانتقام من المعتدين اللئام
وقصت عليها القصه وطلبت منها ازاحة هذه الغصه وان تأخذ لها بضرباتها
القصاص ليحصل لها بين جيرانها من العتب الخلاص فاجابتها الى ماسالت
واقبلت الى وكر الفارة بما اقبلت واخذا فى اعمال الحيله فادت افكارهما
الوبيله الى ان تخدعا صاحب البيت بالذهب وتلقياه بذلك فى اللهب
ثم امهلا الى ان دخل الليل وشرعا فى ايصال الويل فاخرجت الفارة
دينارا والقته فى صحن الدار ووضعت اخر عند جحر الفار واظهرت نصف
دينار من ذلك الذهب وسترت النصف الآخر عند العقرب واستترت
العقرب بجناح السكون تحت ذيل الكمون وقد عبت فى زبانها ريب
المنون فلما أصبح الصباح ونودى بالفلاح وجد صاحب الدار فى وسطها
الدينار فتفاءل بسعد نهاره ولم يعلم انه علامة دماره ففتح عينيه ونظر

حواليه فرأى عند جحر الفار أخا الدينار ففرح وطار ونشط واستطار
وزاد فى الطلب على بقية الذهب فرأى نصف دينار داخل جحر الفار
فمد يده اليه واعمى القضاء عينيه عما قدره الله عليه فضربته العقرب
ضربه قضى منها نحبه فبرد مكانه ولاقى هوانه وأخذت الفارة ثارها
وقضت من عدوها أوطارها وانما أوردت هذه الاخبار ليعلم الملك
ان حيلة صائب الافكار تفعل مالا يفعله العسكر الجرار بالسيف البتار
والرمح الخطار وبقليل الحيله تتم الامور الجليله فلا يهتم الملك بحيثيث
الافيال ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال وانا ارجو من الله
تعالى الظفر بعدونا وحصولنا على غاية مأمولنا ونهاية مرجونا فاول
ما نعاملهم بالوهم واظهار الصوله والتخويف والارهاب بقوة الدوله
فان الوهم قتال والعاقل المدبر يحتال وطائفة الفيول عديمة العقول
وبالوهم يبلغ الشخص مراده كما بلغ الحمار من الاسد ما أراده فسأل ملك
الاساد بيان حكاية أبى زياد فقال أبو الحصين أخبرنى أبو الحسين
ذو المفاخر ناصر انه كان فى بعض الاعصار والمعاصير حمار فى مدار
يستعملونه بالليل والنهار الى ان حصل له الكبر ورمى بالعبر وابتلى باطنا
بالجوع وظاهرا بالدبر وعجز عن العمل وانقطع منه الامل فتركه أصحابه
واعتقوه وفى بعض المراعى أطلقوه فصار يرح وفى تلك المروج يسرح
الى أن خرج الى الصحرا وانفرد فى رياض الفلا فوصل الى بعض الآجام
وحصل له النشاط التام الى ان صح بدنه وسمن وبرأ دبره وأمن وأخذه
البطر واستولى عليه الاشر واستخفه الطيش وطيب العيش وصار
فى تلك المراعى يتردد ذهابا وايابا كالساعى فيسدى ويلحم فى شقتها
ويفصل مهما اختار من مزهر خرقتها وينهق على عادة الحمير فيملأ تلك
الاماكن من الشهيق والزفير وكان فى تلك الآجام أسد متخيس يسمى الشبل
ابن المتأنس كان أبوه ملك تلك الاماكن قد نشأ بها وهو فيها ساكن شاب
غرير لم يكن يعرف الحمير ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير بل ولا خرج من
تلك الاجام ولا عرف تصرفات الايام وكان أبوه قتل فى الاصطياد
وتفرقت عنه العساكر والاجناد فنشأ وحيدا يتيما واستمر فيها مقيما

فلما سمع صوت الحمار أخذته الرعدة والاقشعرار واستولى عليه الهلع
فقعد عن الاصطياد وانقطع وصار كلما نهق هرب واختفى من الفرق وغلب
عليه الدهش الى ان كاد يموت من الجوع والعطش وصار الحمار يتردد الى
عين ما كان الاسد يسكن منها سورة الظما فما اجترأ بعد ذلك على
الورود وأضر به الخوف والانقطاع والقعود فلما كاد العطش ان يقتله
توجه الى العين محفوفا بالحيرة والوله فوجد الحمار واقفا عندها وأدرك
الحمار خوفه منه بالدها فتقدم اليه وصوب نحوه اذنيه وحملق عينيه
فبدر من الاسد صرخه اتبعها من بوله شخه وقال للحمار ايش أنت
ولاى شئ هاهنا سكنت وجعل يرجف وفى قيد الخوف يرسف فعلم الحمار
ان الاسد حار فقال بجنان جرى وبيان قوى انا فى هذا المكان افرق
رزق الحيوان وقد اقتات احوش أرزاق الوحوش ثم اقسمها بينهم واملا
جوفهم وعينهم فقال الاسد انى جيعان ولى مدة عطشان فأعطنى من
الاكل رزقى وافرز لى من الماء حقى فقال بوجه مقطب ادن الى الماء
واشرب فدنا وشرب وهو خائف مضطرب ثم قال أنا جائع فأطعمنى وعجل
ولا تحرمنى فلى مدة من الجوع لا قرار لى ولا هجوع فقال الحمار تعال
معى الى موضعى لتعرف مكانى وتقرر جرايتك فى ديوانى فذهبا فى طريق
حتى وصلا الى نهر ماء عميق فارادا العبور فقال الاسد الهصور هذا
الماء عميق وكم فيه من غريق فاحملنى فى الذهاب وانا احملك فى الاياب
فاجابه الحمار وحمله وخاض به ونقله فأنشب الاسد الاظفار فى كاهل
الحمار وثقل عليه فلم يتأثر له ولم يلتفت اليه فزاد وهمه من الحمار وقال
هذا رأس الدعار ثم سار ساعة أخرى فرأيا فى طريقهما نهرا فطلب الحمار
الوثوب وقال هذه نوبتى فى الركوب ثم طفر على الاسد وثقل عليه الجسد
وتمكن عليه وأرخى يديه ورجليه فتضرر من ثقله وابتلى بشر عمله
ثم تورك عليه وانشب فى كاهله مسامير نعليه فصاح الاسد ومار وقد اثرت
فيه حوافر الحمار فقال له اثبت وآلك فما حولك تحتى واحالك فقال يا اخى
جرت فى أمرى لقد اوجعتنى وقصمت ظهرى وكان يكفينى جوعى
وقلتى وخضوعى وما أدرى هذا الضر والبلا من أين أقبلا فقل لى ما الذى

انشبته فى كاهلى ونزلت به من حافرك فى ساحلى فقال هذه مسامك
لطلاب الجرايات والجوامك وهى أربعون مسمارك لابد ان تثبت كلها
فى قفالك حتى يترصع لك اسم فى الديوان والا فالرزق لايحصل بالهوينا
بل بالهوان فقال ياأخاه اتركنى لوجه الله وارفق بى رفقا وما اريد منك
رزقا ودعنى بالامانة ووفر الجراية على الخزانه ولا رأيتك ولا رأيتنى
ولا عرفتك ولا عرفتنى فانى اتقوت من حشيش الارض وخشاشها
وأستعد لمعاد نفسى بالرفق فى معاشها فنزل عنه الحمار وتركه وسار فهرب
منه بعد ماودعه وولى يلتفت يمينا وشمالا لئلا يتبعه وانما صورت هذا
النقش لتعلم ياملك الوحش ان الوهم يصدر كالسهم وهو عند براهمة الهند
وحكماء السند احد طرق العلم رقاك الله الى سلم السلم والوهم غالب على
الافيال بل سهم الوهم يقتل كثيرا من الرجال فنرجو من الله ان يبلغنا
مقصودنا وننال من طالع الجد والحظ مسعودنا وان يرجع اعداؤنا
بالخيبه وفراغ العيبه وهذا المثل الذى ضربته والتقريب الذى
قربته انما هو مثل العاجز الضعيف مع القوى العسوف لا العسيف
واما نحن بقوة الله وحوله ومساعدة نصره وطوله فقوتنا قاهرة
قائمه وصدمتنا بعون الله دعائمها دائمه لم يحصل منا خوف ولا خور
ولا فزع ولا جزع ولا جور ففينا بحمد الله قوة لمصادمتهم وقدرة
لمقاومتهم فامض لامرك فكانى بك وقد رجعت فائزا بنصرك مجبورا
بكسر عدوك محبورا بيسرك ثم انه اقتضى رأى أبى الضراغم اعادة
الذئب الى أبى مزاحم برسالة مضمونها بصرك الله بعيوب نفسك وارالك
عاقبة غدك فى صبح امسك وجعلك ممن اتبع الهدى وامتنع عن موارد
الردى اعلم ان علماء الهند وحكماء البراهمة والسند امتازوا عن حكماء
الاقاليم ووضعوا رقعة الشطرنج للتعليم وان واضع ذلك صور الرقعة
بصورة الممالك وقسمها بالسويه وجعل لكل قسم جنسا من الرعيه
ووضع له نوعا من السير لا يتعداه وبين لك منهم مكانا لا يتخطاه وانا اخاف
ان تتعدى مكانا هو مقامك وتقصد بيت الشاه ويفوت مرامك ويناديك
فرزين العقل وأنت راحل فى النقل ياذا الهوس ماذا بيت الفرس

تقع وانت تصرخ فى لعبك بالنفس مع الرخ فلا يفيدك الندم وقد زلت
بك القدم وخرجت فى لعبة من رقعة الوجود الى العدم وترى تلافى
الموافاة فات ويقول خصمك وقد رآى كلاحة وجهك شاه مات فلا تعتمد
على جهامة جسدك وكف عن حقدك وحسدك ولا تقصد حرم كعبة غيرك
بالفكر الوبيل فيصيبك مثلما أصاب أصحاب الفيل حين أرسل الله
عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وتصير بعد وقوع الملاحم
وصدوع المقاحم اباحرمان بعد ان كنت ابامزاحم فلما قرأ الفيل هذه
المطالعه غطى حمية الجاهلية منه الباصرة والسامعه فاراد ان يأمر
بابطاء الرسول تحت اخفاف الفيول لكن راجع عقله وأحضر وهله
ورد الذيب بجواب مخيب وسهم غير مصيب وقال استعدوا للقتال
ومصادمة الابطال ومقارعة الافيال ثم أمر بالعساكر فتجهزت
وبامور الحرب فتنجزت وثار بغضب احمى من جمر الغضا وسار بالعساكر
الجرارة فلا ‌الفضا فبلغ الملك المظفر أبا الحرث الغضنفر مانع له الاكاب
فاستشار الثعلب فقال اعلم أيها الملك وقاك الله شر المنهمك ان الافيال
لا يعرفون الا المصادمه والاندفاع مرة واحدة فى المخاصمه وليس لهم
فى الحرب حراب الا الخراطيم والانياب لا يعرفون الكر والفر ولا
يفرقون بين النصب والجر ولكن بعض العساكر له فى ذلك معارف ومناكر
منها المواجهة والمشافهه والمصارعة والمقارعه والمدافعة والممانعه
والمخاتلة والمخادعه والمناوشة والمهاوشه والمعانشة والمهارشه والمكافحة
والملاطحه والمطارحة والمرامحه والمرافسة والمراوسه والممارسة
والمعاكسه والوثوب والمساوره والروغان والمصادره والاحتيال
والكيد والاغتيال للصيد والربوض فى الكمين والنهوض من ذات
الشمال وذات اليمين وكل أرباب هذه الملاعب وأصحاب هذه المخارق
والمذاهب فى عساكرنا موجودون مجدون ومن أبطالنا معدودون معدون
فلا بد من ترتيب كل فى مكانه وايقافه بين اضرابه واقرانه وتعبيتهم ثم
تخبيتهم وكان بالقرب من ميدان النطاح وموضع جولان الكفاح
وهو برية قفراء وأرض غبراء انهر مياه جاريه وعليها جسور وقناطر عاليه

فاقتضى رأى الاسد والفكر الاسد أن يطلقوا ثغور المياه على البريه ويتركوا فيها العساكرهم طرقا ودروبا مخفيه ثم انهم عبروا تلك المياه وصفوا العساكر للملاقاه فقدموا امامهم الثعالب والكلاب وكل سريع المجىء خفيف الذهاب وصفوا وراءهم الذئاب والنمور والفهود والببور ووقف الاسد بين الاسود فى قلب الجنود بعدان عبى الاطلاب وعرف مقام كل من القرانيص والاجلاب ثم ان الثعالب ونظراءها دخلت من الافيال وراءها وصارت تروغ بينها وتلاعب على عينها حينها وتتعلق باذنابها وتتشبث بعراقيبها وكعابها فزاد حنقهم وثار قلقهم وتقدموا واصطدموا وحطموا واضطرموا وبثار الحرب اصطلموا فناوشهم الببور البواسر وهاوشهم النمور الجواسر وهارشهم الاسود الكواسر ثم ولوا امامهم مدبرين وقصدوا الطرق المخفية عابرين فتصور الافيال ان جيش الاسد فر وجنده انحطم وانكسر وان عسكرهم غلب وانتصر فحطموا ايدا واحده بهمة متعاضده ونهمة متعاقده وصدمة متآكده ففى الحال ارتدموا وفى الاوحال ارتطموا وقطع دابر القوم الذين ظلموا ثم كرت عليهم الاسود والنمور والفهود وسائر السباع والذئاب والضباع فوقعوا فى تلك الفرائس وقوع الجياع على الهرائس وعانقوهم معانقة الاحباب للعرائس وأكلوا وادخروا وحمدوا الله تعالى وشكروا ومن بعد ماظلموا انتصروا واظهر العدل للحق مناره وظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره والله لا يهدى القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين

(الباب الثامن)

فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد قال الشيخ أبو المحاسن من هو لجرعة الفضل أحسن حاس فلما وعى الملك الجليل والقيل الفضيل ماجرى بين الاسد والفيل من القال والقيل وانجرار ذلك الى الضرب الوبيل وعلم ان عاقبة الظلم وخيمه وخاتمة التعدى والطمع مشومه أمر

رؤساء المملكه وزعماء السلطنه بالكف عن الطمع وتجنب الجبن والهلع ومعاملة الاهل والجار بحسن الخلق والجوار وانتشار ذلك بالاشهار فى الولايات والاقطار فان العاقل من اعتبر بغيره وكف كفه عن اذاه وضيره ونشر مهما استطاع من فوائد احسانه وخيره وعدى عن التعدى والعدوان لاسيما اذا كان ذا قدرة وامكان وتحكم فى الفقراء والضعفاء وساطان فنهض الحكيم حسيب وقبل ارض العبودية بشفاه التأديب وقال وبلغنى أيها الملك المفضال مما يطابق هذه الاحوال انه كان فى بعض الازمان وانزه الاسكان سلطان الحيوان أسد عظيم الخلقه جسيم الشفقه جليل المكارم سليل الاكارم قد بلغ فى الزهد الغايه وفى الورع والعفة النهايه مع حسن الاوصاف والشمائل وكرم الاعطاف والفضائل قد جمع بين الهيبة والشفقه والصدق والصدقه وسورة الملك وسيرة العدل وسمة الفصل وشيمة الفضل هيبته ممزوجة بالرأفه وعاطفته مدموجة فى الصوله قد عاهد الرحمن بالكف عن اذى الحيوان وان لا يريق دما ولا يتناول دسما ولا يرتكب محرما يتقوت بنبات القفار ويقوم الليل ويصوم النهار يرعى فى دولته الذئب مع الغنم وينام فى كنف ضمانه وكفالته مأمنه الثعلب والارنب بعد حز الحروب والحرب فى ظل الضال والسلم كما قيل

ولى البرية عدله فتمازجت * اضدادها من كثرة الايناس
يحنو على ابن الماء ام الصقر بل * يحمى اخو القصباء اخت كناس

وفى جواره دوحة كثيرة الثمار غزيرة الانهار نضيرة الازهار رائقة الماء والكلا فائقة النشو والنما شائقة النشر والهوا رياحينها طريه ومروجها بهيه ومقاصفها شهيه فكان الاسد ذو الزهاده اذا أطال اجتهاده وأراد ان يريح نفسه من مشاق العباده يتوجه الى ذلك الروض الاريض والمرج البهى الغريض والمرعى الطويل العريض فيتنزه فى نواحيه بسرح سوائم طرفه فيه ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه فبينما هو فى بعض الاوقات يتمشى فى تلك الخضراوات صادف دبا عظيم الجسم مليح الوسم فقبل الارض بين يديه وذكر انه اقبل ليلتقى

اليه وانه قد سمع باوصاف عدله ومكارم شيمه وفضله فقصده ليتشبث
باذياله وينتظم فى سلك خيله ورجاله ويزجى فى خدمته باقى عمره ممتثلا
بارز مرسومه ونافذ أمره فتلقاه بالقبول والاقبال وشمله بالفضل
والافضال وقال له طب نفسا وقر عينا لقيت زينا ووقيت شينا فانتظم
فى سلك خدمه وانغمر فى بحر كرمه واشترط عليه ان يحتمى عن لحوم
الحيوان ولا يتعرض لايذاء طائر ولا انسان فامتثل ذلك بالسمع والطاعه
وسار على سنن السنة والجماعه ثم بعد مدة يسيره قصد الاسد مسيره
وخرج يسير على باكر وحوله طائفة من العساكر فلقى جملا ضل الطريق
وتاه عن الصاحب والصديق ونسيه الجمال وتركه الرفيق فبادر اليه جماعة
الاسد وهموا بتبضيعه بالناب واليد فانهم كانوا الشدة القرم الهبت
احشاؤهم بالضرم فناداهم الاسد ويلكم كفوا وعن التعرض الى
ايذائه عفوا لئلا يصيبه من الكيد ما أصاب صاحب كسرى ذى الايد
من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد فقبل الجماعة الرغام وسألوا الامام
عن بيان ذلك الكلام فقال ذكر ان كسرى أراد يوما الاصطياد
فركب فى جماعته وأهل طاعته وسار على الصباح وهو فى نشاط ومراح
وانبساط وانشراح فصادف رجلا كريه المنظر مشوه الخلقة اعور
فتشاءم بطلعته وتعوذ من رؤيته وتطير من صباحه وتكدر صفو انشراحه
ثم أمر به فضرب ولولا تداركته الشفاعة لصلب ثم تركه وسار نحو صيد
القفار فخاش الصيد واقتنصه من عسكره عمرو وزيد ورجع مسرورا فرحا
محبورا وأدركه المساء فصادف ذلك الرجل ملتفا بكساء وكان ذا لب صحيح
وعقل رجيح ولسان فصيح فابدى كسرا ونادى كسرى واستوقفه
بعد ما استلطفه وقال أيها الملك العادل والمالك الفاضل أسألك بالله
الذى ملكك رقاب الامم وحكمك فى طوائف العرب والعجم انعم على برد
الجواب وبين لى الخطا من الصواب فانك عادل حكيم فاضل كريم
فوقف بعسكره واستنصت لخبره وقال هات مقالك وقل ما بدالك فقال
يا ملك ذا الأيد كيف كانت أحوالك اليوم فى الصيد فقال على أتم ما نريد
لقد حصل له السادات والعبيد فقال هل حصل فى أمور السلطنة وهن

أوخلل أوفى الخزائن المعمورة نقص وقال قال لا بل أحوال السلطنة مستقيمه وديم الخزائن دارة مقيمه قال فهل ورد اليوم من الاطراف خبر يوذن بتشويش واختلاف قال لا بل الجوانب مطمئنه والثغور من الاعداء والمخالف مستكنه قال فهل أصاب أحد من الخدم والاصحاب والخول والحشم مصاب قال بل كلهم بخير آمنون من الضرر والضير قال فلم ضربتنى واهنتنى وعلام كسرتنى وطردتنى قال لان التصبح بك مشوم وهذا أمر مشهور ومعلوم قال سألتك بالله الذى تتقلب فى مواهبه اينا كان اشأم على صاحبه انا تصبحت بك وأنت تصبحت بى فانت اصبت الذى ذكرت وقد علمت ماحل بى ومع هذا فانما عبت وعتبت على الصانع وذهلت عما اودعه فى من اسرار وبدائع فانه لا اختيار لى فيما فطرنى عليه ولا مدافع ولا حيلة فيما قدره على ولا ممانع واسمع ماقلت بعد ما صلت فى اهانتى وجلت

لقد كان قصدى ان اسود على الورى * بقد وظرف كامل الخلق بارع
ووجه يفوق البدر والشمس بهجة * فعاكسنى تقدير ربى وصانع

ثم خطر بالبال هذا المقال فقلت

وددت لوانى أحسن الخلق صورة * واكمل من بدر السما وهو طالع
فابدعنى نقش المصور هكذا * ولا صنع لى فيما بى الله صانع

فتنبه كسرى لكلامه وأمر باعزازه واكرامه وتدارك مافرط منه باحسانه وانعامه وانما اوردت هذا المثل لئلا يكون هذا الجمل مثل ذلك الرجل لانه قد تصبح بى فلا يرى أبدا مكروها بسببى بل يرى الخير ويكفى اذى الغير وكذلك كل من هو عندى ومنسوب الى من خولى وجندى ثم دعا ذلك البعير وسأله عن جليل امره والحقير فاخبره انه تاه عن أصحابه وانه من بعد يتعلق بغرز ركابه ويلازم خدمة بابه كاصحابه فاكرم مثواه واحسن مبوأه ومأواه الى ان صار من أكبر الخدم وذا خول وحشم ورأس الندماء ورئيس الجلساء وامن النكد والبوس وسمن حتى صار كالعروس فحسده الدب لعدم اللب وعزم بمكره على القائه فى الجب واشتد بذلك البرم الى أكل لحم الجمل القرم فاخذ يضرب فى ذلك اخماسا لاسداس واحتوحشه فى قضيته لسوء طويته القلق والوسواس فلم ير

اوفق من افساد صورته واظهار سوء سريرته فيهلكه ويكيده ويفتنه ويبيده فيصل منه الى ما يريده ويثمر بمكره الحسد ويصلح من شره ما انسد ويروج منه ما كسد فأدى فكره الى ان يغري به الاسد فاختلى بالجمل وابتدى بالعمل وقال له لي معك كلام على كتمه منك ألام ولكنك لست موضعا للسر لانك لا تعرف هرا من بر وانت سادج ساكن سليم الفكر والباطن وقد قيل الحماقة فى الطويل ولولا وفور شفقتي وحنوي عليك ومودتي ما فهت لك بكلمه ولتركتك من التيه فى ظلمه وقالت الحكماء ذوو المعارف لا تفش سرك الى طوائف منها سليم الفطره ومنها مدمن الخمره ومنها الكثير الكلام ومنها المرأة والغلام فانهم ليسوا محل الاسرار وانهم يفشونها بلا اختيار وقد قيل كم انسان اهلكه اللسان وكم حرف ادى الى حتف قال الجمل وقد اثر فيه مكره ودخل يا اخي انا احقق شفقتك وصدقك وصدقتك واعرف محبتك ونصحك ومودتك وأنت لا تحتاج فى تجربتي الى دليل فلي فى صحبتك زمان كقدي طويل وانا أوكد قولي بالايمان واعقد على ما تلقيه الى الجنان ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان والشخص اذا لم يعرف منه ما يراد فلا فرق بينه وبين الجماد واذكر ما قلت لك فى درب ابن تلك

ومن كان ذا عين ولا يه مر الذى * امام فهذا والضرير سواء
وذو الجهل خير من عقول علومه * سراج ولكن ليس فيه ضياء

ثم انشأ ايمانا غلاظا انه يبالغ فيما يسمع منه احتفاظا ولا يبدي منه لاما ولا فاء ولا ظا فلما وقف الدب على جوابه وربطه بزمام تدبيره اختلى به وقال تعلم أيها الصديق المبين ان ملكا فى غاية العفة والدين واعلى درجات العباد والزاهدين قد فطم نفسه عن الطعوم خصوصا عن الدماء واللحوم ولكنه فى ذلك كله غير معصوم فانه قد تربى بلحم الحيوان وتغذى بافتراس الاقران وتعود رضع الدماء وقطعت سرته على هذا الغذاء وتزهده انما هو تكلف وتعسف وتصلف وتعففه مكابره وتورعه مصابره ولابد للنفس ان تفعل خاصيتها وتجذب شهواتها اليها ناصيتها وتطمح الى مأرزها وتجمح الى مركزها وقال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل

لخلق الله واذا كان ذلك كذلك فاحتفظ لنفسك واحفظ نصيحتي وأمسك وتفكر احوال غدك فى أمسك فانك فى صحبة الاسد على خطر عظيم وخطب جسيم فلا تغفل عما قلت لك ولا تظنن أنه لن يقتلك فداخل الجمل من هذا الكلام الخور ولم يبق له طاقة ولا مصطبر ثم ثبته التوفيق ونخل فى هذا الامر الجليل فكره الدقيق واستحضر رأيه فى أمره وأجال قداح فكره وقال للدب المشوم يا أخى فاى ضرورة دعت الاسد الغشوم حتى تعفف عن أكل اللحوم قال انا لا اشك فى دينه ولا ارتاب فى حسن يقينه ولكن ربما تعود المياه الى مجاريها وتعطى القوس باريها وتتحرك النفس الابيه والشهوة التى طالما القت صاحبها فى بليه لان الانسان بل سائر الحيوان على ما يقتضيه الكون والمكان دائر مع اختلاف اخلاق الزمان فان الزمان كالوعاء والشخص فيه كالماء فيعطيه من اخلاقه ما يقتضيه من كدره وصفائه ولهذا قيل لون الماء لون انائه وقد قيل الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم وناهيك ياذا الكرامات ما قيل فى المقامات

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى * عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى اخو عمى * ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

والاسد فى هذا الاوان ماش على ما يقتضيه الزمان وان الزمان يتحول وسيرجع الاسد الى خلقه الاول أما بلغك ياذا الفطنة الحيه قصة الحائك مع الحيه قال لا ورب البريه فاخبرنى عن كيفية تلك القضيه قال الدب الافاك ذكر ان حائكا من الحياك كانت له زوجة تخجل شمس الافلاك صورتها مليحه وسيرتها قبيحه فشم زوجها روائح ما هى عليه من القبائح وخاف ان يؤدى الى الفضيحه فطلب تحقيق ذلك ليوصلها الى المهالك فقال لها اريد ضيعه لاجل بيعه فاغيب اياما يسيره لفائدة كثيره فارصدى بابك وأسدلى حجابك واحفظى من الشر جنابك فقالت بيت أنت رئيسه ومثلى قعيدته وعروسه أنى يحوم حوله فساد فأدرك سوقك قبل الكساد وجهزته أسرع جهاز كالمتوجه الى الحجاز فسافر من غير مريه ثم رجع الى البيت فى خفيه واختبى تحت السرير لينظر

مايجرى من الامور فبادرت الى النار ونفخت واسرعت الى الطعام وطبخت وخرجت تدعو مرامها وقدهيأت طعامها فخرج زوجها من المخبأ وأتى على الطعام المهيأ ورجع الى مكانه ونام بعدأ كله الطعام فجاءت المرأة بجريفها وقصدت الطعام لمضيفها فصادفت يدها الحصير فعرفت ان البلاء تحت السرير فاخذت تطلب المخلص من ذلك المقنص واتفق ان الملك رأى مناماهاله ولكن نسى هيئته وحاله فقصد من يخبره برؤياه ويعبرهاله فنادى فى الورى يطلب لمنامه مخبرا ومعبرا وبينما تلك الفاجره على حيلة الخلاص دائره وفى بحر الافكار حائره سمعت المنادى ينادى فى كل نادى من يدل الملك الهمام على معبر المنام فله مزيد الاكرام والانعام العام فسارعت المرأة الى باب الامير وقالت قدسقطت على الخبير ان لى زوجا حكيما بتعبير المنامات عليما لكنه يتعزز وعن تعبيرها يتحرز فلايقوه بالتعبير الابعدضرب كثير وانه ليس له فى ذلك نظير فأرسل وراءه وأكرم لقاءه ثم قال له بعدا كرام اوصله ووعده بانعام وصله رأيت مناما راعنى وفى الحيرة والفكر اضاعنى فدع عنك الاحتشام واخبرنى عن ذلك المنام ثم عبره لى فقداخبرت انك حبيب لله وولى فقال يامولانا الملك أنا فى الجهل منهمك حايك فقير ليس لى من العلم نقير ولقد كذب علىّ من نسب العلم الىّ والعين تعرف العين انا من اين وتعبير الرؤيا من اين فماصدقه ولا فى كلام استوثقه وصدق قول المرأة فيه وأمر بايصاله ماينكيه ثم طلب المقارع وشدوا منه الاكارع وضربوه ضربا عسفه الى ان كادان يتلفه فنادى الامان الامان امهلنى ثلاثة أيام من الزمان فتركوه وامهلوه وقيدوه واطلقوه فصار يدور فى الخرائب ويتضرع تضرع التائب ففى ثالث الايام وقدايقن بحلول الحمام دخل الى مكان خراب وأخذ فى البكاء والانتحاب فنادته حية من الشقوق مالك تنتحب ياذا العقوق فاخبرها بحاله وماجرى عليه من نكاله فقالت ماذا تجعل لى من الانعام اذا اخبرتك بمارآه الملك فى المنام ثم فضضت عن تعبيره مسك الختام قال اكون لك عبدا وصيفا واعطيك مما اعطى نصيفا قالت ان الملك رأى فى منامه ان الجوّ يمطر من غمامه

أسوداوغور وفهوداوبيور وان السماء في ذلك تمور وتعبير هذا المنام والله العلام انه يظهر في هذا العام للملك أعداء كواسر وحساد جواسر يقصدون هلكه ويريدون ملكه وسيطفئ نار كيدهم بمياه سيوفه ويسقيهم من رحيق فتوحه كاسات حتوفه فكشفت غمته ثم أصلح لباسه وعمته وقصد باب الملك ونادى غير مرتبك وذكر المنام وعبره ووعد السلطان بالنصر وبشره فتذكر المنام وحققه واعتمد عليه وصدقه وأمر له بألف دينار وصار له عند الملك بذلك اعتبار فاخذ الذهب مجبورا وانقلب الى أهله مسرورا ثم افتكر ما اشترطه مع الحيه فابت عن الوفاء نفسه الشقيه وخاف ان تطالبه بحصتها أو تفضحه بقصتها فلم ير أوفق من قتلها وسد ذريعة سبلها فاخذ عصا ورام بذلك مخلصا وقصد مأواها ووقف فناداها فخرجت مسرعة اليه وأقبلت بالوداد عليه فرأت العصا بيمينه فعلمت انه ناكث بيمينه فولت هاربه فضربها ضربة خائبه لكنه جرحها وعمد الى نفسه ففضحها وتركها وذهب فائزا بالذهب فاتفق ان في العام الثان رأى السلطان مناما اقلقه وعن نومه ارقه ومن شدة أهواله محاه الوهم عن لوح خياله فدعا المعبر المعهود اليه وقص حاله عليه وطلب منه صورة المنام وما يترتب عليه من كلام فاستمهله الايام المعدودات وقصد رئيسة الحيات وناداها عجلا ووقف في مقام الاعتذار خجلا فقالت أى غدر كيف استحليت ما مضى من فعلك ومن باى وجه تقابلنى وتخاطب وقد قصدت عطبي بعد ما خلصتك من المعاطب وقابلت احسانى بالسوء ولكن غدرك بك يبوء فقال عفى الله عما سلف والصداقة بيننا من اليوم تؤتنف ثم انشا ايمانا انه يبدل الاساءة احسانا وانه لا يخون ولا يمين في ما يقع عليه العهد واليمين بل يعود الى العهود ومهما وقع عليه الاتفاق لا يمازجه خلف ولا نفاق فقالت اريد جميع الجائزه لاكون بها فائزه ولها حائزه فاجابها الى ما سألت وعاهدها على ذلك فقبلت وقالت رأى الامام في هذا المنام ان السماء تمطر قردة وفيرانا وثعالب وجرذانا وتعبير هذه الرؤيا وكلمة الله هى العليا انه في هذا العام والشهور والايام يكثر اللصوص والعيارون والمكرة والطرارون ويظهر في العساكر كل حسود ماكر وشيطان داعر

ولكن صولة الملك تمحقهم وصواعق سيوفه تصعقهم فاسرع الى السلطان
وخبره بما رآه فى منامه وعبره فقال بالحق أتيت هذا الذى كنت رأيت
ثم أمر له بجائزة سنيه وخلعة بهيه فصار فى عيشة مرضيه وحياة هنيه
وسلك طريقته الدنيه فلم يلتفت الى عهوده القويه ونبذ عهد الحية الحييه
وقال يكفيها منى كفى عنها فلا تطلب منى ولا أطلب منها ثم ان السلطان
راى فى المنام فى ثالث الاعوام مناما آخر ونسيه فارسل الى المعبر
فغشيه من يم الهم ماغشيه وسأله عما رآه وطلب منه تعبير رؤياه فطلب
المهلة كما كان وأحاط به موج الهم من كل مكان ولم ير بدا من
معاودة الحيه فأتاها وبه من الحياء كيه وناداها بصوت خاشع ووقف
فى مقام الذليل الخاضع فخرجت فرأته فزجرته وزأرته وقالت ياخائن
يا كذاب يا ناقض العهد يامرتاب ياقليل الحياء ياكثير البذاء
ياصفيق الوجه ياحقيق النجه ترى بأى لسان تخاطبنى وبأى وجه
تقابلنى وقد ختلت وفتلت وفعلت فعلتك التى فعلت فقال لم يبق للاعتذار
مجال ولا للاستقالة مقال ومالى طريق الا معاملتك بالافضال فان
افضلت اتممت الاحسان وان رددت فعذرك واضح البيان وهذه المرة
الثالثه لا تكن يمينها حانثه ولا عهودها ناكثه واشهد الله وكفى به شهيدا
انى بعد لا انقض لك عهودا ولا احل مما بيننا عقودا فقالت لا اخبرك بشى
الا ان تعهد الى ان تعطينى جميع ماتعطى وتكف عما وقع منك من الخطا
فسمع مقالها وأجاب سؤالها فقالت رأى الملك فى منامه كأن الجو أمطر
من غمامه ماملأ الفضاء من خرافه واغنامه وتعبير هذا المنام انه يكون
فى هذا العام من الخيرات والانعام مايشمل الخاص والعام فتطيب
الاوداء وتصالح الاعداء وتطيع العصاه وتذعن البغاه ويوافق المخالف
ويكثر المحب والموالف فاحفظ ماقلت لك فقد حلت مشكلك فتوجه
بصدر منشرح وخاطر مطمئن فرح وقص المنام وعبر مافيه من الاحلام
فطار الملك بالفرح وتم سروره وانشرح وأمر بالجوائز فصبت عليه
وبالاموال فانهالت اليه فنعم بتلك العطيه والخلع السنيه وقصد وكر الحيه
ثم وقف وناداها وقدم اليها كل ذلك وأعطاها وشكر لها احسانها

وتحمل جميلها وامتنانها فقالت له الحية اعلم يا أبلم انه لاعتب عليك ولا ملام فيما جنيته اولا من الآثام ولا ما ارتكبته من العداوة والمين في العامين الاولين ولا فضل لك في هذه السنه على ما فعلته من الحسنه فان ذينك العامين كانا مشتملين على قران النحسين فكان مقتضى حالهما فساد الزمان والعداوة بين الاصدقاء والاخوان ووقوع البغضاء والشرور والحنث والخلاف وقول الزور فجريت على مقتضاهما حسب مرتضاهما والناس في طباعهم وايامهم اشبه بزمانهم منهم بآبائهم وهذا الاوان قد انصلح الزمان واستقام الطالع وزال الحسد والتقاطع واقتضى الزمان الصلح والصلاح والموافقة والفلاح فمشيت على موجبه وتشبثت بذيل مذهبه فخذ مالك وتصرف بارك الله لك فيه فلا حاجة لي به ولا يدلي لتقلبه وانما أوردت هذا المثل أيها الجمل لتعلم ان الزمان لتقلبه في الدوران يوقع بين الاصحاب والاخوان ويباين بين الاصدقاء والخلان والاسد المجتهد وان كان قد زهد وترك من اخلاقه ما عهد فيمكن عوده الى حاله الاولى فالاحتراز منه في كل حال اولى وها انا قد اخبرتك ومن سوء العاقبة حذرتك وعلى ما وصل اليه فكري اطلعتك وفرط محبتي وشفقتي عليك اقتضى افشاء هذا السر اليك ومن انذر فقد اعذر ومن بصر فما قصر قال الجمل يا أخي فنترك هذا المقام ونروح ونخدم من في خدمته نستريح قال الدب الجاحد اذا كان هذا العابد الزاهد الراكع الساجد الذي قد تعفف على أكل اللحوم وليس له داب الا اغاثة المظلوم قد عف عن الدماء وقنع باكل الحشيش وشرب الماء لا تؤمن غائلته ولا تعتمد خاتلته فالى اين نتحول وعلى من يكون المعول والى اين نذهب وفيمن نرغب قال الجمل فكيف يكون العمل فلقد ضاقت بنا الحيل وتقطعت بنا السبل لا طريق للمفر ولا قرار للمستقر ففكر الدب طويلا ثم رأى رأيا وبيلا وقال أرى الرأى السديد والفكر المفيد ان نبادر الاسد قبل وقوع النكد فنقصده بما يقصده ولا نوصله الى ما يعتمده فالعاقل يفتكر في عواقب الامور ويقيس بفكره السرور والشرور ويستعمل الحزم واذا قصد أمرا يصمم العزم وناهيك قضية

الثعبان مع ذلك الانسان قال الجمل اخبرني عن تلك القضيه ومن ذلك
الانسان وما تلك الحيه قال أبو حميد الخبيث بلغني من رواة الحديث ان
شخصا من الصيادين كان مغرما بصيد الثعابين يتسبب بصيدها ولا يبالي
بكيدها فبينما هو يسعى اذ صادف افعى شرها ناجز كما قال الراجز

ارقش ظمآن متى عض لفظ * امر من صبر ومقر وحظظ

وقد اثر فيه الحر بالحرق وهو نائم في مكان منطبق فاستبشر الحوا برؤيته
وقبضه من عقصته فلم يفق الثعبان من رقدته الا وهو من الحاوي في
قبضته فتماوت وامتد وارتخى فاسبل بعدما كان اشتد فظن الصياد انه مات
وان مراده منه فات فتحرق لذلك وتالم وتأسف عليه وتضرم وحرق عليه
الارم ورماه من يده ثم دار في خلده ان في بطنه خرزة بهيه مشرقة مضيه
فاخرج الشفرة وقصده ومد لتبضيعه يده فلما تحقق الارقم ما عزم عليه
وصمم خدعه وختله وضربه فقتله وانما ذكرت يا أبا أيوب هذا
المثل المضروب لتحقق ان المبادرة الى اهلاك العدو أقر للعين وأجلب للهدو
ومن فوت الفرصه وقع في غصة واي غصه وهذا الاسد ان غفلنا عن
انفسنا ابادها وقصد دمارها وفسادها ولا يفيدنا اذ ذاك الندم بعد
ما زلت القدم وتحكم في وجودنا من مخاليبه العدم فقال الجمل اعلم
أيها الرفيق الصديق الشفيق ان هذا الملك آوانا واكرم مثوانا
ولم نشاهد منه سوءا ولا من ظلمة باطنه آنسنا ضوءا ولو قصد اذانا ما وجد
دافعا ولا ممانعا وقد علمنا انه ترك الاذى وكف عن الشر والبذا تعففا
لا تخوفا وتكرما لا تكلفا واختيارا لا اضطرارا وجبر الكسر نالا اجبارا
وأما أنا على الخصوص فلم أر منه الا الجميل والفضل الجزيل والاحسان
العريض الطويل فلاي شئ أشرع في اذى نفسي واكدر صافي حدسي
ولم يظهر لي منه اماره لا بعقتض ولا بدلالة ولا باشاره فضلا عن سباق
او سياق بعباره وانا لو مت كمدا ما قصدته باذى ولا رديته برداء ردا
والصوفي ابن الوقت لا يتقيد بنكد ولا مقت فان قصدني بعد ذلك بشر
أو تعرض لي بهلاك وضر لا يسعني معه الا التفويض والتسليم والتوكل
على العزيز العليم مع اني لا اقدر على مقاومته ولا قوة لي في دفع مصادمته

ولا

ولا طاقة لكسر انيابه ومخاليبه ولا خلاص من اشراك اساليبه غير انى
وان كنت منسوبا الى التغفل لا ادع من يدى ذيل التوكل فبالتفويض
يحصل النجاح وبالتوكل يظفر بالفلاح كما جرى لذلك الفلاح مع الذئب
والشجاع حال التوكل الى الله تعالى والانقطاع فسأل أبو سلمه ايضاح
هذه الكلمه قال أبو صابر بلغنى من أحد الاكابر ان شخصا فلاحا توجه
الى ضرورة صباحا من غير رفيق ولا حامل سلاحا فبينما هو فى البيداء سائر
صادفه ذئب داعر خاتل خاتر فقصده ليكسره ففز وصعد الى شجره
فترصد نزوله وانتظره تحتها الغوله فانعصر وعن ضرورته انحصر وبينما
هو فى تلك البليه وقعت عينه على حية رديه ذات قرون صاعده وهى على
بعض الفروع راقده فازداد همه وأحاط به لوهمه غمه فاستمر بين بليتين
وانحصر فى ديوانى داهيتين دهيتين فلم ير أوفق من التوكل على الله
والاعراض عما سواه فاعتمد متوكلا عليه وفوض أموره اليه وبينما
هو فى تلك الشده وقد بلغ ضره حده واذا برجل مقبل من الفلا وعلى
عاتقه عصا فقصده الذيب من قريب فلما رأى السلاح فر وله كلاح
فنزل الفلاح من الشجره وأزال الله تعالى همه وضرره وانما أوردت
هذا المثل لتعلم ان الله نعم المتكل فأخرج هذا الوسواس من القلب
والراس ولا تبك سلفا ولا تعجل تلفا ولا تخلع الحذاء ياذا الرياضه قبل
ان تصل الى المخاضه ولا تهتم لامر ما وقع فان ذلك من شر البدع فان
قصدنا بسوء فالله يكافيه ويكفينا بحوله وقوته فيه قال الدب ذو الضرر
هذا رأى القاصر فى النظر العاجز فى الفكر فاما ذو الفكر الثاقب
فلا يغفل عن العواقب فكل من قصر عن العواقب نظره ولم يسدد
فى الامور فكره فهو كمن تعلقت النار باهدابه والتهبت لاحراق ثيابه
وهو مشغول عن اطفائها متساهل فى كشف انبائها فلم يفق الا وقد نشبت
وأعضاؤه بالنار التهبت فماذا تفيده الافاقه وقد صار حراقه قال الجمل
ياأخى افق من محالك وعالج فساد تصورك وخيالك وانظر قوة جلدك
وكيفية حالك انا لحمى من صدقات الاسد نبت وحبه فى دمى وعظمى ثبت
كيف اجحد نعمه او اريق دمه وانا غرس صدقاته وبنيان نفقاته

ورفيق حضرته وعتيق منته مع اني لو نبذت عهده فقطعت ماقطعت
وعزمت على مناوشته ما استطعت اما وعيت في معاني ماروية
هي العنقاء تكبر ان تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب بفرخ الغراب أم تقتنص الذئاب بجرو الكلاب وتبغي بالقرود كسر الفهود أم بالسنانير تصيد الاسود ولا والله لا اقصده باذا ولا يطاوعني قلبي على ذلك ابدا ولو فعلت ذلك لسعيت في دماري وخراب دياري وجدعت انفي بكفي وبحثت عن حتفي بظلفي وجززت بيدي راسي وقطعت قدمي بفاسي وقلعت باصبعي مقلتي واستخفظت ملك الموت مهجتي ولصرت من أكبر المعتدين وافسدت ديني ودنياي والله لا يحب المفسدين فاطوعني هذا الكلام وارجع عن مفاوضتي بسلام ولا تشكك به جنانك ولا تحرك به لسانك وكان بالقرب منهما وكر فاره وقد سمعت ماجرى بينهما من عباره ووعت كلامهما ومادار بينهما من كل منهما فلما رأى الدب المريد ان كلامه للجمل لا يفيد امسك واحتشم واخذه في ذلك الندم ولكن حال من الجمل الحال واثر فيه هذا المقال واستولى عليه من الاوجال ما اداه الى الهزال وصيره من الانحلال كالخلال وذهب ما كان عليه من النشاط وداخله الهم والاختباط وصار كل يوم في انحطاط ولم يزل بين نضو ورازح ورازم ونازح فتعجب الاسد من حاله ولم يقف على سبب هزاله وكان عند الاسد غراب مقدم على الاصحاب هو وزيره ومعتمده وصاحب اخباره وعضده فعرض عليه حال الجمل وما شاهده منه من وجل وقال أنا عففت عن أكل اللحوم ورضيت من العيش بادنى الطعوم وهذا أمر قد عرف واستقر فما بال هذا الجمل لا يأخذه مقر فاريد ان تعرف حاله وتخبرني صدقه ومحاله فتوجه الغراب الى منزل الجمل وقد اخلص في القول والعمل وسأله عن حاله وموجب هزاله وانتحاله وما سبب هذا الرزوح والرزوم المودي الى النزوح فما احار جوابا ولا ذكر خطأ ولا صوابا فصار الغراب يرتقبه وحيث ما توجه يعتقبه ففي بعض الايام كان الغراب على بعض الآكام رأى الجمل قد أقبل الى الما ليطفئ بشربه سورة الظما فتخفى الغراب

واقتفى ظهره الى ان قاربه وكمن خلف صخره فسمعه يقول بعد ماشرب
وقد رأى السميكات فى اللعب لك الحمد يارب ما أرحمك وطوبى لكن
ياسمك لامن رئيس كن تخفن ولامن هيبته ترجفن لاملك يهولكن
ولاسلطان يغولكن ولكن البكاء على الجمل الذى ضاقت به الحيل قد
وقع فى دردور البلاء ولايهتدى الى طريق النجاء بل ولايدرى عاقبة أمره
المهول الى ماذا تؤول ألى الغرق والندامه أم الى النجاة والسلامه
ثم أخذ فى الانتحاب الى ان ابكى الغراب فلما رأى أبو القعقاع هذه
الاوضاع قضى من الامر العجاب مايشيب منه الغراب ثم توجه الى أسد
الشرى وعرض عليه ماجرى بتخبير المشترى فتشوش فكره وتشور
أمره وضاق بالهم صدره وقال أنا كففت عن الشر والشره وعففت
عن ذالك كان لم يرنى ولم أره وتركت القرم والاذى وفطمت نفسى
عن لذيذ الغذا ليأمننى أصحابى ويأنس بى أحبابى فاذا لم يستقر خاطرهم
ولم تطمئن على محبتى سرائرهم فاى فائدة لى فى الحياه وكيف اخلص فى حرم
المودّة من كدر العيش الى صفاه وكل ملك لاتصفو له رعيته ولاترسخ
فى قلوب جنده محبته كيف يثبت سلطانه أو يساعده عند الشدائد اعوانه
انا بذلت جهدى وطاقتى وتشبثت باذيال الصلاح على قدر استطاعتى
ولم يبق الا التضرع والاستكانة والتخشع الى مقلب القلوب وعلام
الغيوب ليكشف هذه الغمه ويصلح لى هذه الامه ويجلو عن جبين الحق
بهيم هذه الظلمه ثم تضرع الى عالم الاسرار ليطلعه على حقيقة هذه الاخبار
ثم أمر باجتماع جماعته المقيمين على محبته وطاعته وعرض عليهم هذه
الاحوال وطلب منهم استكشاف مافيها من الاهوال وقال اعلموا
انى امنتكم من مخافتى وبذلت لكم بدل عنفى لطافتى وقد حققتم
مرامى وصدقتم كلامى وعرفتم اخلاقى وشدى اعلاقى كل ذلك لتطيب
خواطركم وتصفو لى سرائركم ولم أفعل ذلك عجزا ولا خورا ولا تهاونا
ولا ضجرا وانا الآن آمركم بواحده هى اجل فائده ان لاتكتموا عنى
شيأ تكرهونه منى بل أوقفونى عليه وأرشدونى اليه ثم اجهدوا انى
امنعه عنى فان فيكم اجل محبوبى من اهدى الىّ عيوبى وقد قال سيد

الانام عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم ابلغه أفضل التحيات عنا من
غشنا فليس منا وانما أوردت هذا الكلام فى هذا المقام بحضور
الخواص والعوام على سبيل التحذير والاعلام والتنذير واقسم بالله
العلى الكبير اللطيف الخبير الذى منه المبدأ واليه المصير لم يكن فى خاطرى
من أحد حقد ولا حسد ولا هجس بخاطرى له ايذاء ولا نكد وها أنا قد
اخبرتكم وباطلاعى أمرتكم فلم يبق لى ذنب يستغفر منه ولا لكم
فى الاخفاء ما يعتذر عنه وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل بل يهب
للاعالى الاراذل فاذا فسد الراس تغيرت الناس فحل الباس ولقد قال
خالق البريه وباريها واذا أردنا ان نهلك قريه امرنا مترفيها ففسقوا فيها
فقام الحاضرون فى مقام العبوديه والولاء وبسطوا السنتهم بانواع الثناء
والدعاء ونادوا بكلمة واحده متفقة متأكده حاشا الله ما علمنا عليك من
سوء ولم تزل تطبب علل تقصيرنا وتأسو وتستر بذيل عفوك كل عار منا
وتكسو وكان هذا الكلام للاكابر وقد اجتمع البادى والحاضر
وابو حيد المفتن فيما بينهم حاضر فادرك بهذا العمل ان الاسد شعر بشئ
من جهة الجمل فاستدرك فارطه وسلك سبيل المغالطه ثم اختلى بالاسد
ولم يكن معهما أحد وقال كان مولانا الملك وقاه الله شر المنهمك احس
بشئ أوجب تقرير كلامه لطائفة جنده وخدامه وأنا عندى كلام
لم يطلع عليه أحد من الانام ولم ابده للملك بحضرة الجماعه لانه ربما
لا يقصد الملك به الاذاعه ولا يمكننى اخفاؤه وقد آن ابداؤه فاعلم أيها
الملك الهمام كفاك الله شر اللئام انه كما يستحقر العالم الجاهل كذلك
يزدرى الجاهل العاقل وذلك لقصور فهمه وعدم علمه ومهما أحاط
الخادم بمرتبة مخدومه وزاد علو قدره فى معلومه ازداد فى قلبه وجوارحه
مقدار تعظيمه واستقرت هيبته فى قلبه وروحه وصارت كؤوس خشيته
تنادمه فى غبوقه وصبوحه وقد قال رب الارض والسماء انما يخشى الله
من عباده العلماء وقول النبى عليه الصلاة والسلام انا اعرفكم بالله
واخشاكم لله اشارة الى هذا المقام وكلما ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم
قلت قيمته عنده وهذا أمر معلوم ثم اعلم يا ملكا اعظم ان الجمل الطويل

الامل

الامل قد اغتر بالملك حين كان فى ذرى امنه سدك واحسن اليه غاية الاحسان وصار فى عدم الوفاء كالانسان وحصل له من سورة غضبه الامان فجهل قدره وتعدى طوره وقد قيل

اذا انت أكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى

مضر كوضع السيف فى موضع الندا

وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل وحوصلة العصفور لا تسع لقمة الفيل وناهيك ما قد قيل فى الاقاويل عن حماقة كل طويل فلاجرم فسد دماغه حين حصل فراغه وتطاولت نفسه فى مسراها الى أشياء لا يمكن افشاها ولا يتفوه بها مسلم ولا يرضاها لان ذكرها قبيح والكناية ابلغ من التصريح فلما سمع الاسد هذا المقال علم ببديهة العقل انه زور ومحال ثم أرسل الى الغراب وذكر له هذا الخطاب ليميز خطاه من الصواب ويبين القشر من اللباب فلما أتى الغراب الى حضرته وجلا صورة هذا القول على مرآة فكرته قال له ضميرك المبارك فى حل هذا المشكل لا يشارك فانه حلال المشكلات موضح المعضلات وأما أنا فلا أسمع هذا الكلام ولا اقبل فى الجمل الملام فانى اعرف تواضعه ومسكنته وصبره وطاعته واخلاصه وقناعته وانه صادق فى محبته مخلص فى عبوديته واعرف ان خوفه من الملك غالب على رجائه وانه مع ذلك مقيم على سنن وفائه وعقود عهوده وصفائه ولو أراد الذهاب لذهب بسلام ولا فى وظيفته قيد ولا فى تيرته خطام ثم قال الغراب والغالب على ظن ذوى اللب ان هذه الفتن أصلها واصلاها الدب لانه قد تقرر وتحقق واتفق كل حكيم موفق انه اذا انقل ناقل محقق عن عاقل ابتدى بالاحسان اساءة فلا يصدق فالملك لا يبادر فى هذه القضيه حتى يتبصر الامر عن جليه وحاشاه ان يفرط فى خدمة المخلصين من غير ان يتدبر أمورهم بيقين ويختلى بعبده الجمل ويتحقق منه أصل هذا العمل بعد استجلاب خاطره وتطييب سرائره وضمائره فاستصوب الاسد هذا الفصل واختلى بالجمل ليقف منه

على هذا الاصل وسكن جاشه وازال بلطيف الكلام استيحاشه وشكر
فى خدمته مساعيه وطلب بملاطفته مراضيه ثم طلب من الجمل تفصيل
مابلغه من جمل واكد قوله بالايمان انه لو صدر منه تقصير ونقصان ولو
كان مهما كان فانه قد عفى عما هفا ولا يكدر من عيشه ما صفا ولا يمزق
رقيق حاشية وفائه بالجفا ولا يتقيد بهفواته ولا يطالبه ابدا بزلاته
فليطلعه على جلية الحال وليذكر ما وقع منه من أقوال وافعال فافتكر
الجمل فى معاهدته مع الدب وانه لا يفشى سر ذلك العديم اللب وكيف
ينقذه من غضا جمرة شب وقضا غمرة صب فقال ان قلت اضعت صاحبى
وان سكت قصرت فى جانبى ثم اختار كتم الاسرار وسلوك طريق الاحرار
والوفاء بالعقود وعدم نكث العهود وقال أسعد الله مولانا الذى
بوجوده أحيانا انى اتفكر فى عواقب الامور وانظر فى تقلبات
الدهور واخشى سطوات السلطان وأخاف من حوادث الزمان فلا ازال
من هذا الخيال فى انتحال وهزال الى ان صرت الى هذه الحال فان كان
هذا ذنبا يوجب العقوبه فان ازالته عن خاطرى فيها صعوبه وهذه اوهام
لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الاسد فهل اطلعت على
ما يوجب ذلك او يدل على الالقاء فى المهالك وتضييق المسالك من حركات
افعالى أو من فلتات أقوالى أو تقلبات أحوالى أو نقل اليك ناقل من
جاهل أو عاقل فافحم الجمل عن الجواب واطرق فلم ينطق بخطا أو صواب
فقال الغراب لا ينجيك الا الصدق وكشف استار الريب عن جبين الحق
وكان حاضر هذه النجوى خلد اعمى وهم عنه غافلون وعن
استماعه ذاهلون ففى الحال توجه الى الدب وقال صورة ماجرى بتخبير
المشترى فعلم الدب انه افتضح وأمره اتضح فنهض وما قعد ودخل على
الاسد فرأى الجمل مطرقا لا يملك منطقا فتصولجان اللسان وخطف
كرة البيان وسابق بالكلام خوفا من الملام وقال بلسان طلق كلام
فاجر مختلق اعلم أيها الطويل الابلم انك لو امسكت عن كلامك القبيح
فى وقتك الفسيح لكان أصوب وأحسن وأعجب لكن لما فهت بالعبر
واتيت باحدى الكبر وصادمت القضاء والقدر وخنت ولى نعمتك

وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك ازال الله سترك وابدى امرك وفضحك
وقبحك وبلجام الخزى كبحك لا جرم جرمك حبسك واثمك العظيم اخرسك
فابهت الضرغام من هذا الكلام وشاب الغراب من هذا الامر المشاب
ووقعوا فى الاضطراب والشك والارتياب واشتبه الخطا بالصواب
وقالوا ان هذا الشئ عجاب فقال الجمل للدب يا فقيد اللب يا قليل النصفه
وعديم المعرفه وأنحس افاك وانجس سفاك وابخس بتاك اتظننى
خائفا من كلامك وخطابك عاجزا عن ملامك وجوابك اما كفنى انى
قصدت ستر عوارك واطفاء نارك ومفتكر فى تلافى قضيتك واخماد لهيب
فتنتك واهماد شرار مصيبتك وعلى تقدير التسليم وانى فهت بالكبر
والامر العظيم اكنت معك منفردا أم رأيت بيننا أحدا فان كان بيننا
احد فاحضره الى حضرة الاسد فانى ارضى به وبما بين ولا دافع لى فيما
يشهد به ولا مطعن وان كنت أنت وحدك فما منعك عن نصح الملك وصدك
فانت اذا اما خائن واما مائن وهذا أمر محقق بائن ولولا ايمانى التى
ربطت بها لسانى لكنت اظهرت البرىء والجانى ولكن تحليفى الى الكتم
والسكوت الجانى وسيظهر الله الحق ويفصل وللباطل صولة ثم يضمحل
ووالله مالك مثل مع المسكين الجمل الا امرأة النجار لما اغلقت باب الدار
قال أبو الحرث الغضوب اخبرنا يا أبا أيوب كيف كان هذا الحديث
لنطلع على هذا الفعل الخبيث قال ذكر رواة الاخبار انه كان رجل نجار
له زوجة تخجل الاقمار وتكسف شمس النهار كانها الدنيا تخدع بملامح
صورتها وتصرع بروائح سيرتها فكانت كلما رقد زوجها وهو تعبان
انسابت الى الاخدان انسياب الثعبان فتقضى الليل بانشراح فى عناق
وشرب راح الى ان ينفجر الصباح ثم تنثنى عائده فلا يستيقظ الزوج الا
وهى عنده راقده ففطن فى بعض الاوقات لفعلها وراقب ليلة خيال ختلها
فتراقد فى الفراش وذهبت لطلب المعاش فنهض وراءها النجار واوصد
لما خرجت باب الدار واستمرت هى وصاحبها وزوجها مستيقظ يراقبها
فلما عادت راجعه وجدت الابواب مانعه فطرقت الباب من غير اكتراث
واكتئاب فناداها يا خائنه اذهبى حيث كنت كامنه فقالت استرهذه

الذنوب فانى من بعد اتوب فقال لها لا والله الرحمن حتى تفتضحى بين الجيران
فقالت الموت اهون من الفضيحه فاغفرلى هذه القبيحه وانا احلف
ياودود بالله الرب المعبود انى أتوب ولا أعود ثم الحت عليه وتضرعت
لديه فلم يفتح لها بابا ولارد عليها جوابا فقالت والله اللطيف الخبير ان لم
تفتح الباب لالقين نفسى فى هذا البير ولارمينك بقتيل بين الحقير والجليل
ثم عمدت الى حجر كبير وطرحته فى تلك البير ثم اختفت عند الباب لتنظر
مايبرزه القضاء من الحجاب فلما سمع زوجها خبطة الحجر تصور انها تلك البغى
فابتدر وفتح الباب والى نحو البئر طفر ولم يشك ان تلك البغى القت نفسها
فى الطوى فما وصل الى البير ذلك الرجل الغرير الاوقد دخلت وفى وسط
الدار حصلت ثم اوصدت الباب واستغاثت بالجيران والاصحاب
واحكمت الرتاج وأوقدت السراج وملأت الدنيا بالعياط واخذت
فى الهياط والمياط فاجتمع الجيران لينظروا ماهذا الشان فقالت هذا
الرجل الظلام يتركنى كل ليلة حتى انام ثم يتوجه الى الزوانى ويدعنى
اقاسى القلاق واعانى واتقلب فى ارقى واشجانى فاخذ الرجل يحلف
بالله ذى الجلال ويذكر للحاضرين حقيقة الحال فتارة يصدق واخرى
يكذب وهو بين مصدق منهم ومذبذب فلم يزالا فى عويل وصياح الى ان
ظهر تباشير الصباح فحضرا الى القاضى واختصما وشهد بعفة الرجل
الصلحاء والعلماء وأظهر الله الحق وثبت على المرأة الخيانة والفسق
ولولا ذلك لذهب البرى غلطا وانقلب صواب المحق الصادق خطا وانما
أوردت هذا المثل لتعلم أيها الملك البطل خيانة الدب وبراءة الجمل والرجل
اذا عجز عن فعل الشجعان يتشبث بحبائل الشيطان ويستعمل مكر
النسوان ونظير هذا الكياد ماوقع بين صادق دمشق وفاسق بغداد وهى
قضايا جليلة الابواب طويلة الذيول والاذناب قد دونت فى مجلدة
لايسعها هذا الكتاب ففكر الريبال فى هذه الاحوال ثم أمر بهما
الى الاعتقال وكان للملك سجان ذكى كنيته أبو الحصين واسمه ذكى
فتسلمهما واحتفظ بهما فلما استقرا فى قبضة الحبس واستقر أمرهما
تحت اذيال اللبس توجهت الفارة التى كانت سمعت سر مناجاتهما واطلعت

من اول الامر على حكاياتهما الى السجان وهما فى اضيق مكان وسالته عماذا آل اليه أمرهما من شان فاخبرها بحالهما وجهل عاقبة ما آلهما وانه ليس بعالم من المظلوم منهما والظالم فقالت الفاره أسألك ياذا الشطاره والذكاء والمهاره اذا ترجح لاحدهما الجانب وتبين الصادق والكاذب وتعين المرضى عنه والمغضوب عليه تطلعنى على ذلك لانظر اليه قال السجان للفاره لقد فهمت عنك بالاشاره وادركت من فحوى العباره ان لك اطلاعا على هذا الامر وفرقا جليا بين تمره والجمر فان كنت شممت من ذلك روائح فبادرى باداء تلك النصائح فان قولك مقبول ولك الفضل لا الفضول ولا تقصدى بهذا الارشاد الا مصلحة العباد وكشف الغمه وبراءة الذمه وردع الظالم وخلاص ذمة الحاكم قالت الفارة وانا لا اقصد الا اصلاح ذات البين وشمولها بعاطفة الملك بحيث يصيران كالمحبين ويرتفع النكد ويحصل رضا الاسد ويحسم الضرر والضير وتختم عاقبتهما بخير وأيضا فانى سمعت من العلماء وضبطت من نصائح الحكماء ومقالات ذوى الآراء انهم قالوا اياك والتكلم فى امور الملك ببيضاء او سوداء واين بنت الجرد من ملك الوحوش الاسد قال السجان لا تقولى ذلك ولا تستحقرى جدواك وما ترين فى فتواك ودونك القول الصادر من نظم الشاعر الماهر وهو

لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص
فالدر وهو اجل شئ يقتنى * ماحط قيمته هوان الغايص

وان النصيحة كالعسل والحق يصدع كالاسل فالعسل يعطى حلاوة ذوقه سواء كان فى صحاف الذهب اوفى زقه وقاصد الصواب والنصيحه ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحه يخاطر بنفسه وماله ويراقب مافيه حسن مآله وافضل المعروف اغاثة الملهوف سمعت فى المثل السائر افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وهذا الطور عند ملوك الجور فكيف وملكنا اعدل الحكام وناصر دين الاسلام متصف بمكارم الاخلاق والشيم ومعاملة الكبير والصغير بالمراحم والكرم فان كنت تدرين بجهة الانتفاع أولك على قضايا الدب والجمل اطلاع فقومى وانصحى

وقولى تفلحى كما فعل الوزير المنتخب مع كسرى فى حالة الغضب فسألت الفاره هذا المثل واخباره قال أبو الحسين السجان ذكر انه كان لانوشروان زوجة فاقت النسوان يخجل قدها الاغصان وخدها البدر حيث لا نقصان كان أبوها من السلاطين وملوك الاساطين وكان انو شروان قتل أباها واخاها واتخذها لنفسه واصطفاها وكان مشغوفا بحبها متخوفا من ضربها لئلا تتذكر قتيلها فيستولى طلب الثار عليها فلم يزل متحرزا من افعالها مراقبا تقلب أحوالها فاتفق انه كان جالسا معها على السرير وحولهما من الجوارى الحسان كل بدر منير وظبى غرير فتاقت نفسه اليها فمد يده ووضعها عليها فنظرت الى الجوارى فرأت أعينهن اليها ناظره فصارت بين طرفى الانقياد والامتناع حائره وكانت قد سمعت من أبيها مارأته من أقاربها وذويها معنى ماقيل

وانى لاستحيى من النرجس الذى * يراقبنا انى اقبل من اهوى

فخطر ببالها انه اذا استحيى من عيون النرجس وهى جامده فكيف لا استحيى من عيون انسان فى مراقبتنا غير راقده فغلبت عليها الحيره وان جدع الحلال انف الغيره فانكمشت من كسرى وزادها الحياء والهيبة انقباضا وكسرا فجذبها بقوته اليه فانفلتت منه لما استعصت عليه فوقع عن سريره العالى وعلا خلقه الثرى الغالى وتبسم بعض تلك الجوار من غير اختيار فاضطرب لما اضطرم فيه النار وتذكر ما كان توهمه من أخذ الثار وفار دم قلبه لما غار فدعا وزيره الكبير ودفع اليه ربة السرير وأمره بازهاق نفسها واسكانها فى رمسها من غير مراجعه ولا شفاعة ولا مدافعه فحملها الى منزله ووقع فى صعب الامر ومشكله ولم يربدا من امضاء مرسومه وامتثال أوامر مخدومه ثم تدبر فى المآل ونادته ربة الجمال مهلا أيها الوزير الناصح المشير ذو الرأى والتدبير هبنى انى اخطأت وعن مرضاة الملك ابطأت فما ذنب الذى فى بطنى المودع من الملك ولم يجنى فلا بأس انك تستشيره فانك ناصحه ومشيره وان كان لابد من قتلى واستقر الرأى على تبلى وبتلى فاستمهله الى ان اضع ثم تهلك الام وتبقى التبع فانه كان يعطى النذور والاموال ويطلب الولد فى ظلمات

الليال ويدعو بذلك ربه ذوالجلال فعرض الوزير على الملك ذلك فابى واستعمل فى ضروب ضربه احد عبارة وترفق فنبا فعرف ان اخلاقه ثائره وانه لابدان تطفأ تلك النائره فاذا برد قلبه وهمد كربه يطالبه بالفرع ان لم يطالب الاصل وبعد القطع لايمكن الوصل كما قيل

طوى الموت ما بينى و بين احبتى * وليس لما تطوى المنية ناشر

فرأى الوزير الرأى فى التأخير فأودعها عند الحريم وسلك فى الحزم الرأى القويم وجعل نفسه لها وقايه الى ان أخذت مدتها النهايه فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمرا قمرا فقام الوزير بتربيته واصلاح رضاعه واغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين مربى بالدلال مغذى بالكمال فكانه فيه قيل

جبين تحار الشمس من لمعاته * وقد يغار الغصن من حركاته

وخد تعالى الله لست مشبها * ولا مشركا اضداده فى صفاته

رمى مهجة المضنى باسهم لحظه * فنام عليلا وهو فى سكراته

فركب كسرى فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحجيج اذا نفر ووقع كسرى فى ناحية عن العسكر منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا ويذكران فى ذلك القاع ماقاله عدى بن الرقاع

تزجى اغن كان ابرة روقه * قلم اصاب من الدواة مدادها

فهجم عليهما ودنا اليهما فلما قصدهما تركا ولدهما ففوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت أمه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت للسهم دون ولدها واستقبلت نصل كبد القوس بكبدها فاراد اطلاق السهم من الكبد ليصيب به نحر أم الولد فاعترضه الفحل بصدره وتلقاه دون نحرها بنحره وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداهما بروحه وجسده فتذكر كسرى ولده وامه وضاعف حزنه عليهما همه وغمه وتذكر ماسلف منه فى حق زوجته وما عاملها به حين وقع من الغضب فى سورته وتامل ماقالته فى حق قرة مهجته وما جاب فى ذلك الى ان وردت الى المهالك وقال اذا كان هذا الحيوان الباغم المائق حمى

حقيقته برمحه كماة الحقائق فلم لم يفعل ذلك الحيوان الناطق ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يديه ورجع متفكرا وعلى مافرط منه متحسرا ودعا الوزير الناصح المجير والمستجير وذكر له ذلك النكد ومارآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظيته وتألم لمصاب فلذة كبدته فدعا له الوزير وقال الصبر نعم النصير كان قد سبق منى اشاره ولكن المفرط أولى بالخساره الصديق الصادق والرفيق الموافق يقول ما اصنع نصحت فلم يسمع والخبيث المنافق والحسود المماذق يقول اردت ان اقول ولكن تركت الفضول ولا حيلة للملك والوزير فيما جرى به قلم التقدير ثم دعا له وانصرف وعبى حملا من الهدايا والتحف والبس ابن الملك افخر ملبوس وجهزامه كما تجهز العروس واضاف الى ذلك من المراكيب الملوكيه والخدمات السلطانيه وأقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال ياملك الزمان أنارأيت هذا اليوم فى ذلك الاوان وعلمت ان الندم سيعم من الرأس الى القدم وهاقد قدمت اليك من التحف الدرمع الصدف والوردوالزهر والغصن والثمر والفرع والشجر والشمس والقمر متعك الله بهما ومتعهما بك وحرس من الاسواء منيع حرمك وجنابك فانجبر بذلك كسرى ونال بشرى ويسرى وطاب سيراومسرى وسر صدره وانشرح واغمى عليه من شدة الفرح وانشد

طفح السرور على حتى انه * من عظم ماقد سرنى ابكانى
ياعين قد صار البكا لك عادة * تبكين من فرح ومن احزان

ثم أمر ببساط السرور وجلس فى النشاط والحبور وأنشد

أهلا وسهلا بالتى * جادت على بهجتى
أهلا بها وبوصلها * من بعد طول الهجرة
ادر المدام وغننى * أهلا وسهلا بالتى

ثم افاض خلع الانعام والرضا والاكرام على الوزير وشكر له حسن التدبير وارتفعت عنده منزلته وتضاعفت فى الارتقاء مرتبته وانما أوردت هذه الامثال لتحذى على هذا المثال فان كان عندك مايزيل الشك والاغاليط ويحق الحق ويميز الاخاليط فان فى ابدائها منة عظيمه

ونعمة على الملك جسيمه ستبلغني بذلك العيش الهني وترقيني به الى المقام السمي السني وان اخرت النصيحه فقد شاركت الخائن في الافعال القبيحه قالت الفأرة ما أدق ما نظرت واحق ما اشرت لا تردد للعقل في صحة هذا النقل ولكن من انا في الرقعه ومن يقبل للفأرة حتى تطلب الرفعه فلا انا في العير ولا في النفير واني من مبدا أمري وطول عمري في زوايا الخمول اتحرز من فضلات الفضول لا لصحبة الملوك لي صورة جميله ولا في طريقة السلوك سيرة نبيله لا امينة ولا ثقه واصدق اسمائي الفويسقه فكيف اصير مصدقه وقد اباح سيد العرب والعجم معدن اللطف والكرم والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم صلى الله عليه وسلم قتلي في الحل والحرم فلو طلبت مصاحبة من فوقي لخرجت عن دائرة طوقي وصيرت نفسي ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين خصوصا ملك الاسود وسلطان الوحوش من النمور والفهود ورحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره ومن أعجب العجب ان يجنى من الشوك العنب ولو فعلت ذلك لكنت كقرد حالك ذميم هالك ادعى رياسة الممالك ومن أحسن الامثال ما يقال ان السلطان للانام بمنزلة الحمام البعيد عنه يطلب قربه والداخل فيه يشكو كربه فالا يليق بحالي ان لا اشغل بالي الخالي بما لا يليق بي ولا بامثالي وحيث أشرت علي باداء النصيحه وبيان الحالة الفاسدة من الصحيحه طلبا لمرضاة الملك وصونا لخاطره عن الامر المشتبه المشتبك والفكر المريب المرتبك فانا امتثل مرسومك وأودع ذلك معلومك بشرط ان لا تذكرني بشفه ولا تشير الى اسمي بنكرة ولا معرفه فعاهدها على ما اشترطت فمدت لسان القول وبسطت ثم ذكرت ما جرى بين الدب والجمل من فصول وقررت براءة ساحة الجمل بالمعقول والمنقول فلما اتضح لابي الحصين السجان نزاهة عرض الجمل وان الدب هو الذي اغراه على قصد الاسد وحمل وتحقق ذلك بالبرهان القاطع والدليل الساطع توجه الى حضرة الاسد واخبره بما صلح من الامر وما فسد وانه انما تأخر عن خدمة مخدومه ليصل الى ما في جيب الغيب من مكتومه فلما تحقق الليث ما في هذا الامر من صلاح وعيث ومن هو الصالح من الدب والجمل

والطالح أرسل الى الغراب وعرض عليه هذا الامر العجاب وطلب منه الارشاد الى هدم مابناه الدب من الايقاع وشاد فقال الرأى عندى ان تجمع العساكر وتنادى للبادى والحاضر ويحضر الدب والجمل ويعرض على الجميع هذا العمل فاذا ظهر الحق وانكشف سجاف الباطل عن جبين الصدق وتبين الظالم من المظلوم وتعين الصحيح من المثلوم يرى رأيك السعيد مايقتضيه ويسلك مايأمر به ويرتضيه ويجرى على كل منهما مايحكم بتنفيذه ويمضيه بحيث لاينتطح فى ذلك عنزان ولايختلف عليك فيه اثنان فلما كان ثانى يوم أمر الاسد بجمع القوم واحضار الجمل البرى والدب المفترى فحضر الكبير والصغير واجتمع الامير والوزير ثم علا الملك على السرير واثنى على الله العلى الكبير وصلى على البشير النذير الشاهد السراج المنير ثم ذكر مااهمه من هذه القضية المغمه وذكر فضل هذه الامه ومالها من رقة وجلاله وانها لاتجتمع على ضلاله ثم قال ماتقولون فى رفيقين شفيقين صديقين لم يكن بينهما سبب مكالحه ولاموجب منازعة ولامجالحه سوى المحبة المليحة والممالحه والمودّة الصافية الصالحه يبيتان فى فراش ويستعينان على حسن المعاش حسد أحدهما رفيقه وخان من غير سبب صديقه وسعى فى اراقة دمه وعدم وجوده بوجود عدمه فماذا يجب على هذا الحاسد المنافق فى عمله الفاسد الطالب ترويج باطله الكاسد وقصده ذلك البرى الصالح الغافل السرى والسعى به الى الحكام والقائهم بسببه فى الآثام وارتكاب هذه الجرائم وتحمل مثل هذه العظائم فأجاب الجمهور ان من أكبر الكبائر قول الاور وقد قال رب الكائنات ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم وان مرتكبه الاثيم استوجب العذاب الاليم ومن هو هذا الجرى الكذاب المفترى الذى يرتكب مثل هذه الامور الهائله والكبائر الوخيمة القاتله والعظائم المؤذية الغائله خصوصا فى مثل هذه الدولة العادله ولاى شئ يؤخر جزاؤه ولايحسم داؤه ولايضرب ولايشهر ولايؤمر بالمعروف فى هذا المنكر قال الاسد فاكتبوا ماقلتم محاضر وليعلم الغائب

الحاضر حتى اذا وقع الاتفاق بين الاصحاب والرفاق وارتفع فى ذلك النزاع والشقاق واجمع على ذلك العقل والسمع فعلنا فيه ما يقتضى السياسة والشرع فاتبعوا شروطهم وكتبوا بذلك خطوطهم فعند ذلك طلب الاسد أم راشد واقامها فى ذلك المحفل الحاشد واستنطقها بما تعلم واستشهدها على الدب بما اجرم فشهدت فى وجهه بما سمعت ورقمت بذلك خطها ووضعت وزكاها الحاضرون وشهد بعفتها وزهدها الناظرون واتفقت الكلمة من الكملة على صدقها وحقيقة نطقها فتهلل وجه الجمل بهذا القول والعمل وظهرت على صفحات وجه الدب العديم الدين واللب علامة الانكسار والفضيحة والخسار ولم يسعه الا انه اذعن واعترف ان لا دافع له فى الشاهد ولا مطعن وانه قد اجترم وطلب العفو والكرم فعند ذلك غضب الريبال ولم يبق للعفو مجال فزأر وزفر وغضب الغضنفر وهمر وزمجر وتطاير من اشداقه الزبد ومن عينيه الشرر ومن شمائل حركاته ممضيات القضاء والقدر ونعوذ بالله من غضب الملوك خصوصا على الفقير الصعلوك ومن احاطت به اوزاره وقلت اعوانه وفلت انصاره ثم أمر الاسد بالدب ان يلقى من البلاء فى جب وان السباع تحتوشه والضباع تنوشه ففى الحال من غير اهمال ولا توان ولا امهال نهشته الذئاب وافترسته الكلاب وتخاطفته النمور وتناتفته الببور والتقمته السباع والتهمته الضباع فقطعوه وبضعوه ووزعوه ومزعوه وخزقوه وحزقوه وخرقوه ومزقوه ولم يكتفوا بعظمه واهابه حتى لحسوا من دمه يابس ترابه وكان قد اشتد بهم القرم فاطفئوا بلحمه ودمه بعض الضرم وزال عن أبى أيوب الضر وارتفعت منزلة ذلك الحر وضاعف الله تعالى على براءة ساحته أنواع الحمد والشكر وفائدة هذا المثل الجارى بين الدب والجمل معرفة فضيلة الامانه ووخامة المكر والخيانه فان الله تعالى غير مضيع اهله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله كما قيل

لابناء هذا الدهر فى الغدر أسهم * وضرب خيانات وطعن مكيدة
وما للفتى منها طريق سلامة * سوى ترس تفويض لرب البرية

وكل امرئ رهن بنيته وفى * كفالة ماينوى ومافى العقيدة

وليكن هذا آخر باب الاسد الصالح والجمل الامين الناصح والعاقبة للمتقين والله الموفق والمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلائق أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الباب التاسع)

فى ذكر ملك الطير العقاب والجلتين الناجيتين من العقاب قال الشيخ ابو المحاسن من هو لثوب الفضل كاس ولكاس الظرف حاس وفى حدائق الادب ازكى آس ولاحداق الادباء اذكى آس وفى عيون الاعداء انكى آس فلما انهى الحكيم حسيب كلامه الذى استعبد درّ النسيب وذكر من النصائح والحكم عن ملوك العرب والترك والعجم ومن مباحث الجن والانس ماحصل للسامعين به النشاط والانس ثم استطرد الى فوائد البهائم والوحوش ورقم فى دار ضرب البلاغة من حسن الصياغة والرقوش ماقعدله من زواهر كلامه على سكة دينار الفصاحة أحسن النقوش وعقد بجواهر نظامه لمفرق العدل فى دار الملك اكليل العروش افتخر اخوه القيل بوجوده وقدمه على جميع خواصه وجنوده وافاض على حدائق آماله زلال احسانه وجوده وقال له يانديم الدير وعديم الضير وقديم المير ومديم الخير قد افدت حكم سائر الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير فابتهج الحكيم فى الساعه وانتهض ملبيا بالسمع والطاعه ثم انه قال ادام الله ذوالجلال ايام مولانا الامام وشمل بذيل رأفته الخاص والعام بلغنى انه كان فى ممالك اذربيجان جبل يسامى السماك فى السمو ويعالى الافلاك فى العلو غزير المياه والاشجار كثير النبات والثمار وفى ذيله شجرة قديمه منابتها كريمه أغصانها ممهدله وثمارها مسبله كما قيل

وفى اصلها وكر لزوج من الحجل * كان ربا رضوان البسها الحلل

هو وطنهما المألوف ومقرهما المعروف ورثاه من اسلافهما وهو فى الشتاء والصيف مرجع ايلافهما يدعى الذكر منهما النجدى والانثى غرغرة بنت

السعدى ولذلك الجبل جبل مقارن من جهة الشرق يسمى القارن لوقصد البدردوره أورفع رأسه لينظرسوره اويحل فيه شعاعه ونوره لوقع عن قة رأسه طرطوره فى قلته سرير عقاب منيع الجناب هوملك الطيور والجوارح وسلطان السوانح والبوارح وصافات تلك القلال وكواسر هاتيك الجبال كلها تحت أمره العادل العال متوج فوق راسه با كليل مايبرزه من مثال فكانت الجلتان كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران عزم أبو الهيثم الكاسر بما معه من عقابين كواسر وجوارح الطيور ومن تحت امره من الجمهور على التنزه والاصطياد فتحيط عساكره بتلك النواحى والبلاد فكانوا كلما وطئوا ربوة مهودها وسلكوا مابين اكنافها وبطونها ونهودها تصل طراشة العساكر الى الجبل الذى فيه وكرا الجل فتذهب افراخهما تحت السنابك وتضمحل تحت اقدام أولئك فتقع الجلتان فى النكد والاحزان وبالجهد والمشقة البالغه يخلصان هما من تلك الداهية الشالغه والنائبة الدامغه فلم يزالا فى نكد على فقد الولد فاتفكرتا فى بعض الايام وقد اثر فيهما هذا الايلام فيماهم فيه من النكد لفقد الولد المتجدد على طول الامد فقال النجدى لبنت السعدى قد كبرنا وضاع العمر وحزنا وقاربت شمس عمرنا للافول واقدام بقائنا ان تزل وتزول شعر

وليس لنا من يذكرالله بعدنا * اذا ما تشبثنا فى مخاليب فقدنا

ولا من يحيى نشر آثارنا اذاطوى الموت بساط اعمارنا وقد قضينا العمر فى الانكاد بفراق الاولاد ثم بعد الحياة ينمحى اسمنا ويندرس بالكلية رسمنا فلاحياة هنيه ولااخرى رضيه واى هنا مع فراق قرة العين خصوصا على وجه المذلة والشين ومالنا نظير فى هذا الدهر المبير الامن جمع المال من حله وغير حله وتركه بعد الكد البليغ والحرص الى غيراهله فيصير كما قيل

تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وانت دفين

ولا طاقة لنا فى دفع جيش العقاب ولا حيلة الى الخلاص من عقاب هذا العقاب فذهب اكثر العمر فى هذا الويل واشبهنا النائم على طريق السيل

وان غفلنا عن انفسنا ربما اجتاحونا وطرحونا الى مهلكة تدير علينا من العدم طاحونا فالرأى عندى ان نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لانرى فيه هذه المحن فانه لم يبق لنا طاقة على فراق الولد ولا قلب يحتمل هذا الحزن والنكد

ذاب قلبى بين دمع وضرم * فارحمونى انا من لحم ودم

وذا الان المرء يحيا بلا يد ورجل ولا تلقاه يحيا بلا كبد قالت لقد اعربت عما فى فكرى وشرحت ما كان يجول فى صدرى وهذه محنة قد اعيانى فى دائها الدواء وبلاء عمنا فكلنا فيه سواء

المرء يحيا بلا ساق ولا عضد * ولا يعيش بلا قلب ولا كبد

(بى مثل ما بك يا حمامة فاندبى) وقد قلت

ولم يعرف حرارة ما اعانى * سوى قلب كواه ما كوانى

وانا لم اخل قط فى وقت من هذا الفكر الذى اوجبه الهم والمقت واعلم ان سهام آراء العقلاء ونبال افكار ذوى النظر من الحكماء انما تصدر من قوس واحده وتتوجه الى غرض طريقته غير متعدده وقال العقلاء وأولو التجارب من الحكماء بل اطبق ارباب العقول وائمة الدين واصحاب الاصول ان قضايا العقل كلها صادقه وألسنتها فيما تحكمه بالصواب والاصالة ناطقه غير ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقليه اسوء التصور بالقضايا الوهميه فيقع الخطأ بواسطة الوهم فى الفهم وينسب الى العقل ذلك السهم والا فاتفاق العقلاء جميعا ان القضايا العقلية لا يقع فيها الخطأ قطعا وان قضايا الحس لوقوع الاشتباه واللبس يتصورانها حق ويقضى لها وعليها بالصدق واذا وقع الخطأ لحصول الاشتباه وعدم التأمل والانتباه فى القضايا الحسيه والقضايا التى هى بحاسة البصر مرئيه كما وقع ذلك فى حادثة الطريقة البغداديه فوقوع الخطا بالوهم اولى فى القضايا العقليه لان طرقها اخفى واحكامها معنويه فسأل الذكر عن تلك البغداديه وما هذا الخبر قالت كان فى مدينة السلام بغدان امرأة من المتخذات اخدان اسم زوجها زيد وهى ام عمرو وذات كيد لها عدة اخدان تدعو الكل بالاخوان وكل ينشد فى السر والاعلان قوله

دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن * اخاها ولم ارضع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد دعاه أمير البلاد الى الصيد فركب معه وسار وخلت منه الديار فتسامع بذلك بعض اخدانها فتوجه منهم طائفة الى مكانها فأول من سبق تاجر ذو شبق فدخل بثياب بيض وشاش رحيض وهيئة نظيفه وصورة ظريفه فاسرع فى الدخول ومعه ما يليق من المأكول فتلقته بالترحاب واخذا فى لذيذ الخطاب فما استقر به القرار حتى قرع باب الدار فظنته زوجها وحققته بوجهها فنهض خائفا وتحير راجفا وطلب مكانا يخفيه وكنا يأويه فلم يكن فى دارها مخبأة زوارها سوى طقيسى لطيفه يصعد اليها من سقيفه فارشدته اليها فرقى عليها وبادرت الى الاتحاف فاذا هو حريف صراف ففتحت الاغلاق وتعانقا تعانق المشتاق فدخل بهيئة زهرا بلباس أخضر وعمامة خضرا ومعه من الحلوى مجمع ومن الزجاج اربع فجلسا يتذاكران الحوادث اذ طرق الباب ثالث فقالت هبط اوجى وجاء زوجى فوثب فى رجفه كانه ورقة سعفه فسأل عن مخباه وستر يغشاه فارشدته ربة الكريسى الى طريق الطقيسى فصعد اللاحق ولحق السابق وبادرت الرتاج ربة التاج وام الازواج فاذا هو أحد الظرفاء وثالث الحرفاء رجل زيات ومعه مجمع سكرنبات فتلقته بالتكريم واجابته بالتسليم فدخل بثوب اصفر وشاش معصفر فشرعا فى الملاعبه والملاطفة والمداعبه فدق الباب رابع الاصحاب فبادر الزيات الفرار وطلب مختفي للقرار فدلته فى المفر الى المعهود المقر فصعد اليه ولحق بصاحبيه وتوجهت الى الباب فاذا هو أحد الاحباب وهو رجل قصاب وعليه ثياب سود وخفه المعهود وعلى رأسه مئزر ثمين وبيده خروف سمين فقالت أهلا وسهلا وارفع محلا بالحبيب النجيب والبعيد القريب فدخلا واشتغلا بالخطاب والتهيا عن رتاج الباب وكان فى تلك المحله شخص احدب ابله يدخل البيوت ويتمسخر فلا يمنع من ذلك ولا يزجر ويلاطفه الاكابر والاعيان ولا يحتجب منه النسوان فمر على باب زيد فرآه لا اغلاق ولا قيد فدخل على غفله ولم يستأذن اهله فلم يشعرا به الا بعد حلول ركابه فوجم

لرؤيته القصاب وخاف من حلول مصاب ونشوّر وانحرف فقالت له المرأة لاتخف انما هو ابله مسخرة فى المحله فأخذوا يتلاطفون ويتمازحون ويتظارفون الى ان قرب الليل وفات النيل فطرق الباب ووصل الزوج بلا ارتياب فلم يشعروا الا والبلاء قد أقبل ومصابهم الاعظم فى اكنافهم قد نزل فاختبطوا والتبطوا وانحلت قواهم وارتبطوا وطلب القصاب مخبا فأرته للطقيسى دربا وطلب الاحدب من شر زيد المهرب فكان فى أرض البيت تنور فنزل فيه وهو مضرور وغطته بغطائه وسترته ببعض وطائه واراب زيدا الفتح فى ابطائه ثم توجهت الى الباب وهى فى اضطراب فدخل زيد وهو سكران ومن تأخير فتح الباب غضبان وكان قد تناول مع مخدومه ولعبت بشيخ عقله بنت كرومه فلما نزل عن السرج رأى الزوجة فى هرج ومرج فانكر حالها وسألها مالها فقالت كرهت فقدك وخاطرى عندك فلاذقت بعدك ولاعشت بعدك فقال تكذبين اى دفار بل تسخرين بى اى فجار انما أنت فى حركه فلاطرح الله فيك بركه فقالت أنت مجنون وأى حركة عندى تكون فشرع فى حربها واستطرد من سبها الى ضربها وعزم على تفتيش البيت والاطلاع على مافيه من كيت وكيت فخشيت ان يخرج أمرها عن دائرة الستر الى لو كان وليت فتداركت التفريط قبل وقوعه وبادرت الى تلافى التلاف بالهيت فتشكت من الاذى وقد تناولها بالضرب والبذا ورفعت يدها الى الدعاء بالندا وقالت الهى وسيدى وسندى ومعتمدى ان كنت تعلم انى مظلومه وبراءة ساحتى عندك معلومه فانزل الى امتك ملكا من ملائكة رحمتك يخاصها من هذا الظلوم ويكشف ستر هذا السر الموهوم فبادر التاجر بالانتهاض ونزل بثيابه البياض ودخل عليه وقبض على اذنيه وصفعه على خديه وقال اتركها ياظالم فانك معتد آثم وهى بريه وشمائلها زكيه وضربه ضربتين ولكمه لكمتين ثم ام الباب وترك الاصحاب وشرع فى الذهاب فلما رأى هذا زيد عرف انه خديعة وكيد وقال يااخش الفواحش وانهش النواهش تريدين خدعى وسحرى وخذلى وخترى وتبغين بما تبغين ختلى ومكرى اولست بعريف انه لك

حويف ثم زاد فى سبها ومادالى كبها وضربها فقالت يا الهى وسيدى
وجاهى ان كنت تعلم ان هذا الاظلم انكر الحق ورآه وماصدق فانزل
عليه ملكا آخر ذا جناح أخضر يأخذ بحقى منه ويكشف سترك عنه
فقالوا الحرفاء وكانوا ظرفاء للصيرفى قم غير مختفى وشدد عليه واوصل
الالم اليه فنهض ذلك المعلم وبادر الى السلم ونزل اليه ودخل عليه
وقال اكفف ياذا العار عن عفيفة الاستار فانها بريه وعما تظنه
عريه ومديده بكمه وبالغ فى سبه وشتمه ثم خرج من الدار وبالغ
فى الفرار فقال ياللدربه من ذى القحبه الناس بواحد وأنت باثنين وقد
جعلت زوجك ذا القرنين ثم أخذ العصا وضربها ضرب من عصى فقالت
يا اله العالمين تعلم ان هذا من الظالمين امدنى بالملك الاصفر صاحب
الدرع والمغفر والثوب المعصفر يبرئ ساحتى ويهدى راحتى فانى
مظلومه وقصتى معلومه فقال الجزار للزيات قم ارنا الكرامات وقدم
صنعتك وهات فنهض الزيات ونزل الى ذلك المقيتات وقال أيها اللئيم
كف عن الحريم وارجع عن لوم البرى واقصر أيها المجترى المفترى
ثم تناوله بعصاه الى ان آلم قفاه ثم تركه فى الحركة وخرج هاربا وقصد
جانبا فقال زيد يا أوسخ القحاب واسخ ذوات السباب تعدين حرفائك
واحدا واحدا وتعرضينهم على صادرا وواردا ثم نهض بالعصا وتناولها
مغليا ومرخصا فمادت وآدت وبادت ونادت الهى هذا لم يعتبر
بملائكتك الكرام ولم ينزجر بهذا الضرم والايلام فامدنى بملك
النيران الزنجى الاسود الغضبان يخبره بصدقى ويأخذ منه حقى ويفعل
معه مايجب فان راجيك لم يخب فما عتم القصاب ان زمجر كرعد السحاب
وأخذ فى الاضطراب والاصطخاب واسرع فى السلم الانصباب فلما سمع
زيد العياط والخباط وزماجر الهياط والمياط بهت وأخذه الضراط
فدخل عليه فى بغثرة وغذمره وتزيا بصورة بشعة منكره وخطف من يده
العصا وضربه بها حتى شصا وقال اى انحس ذميم واتعس زنيم اما
زجرك ونهاك وكفك وكفاك من تقدم من الاملاك ايم الله لئن لم تتركها
وفى مالك ومنالك تشركها لندمرن ديارك ولنمحون آثارك ثم تركه

وذهب واودعه جمر اللهب فلما رأى الحال نسجت على هذا المنوال
استكان وطلب الامان ومعك عينيه وضم يديه ورجليه وجعل يتاوه
من الم الضراب وقال كان الدعاء فى هذه الساعة مستجاب ثم قال من شدة
كربه وحرقة قلبه الهى ومولاى كما استجبت دعاءها استجب دعاى وكما
انزلت من السماء لنصرها ملوكها فأخرج لها من الارض عفريتا ينيكها
وليكن ذلك بمرأى من عينى وامامى حتى يسكن قلبى ويبرد أوامى فما
صدق صاحب التنور حين سمع الدعاء المذكور والنداء المقبول المشكور
حتى طفر من مجثمه كالشواظ المسجور واقام امام لهوه المصاب واستعمل
من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب ورفع العمودين واولجه المحراب
ولازال ذلك الامام يتردد فى البيت الحرام وقد نال فى الحرم امنا حتى
رمى الجمرات وآمنى ثم قبل فاها وخرج مسرعا من ذراها وخلى الدار
تنعى من بناها ففتح زيد عينيه وحملق حواليه ثم قال يا اقذر القحاب
هكذا يكون الدعاء المستجاب وانما أوردت هذا الكلام والتمثيل لك
يا امام ليتبين لكل عالم همام وليتبصر أولوا العقل والافهام الفرق ما بين
قضايا الحس والعقل والاوهام وقد شبه العقل بجبل عال عزيز المنال
وكل من قصد الصعود اليه والارتقاء عليه لا يصعده الا من طريق واحده
منها يوصل منه الى الفائده وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء وذوى
الآراء والاذكياء فى العداوة والصداقه والكدرة والرياقه واللطافة
والكثافه والخوف والرجاء والابتداء والانتهاء انما هو من باب متحد
لا من طريق متعدد ولاجل هذا يا متبصر سلوك مثل هذه الطريق معهم
متيسر لا متعوج ولا متعسر ورأس خيط هذا الشموط بالاستقامة
والصلاح مضبوط بخلاف الجهال والخلعاء والحمقى والسفهاء فان امورهم
منفرطه وافكارهم وآراءهم غير منضبطه فتتكدر خواطر العقلاء
فى تعليمهم ويعيا طبيب الفكر فى تهذيب احمقهم وتأديب سفيههم وقيل

انى لآمن من عدو عاقل * واخاف خلا يعتريه جنون
والعقل فن واحد وطريقه * ادرى وارصد والجنون فنون

والهذا قيل معاداة العاقل خير من مصافات الجاهل ثم قالت غرغره

فى

فى اثناء هذه القرقره وأما ما ذكرت من البيان من مفارقة الاوطان وترك
هذا المكان اما سمعت حديث اشرف جنس الانسان ان حب الوطن من
الايمان وقد الفنا وطننا وحببه وقلع اصول محبته من قلوبنا صعبه
وهو فى معزل عن طرق الجوارح ومكمن عن السوانح والبوارح
وانما تعرض لاولادنا تلك الآفه من تراكم العساكر المصافه ومايحصل
من اقدامهامن كثافه وانا اخاف ان انتقلنا من هذا الوطن يخرج من
أيدينا هذا السكن ولا نحصل على مأوى يليق اولا توافقنا الغربة او يمنع
مانع فى الطريق فنقصد الربح فيذهب رأس المال فنخسر مافى ايدينا
فى الحال ولا يحصل المأمول فى الاستقبال وكيف وهو مسقط رأسنا
ومحل انسنا وانا سنا فالاولى بنا الرضا والانقياد لاوامر القضا وملازمة
الوطن القديم والسكون تحت تقدير العزيز العليم وقد قيل انما يشفى
العليل اذا ترك مشتهيات نفسه وقيد متمنياته فى قيد حبسه ولابد للمريد
من ترك المراد وللقانع من قطع النظر عن الازدياد والحرية فى رفض
الشهوات وكل ماهو آت آت وأما وقائع الاولاد وحصول الانكاد
ومايقع منها بسببهم فى كل اوان فنحسبها احدى مايحدث لنا من نوائب
الزمان ونحن بل كل المخلوقات عرضة للنوائب والآفات وطعمة
اسنان الك المقدور ونهبة لحوادث الدهور ولو انتقلنا عن وطننا وتحولنا
عن سكننا وبعدنا عن هذا الجانب ونزحنا عن الاهل والاقارب وجاورنا
الاباعد والاجانب لايطيب لنا مقام وتتكدر اوقاتنا على مر الايام
فلانزال بين تذكر الوطن المألوف وتحنن الى الصاحب المعروف فيسهل
عندهذه الانكال مفارقة الاطفال ثم اعلم أيها الصاحب الاعظم انه
لو تيسر لنا مع الانتقال انتظام الامور واستقامة الاحوال وحفظت
الاولاد وزالت الانكاد وصفا الوقت وزال المقت فان الخاطر
يشتغل ونار القلب بسببهم تشتعل فانه من حين وجود الولد يتقيد بتعهده
القلب والجسد وتصرف الهمة الى القيام بمصالح معاشه الى حين ترعرعه
وارتياشه ويزداد القلب تعلقا بمحبته ويتقيد الخاطر بالالتفات الى عمل
مصلحته ويتضاعف ذلك يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما فعاما فان نابه

والعياذ بالله نوع الم او اصابه ضر اوسقم التهبت عليه الجوارح وانقلبت الهموم على القلب والجوانح فان آل ذلك الى موت واستحال وجوده الى عدم وفوت فهو المصيبة العظمى والطامة الكبرى وان سلم من هذه العاهات وبلغ سن الادراك سالما من الآفات ونجا الى بر الشباب من بحر المخافات ازدادت كلفته وتضاعفت مؤنته وركب والداه فى ذلك كل صعب وذلول وذهبا من مسالك الكد والكدح فى كل عرض وطول وتحملا أنواع المشاق والاثام وارتكبا فيما اكتسبا اصنافا من الحلال والحرام وهذا اذا كان مطيعا ولاوامرهما منقادا سميعا وأما اذا ركب جموح العقوق ونسى ما لهما عليه من حقوق فهى مصيبة أخرى وداهية كبرى ويصير كما قيل

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وعلى كل تقدير وأنت بهذا خبير وبدقائقه عليم ان الاولاد بين الابوين وبين الاخرة سد عظيم ما يخلص مع الالتفات اليهم لله طاعه ولا على الانقطاع منهم الى طريق الاخرة استطاعه وناهيك يا ذا الذكاء والفطنه اخبار من انقذك من هذه المحنه انما أموالكم وأولادكم فتنه فاسمع هذا الكلام باذن التحقيق واسلك فى سبر معانيه اوضح طريق وحقق يا ذا الارشاد ان وجود الاولاد عند ذوى البصيرة من النقاد نقد مزيف ومتاع مزخرف وسم تحت حلوى وسرور فوق بلوى وعارية مردوده بعد أوقات معدوده وايام محدوده بل لعبة من خشب مموهة بالذهب وطلاء من نضار على كوب من فخار وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد وكان الاطفال الصغار الغافلين عن دقائق الاسرار اذا نظروا الى اللعبة المزينه والخشبيات المصبغة المستحسنه التهوا بها عن اكتساب الآداب وملازمة العلماء والمشايخ والكتاب فيبلغون وهم جاهلون وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون ويشيبون وهم احداث ويتصورون انهم طاهرون وهم اخباث كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره والتهت بامور الدنيا من المال والولد سرائره وضمائره وحرم من الاطلاع على

دقائق الملك والملكوت وفاته لذات الوقوف على دقائق الرغبوت والرهبوت فهو عن الله تعالى محجوب وفى عساكر الاموات وان كان حيا محسوب كما قيل

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله * واجسادهم دون القبور قبور
وان امرءا لم يحى بالعلم قلبه * فليس له حتى النشور نشور

قال الله تعالى وكلمته العليا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهذا صريح بالشهادة على مانقلته وجلوت صدأ قلبك بتقريره وصقلته فلا تكونن لاه ولا تعلقن قلبك بغير الله قولا واعتقادا وعملا فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا واجهد يا حبيب فى اصلاح قلبك الكليم واصغ لما قاله الحكيم الحليم متحرزا من نكاية العذاب الاليم عاملا بما يرضى السميع العليم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم واذا علمت هذا وحققته وحررته وصدقته فاعلم ان الاولى بحالنا والاحسن للنظر فى مآلنا ان نعد ما نحن فيه من جملة النعم وان هذا الذى قسم لنا من القسم فى القدم ولا ننقل عن اثر الرضا والتسليم قدما عن قدم وننظر ما يتولد من حوادث الزمان ولا نرخى فى ميدان الطمع العنان ونعرض على جامح الخاطر ما قال الشاعر

كم نار بادية شبت لغير قرى * على بقاع وكم نور بلا ثمر
هون عليك امورا أنت تنكرها * فالدهر يأتى بأنواع من العبر

قال النجدى جميع هذا المقول صادر من موارد المعقول موافق لما ورد به المنقول لقد غصت فى بحر الفطنه على جواهر الحكمه فما تركت فى ميدان المسائل مقالا لقائل ولا مجالا لجائل ولكن لا ينبغى للعاقل ان يغفل عن حوادث الدهر ولا يسند ظهره لكواذب العصر فان طوارق الآفات وخوارق العادات ومحن الزمان وفتن الدوران محتجبة ورا استار ومستورة فى أنواع اطوار والفلك الدوار له فى علم الادوار لعبيات ابكار يبرزها للنظار فتلعب بالافكار ويذهب فى سنا برق مخارقها ابصار الابصار ويخطئ فى حركاتها الرأى المصيب ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب وقد بادت الفكر وعجزت القوى والقدر وحارت عقول البشر

دون ادراك ما يبرزه كل وقت من الصور من وراء ستر الغيب مستعد القضاء والقدر ولم يعهد من الدهر الخؤون والزمان الحرون اذا استقام اوقزل اوجد اوهزل اوامر بنازل فنزل اوولى اوعزل أو اقبل اواعتزل أو نقض اوغزل ان يرسل قبل ذلك منذرا اومبصرا أو محذرا ليستيقظ النائم اوينهض الجاثم أو يتحرك القائم وانما يحطم بغتته ويهجم فى سكنته ويأخذ على بهتته فلا يفلت منه فلته ولا يمهل الى لحظة ولا لافته وقد قيل

يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تركنن لليل طاب اوله * فرب اخر ليل اوقد النارا

وعلى هذا الوقع مناغفلة اوذهول عند قدوم هذا الجيش المهول فاختزم والعياذ بالله واحدامنا ونحن أحسن ما نكون سكونا وامنا فكيف ترين يبقى حال الاخر وهل يصير الا كما قال الشاعر

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

واذا بقى احدنا منفردا وانعزل متوحدا ماذا يفيده الوطن والجيران والسكن وهل تفى لذة وصال التى سنه بالم فراق تلك الساعة الخشنه كما قيل

ان كان فراقنا على التحقيق * هذه كبدى احق بالتمزيق
لودام لنا الوصال الفى سنة * ما كان يفى بساعة التفريق

وقال أيضا

لا كان فى الدهر يوم لا اراك به * ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وكل من لم يفتكر فى العواقب قبل حلولها ويتأمل فى تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها ويطمئن الى سكون الزمان ويسند ظهره الى مسند الحدثان ويحيل الكوائن على القضاء والقدر ويرفع يد التدبير عن تعاطى اسباب الحذر كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغه وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغه فأنى يستقيم محمله أو يبلغ منزله فلا يزال حمله مائلا وخطبه هائلا فالعاقل يسعى فيما ينفع نفسه ويبذل فى ذلك غاية جهده ووسعه ولا يترك الطلب ولا يغفل عن السبب ويعمل بموجب ما قيل

فلا

فلا وأبيك لا أدع احتياطي * ومالي في قضاء الله حيله

وعلى كل حال يا ربة الجمال تعاطي الاسباب لا يقدح في الاتكال وناهيك يا مليحة العمل حكاية الحمار مع الجمل فسألت غرغره ان يبين ذلك ويذكره قال بلغني انه ترافق في المسير عير مع بعير فكان الحمار كثير العثار مع ان عينيه تراقب مواطئ رجليه وكان الجمل على عظم هامته وعلو قامته وبعد عينيه عن مواطئ يديه ورجليه لا تزل له قدم ولا يصل اليه الم فقال الحمار للبعير أيها الرفيق الكبير ما بالي في المسير كثير التعثير دائم الوقوع والزلل والعثار والخطل لا اخلو من جريد يحمى مني الحافر او عثرة ترميني في حفرة حافر مع ان عيني تراقب يدي ولا تنظر سواهما الى شيء وأنت لا تنظر مواطئ اخفافك ولا تعرف على ماذا تقع رؤس اطرافك لا حجر يصيب خفك ولا شوكة تخرق كفك ولا جورة تقع فيها ولا تحتل عن طريق تمشيها ولا أدري هذا مماذا قال أبو صابر يا أخي نظرك قاصر وفكرك غير باصر لا تراقب ما بين يديك ولا تنظر ما امامك اللأم عليك فاذا دهمك ما دهاك عجز عنه نهاك فلا تشعر الا وقد وقعت وانخرق ما رقعت فلا يمكنك التدارك والتلاف الا وأنت رهين التلاف وأما أنا فأراقب ما يصير من العواقب وانظر امامي الطريق على بعد فاميز المسلوك من قبل ومن بعد فلا اصل الى صعب الا وقد ذللته ولا الى وعر الا وقد سهلته ولا الى وهدة الا وقد عرفت طريقها ولا الى عقبة الا وقد كشفت واسعها ومضيقها فاستعد للامر قبل نزوله واتاهب للخطب قبل حلوله واحتال لقطعه قبل وصوله واحله قبل ان يعقد واقيمه دون ان يقعد وهذه قاعدة للفقهاء وأصل كبير للحكماء من العلماء انهم قالوا ان الدفع أهون من الرفع ومن كلام الالباء واصول حذاق الاطباء قوله

الطب حفظ صحة برؤ مرض * من سبب في بدن اذا عرض

وانما أوردت هذا المثل عن الحمار والجمل لتعلمي يا ست الجمل انه لا بد لنا من أخذ الاهبه قبل النكبه فما كل مره تسلم الجره وقد قرب وقت وضع البيض وبعده يدهمنا من سيل العسكر الفيض فلابد من اعمال

الفكر المصيب في وجه الخلاص من هذا الامر العصيب كما قيل

(مهد لنفسك قبل النوم مضطجعا)

قالت غرغره الحكيمة المدبره جميع هذه الاخبار لاتخلو عن دقيق الانظار وتحقيق مصيب الافكار وغامض معاني الاسرار وكل عاقل يقبله ويقبل يديه و يمتثله ويقبل عليه وكل فكر مصيب يجثو للاقتباس بين يديه ولكن طلاب الاغراض الدنيويه والمسارعون الى نيل المرادات والامنيه على فرق شتى وانا افصلها حتما حتى منهم من يبلغ الامال بقوة الجند وبذل الاموال ومنهم من يساعده الدهر و يعاضده معاون العصر و ينهض له مسعد التقدير فيقوم معه كل كبير وصغير كما قيل

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيقيض له المساعد ويعضده المقارب والمباعد فلا يحتاج الى كبير سعي ولا في استماع النصيحة ونفعها الى وعي بل يصل الى قصده بدون كده وبغير جهده وجده فمهما فعل انجح ومهما قصد افلح وحيثما توجه اربح واينما مال اربح ومنهم من يحتاج الى جهد جهيد وسعي مديد وكد طويل عريض وجد عريض غير غريض مع مساعد ناصح ومعاون صالح وتعاطي اسباب وقرع أبواب وفكر دقيق ومسعد رفيق حتى يبلغ مراده ويصل الى ما أراده ومنهم من تغلب عليه العجلة والطمع وشدة الحرص والهلع فيسارع الى نيل ما يرومه فيلقيه في هوة الحرمان حرصه وشومه فيقع من التعب والنصب في هوه ويحرم لكونه اعتمد على ماله من حول وقوه فيصير كما قيل

الحرص فوتني دهري فوائده * فكلما زدت حرصا زاد تفويتا

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل ويرجو ويترقب ويتساهل فيحرم مقصده ويرد بعجزه عن مراده يده وقد قيل في المثل تزوج التواني بنت الكسل فاولد الزوجان الفقر والحرمان فانظر ياذا الركون والوقار والسكون نحن من أى هذه الفرق نكون وأنت تعلم انا لانقدر على مقاومة العقاب ولا ان ندفع عن أنفسنا ما ينزل بنا من عقاب فانه اذا طار العقاب يبلغ الثريا والسحاب ونحن اذا تحركنا في الهوا فلا نقدر ان نرتفع عن وجه الثرى

وقد

وقد قيل فى المثل كما ترى اين الثريا من الثرى وقيل من تعلق بخصم هو اقوى منه فقد سعى فى هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على رأسه بيده وكنت يا بدرى انشدتك من شعرى

ومن يتشبث فى العداوة كفه * باكبر منه فهو لاشك هالك

وكان مثله مثل النملة الخفيفه التى نبتت لها اجنحة ضعيفه فتحركها دواعى الطيران فتتصور انها صارت كالنسور والعقبان فبمجرد ماترتفع عن الثرى الى الهوا التقمها عصفور أوخطفها اصغر الطيور ولهذا قيل

اذا ما أراد الله اهلاك نملة * اطال جناحيها فسيقت الى العطب

ونحن مالنا اطلاع على مكامن الغيب فنزه نفسك عن هواجس الريب وليس لنا مساعد من الاقارب والاباعد ولا لنا مال ولا خيل ولا رجال ونحن اقل من ان يساعدنا زمان أو يعيننا على العقاب اعوان فلم يبق الا الركون والاتكال على حركات السكون فما ندرى غدا ماذا يكون واعلم ان حركاتنا مع العقاب والجامع لنا معه من الاسباب متحدة فى الحقيقه وطريقتنا معه من جنس ماله من طريقه وهى الطيريه وكلنا فيها سويه وهو منها كاعجاز القران من الفصاحة فى الطرف الاعلى ونحن منها كاصوات الحيوان فى الطرف الادنى فالاولى بحالنا الاصطبار الى ان يصل لكسرنا من عالم الغيب انجبار كما قيل

مهلا ابا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق

زوجت نعمى لم تكن كفوها * اذنها الله بتطليق

وقيل

الامر يحدث بعده الامر * والعسر مقترن به اليسر

وحلاوة الصبيان من عسل * تلهى وان حلاوتى الصبر

والصبر يعقب بعده شكر * من نعمة تأتيك أو اجر

فقال الذكر هذه الفكر من الصواب قريب وسهمها عند اولى البصائر والتجارب مصيب ولكن من يتكفل بوفاء العمر الغدار والايصال الى الاوطار ويقوم بالامن من حوادث الليل والنهار وانسيت انشادى فى الوادى يازين النادى وجمال الحاضر والبادى

لئن بادرت فى تسليم روحى * اتانى من ورائى من يعوق
وان اسرعت نحو الوصل عذرا * فعمرى من وراظهرى يسوق

ثم قال النجدى والرأى السديد عندى والذى اعيده فيه وابدى ان نتوجه الى حضرة العقاب ونكشف عن وجه مرادنا لديه النقاب ونطلب منه الامان من عوادى الدهر ونكبات الزمان ونستظل بجناح عاطفته وننتظم فى سلك جماعته وخدمته فانه ملك الطيور وبيده ازمة الجهور وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر وشيمته سفك الدماء والتمزيق بمخالبه النواسر لكنه ملك عالى الهمه ومن شيم الملوك الشفقة والرحمه ولا تقتضى همته العاليه الا الشفقة الوافيه خصوصا على من يرتمى لديه ويتمى اليه ولا تدعه شيمته الابيه وهمته العالية الحميه وشمائله الشهمة الملوكيه ان يتعرض الينا بضرر أو ان يطير الينا منه شرر قالت غرغره بعد الاستغراب فى الكركره العجب كل العجب من رأيك المنتخب انك تخلط منه الغث بالسمين وتسوق فيه الهجان مع الهجين فتارة تصيب حدقة الغرض واخرى تصرف السهم عرض فتصير كما قيل

تلونت حتى لست ادرى من الهوى * اريح جنوب انت أم ريح شمأل

هذه المصائب التى نشكوها والنوائب التى نقرأ سورها ونتلوها هل هى غير ما نقاسيه من العذاب ونعانيه من اليم العقاب فى لحظة من ملاقاة عسكر العقاب ثم انك أنت تحركت فى أرائك وسكنت وشرقت فى افكارك وغربت وتباعدت وتقربت وارتفعت وحططت وامتنعت وسقطت وجلت وجت وتعددت وقت ثم أسفر رأيك السديد وفكرك الرشيد وأمرك السعيد عن ان تجرنا بسلاسل الحديد الى العذاب الشديد ونخلد نافسه الدهر المديد ولا والله بل تريد ان نمشى بارجلنا الى الشبكه ونلقى بايدينا أنفسنا الى التهلكه وقد اشبهت فى هذه الحركه مالك الحزين والسمكه فقال النجدى لابنة السعدى اريحى وغنى

(شكوى الجريح الى العقبان والرخم)

فقالت له أزل الغصه بقص هذه القصه فقال كان فى بعض المروج من قرى سروج نهر كثير الحيتان شديد الجريان وفى مكان منه مصون

مأوى الممالك الحزين البلشون فكان يتصرف فى السمك تصرف الممالك فيما ملك قضى فى ذلك عمره وزجى اوقاته فى طيب عيش وسره الى ان أدركه المشيب ورحل عنه العمر القشيب وكساه خياط الدهر دلق ومن نعمره ننكسه فى الخلق ورأى من الكبر أصناف العبر الى ان ضعفت قوته عن الاصطياد وجرى عليه من الآلام والانكاد ومن نوائب الدهر ما الزمان به معتاد فصار يمر عليه برهة من الاوقات وهو عاجز عن تحصيل الاقوات فتوجه فى بعض الاحيان وقد علته كآبة الاحزان ووقف على النهر متفكرا فى تصرفات الدهر فمرت به سمكة لطيفة الحركة فرأته فى ذل الانكسار سابحا فى بحر الافتكار لا قدرة له ولا حركة ولا نهضة لاختطاف السمكة فلم يلتفت اليها ولا عول عليها وقد اوطأته الحوادث اقدام الهموم الكوارث وبدل ربيع شبابه بخريف الهرم وحرارة حربه ببرودة السلم فوقفت لديه وسلمت عليه وسألته عن موجب تفكره وسبب تحزنه وتحيره فقال تفكرت ما مضى من الزمان الناضر وما تقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر وقد تبدل وجوده بالعدم ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم وقد وهنت العظام واستولى على الجسد السقام وتزلزلت اركان الاعضاء وتراكمت فنون الادواء واشتعل الشيب واتقد وحر الآلام وقد

عزمت على اخلاء جسمى روحه * من خرق شيب كل عنه الراقع
قلت اسكنيه يا عمارة عمره * قالت فكيف وبيت جسمك واقع

ثم قال ولم افق من هذه السكره ولا وقعت فى هذه الفكره الا وسفينة العمر بالساحل قد ارست واصيل شمس العيش على قلة الفناء امست فما امكننى الا التلافى بالتوبة والندم قبل حلول نوائب الاجل وزلة القدم والتطهر من جناية المظالم بمياه الاستعبار والالتجاء الى جانب الحق بالالطاف فى الاستغفار وغسل اوساخ الذنوب والمظالم بدموع الانابة والاعتذار

وما اقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب للرأس شامل

فاعلمى ان جامح هواى قلع ضرس الآمال والطمع وجارح متمناى نزع خوافى الشره والهلع وقد قدمت الى هذا المكان لا تحال من الاسماك

والحيتان فانى طالما اغرت على عشائرهم وأولادهم وخضت فى دماء قلوبهم واكبادهم وشتت شملهم وخوفت جلهم وقلهم وارعبتهم وارهبتهم واقلقتهم وفرقتهم وغربتهم وبالدماء شرقتهم فرأيت براءة الذمة فى الاولى أولى والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى احرى فلعل احمال الذنوب تخف وسحائب الغفران تكف فلما سمعت السمكة هذه الخديعه ووعت مافيها من حركة بديعه تشربتها اضلاعها ودعاها انخداعها الى ان قالت فما ترى أيها العبد الصالح أن اتعاطاه من المصالح فقال أبلغى السمك هذا الكلام بعد ابلاغ التحية والسلام وان يكون القوم من بعد اليوم آمنين من سطواتى سالمين من حملاتى ساكنين الى حركاتى بحيث تنجلى الظلما ويعود بيننا الحرب سلما وينام السمك فى الما قالت لابد من أخذ العهود على الوفاء بهذه العقود واقلها المصافحه على المصالحه ثم تأكيد الايمان بخالق الانس والجان ولكن كيف اصافيك وانا طعمتك وأنى اتخلص من فيك اذا وضعت فيه لقمتك قال اهاأ رمى هذا العلف واربطى به حنكى لتأمنى التلف فاخذت قبضة من الحشيش وفتلت والى ربط فكه أقبلت فعندما مد منقاره الى الماء وقربت منه السمكة العمياء لم يفتر ان اقتلعها ثم ابتلعها وانما أوردت هذه اللطيفه ياذا الحركات الظريفه لتعلم ان قربنا من العقاب التى بنا أنفسنا الى أليم العقاب واين عزب عنك نهاك حتى تسعى بنا الى عين الهلاك ونحن قوت العقاب وغذاؤه ولداء جوعه شفاؤه ودواؤه وهل يركن الى العقاب ويؤمن منه ضرب الرقاب وقد قيل

انفاسه كذب وحشو ضميره * دغل وقربته سقام الروح

وقد قيل

انهاك انهاك لا الوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر

قال النجدى اسلى ياقرينة الخير واعلمى ان الربيع وقت الربيع تكسو اكناف الاشجار من أنواع الازهار ووجه الصحارى والقفار من أنوار الانوار مايدهش البصائر ويروق الابصار وينعش الاجسام ويشفى الاسقام ويبرد الغليل ويبرئ العليل لاسيما وقت السحر ونسيم الصبا

فى

فى ضوء القمر يربى القلب والروح ويحيى الصب المجروح وكذلك
المعرفات النشر واللواقح والمعطرات بطيب الروائح ودونك قول الحق فى
كلمته ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وفى المصيف
الحرور العسيف ولسموم العصيف المذيب المذيف وفى الشتاء وأيام
الخريف الصرصر المخيف يصفر اللون ويغير السكون ويعرى الاشجار
ويسقط الثمار ويثير الغبار وربما كانت اعصارا فيه نار وتسقم
الصحيح وتطير الهشيم فى الريح ومنها الاعجاز الموحشات والايام النحسات
والقواصف والعواصف والحواصب والخراجف والصرصر والنكباء
والزعزع والرخاء وقد قال فيها العزيز العليم فارسلنا عليهم الريح العقيم
ماتذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم ثم اعلمى ياربة الجمال وفتنة
الرجال ان النار تحرق من يقربها وتذهب مايصحبها وتنشف الطراوه
وتشوه الطلاوه وتلتقم ماتجده وتلتهمه وتزدرده وتسود بدخانها وتؤلم
الاجساد بقربانها وتمحو الاثار وتهدم الديار مع انها تنضج الاطعمه
وتصلح الاغذيه وتهدى النور وتدفى المقرور وترشد الضلال فى القفار
ورؤس الجبال قال من يقول للشئ كن فيكون افرأيتم النار التى تورون
االنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
وكذلك الما ياذات الثغر الالمى يذهب الظما ويجلب النما ويبرد
الصدور ويطفى الحرور وينبت الزروع ويدر الضروع ويحمل
المراكب ومافيها من مركوب وراكب قال القادر على كل شى وجعلنا
من الماء كل شئ حى واذا طفت المياه والعياذ بالله اغرقت المراكب
وخطفت الراجل والراكب واقتلعت الاشجار واقتطعت الاحجار
واتلفت الزروع والثمار وان تراكمت الامطار قطعت سبل الاقطار
وهدمت الديار وردمت الآبار وسل عن ذلك ملابس الاسفار ومجالس
الرتب من أهل الامصار واذا تكاثف الرش غرقت مصر واذى أهلها
العطش ونعوذ بالله من هجوم السيل فى ظلام الليل وكذلك التراب
يازين الاحباب ينبت الحصرم والعنب والتمر والحطب والشوك والرطب
ويشرع سنان الشوك المحدد وغصون السهم المسدد ويربى الورد

والازهار والرياحين والانوار والاقوات والثمار والرياض النضره والغياض الخضره ثم اذا ثار وهاج الغبار خرج من تحت الحوافر فاعمى النواظر ففيه الحلو والمر والزوان والبر والناعم والخشن والقبيح والحسن والارض مهاد وفراش وفيها أسباب المعاش وهذه المضرة والمنفعه مركبة فى هذه العناصر الاربعه التى هى أصل الكائنات وسنخ ما نشاهده من المخلوقات واذا كان ذلك كذلك وقاك الله شر المهالك وأوضح لك أوضح المسالك فاعلمى بالتحقيق ياصاحبة الثغر العقيق ان هذا الملك الاعظم بل كل أولاد بنى آدم مركبون من الرضا والغضب والحلم والصخب والرفع والحط والقبض والبسط والقهر واللطف والظرافة والعنف والخشونة واللين والتحريك والتسكين والبخل والسخاء والشدة والرخاء والوفاء والجفاء والكدورة والصفاء واعلمى يانعم العون وقرينة الصون ان هذا الكون سروره فى شروره مندمج وورده فى صدوره مندرج وصفاؤه مع كدره مزدوج وجفاؤه بوفائه ممتزج فيمكن ان العقاب لكونه ملك ما لك الرقاب مع وجود هيبته القاهره وسطوته الباهره وخلقه الشرس الصعب الشكس اذا رأى ضعفنا وذلنا وانكسارنا وقلنا وترامينا اليه وتعولنا عليه يضمنا الى جناح عاطفته ويسبل علينا خوافى مرحمته ويعاملنا بالالطاف ويسمح لنا بالاسعاف دون الاعساف ويعمل بموجب ما قيل

لكل كريم عادة يستعدها * وانت لكل المكرمات امام

والقادر على الكسر والجبر لاسيما اذا كان من ذوى النباهة والقدر لا يعامل ذوى الكسر بالكسر لانا فى مقام الابناء وهو فى مقام الابوه والتقوى على الضعيف ضعف فى القوه وقالوا المصغر لا يصغر وسجدة السهو لا تكرر قالت غرغره ذات التبصره هذا وان كان داخلا فى حيز الامكان لكن اخاف ياذا الالطاف انا بمجرد الوقوف بين يديه فى الصفوف لانمهل لاداء الكلام ولا للثبات فى المقام بل نعامل بالتمزيق والتخريق ونصير بعد فى الطريق وتهوى بنا خواطف الطير فى مكان سحيق فيفوتنا هذا المطلب اذ قيل الطبع اغلب وهذا اذا وصلنا اليه وتمثلنا

بين يديه واما اذا اعترضنا دونه عارض وجرحنا من جوارح الطير معارض ولا حول يحمينا ولا قوة تنجينا فينتف ريشنا كل باغ ويتجاذب لحمنا كل طاغ فيصير مثلنا مثل الغمس والزاغ فسأل اليعقوب تلك الرقوب كيف هذا المثل اخبريني ياست الحجل قالت كان فى بعض البساتين العاطره والرياض الناضره ماوى زاغ ظريف حسن الشكل لطيف فى رأس شجرة عاليه أغصانها ساميه وقطوفها دانيه فاتفق لغمس من الغموس فى وكره ضرر وبوس فانزعج عن وطنه واحتاج الى مفارقة سكنه فقاده الزمان الى هذا المكان فراقه منظره وشاقه نوره وزهره واعجبه ظله وثمره وأطربه بخرير نهره فعزم على السكنى فيه وتوطن الى ان يتوطن فى نواحيه اذ رآه أحسن منزل واذا اعشبت فانزل ووقع اختيار ذلك الطاغ على وكر فى اصل شجرة الزاغ فسوى له وكرا وحفره فى أصل تلك الشجره وألقى عصا التسيار واستقرت به هنالك الدار فلما رأى الزاغ هذه الحال داخله الهم والاوجال وخشى ان يتدرج من ادناها ويتدحرج الى أعلاها وينشد الاصحاب فى هذا الباب

ولما مضى الشوق * الى نحو ابى طوق
تدحرجت ولكن * من تحت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم ويذيقه العذاب الاليم فليس له خلاص من هذا الاقتناص الا مفارقة الوطن والانزعاج بالتحول عن السكن وكيف يفارق ذلك النعيم ويسمح بالبعد عن الوطن القديم وهو كما قيل

بلاد بها نيطت على تمايمى * واول ارض مس جلدى ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه ولم يطاوعه على فراقه لشدة حبه ثم اعتراه فى ذلك الوسواس وأخذ يضرب اخماسا لاسداس فى وجه الخلاص من هذا الباس فرأى المدافعة أولى والممانعة عن جوارحه لخاطره اجلى ثم افتكر فى كيفية المدافعه وسلوك طريق الممانعه فلم ير اوفق من المصانعه وتعاطى أسباب المخادعه ليقف بذلك اولا على حقيقة أمره ويعرف معيار خيره وشره ويصل الى مقدار قوته وضعفه ورصانة عقله وفهمه وسخفه ويسبر حالتى غضبه ورضاه ويدرك غور أحواله ومنتهاه

ثم يبنى على ذلك اساس دفعه وهدم مابينيه من قلعته لقلعه فهبط الى النمس من الهواء وحفظ شيأ وغابت عنه اشياء وسلم عليه سلام المحب على الحبيب وجلس منه بمكان قريب وخاطبه خطاب ناصح لامريب وابتهج بجواره واستأنس بقرب داره وذكر له انه كان وحيدا وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا وقد حصل له الانس بمجاورة النمس وانه صدق من قال فى هذا المقال

انفراد المرء خير * من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ وماطغى بصر بصيرته عن مكايده ومازاغ ثم افتكر فى نفسه ونظر فى مرآة حدسه فرأى ان هذا الطير بخبث السيرة مشهور وبسوء السريرة مذكور لا اصله زكى ولا فرعه على ولا غائلته مأمونه ولا صحبته ميمونه ولا خير عنده ولا مير بل يخشى منه الضرر والضير وكانه فيه قيل

وهو غراب البين فى شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

ولم يكن بيننا وبينه قط علاقه ولا واسطة محبة ولا صداقه وأما العداوة فانها مستحكمه وكل منا للاخر ماكلة ومطعمه ولا اشك انه انما قصد طريقة سوء ومكيدة نكد فان اضعت فيه الفرصه اطلت الغصه ووقعت من الندامة فى قصة وحصه ولا يفيدنى اذ ذاك الندم أنى وقد فات المطلوب وزلت القدم

واحزم الحزم سوء الظن بالناس

فالذى يقتضيه الحزم والرأى السديد والعزم القبض عليه الى ان يظهر ماالديه ثم وثب من مربضه وأنشب فى الزاغ مخاليب مقبضه وقبضه قبضة اعمى لا كالقابض على الما فلما رأى الزاغ هذا النكد وانه قد صار كالفريسة فى مخاليب الاسد ناداه يا كريم الخير ويا أيها الجار الحليم عن الضير انا رغبت فى مصادقتك وجئتك محبا فى موافقتك ومرافقتك وأردت ازالة وحشتك ومؤانستك بابعاد دهشتك وحاشاك ان تخيب ظنى فيك وتعامل بالجفاء من يوافيك وأنشده

وحاشاك ان تمشى بوجهك معرضا
وما يحسن الاعراض عن وجهك الحسن
والكرام لايعاملون الجلساء الابالمؤانسة وحسن الوفاء والابقاء على خير وأبعد من الضير واناقدصرت جليسك وجارك وأنيسك وقدقيل
وكنت جليس قعقاع بن شور * ولايشقى لقعقاع جليس
مع انه لم يسبق منى سبب عداوه ولا مايوجب هذه الفظاظة والقساوه وهذه اول نظره فماموجب هذه البدره وماسبب هذه النفره قال النمس أيها الزاغ الكثير الرواغ والنحس باغ والنجس طاغ اسمك ناطق انك منافق وهو خبر صادق اذ هو فى الخارج للواقع مطابق ورؤيتك شاهده انك تنقض المعاهده وعين منظرك دل على مخبرك وقدقيل
والعين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أم من اعاديها
من اين بيننا صداقه ومتى كان بين النموس والزاغ علاقه وكيف تنعقد بيننا صحابه وانى يتصل لنا مودة أوقرابه بين لى كيفية هذا السبب ومن اين هذا الاخاء والنسب أماانت فلى طعمه وأماانا فلحمى لسدا غذائك لحمه يسوئنى مايسرك وينفعنى مايضرك
الله يعلم انالانحبكم * ولانلومكم ان لاتحبونا
أناواقف على مافى ضميرك وعالم بسوء فكرك وتدبيرك قداطلعت منك على الهواجس كما اطلع ذلك الماشى على مافى خاطر ذلك الفارس قال الزاغ بين لى بلاجدل كيف هو هذا المثل قال النمس ذكر رواة الاخبار ونقلة الآثار انه ترافق فى بعض السباسب راجل وراكب وكان مع الراجل من البضائع رزمه وقد جعلها كارة وحزمها اوثق حزمه وقداعياه حملها حتى اعجزه نقلها فقال للراكب أيها الرفيق الصاحب لوساعدتنى ساعه بحمل هذه البضاعه لكنت ارحتنى ونفست عنى وشرحتنى
كذى الجهد يحمل اثقاله * قوى العظام حمول الكلف
قال الفارس لا اكل فرسى ولااتعب نفسى ونفسى فان مركوبى لم يقطع البارحة عليقه وانا خائف ان لايقطع بى طريقه واذا خفت تخلفنى فى سيرى فانى اتكلف حمل اثقال غيرى فبيناهمافى هذا الكلام اذلاح أرنب

فى بعض الاكام فاطلق العنان وراء الارنب وذهب وراءها كرأى
الزنادقة كل مذهب فوجد فرسه قويه النهضه سريعة الركضه فرأى
انه اضاع حزمه فى عدم أخذ الزمه وماضره لو أخذها وساق وذهب
الى بعض الآفاق وأقام بها اوده وانتفع بها وولده وترك الماشى بلاشى
ثم رجع بهذه النية الضارّه ليحمل عن الماشى الكاره وقال له اعطنى هذا
الحمل المتعب لاريحك من حمله فى هذا المذهب وابلع ريقك واقطع
طريقك فقال له قد علمت بتلك النيه وما اضمرت من بليه فاتركنى
بحالى فلى حاجة بمالى ثم ان النمس كسر الزاغ وحصل له بأكله الفراغ
وانما أوردت هذا المثال لتعلم يا فحل الرجال ان العقاب لايؤمن
ولا يقطع فيه بالظن الحسن ولايركن الى خطفة بوارقه بمخاليب صواقعه
وصواعقه ولا الى غوائله وبوائقه وهذا ان سلمت شقة حياتنا من تشقيق
غواشيه وتخلص بردوجودنا من تمزيق حواشيه وان بينك وبين هذا
المراد خرط القتاد والموانع التى هى دون سعاد فما الوصول الى ملك الطير
قريب التناول فى السير ولاسهل الماخذ ولاسريع المنفذ واين الجل
من العقاب ذاك فى نعائم النعيم وهذا فى عقاب العقاب فتدبر عاقبة هذا
الامر وتأمّل فى الفرق بين التمر والجمر والظاهر عندى وماادّى اليه
فكرى وجهدى ان عاقبة هذه الامور ليس الا القطوع والقصور
دون الوصول الى الملك فى القصور قال الذكر لقد كررت عليك مرارا
واسندت الى سمعك انشاء واخبارا ان علوّهمة هذا الملك وفضله الخالى
عن شرك وكرم نجاره وأمن خادمه وجاره وفيض احسانه وبسط كرمه
وامتنانه وانتشار صيت حشمته واشتهار رأفته ورحمته لايقتضى حرمان
من قصده وأمّ جنابه واعتمده ولجا الى جناح عاطفته وتشبث بذيل
ملاطفته وحاشاه ان يصم مصون همته بابتذال دناءه ويشوه جمال وفائه
لمن ترقق له بنكتة جفاء تخيب رجاءه خصوصا اذا رأى منى خضوع
العبوديه والقيام بمراسيم الخدمات الادبيه والمقام بمراكز مراضيه
والوقوف عند كل مايحبه ويرضيه فانى بحمد الله تعالى أعرف مداخل
الامور ومخارجها وعندى الاستعداد الكامل لصعود معارجها وأعلم

طرق

طرق المجاز الى حقائقها وسلوك دروبها وطرائقها فالاولى ان نقتصر
عن المحاوره ونكتفى بهذه المساورة فى المشاوره ونتوكل على مقلب القلوب
ونتوجه نحو هذا المطلوب بعزم شديد وحزم سديد فان تيسر لى ملاقاة
حضرته والتمثل فى مراكز خدمته وحصلت لى مشاهدته واتفقت
مخاطبته ومعاهدته انشات خطبة تدفع الخطوب وتجمع القلوب وتؤلف
بين المحب والمحبوب وارجوأن تكون نافعه لمصالح الدين والدنيا جامعه
فان كلامى فى مقامى كما قيل فى المثل

فاوجز لكنه لايخل * واطنب لكنه لايمل

وآخر الامر سلمت غرغرة زمام انقيادها اليه وعولت فى عمل المصالح عليه
ثم قالت له عش واسلم وتيقن واعلم انك اذا قصدت خدمة الملوك واردت
فى طريق مصاحبتهم السلوك فانك محتاج فى ذلك المنهاج الى نور وسراج
يهديك الى صفات جميله وتلبس بخصائل نبيله تتحلى بجمالها وتتعلى
بكمالها وتتجلى فى شمائل جلالها الاولى أن تقدم فى جميع مصادرك
ومواردك مراد الملك على جميع مقاصدك الثانية أن تتلقى اموره بالتعظيم
وتقيم اوامره بالاحترام والتفخيم الثالثة تحسن أقواله وتزين افعاله
بوجه لايتطرق اليه تشويه ولايحتاج فيه الى تنبيه الرابعة تجتهد فى صيانة
عرضك عن الخنا واياك ان تقول فى حضرته انا فتقع فى العنا الخامسة
ان تعد على الدوام ومرور الايام خدماتك الوافره وحقوقك المتكاثره
عن حقوق نعمه قاصره السادسة اذا وقعت منك زله فلا تعد بها جمع
القله بل اطلب لتلك الهفوه فى الحال محوه واقصد مراحمه وعفوه فان
الذنوب اذا تراكمت وتجمعت وتزاحمت اشبهت المزبلة المدمنه وفاحت
روائحها المنتنه والانسان غير معصوم والادمى بالخطا موسوم السابعة
احفظ وجهك فى حضرته عن التقطيب وكلامك ان يفوح منه غير الطيب
الثامنة اياك ومصادقة اعدائه ومعاداة اوليائه التاسعة كلما زادك رفعة
وتقريبا مل الى التواضع واعظامه تصويبا العاشرة لاتدخر عنه نصيحه
وانصحه فى الخلوة لئلا يؤدى الى الفضيحه واذا اقامك فى امر ولو انه
المشى على الجمر لاتطلب منه اجرا ولاتعد لذلك ذكرا فان الطمع يورث

العقوق والمن يسود وجه الحقوق واعلم ان حضرة الملوك عظيمه ومجالسهم جسيمه تنزه عن الكذب والغيبة والنميمه والاقوال الوخيمه والافعال الذميمه واياك ان تتعدى القواعد الكسرويه وتتخطى القوانين السلطانيه فان اعظمها كان ان يعرف كل انسان تقصير نفسه فى خدمة مخدومه و يعترف له من احسانه بعمومه ويقيم واجب همة ملكه ومقام مرسومه قال النجدى اخبريني يادعدى وحظى وسعدى وابنة السعدى ومزينة القواعد بشئ من تلك القواعد قالت من القواعد الكسرويه الدائرة بين البريه ماوضعها بعض الملوك وحمل رعيته فيها على السلوك وكان مشهورا بالعدل والاحسان مذكورا باقامة البرهان متصفا بالصفات الحميده مكتنفا بالشمائل السعيده من الدين والعفه وعدم الطيش والخفه بعقل راجح الكفه والعلم الوافر والحلم العاطر وذلك انه فى بعض الايام أمر ان يجمع الخواص والعوام مابين أمير ووزير وكبير وصغير وغنى وفقير وجليل وحقير وعالم وجاهل ومفضول وفاضل ومذكور وخامل وناظر وعامل وحال وعاطل وحاكم وقاض وساخط وراض وجندى وتبع واخرق وصنع ووضيع وشريف ولطيف وكثيف وثقيل وخفيف وقريب وبعيد ومقبول وطريد وشقى وسعيد وسوقة وتاجر وسفيه وفاجر ودان وقاص وطائع وعاص وصالح وطالح وضاحك وكالح ومصيب ومخطى ومسرع ومبطى وصياد وملاح وسياح وسباح وبلدى وفلاح ومسلك وسالك ومملوك ومالك بحيث لايتخلف عن الحضور أحد ولايعجزى فى التقاعد والدعن ولد ثم مهد لهم فى روض اريض ومرج طويل عريض تصفق مياه انهاره طربا وتتناغى باطيب الالحان فصحاء اطياره الخطبا وتتراقص بزهر الوقت اغصان اشجاره ويلتذ بفواكه الجنان جانى ثماره فهو كما قيل

يلتذ جانيه بانم مقطف * منه وساكنه باكرم معطف
والورق بين محلق فى جوه * طربا ومنحط عليه مرفرف

وأمر بفرش ذلك المكان بالفرش الحسان من الديباج والحرير وأطلق

مجامر الند والعبير وبين لكل مقاما معلوما ومجلسا مقسوما واحل كلا منهم محله واسبغ عليهم ذيل احسانه وظله ثم أمر بأنواع الاطعمة المفتخره وأصناف الملاذ الطيبة العطره فاحضرت فى أوانى الفضة والنضار ووضعت بين يدى اوئلك الحضار بحيث عمت الجميع ووسعت الشريف والوضيع وجلس الملك فى مجلس السلطنه واكتنفه من العساكر الميسرة والميمنه وأخذ كل مكانه ورتب اصحابه واعوانه ثم أقام عليهم أرباب الديوان وادخل جميعهم فى دفاتر الحسبان وأمر مناديا ينادى ان يرفع بصوته الندا فى ذلك الجمع بحيث شمله من الجميع النظر والسمع يا أهل هذا المكان برز مرسوم السلطان أن كل من هو فى مرتبه من مرضاة او معتبه لا يلاحظ من فوقه ولو انه اميرا وسوقه بل يلاحظ حال من هو دونه فائزة كانت منزلته او مغبونه فان ذلك اجمع للقلوب وادعى للشكر المطلوب واجلب للرضا بحوادث القضا فان من رأى نفسه فى مقام ونظر غيره فى ادنى من ذلك المقام استقام وكانت عنده منزلته عليه وعد لنفسه على غيره مزيه فتوطنت نفسه على الرضا واستقبلت بالشكر وارد القضا مثال ذلك الرئيس النازل فى الصدر اذا رأى من هو دونه فى القدر لم يشك فى ان محله محل البدر وباقى الرؤساء كالنجوم فلا يأخذه لذلك وجوم وقد قال الحى القيوم فى ذكر كلامه المنظوم وما منا الا له مقام معلوم وكذلك النائب بالنسبة الى الحاجب والدوادار بالنسبة الى البزدار والخزندار بالنسبة الى جابى الدراهم والدينار والمهتار بالنظر الى السايس والبرقدار وكذلك السايس بالنسبة الى الحارس وكاتب السر المرتفع بالنسبة الى المدبر والموقع والزمام بالنظر الى سائر الخدام وأيضا القاضى مع الفقيه والفقيه مع التاجر النبيه والتاجر مع السوقى السفيه والغنى والامير بالنسبة الى المأمور والفقير وعلى هذا القياس أوضاع جميع الناس من أرباب الصنائع وجلاب البضائع وأهل المدن والقرى وذوى البيع والشرا والوهد والذرى واولى الوضاعة والشرف من أنواع المكتسبات والحرف الى ان ينزلوا فى المراتب ويتدرجوا من اليفاع الى الحضيض فى المناصب ويتعاونوا

فى المناصب والمناقب ويصل قدرهم ونظرهم فى ذلك الى كل ذى فعل سيئ حالك كارباب العظائم وأصحاب الذنوب والجرائم فينظر المعتوب حاله بالنسبة الى المضروب والمشتوم حاله بالقياس الى حال المكلوم والصحيح بالنسبة الى حال الجريح ويلاحظ مضروب العصى حال المسلوخ بالمقارع ومضروب المقارع أحوال مقطوع الاكارع وكذلك المقطوع بالنسبة الى مصلوب الجذوع والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن والاعرج بالنسبة الى المقعد الزمن وكذلك العوران بالنظر الى مصاب العميان وليتأمل الناظر ماقاله فى ذلك الشاعر

سمعت اعمى مرة قائلا * ياقوم مااصعب فقد البصر

أجابه اعور من خلفه * عندى من ذلك نصف الخبر

ولكن هذه القواعد مستمرة العوائد بين الصادر والوارد ليعلم ان مصائب قوم عند قوم فوائد فاستمرت هذه القوانين مستعمله غير منسية ولا مهمله من زمان ذلك السلطان الى هذا الزمان وانظر أيها الفضيل الى معنى ماقيل فى هذا القبيل وهو

على كل حال ينبغى الشكر للفتى * فكم من شرور عن سرور تجلت

وكم نقمة عند القياس بغيرها * ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة

وانما أوردت هذه الامثال واطلت النفس فى بيان هذه الاحوال لتأخذ منها حظك وتكررها فيها اودعته حفظك وتجرى بها ليلا ونهارا لفظك حتى تصلح لمنادمة الملك ولا يعلق بذيل مكانتك من الحساد مرتبك وترضى بأى مقام أقامك فيه وتعلم انه اعلا مقام ترتضيه حيث هو لك يرتضيه وتجعل مورد لسانك ومقعد جنانك فى طلبك رضاه ما كنت انشدتك اياه من قديم الزمان وانا عليه الآن وهو

واعلى مقاماتى واسنى وظائفى * واحسن اسمائى الذى انت ترضاه

فقال الذكر ما أحسن عقد هذه الدرر لقد افصحت وزينت بما بينت فجزاك الله خيرا وكفاك ضيرا فحقيق على ان اقتدى بآثارك واهتدى بانوارك فما ارجح ميزانك واغزر حسنك واحسانك لقد جمعت بين فصاحة النقل ورجاحة العقل ومزجت روح الحصافه ببدن

الظرافه وجلوت صورة النصيحة فى خلعة اللطافه ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب وقصدا حضرة ملك الطير العقاب فواصلا السير بالسرى واستبدلا السهر بالكرى ولم يزالا فى سير مجد وطلب مكد بين الادلاج والدلجة مقارن حتى وصلا الى جبل قارن وكان عند العقاب احد المقربين من الحجاب يؤيؤ نقى الجرجؤ تقى البؤبؤ أحسن منظرا من اللؤلؤ صورته مسعوده وسيرته محموده وهو بين اوائل الطير مشكور الاحوال مشهور الخبر وفيه من المعرفة والدين والعقل الرصين والرأى المتين ما يصلح ان يكون به مقتدى السلاطين وعنده من الوقوف على دقائق الامور ما فاق به الجمهور وساد به على سائر الطيور وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر فترك النجدى بنت السعدى فى مكان وقصد اليؤيؤ ليعرض عليه ماله من شان فوصل الى جنابه واتى بيت مقصده من بابه حتى دخل عليه وقبل يديه وتمثل لديه فتوجه اليؤيؤ اليه وأشار بتقريبه منه وازال دواعى الوحشة عنه واقبل عليه بكليته وزاد فى اكرامه وتحيته وسأله عن محتده وجرثومه وما سبب تجشمه فى قدومه ومن اين حل ركابه وما قصده وطلابه فانشده بديها ولم يقل ايها مفصحا معلنا مستعينا مضمنا

لقد قص ريشى الدهر عن كل مطلب * والهمنى سعدى بانك رائش
ففى سمرى مذ كهجرك مفرط * وفى قصتى طول كصدك فاحش

ثم قال اعلم أيها الرئيس المحتشم النفيس ان مولدى فى جبل من جبال اذربيجان فى مكان يضاهى الجنان ويباهى روضة رضوان انزه من عنصر الشباب وافكه من معاقرة الاتراب وارفه من منادمة الاحباب على رقيق الشراب نشأت فيه مع قرينه جميلة أمينه فقضيت فيه غض العمر وزجيت فيه بض الدهر قانعا بما تيسر من الرزق فارغا عما فى ايدى الخلق متمسكا بذيل العزله اعد الانفراد نعمة جزله مكررا درس ثلاثة تجمم النفس القرينة الصالحة والجار المؤانس والكفاف من القوت ومما كنت انشدت وفى مبدء أمرى ارشدت

وحسب الفتى قوت وخل وزوجة * ليرتاح فى الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنت من الدهر على هذا اقتصرت ومن لذيذ العيش على القناعة اختصرت
ولكن كان مأوانا ومصيفنا ومشتانا محل الحوادث وممر العوائث والعوابث
ومعبر المصائب الصيد ومورد المواطئ عمرو وزيد فكنا كلما ولد لنا
مولود وتجدد لنا ما البهجة والابتهاج عهود حصل للعين قره وللروح مسره
نقول هذا يبقى ذكرنا بعدنا ويحيى آثارنا عند حلولنا لحدنا فلم يكن أسرع
من هجوم خاطف او هبوب ريح نكبة عاصف يخطفه من بيننا ويجذبه
من قلبنا وعيننا فان سلم من تلك المكايد وتخلص من سهم المصائب والمصايد
حطمته عساكر الملك المنصوره وملأت الاقطار الجنود الموفوره فلا يخلو
منهم مكان قدم الا وقد غص بمواطئ تلك الامم فتذهب مناقرة العين
وتدهك غلطا تحت الرجلين وهذا هو البلاء الطام والمصاب العام ولابد
منه فى كل عام فكانه أيها النبيه النبيل فى شأننا قد قيل

ايا ابن آدم لايغررك عافية * عليك شاملة فالعمر ممدود
ما أنت الا كزرع عند خضرته * بكل شئ من الآفات مقصود
فان سلمت من الافات اجمعها * فانت عند كمال الامر محصود

فضاق منا لهذا العطن فلم ار اوفق من مفارقة السكن والمهاجرة من
الوطن فعرضت على القرينة هذه الحال واشرت عليها بالارتحال وقلت
لها المرء من حيث يوجد لا من حيث يولد فابت وكبت وشاقت فى ذلك
ونبت فلازلنا نتحاور ونتشاور ويرمى كل منا سهم رايه اذ يساور حتى
لانت اخلاقها الصعبه بعد ان ثلت ما فى الجعبه ثم اعطت القوس باريها
وسلمت الدار بانيها وادركت من ملامح مقاصدى معانيها وسمعت بالانتقال
من تلك البلاد وسلمت الى يد تدبيرى زمام الانقياد فرحلنا من شقة بعيده
وقاسينا شدة شديده وقصدنا هذا الحرم اذ رأيناه مشتملا على اللطف
والكرم وقطعنا شبالك مصائد وخلصنا من أشراك كل صائد وفطمنا
انفسنا عن حبات الطمع وتجرعنا من كاسات الجزع واقداح الفزع
جرعا بعد جرع فوصلنا بحمد الله الى جنابك الامين وبشرنا مبشر الاقبال
انك لكل خير ضمين فحمدنا عند صباح الفلاح السرى وانشد نا لسان
السعد مبشرا

وجدت من الدنيا كريما اؤمته * لدفع ملم اولنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمه لكن تعارف ارواحنا له قدمه مع ان كرم ذاتك الجميله وما جبلت عليه من صفات نبيله يغنى قاصد صدقاتك عن واسطة ووسيله ووالله انى لواثق بان ظنى بوفاء مكارمك صادق فأسأل احسانك باذا الخير ايصالى الى خدمة ملك الطير وان كانت رفعة مكانه فى العيوق ودون الوصول اليه بيض الانوق لكن بواسطة الوسيله يحصل هذا الشرف والفضيله ولازالت الرؤساء والاكابر يأخذون بيد الضعفاء والاصاغر ولرأيك العلو والشرف والسمو والعطف والحنو فاهتز البوم لهذا الكلام وارتاح وظهر فى وجهه تباشير المسرة والارتياح وانشد

قدمت بانواع المسرة والهنا * على خير منزول واين طائر

فاهلا وسهلا ثم أهلا ومرحبا * وبشرى ويسرى بالعلا والبشائر

اعلم ان قدومك قدوم صدق ومرافقتك سبب الرفق ورؤيتك فتح باب الفتوح وروايتك غذا القلب وراحة الروح ابشر بكل ماتؤمل وتختار فقد ذهب العثار وجاء الامن واليسار اصبت مرامك وزينت مقامك وآنست منزلك واوتيت مأملك فطيب خاطرك وبشر اهلك وعشائرك واخبر غائبك وحاضرك ولقد قادك الرأى السديد والامر الرشيد والفال السعيد حتى اويت الى ركن شديد وملك كريم خلقه عظيم وفضله جسيم وجوده عميم ونظيره عديم رؤف برعيته رحيم لايخيب آمله ولا يريب سائله ولا يقطع واصله ولا يمنع حاصله لقد انبتت مساعيك ازهار الامن والامان وتفتحت لورودك فى رياض سعد الزمان نواظر نرجس النعمة وشقائق فضل النعمان فاعلم ان هذا الملك ذو جناب منيع وقدر رفيع وبيان معانيه بديع عزيز المنال جامع اصفى الجمال والجلال قد اختار العزلة فى رؤس الجبال فلذلك طبعه لايخلو من جساوه وقلبه من قساوه وان غذاءه من اللحوم ومن الحيوانات مشروبه والمطعوم مخالبه كالاسل ويلجأ الى الله اذا نسر منقاره ونسل وحقيقة امره ان كنت عنه تسل

عقرب على اعدائه * وعلى الادنين حلو كالعسل

فاذا التجا اليه فقير اوآوى اليه ضعيف او كسير أو قصده محتاج أو سلك الى باب مرضاته منهاج فلا يمكن الطف منه ولا اشفق ولا أقرب من عطفه على مؤمليه ولا ارفق فهو كما قيل

بيض قطا يحضنه اجدل

وسبب ذلك ان ضميره المنير خال من المكر طاهر من التزوير لا يعرف ختلا ولا خديعه ولا خيانة ولا وضيعه ولا كذبا ولا قطيعه ولا فى خاطره فساد ولا عنده سوء اعتقاد ولا يعرف غير الحق ولا يقول الا الصدق وذلك لبعده عن مخالطة الناس وعزلته عن كل ذى وسواس وخناس فلقد اتفق العالم ان صحبة بنى آدم سم قاتل وهم باتل فان دأبهم المكر والتلبيس والخداع والتدليس وحسبك قول شاعرهم فى كشف ضمائرهم وشرح حقيقة سرائرهم

كن من الناس جانبا * كى يظنوك راهبا
قلب الناس كيف شئـ * ـت تجدهم عقاربا

ولقد ارشد من انشد

بنو آدم ان رمت من خيرهم جنى * فاحلى الذى تجنيه من وصلهم صبر
مكارمهم مكر ورؤيتهم ريا * وودهم موذ وجبرهم كسر

فان كان فيهم صالح افسدوه والى سبل الضلال ارشدوه والكلام فى هذا المقام لا يبلغ التمام فيكفينى بالقليل عن الجليل وشمس النهار لا يحتاج فى وجودها الى دليل فانهض الآن فقد آن التوجه الى خدمة السلطان فما كل زمان يحصل هذا الامكان فان الاجتماع به كل وقت مشكل فتوكل على الله يا أحسن متوكل فاذا دخلت عليه وتمثلت بين يديه فاعرف كيف تقف وانظر يا ذا الكمال ماذا يناسب الحال ويقتضيه المقام من فعل وكلام فاسلك طريقته وراع مخارجه وحقيقته وادخل معه من ذلك الباب ومثلك لا يدل على صواب فما اسرع اللطف واقرب العنف من حركات الملوك والكبرا وابعد الرفق واشرد الخرق من ملكات السلاطين والخلفاء واقصى مدانيهم اذا غضبوا واوحش مؤانسهم

اذا

اذا صخبوا واقرب مباعدهم اذا عطفوا وأعجب منادهم اذا لطفوا
ويكفيك ياذا العقل المتين ما قيل فى شأن الملوك والسلاطين

ان الملوك بلاء اينما حلوا * فلا يكن لك فى اكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم ظنوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

وقال سيد الانام طرا لا تجاور ملكا وبحرا فان رضوا رفعوك فوق الافلاك وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك وناهيك من تقلبات الملوك ياذا الارشاد فى السلوك أطفا الله غضبهم عنك قضية صدرت من تيمورلنك فسأل نخل الجل الوزير الاجل بيان ذلك المثل الصادر من الاعرج الاشل فقال الدستور مما حكى عن تيمور من وقائع الامور وشدة عزمه وحزمه وثباته على ما يقصده وجزمه وحلول نقمته بمن يعارضه ويعاكسه فيما يرسم به ويناقضه انه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود وذلك فى سنة ثمانمايه وصل بجيوشه الطاغيه الى قلعة شاهقه اقراط الدرارى باذان مراميها عالقه والرجوم المارقه من النجوم الخارقه تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان بهرام فى مهواه احد سواطيرها وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها والشمس فى استوائها غرة جبينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها وشعة الشفق الحمراء على آذان مراميها وانوف ابدانها مرادق وكريات النجوم فى القبة الخضراء لعيون مكاحلها وافواه مدافعها طابات وبنادق وكانت الثريا فى اتصالها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم عليها فانى يصل طايش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمها اخلال خيال وافتكار فضلا عن ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار وفيها من الهنود طائفه ثابتة الجنان غير خائفه جهزت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المحرزه وثبتت هى فى القلعة حافظة لها متحرزه مع انها شرذمة قليله وطائفة ذليله لا خير عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الضرر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا نحو الهاميبت ولا مقيل بل هى مطلة على المقاتله مستمكنة على المقاتله

فابى تيموران يجاوزها دون ان يجاوزها بالحصار ويناجزها واللبيب العاقل لايترك وراء لخصمه معاقل فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد ويصب كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ماير يدكمايريد وكان كل يوم يقتل من عسكره مالايحصى والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا وهو يأبى الرحيل عنها الا ان يصل الى غرضه منها ففى بعض ايام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انحصروا وصار يحثهم على القتال ثم ركب لينظر ماذا يصنعون فى تلك الحال فلم يرتض افعالهم لما عكست اوحالهم احوالهم فدعا رؤس الامراء وزعماء العساكر والكبراء واخذ يزق اديم عصيتهم بشفار شتمه ويشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان فى خيشومه والهب فيه نار غضبه وشومه وقال يا لئام واكلة الحرام تتقلبون فى نعماءى وتتوانون عن اعداءى جعل الله نعمتى عليكم وبالا والبسكم بكفرانها خيبة ونكالا يانابذى الذمم وكافرى النعم وساقطى الهمم ومستوجبى النقم الم تطؤا اعناق الملوك باقدام اقدامى الم تطيروا الى الافاق باجنحة احسانى واكرامى الم تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتى اماسرحتم فى منتزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتى بى ملكتم مشارق الارض ومغاربها واذبتم جامدها واجدتم ذائبها

الم الـثار ابصطليها اعدوكم * وحرزا لما الجئتم من ورائيا

وباسط خيرى فيكم بيمينيا * وقابض شر عنكم بشماليا

ولازال يهمهم ويغمغم ويهذرم ويبرطم وهم مطرقون لايحيرون جوابا ولايملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد ان يموت خنقا فاخترط السيف بيده اليسرى وهمز به على قمم اولئك الاسرى وهم ان يجعل رقابهم قرابه ويسقى من دمائهم نمل فرنده وذبابه وهم على تلك الحال فى الخزى والاذلال باذلوا انفسهم ناكسوا رؤسهم ثم تراجع وتماسك وملك نفسه قليلا وتمالك فأغمد عن تشريقهم حسامه ولم يلق لامره دبرة ولاقبله أمامه فغلف غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به وكان عنده ممن فاق جنده شخص يدعى محمد قاوجين ذومكان مكين ومقام امين مقدم على كل الوزراء مبجل

دون سائر الامراء وافر الطول مقبول القول مسعود الرأى ميمون الفصل مرغوب الفضل محبوب الشكل فتشفع الوزراء اليه وترامو في حل هذه الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه وأعمل معنا بهذا المعنى وهو

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فاجابهم والتزم ان يرده عما تازم به وازم وراقب مجال المقال وراعى فرص المجال وشرعت افكار تيمور تغور في امر القلعة وتفور وجعل يستضوى اضواءهم ويستورى آراءهم ولا يسع كلا منهم الا القبول لما يستصوبه رأيه ويقول ففي بعض الاحايين اتفق ان قال محمد قاوجين وقد زل به القضاء واحاطت به نوازل البلاء اطال الله بقاء مولانا الامير وفتح بمفاتيح آرائه ورايانه حصن كل امر عسير هب انا فتحنا هذه القلعه بعد ان اصيب منا جانب من اهل النجدة والمنعه هل يفي هذا بذا ام هل يوازن هذا النفع بهذا الاذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من البرقداريه قبيح المنظر الا انه في هيئة ذريه يدعى هر املك ذا عرف سهك ووجه في السواد سدك اوسخ من في المطبخ واسخ من في المسلخ لعاب الكلب طهور عند عرقه وعصارة القبر حليب بالنسبة الى مرقه فعندما حضر لديه ووقع نظره عليه امر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان هر املك فخلعت ثم البس كلا ثياب صاحبه وشد وسطه بحياصته ودعا دواوين محمد ومباشريه وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت ونام وجامد وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف واقطاع وبساتين وضياع وخول واتباع وخيل وجمال واحمال وأثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ وامسى نهار وجود محمد قاوجين الزنخ وهو من ليل تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور وهو كالنمور يمور اقسم بالله وآياته وذاته وصفاته ووحيه وكلماته وارضه وسمواته وكل نبي ومعجزاته وولي وكراماته وبرأس نفسه وحياته لئن آكل محمد قاوجين احدا اوشاربه اوماشاه أو صاحبه أو كلمه أو صافاه

أو آوى اليه أو آواه أو راجعنى فى أمره أو شفع عندى فيه اوفاه بعذره لاجعلنه مثله ولاصيرنه مثله ثم طرده واخرجه وقد سلبه نعمته واحرجه فصار مسلوب النعم قد حلت به فى لحظة نوائب النقم فسحبوه بالوثق ورأى نعمته على اقل الخلق واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق فقلقت حبة قلبه اشد قلق ولم يزل على ذلك فى عيش مر وعمر حالك وحاشا ان تشبه قضيته قصة كعب بن مالك فكان يستحلى مرارة الموت ويستبطى اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه من ألف ضربة بالسيف فلما هلك تيمور احياه ورد عليه خليل سلطان ما كان سلبه جده اياه وانما أوردت هذه السيره ياذكى السريره لتقيس على هذا المثل نظيره وتعرف اخلاق الملوك ومعاملاتهم الغنى والصعلوك وان نظرهم نضار واعراضهم بوار ودمار ومن أراد ان يطلع على سر القضاء والقدر فليراقب شفتى الملك اذا نهى وامر وقال من أحسن المقال

قرب الملوك يا اخا القدر السمى * حظ جزيل بين شدقى ضيغم

واعلم يا ابا الفضائل ان هذا الملك له شمائل وصفات وفضائل يستدل بظاهرها على باطنها ويتوصل بظهور باديها على حركات كامنها فاياك ان تغفل عن مراقبتها وتهمل حال عاقبتها بل اجعل شواهدها نصب عينك لتقرب من حياتك وتبعد عن حينك منها اذا رأيته رجع من الاصطياد ظافرا منه بالمراد وقد اقتنصه وحصله وملأ منه الحوصله وسكنت منه بواعث الشره التى هى منفخ لواعج الطيش والسفه ومنها اذا رأيته جلس فى مجلس السرور وبسط لجبهة الكرم جناح النشاط والحبور وضم عن مطامع الحرص القوادم والخوافى وطلب من رؤساء المملكة الانيس المصافى ومن ندماء الحضرة الجليس الصافى ومن مطربى الاطيار البلبل والهزار ومن رقص بدفوف الازهار وصفق من ذى عود وطار فاستمع لهذا وباسط ذاك وطفق جلساؤه ما بين منصت وحاك فان هذه الاوقات لما فيها من علامات هى ساعات الانبساط وايام الفرح والنشاط فاعمل فيها ما بدالك واطنب مقالك وكثر جوابك وسؤالك فانك فى كعبة الامن فاستلمها وقد هبت رياحك فاغتنمها والعب بابطيك وصفق

بجناحيك واهدر فى تقتقتك واسجع فى بقبقتك فان الوقت لك لا عليك والسعد الطالع ناظر اليك ومنها اذا رأيته جالسا صامتا اوالى الارض باهتا أومحمرة عيونه أومضطربا سكونه أوافعاله على غير استواء او اقواله دائرة مع الهواء فاياك والدخول عليه والمثول بين يديه فانه اذ ذاك يجعل ديار جسدك بلاقع ولو انك النسر الطائر تصير فى مخاليبه انعس واقع وعلى كل حال فليكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال وان كان السكوت اصلح فاغلق باب الكلام قطعا ولا تفتح فكثيرا ما تخلص الساكت من البلاء وافلح وناهيك النصيح بقوله الفصيح وهو

وراقب مقام القول فى كل مجلس * خصوصا مقامات الملوك الاكابر
فكم من بليغ فوق ذروة منبر * رمته افاعى النطق تحت المقابر

قال المفلح النجدى للمرشد المجدى جزى الله مولانا عن صدقاته اوفر صلاته وواصله بعوائد اكرامه فى عشيته وغداته فما اشمل احسانه وحسناته واسعد حركاته وسكناته واوفر شفقته على قاصدى عتباته طاب انت دليله كيف لا يفتح الى الخير سبيله ويرجع الى حصول المقام مبيته ومقيله ثم ان اليؤيؤ الشفوق تركهم وطار الى العيوق ثم رجع على الفور ووجهه يرف كالنور فدعا اليعقوب وتوجه وهو معه مصحوب واخذا فى السير الى خدمة ملك الطير وفرعا فى جبل يسامى فى المثل قبة الفلك اومركز الملك يستمد السحاب من ماء واديه وتسبح سماك السماء فى بحر ناديه يعرق جبين الوهم من صعود عقباته ويقصر صاعد الفكر فى سلم الهواء عن الترقى الى ادنى درجاته ويستريح راقى الخيال فى عدة مواضع عند قصده فروع هضباته فهو كما قيل

وطود تلوح الشمس من تحت ذيله * اذا هى فى كبد السماء استقرت

فلا زالا يسيران وفى الجو يطيران اليؤيؤ امام قائد الزمام والحجل وراءه ينشد هذا الكلام

لكل امام اسوة يقتدى به * وأنت لاهل المكرمات امام

فوصلا من تلك المدارج الى أعلى المعارج وانتقلا فى تلك المسالك عن دركات المهالك وانتهيا الى اوج رأيا ملكة النيرات جارية فى حضيضه ودرر

الدرارى راكدة فى قعر مغيضه يشتمل على مروج ورياض ومراع وغياض وبحار وحياض تنادى خيراتها سكان الربع المسكون فى انصبابها عليهم وفى السماء رزقكم وما توعدون رياض تلونت ومروج بازاهيرها تحسنت وارض قال لها صانع القدرة اذ تمكنت تكونى كاخلاق الكرام فتكونت وأخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازينت فوجدا دار سلطنة العقاب بعد مقاسات عقاب العقاب كما قيل

مكانا فيه سلطان الطيور * تصدر بالسرور على السرير
اطاف به صنوف الطير طرا * عكوفا بالحضور وبالحبور
لكل فى مباشرة مقام * يقوم به جليل او حقير

قد اكتنفه الميمنة والميسره واحدقت به المقدمة والمؤخره كل واقف فى مقامه شاهينه مع كركيه وبازيه مع حمامه فالانيس صاحب الظرف والكيس حامل القبز كالاوزان يترنم فى مقابلة الايوان ويمدح ملك الاطيار والامراء والحضار والكبراء والنظار وينشدهم جليل الاوصاف ورقيق الاشعار فمما انشده الاوزان من مناقب السلطان ووجه به الخطاب الى العقاب قوله

مقامك اعلى ان يقوم بوصفه * بيان بليغ او لسان فصيح
اجاتك عنقاء مغرب فاختفت فما * تلوح لطرف فى البلاد طموح

والنسر الطائر المقدم على العساكر قد اظله بالجناح وليس عليه فى طلبة سيادة الطير جناح رافع اللواء صاف فى جو السماء رئيس الدير حامل القبة والطير كما قيل

ونسر تفر الطير من قرب ظله * وفى ظله للسعد مأوى ومنزل

والسنقر فى ثوبه الفهرى وخلقه وخلقه النمرى امير سلاح الجوارح ورأس عساكر السوانح والبوارح كما قيل

هو السنقر العالى بهمته التى * تعلت على ايدى الملوك بهايده

والشاهين الدوادار عليه لمصالح المملكة المدار قد تصدى لقضاء الحوائج لكل داخل وخارج ينظر فى الولاية والعزل ويتعاطى الامور بالجد لا بالهزل فيقضى المآرب ويوصل المطالب الى الطالب كما قيل

طويل

طويل العنق رحب الصدر ضخم * له في آل قسطنطين ضبط
تغشى من سواد العين ثوبا * عليه من دم الاحشاء نقط

والكركي الراطن بالتركي يتجلى في ثوبه المسكي كاتب الاسرار وصاحب الاخبار لسان المملكه ومحور الفلكه مستخدم السيف والقلم وفي الفضائل والفواضل نار على علم كما قيل

وكركي يحيد الصقر عنه * لهيبة بطشه وشديد باسه

والتم المشهور ناظر الجيش المنصور صدر الديوان وقاضي الجند والاعوان كما قيل

وتم تم دست الطير منه * كقاض زان ارباب الكتاب
عليه من المهابة ثوب مجد * كوجه الطائعين لذي الحساب

والطاوس كازهى عروس في الفخر ملبوس مقدم على الخواص كالناظر الخاص ناشر مروحة الارتياح يتجلى بجمال هيئته الفائق على الوجوه الملاح كما قيل

ثوبه قد حار فيه * كل صباغ عليم
ولسان الحسن نادى * صبغة الله الحكيم
فيروق العين منه * فوق اوصاف الكليم

والبازي الامير الكبير صاحب الرأى والتدبير أمير الميمنه قد رتب صفه وزينه كما قيل

وبازاشهب عيناه جمر * يضئ وفي جناحيه النجاح

والصقر الشهم السابق في الطيران الوهم امير الميسره قد فاق بشهامته عسكره كما قيل

وصقران يلح في القفر ظبي * اتيح له من الجو انصبابا
اقام بمخلب عن شهم سهم * ونسر عن قوى الناب نابا

والباشق الجاووش ورأس نوبة العساكر والجيوش كما قيل

انظر الى الباشق في صيده * ينقض كالسهم من الراشق
يقفو حماما مثل معشوقة * اتبعها الحب حشا العاشق

والببغا تتجلى في الحلة الخضراء وتنثر من الخاتم الياقوت درر الثناء وتخبر

بعجائب الهند وتسرد غرائب رغائب السند كما قيل

تسمت درة لكن كساها * حكيم الصنع ثوبا من زبرجد
ومن لها بمنقار عقيق * وخاط شعارها من عين عسجد

والهدهد لابس التاج ينهى الى موقع الدراج اخبار المساره والاحوال السارّه كما قيل

وهدهد لابس ثوب البها * فهم اذ خص بصدق النبا
اغرب اذ شرق فى حسنه * ففاق اهل التاج حتى سبا

والحمام مقدم البريديه يتردد فى مواقف العبوديه والعصافير كالمماليك الاجلاب فى الكتاب يدرسون العلم والآداب والبلابل والهزار ومطوقات الاطيار وساجعات الاسحار مسبحات الواحد القهار يتناشدون الاشعار ويرددون نغمات الاوتار ومطربات رنات الاوطار وضروب ضروب الموسيقاه من جنك المنقار والشحرور والزرزور وذوات الهديل من الطيور حتى جناح الزنبور تغرد فتخجل العود والطنبور وزواجر الطير تبشر بالفرح والخير وأنواع الجوارح فى الحافات والطير فى الجو صافات كل يفدى الملك ويقدم جسده وروحه ويسبح من اتاه الملك كل قد علم صلاته وتسبيحه فتقدم اليؤيؤ الى الحضره والملك فى ابهى نضره وقبل مواطئ سلطانه ووقف من مقام خدمته فى مكانه وقال شخص عارف بطرائق السلوك يليق لخدمة الملوك واقف بالباب يروم تقبيل الاعتاب يطلب لذلك الدستور والانعام باذن الحضور ليشمله النظر الشريف ويحظى بحظ وريق وريف هل يرجع كالمصروف عن خدمته أو يدخل كالدولة والاقبال فعطف بالقبول وأذن له بالدخول وسمح بالمثول فتوجه اليؤيؤ على عجل الى الحجل فدخل وهو من الحياء متأثر وفى ذيل الدهشة والهيبة متعثر وعليه غلالة سابوريه وخلعة نيسابوريه مشتملا بشملة كافوريه كانه شيخ الصوفيه فلما وقع نظره على العقاب قوى جاشه ورفع الحجاب وحل عقدة لسانه من لكنة الخطاب ثم قبل الارض ووقف وانشد بديها وما وقف

ولو ان فغفورا وكسرى وتبعا * رأوك لخروا بين ايديك سجدا

وما

وما ان وفوا حقا عليهم وانما * على قدر ما في الوسع مد الفتى يدا

فابتدر الببغاء بلفظ يخجل اللؤلؤ وقال للعجل يريد ازالة الدهشة والخجل وطيب المقام ببسط الكلام ايها الغريب الاريب والاديب النجيب رأيناك روحا ملخصا وعقلا مشخصا صحبتك مرغوبه ومنادمتك مطلوبه لقد حللت محل الامن والامانى وعقدة السعد والتهانى فدع دهشتك وذر وحشتك وأفصح بكلامك عن كمالك وعن مقامك بمقالك فعباراتك عقيلة العقل وواسطة عقود النقل فان كان عندك نصيحة تصلح للملوك او وصية ترشد اهل السلوك يبين العدل بنورها طرائقه ويزين العقل بمجازها حقائقه وتستقيم بها الامور ويستفيد منها الجمهور اونوع رفع مظلمه اوحط مأثمه أو كشف بلوى أو بث شكوى أو حاجة في نفسك وما قاسيته في يومك وامسك اولطيفة تنشرح بها الصدور وتبسط بايرادها الحضور فهذا وقت تشنيف المسامع بجواهرها ونثر دررها على بادى الحاضرين وحاضرها فان المحل قابل وعنق الاصغاء الى اطواق لطائفك مائل ومجال الحلم لذلك واسع ومجال الكرم داسع وفاعل الصنيعة صانع وكف اللطف معط لا مانع فقال العجل بعد ان زال الخجل وحال الوجل وجال الزجل من غير ريث ولا عجل الحمد لله الذى آسى جراحنا واحيى بعد التلف ارواحنا قد كنا في بيداء الحيرة والهلاك وظلماء الضر والخوف في انهماك ومرت علينا سنون ونحن في الخسار والغبون ونار الاشتياق تضطرم وبواعث تقبيل الاعتاب الشريفة السلطانية في الفؤاد تزدحم اذ قد انتشر جناح عدلها ونجاح ظلها وسماح وابلها وطلها وكرر كل لسان محامد فضلها واشتهر لكل حيوان ما آثر نيلها فهى امان كل مخوف وملجأ كل ملهوف لكن كانت العوادى تقرع تلك الدواعى وغواشى الحوادث تعترض دون المساعى تارة باكتناف المخاوف وطورا باحتفاف الخواطف وحينا بضعف المبانى واونة بعدم المعاون والمعانى والآن يا ملك الزمان بحمد الله المنان ازحنا المهالك والمهاوى واسترحنا من ضرب المسالك والمساوى اذ قد طرنا بجناح النجاح من جنح الجناح وصرنا الى محل السماح والرباح فزالت

العالى وانسد الخلال وحللنا فى عقوة منيفه وسدة شريفه فامنا شرك المكايد وشرر المصايد وتوسدنا مهاد الدعه واستظللنا جناح الامن والسعه وانه قد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان وقيل الملك العادل والامام الفاضل كالأب الشفيق والوالد الرفيق يعامل بالسويه ويحفظ الرعيه ويحرسها من برد الماء وحر النار كما يحرس الوالد الولد من هبوب الهواء وشم الغبار وقلت

نزلنا فى ذرى ملك كريم * برانا مثل اولاد الكرام
اضل نوائب الايام عنا * فلم ترنا ولا فى الاحتلام
ولا مطر السماء يصيب منا * كان مقامنا فوق الغمام

فقال الملك أهلا وسهلا وناقة ورحلا طب قلبا ونفسا واهنأ معنى وحسا لقد حللت بساحة الاستراحه وباحة للامن مباحه وقاحة ليس لصائدبها وقاحه ولا لجارحة جارح بها جراحه وقد خلصت من جواسر الكواسر ومناسر النواسر ونزلت بوادى الخير ونادى ملك الطير فاكرمت صدر منزلك ونلت غاية املك فاذهب بسلام وات بمالك من خادم وغلام واهل وثقل وفرس وجمل واثاث وقماش ومعاش ورياش وتخير مكانا تختار وجارا حسن الجوار فقال أيها الملك السعيد انا شخص فريد غريب فقير لا ابريق لى ولا حصير وقلت

انا لولا الحيا وخوف العار * لم اكن فى الانام الاعار
من رآنى فقد رآنى وبيتى * ودثارى ومركبى وشعارى

غير ان لى قرينه مثلى فقيرة مسكينه صابرة على السراء والضراء قضينا معا ماضى الصباح والمساء لم يترك عقيل الحوادث لنا دارا ولا يد العوابث عقالا ولا عقارا ولا مخلب العوابث جارا ولا جوارا ولا ناب الكوارث ولدا ولا قرارا والويل كل الويل لمن كان مستقره فى طوارق الليل ومن حوادث الدهر على سبيل السيل وقد طال الكلام فى كيت وكيت وقضايا ذيت وذيت الى ان لم يبق فى البيت سوى البيت ولما بلغ سيل العرم الزبا وحزام الهم الطبا وما حال من يرى افلاذ كبده تتقطع ويشاهد كل وقت قرة عينه بمخالب الجوارح تتبضع ولا يد للمدافعة تمتد ولا نهضة للممانعة

تشتد

تشتد فنشد

كفى حزنا انى ارى من احبه * رهين الردى يرنو الى بطرفه
اود بمالى لو يفدى ومهجتى * ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكرر ضر ايوب وتضاعف حزن يعقوب تركنا تلك الديار بالاضطرار وعلى ابوابك الشريفة وقع الاختيار فرصدنا للتحويل ايمن الساعات واخترنا للرحيل احسن الاوقات ثم صممنا العزيمه ونادانا هاتف السعد أسرع اند بمى جذيمه فقطعنا المهامه والقفار واسرينا الليل والنهار فكم رغنا عن أبى الحصين ولقينا مالاقى الحسين بكربلا من الكرب والبلا وكم لجانا من بنى زغار الى كهف واجم وغار واحترزنا من قنافذ وافعوان ذى سم نافذ ونفرنا من حبات اشراك وحدنا عن اوهاق شباك واخترنا الجوع وعدم الهجوع على الحب المبذور لاصطياد الطيور كل ذلك فى المسالك والسعد قايدنا والفلاح رائدنا واليمن دليلنا وظلال امنك ظليلنا وفى تهانى سعدك مبيتنا وكنف فضلك مقيلنا حتى حللنا بدار الامان ونزلنا بحرم مولانا السلطان فنادانا افضل خالق الورى لا تخافا اننى معكما اسمع وأرى القيا عصا التسيار وانزلا عند خير جار فتركت القرينه فى منزلة حصينه وكل بلادك امينه واممت مقامك الشريف وجنانك المنيف مقاما عظيما وجنابا كريما ومجلسا عاليا وبابا ساميا فتوخيت ثم نوديت

هذا هو الملك الذى من بابه * يعطى المخوف امانه لزمانه
عم الورى احسانه فكانما * ارزاقهم كتبت على احسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه وقبل الارض بين يدى سلطانه وتوجه فائزا بامنيته حتى وصل الى خليلته فاخبرها بما جرى بتخبير المشترى وكيف رأى اليؤيؤ والملك وصورة مافعل به وسلك وكيف تلقى مقدمه واكرمه الملك بما اكرمه وقرر كيف كان خطابه وعلى أى صورة حسناء رد جوابه فسر صدرها وانشرح وطارت بهذا الامر من الفرح ثم توجها الى حضرة السلطان وحصل لهما من الانعام والاحسان ما نسيا به الاوطان وسلكا بنفس مطمئنه فى خدمة الملك مع الجماعة واهل السنه

وخوطب اليعقوب من الملك اسكن انت وزوجك الجنه فلما استقرت بهما
الدار وتبدل انكسارهما بالانجبار افيض عليهما من الصدقات
والادرارات والنفقات مالم يخطر ببالهما ولادار على خيالهما وحصل
لهما الامن والامان والسلامة والاطمئنان وانشرحت خواطرهما
وابتهجت بالسكون سرائرهما واستمر النجدى ملازم الخدمه وتوفرت
عند الملك واتباعه له الحرمه وسمعت كلمته وتزايدت حشمته ولم يزل
صبيح الطلعه نجيح السعى والنجعه وضىء المنظر مقضى الوطر يرتع على بساط
النشاط ويطير فى رياض الامن والانبساط مؤديا شرائط الخدمة على
الوجه الاحسن قائما بواجب العبودية مهما امكن الى ان تميز على سائر
الخدم وتقدم على السابقين فى القدمة وثبات القدم ناشرا الوية النصيحه
ناثرا الاثنية الصريحه منادما باللطائف الصحيحه والنوادر المليحه
بالعبارات الفصيحه والاشارات الرجيحه حافظا زمام الاحتشام مراعيا
مقامات الكلام على مر الايام وكر الشهور والاعوام ثم ختم الكلام
فى هذا المقام باعظم ختام وهو حمد الله الملك العلام وشكره المستدعى
لمزيد الانعام والصلاة على سيد الانام واله واصحابه السادة الكرام عليه
وعليهم أفضل التحية والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم

(الباب العاشر)

فى معاملة الخادم والاحباب والاعداء والاصحاب وبه تمت أبواب الكتاب
قال الشيخ أبو المحاسن الراوى من الادب الاحاسن فلما ابان الحكيم
عن هذا الفضل الجسيم وكشف نقاب البيان عن مخدرات هذا التبيان
فتلألأ من وراء سجف الفاظه وجوه معانيه الحسان عظم فى اعين الاعاظم
وكبر لدى الاعراب والاعاجم ورفعه اخوه وعظمه ذووه فاضاء مناره
وعلا مقداره وملأ الافاق انواره ووقع من الملك على الاعتماد عليه
اختياره ثم استزاده من فيض هذا اليعبوب واستسقاه من حوض هذا
الشؤبوب واستطعمه من اخبار العقاب واليعقوب ان كان ثم بقيه

بجلو

تجلو القلوب الصديه فامتثل الاشاره وحسن العباره وقال ثم ان
ابا الحجاج دعا القبيح ابا الدجاج واختلى به دون اصحابه وقال له اعلم
يا جليس الخير وأنيس الطير ورئيس الدير انى تحملت من البؤبؤ المنة
العظيمه والجميلة الجسيمه حيث ارشدك الى بابى ونظمك فى سلك اصحابى
ولا جرم انه قام بما يجب عليه وعرف مقدار احسانى وميلى اليه وانه
لاوثق اعوانى واصدق خلانى وصاحب قديم ومخلص عديم النظير نديم
وصديق كافى وناصح مصافى وانى لأتيمن بطلعته وأتبرك بمشاهدته
واستنجح بآرائه واستصبح فى المهمات المظلمة بلامع ضيائه ولقد حصل منك
على عضد معاضد وساعد مساعد وكهف وذخر وسند وظهر فاياك ان
تترك ذيل مودته اوترغب عن صحبته ومحبته وان تقتصر ياذا الوقوف
فى صداقته على الوقوف فافضل المحبه واكمل الموده ماتزايد على مر
الدهور وترادف على كر العصور وثبت اصله وغزرت فروعه وفاض من
سويداء القلب على مجارى الجوارح ينبوعه بحيث يقع الاتحاد ويمزج
بالصفاء الوداد فقد قيل لاتصح المحبة بين اثنين حتى يصيرا كالعينين
حيثما نظرت احديهما شزرا مالت معها تابعة الاخرى بل يصيرا كالنفس
الواحده لاكل واحد على حده ولا كما تقول الملاحده بل يكمل لكل
واحد بالاخر الهناء ويحصل له بوجوده السناء واذا خاطبه قال يا انا
ولا تعمل يا اكمل كما قيل

ملأت حشاشتى شوقا وحبا * فان ترم الزيادة هات قلبا

فان الفتاح عنده الفتوح وباب الفضل والزيادة مفتوح وكرم الله
لا يضاهى وفضله كعلمه لا يتناهى وانظر يا فضيل وذا العلم العريض
الطويل الى ما قيل وهو

أيها السائل عن قصتنا * انا من اهوى ومن اهوى انا
نحن روحان حللنا بدنا * من رآنا لم يفرق بيننا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال للناس بنا
فاذا ابصرته ابصرتنى * واذا ابصرتنى ابصرتنا

والطف من هذا وارصن ماقاله القائل واحسن وهو

انا والمحبوب كنا فى القدم * نقطة واحدة من غير مين
فبرانا الله اذا ظهرنا * مهجة واحدة فى بدنين
فاذا ما الجسم امسى فانيا * تلتقينا واحدا من غير بين

ولقد ذكرك عندى بانواع الفضل وبوفور التجارب والعقل وهذا يدل على نصحه وقوة دينه وصدقه فى المحبة وحسن يقينه ولم يذكر غير الواقع ولا جازف فيما انهاه الى المسامع بل قال قليلا من كثير وقطرة من غدير ولم يخبر بذلك غير خبير فانى اعرفك كما عرف ووقفت على فضائلك كما وقف ثم انت عندى فوق ما وصف فاريد منك نصائح بالخير لوائح تتضمن فوائد وعوائد وفرائد تكون لنهم الحكمة موائد ولانهم الحكام قوائد ولنحور ألباب المعقول وأرباب المنقول قلائد ولضبط اساس الملك والدين قواعد وعقائد فتلقى مثاله بالامتثال وقبل الارض فى مقام العبودية وقام وقال لتحط العلوم الشريفه والاراء العالية المنيفه ان صانع العالم تعالى وتعاظم بنى أمور المبدا والمعاد وما بينهما من معاش مستفاد على دليلين عظيمين جليلين أحدهما العقل الذى هو مناط التكليف وثانيهما قواعد الشرع الشريف فان اردت ان تكون سعيد الدارين فاستمسك باذيال هذين الدليلين أما العقل فهو الدليل القاطع على وجود الصانع وهو مستقل بالقطع غير محتاج الى السمع وكما هو مستقل بالدلالة على وجود ذاته كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته ثم ورد بذلك الشرع فتاكدت فى وجود الصانع دلالة العقل بالسمع وأما وحدانية الصانع فكل من العقل والنقل دليل عليها قاطع وقد تظافرا بالاستباق اليه وتظاهرا فى الدلالة عليه بقول الكافر يوم المصير لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وبالعقل والسمع يستقيم أمر المبدا والمعاش وبالسمع فقط مبيت المعاد عاش لان امور المعاد من الشرع تستفاد والعقل فى ذلك تابع سامع لاوامر الشرع طائع والمسموع فى ذلك دليل قاطع وعلى كل تقدير أيها الملك الكبير فاجعل العقل وزيرا تجده لك فى ظلمات المشكلات سراجا منيرا واتخذ النقل هاديا ونصيرا يكن بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وعامل الرعية بالعدل يعاملك الله

بالفضل

بالفضل واعلم ان الدنيا فى معرض الزوال وانه لابد عنها من الانتقال وان
الله سبحانه وتعالى وجل سلطانه جلالا اقتضت حكمته وجرت بين عباده
سنته ان يكون الانسان على خلاف ما فطره الرحمن فانه خلقه للعباده
وركب فيه عناده واقامه للعمل وجبله على الكسل فامره بالصلاة وهو
كسلان وبالصوم وهو شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج
وكره اليه الانتقال وبالرضا وركز فيه الغضب وبالتسليم والصبر وجره
بالضجر والصخب وبالتواضع ووضع فيه التيه وبالتخلق باخلاق خالقه وفيه
مافيه وحكم عليه بالموت وقد تحقق انه ليس له منه فوت وهو يكره عن
الدنيا التحويل واقل اقسامه انه يحب العمر الطويل وعلى هذا قد تعود
ان يفعل فى المكان المتزود افعال المقيم المؤيد والدايم المخلد ويبنى بناء من
لا ينتقل وعن قليل يتركه ويرتحل لا سيما من تعلق بالدنيا قلبه وتشبث
بالمال والولد والجاه والتحكم حبه وقد اخبر العزيز الوهاب فى اصدق
كتاب واوثق خطاب فقال زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فالنفس مائلة
الى الاقامه راغبة فى دوام السلامه تحب طول العمر فى الزمان وان
احوجت الثمانون السمع الى ترجمان وقد قيل

واحسن ما كان الفتى فى زمانه * مع السعد والجاه العظيم معمرا

واشهى ما سمع الحاكم والذ ما تلقاه من قول الناظم قوله

فلا زلت بين الورى حاكما * بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغنى يا ملك الزمان ان الملك العادل انوشروان كان بنى اساس ملكه
على العدل وعامل رعيته بالاحسان والفضل ويكفيه من الفضائل
وحسن الشمائل قول سيد الاواخر والاوائل ولدت فى زمن الملك العادل
وقال الرحمن فى محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقد قيل
فى الاقاويل لا ملك الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالعماره
ولا عمارة الا بالعدل فلا ملك الا بالعدل ومن اقوى الصفات العدليه
عمارة بلاد الرعيه وبذل الجهد فى العماره ليكثر الربح وتقل الخساره

فاذا عمرت البلاد وترمم الطريف والتلاد حصلت الاموال وكثرت الرحال وانتظمت الاحوال فقد بلغنى ياملك الزمان ان الملك انوشروان كان مارا فى سيرانه بين جنده واعوانه فرأى شيخا كانه قوس قطان نثر على رأسه قزع اقطان وهو فى بعض البساتين يغرس نصب تين فتعجب من انحناء قامته وبياض هامته مع شدة حرصه وتعبه على نصب غرسه ونصبه فقال له ياذا التجارب ومن هو من شرك الفناء هارب الام ترتع فى ميادين الامل وقد تطوقت باوهاق الاجل تبنى واركان جسدك واهيه وتغرس وقوائم بدنك كاعجاز نخل خاويه وربيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم وصيف وجودك قد ادركه شتاء العدم ومحت نسيم طراوتك عواصف الذبول ومحت قوى عبالتك بقواصف النحول وقد آن ان تغرس للاخره فانك قد صرت عظاما ناخره فقال ياملك الزمان وعادل الاوان قد تسلمناها عامره فلا نسلمها غامره قد غرسوا واكلنا ونغرس ويأكلون وفى الحقيقة كلنا زارعون وغارسون

لقد غرسوا حتى أكلنا واننا * لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

وابعد فلاح عن الرشد والفلاح من يتسلم المعمور ويتركه وهو بور فاعجب انوشروان وفور عقل الشيخ الفان وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال زه يعنى احسنت وهى كلمة تحسين ولفظة اعجاب وتزيين وكانت علامة للاحسان اذا تلفظ بها السلطان يعطى المقول فى حقه اربعة الاف درهم لرفقه فأعطوا الشيخ الهم اربعة آلاف درهم فقال أيها السلطان ان الغراس يثمر بعد زمان واناغراسى لحسن طاعته اثمر من ساعته فقال زه فاعطوه اربعة الاف اخرى ورفعوا منزلته قدرا فقال واعجب من هاتين القضيتين ان الغراس يثمر مره واناغراسى يثمر مرتين فقال زه فاعطوه القدر المعلوم وزادوه فى التكريم والتعظيم والتفخيم وقال له انوشروان ان امهلك الزمان حتى تأتينى بباكورة هذا البستان فانا اقطعك خراجه واقضى مالك من حاجه فامهله الدهر وطال به العمر وادرك مانصبه ولم يخيب الله تعبه فحمل الى الملك الباكوره ووفى له الملك نذوره وانما أوردت هذا المثل ليعلم مولانا الملك الاجل ان الدنيا وان

كانت ظلا زائلا وحائطا مائلا فهى مزرعة للآخره وان الآخرة هى
الدار الفاخره وان الله تعالى وجل جلالا ولاك هذه المزرعه وعلق
باوامرك العليه مابها من مضرة ومنفعه وحكمك فى البلاد وملكك
رقاب العباد فاياك ان تغفل عن عمارتها بالزراعه او تسلم زمام تدبيرها
الى يد الاضاعه فانك منقول منها ومسئول عنها وان مصالح عساكرك
بها منوطه وأحوال ملكك بالعساكر مربوطه فكلما تعمرت الضياع
والقرى ترفهت الاجناد والامرا واستراحت الرعيه واستمرت مناظم
الملك مرعيه وتوفرت الخزائن واطمأنت الظاعن والساكن وقلت المظالم
وكفت اكف الظالم وملاك هذا كله العدل والاستوا ومجانبة الاغراض
الفاسدة والهوى وهذا الذى يقتضيه مقامك ويتم به مرامك فان
الملك انما هو ملك بالاجناد فلا بد له من عمارة البلاد والنظر فى مصالح
العباد لينتظم بنظره مصالح العالمين ويستقيم امر العالم الى الحين الذى
قدره احكم الحاكمين فان سنة الله جرت على هذا السنن ومارآه المؤمنون
حسنا فهو عند الله حسن ولهذا قال سيد سكان الخيف انا نبى السيف
والجهاد فرض عين على الملوك لا على الفقير والصعلوك فالملوك فى نوع من
السياده تقتضى من المال ازدياده ليقيموا من الاسلام عماده ويقتفوا
من الشرع مراده ويقصموا الكفر وعناده ويبيدوا اهله واولاده
ويذبوا اطرافه وتلاده ويوطئوا اسنابك الايمان بلاده وواجب على كل
حاكم ان يبذل فى ذلك اجتهاده ويجعل الجهاد الى الاخرة زاده وعتاده
ويصون عن الكفر بلاد الاسلام وعباده الى يوم يلقى معاده فيجازيه الله
الحسنى وزياده هذه طريقة الملوك ومن تبعهم فى الاقتداء والسلوك
واياك أيها الملك العظيم وصاحب الملك الجسيم واخذ المال من غير حله
ووضعه فى غير محله ولو كان موضع الخير وقصد به نفع الغير فانه لا يفى
ذلك بذا ولا يقوم نفعه بما فيه من اذى فذلك كانشاء المغارس وبنيان
المدارس وتنوير المساجد وتعمير المعابد وسد الثغور وعمارة القبور
واقامة القناطر والجسور وعمل مصالح الجمهور واطعام الطعام وكفالة
الايتام والحج الى بيت الله الحرام واعطاء السائل واغناء الارامل

وصرف النفقات واخراج الزكوات والصدقات ومثله الويل كما قيل

بنى مسجدا لله من غير حله * فصار بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدق

قال من لم يخف عليه اخفاؤها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ثم اخبر بخبر ما يصدر عنكم فقال ولكن يناله التقوى منكم فان طلب من هذا اجر فهو خسران وكفر لانه فى صورة الاستهزاء وهل يطلب بقبيح الحرام حسن الجزاء بل الواجب فى هذا على كل من آذى رد المظالم وخلاص ذمة الظالم ورجع الحقوق الى أهلها وايصالها الى محلها أما يرضى ظالم غوى وتحمل الحرام هوى ان يتخلص سواء بسوى وشر الناس باذا الباس من اتبع قضية اياس فسأل العقاب عن بيان هذا الخطاب فقال كان فى الشام شخص من الاثام تصدى لفصل الاحكام ومشى من الظلم فى ظلام وشرع فى أخذ الاموال على سبيل التعدى والوبال فكان اذا أخذ من أحد الفا ادخر لنفسه من ذلك نصفا وتصدق بالخمسمائة الاخرى على اولى الضرر والضراء كل واحد درهما وعد ذلك مغنما وقال هذه فائدة علينا بالربح عائدة الحسنات خمسمائة والسيئة واحدة وواحد يدعو علينا وخمسمائة يتوجهون بالثناء والدعاء الينا ثم قال ذلك الجاحد ولا تعجز الخمسمائة عن الواحد هذا وان كان والعياذ بالله صرف ذلك الحرام فى الفسق والملاه ونيل الاغراض الفاسدة واقامة الجاه فهو اشد فى النكال واعظم فى الوزر والوبال وهذا المقام يطول فيه الكلام واقل ما فى الباب ان الحلال حساب والحرام عقاب وقد سمعت يا جليل القدر ما نطق به السيد الصدر الذى اخجل نور طلعته الشمس والبدر سيد الانام ومصباح الظلام وحبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والسلام يوما لاصحابه السادة الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم وجمعنا فى مستقر رحمته واياهم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه

اخذ

اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وهذا اذا كانت هذه الطاعات من الصلاة والصوم والزكاة واقعة في محالها ومصاريفها في حلها فانها لا تفيد الظالم الا في وفاء المظالم واما اذا كانت من الحرام ومنشأ غراسها من مياه الآثام فهي وبال على وبال وشرور فوق نكال ووهن على كسر ونقصان فوق خسر وقال أيضا افاض الله عليه سحائب صلواته فيضا لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فاستعذ بالله يامولى الطير ومولى الخير من نار هذا الشرر وان تفرق طاعتك شذر مذر واعيذك ياسلطان الصافات وما اكتسبته من الطاعات والخيرات ان ينقل الى ديوان غيرك او يفوز بخيرك سوى طيرك اللهم الا ان يكون ياذا الوقار والسكون على وجه ما قال من احسن المقال

ويكتسب الطاعات ذخر العلما * يجود بها يوم القيام على العاصي

اوعلى وجه ماقيل واحسن به من وجه جميل

يجود بما ضن الجواد بمثله * من الوفر بل لوامكنته شمائله
لعاد على المرضى بصحة جسمه * وجاد على الموتى بعمر يطاوله
ومن على النوكى بوافر عقله * وقسم في الحمقى من الرأى كامله
وثقل ميزان المخف باجره * لذا الوزن لما آد بالوزر كاهله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولاجل هذا الخطر العظيم والخطب الجسيم تورع عن الحلال الزاهدون وشمر عن التلوث بالدنيا ذيل الرغبة العابدون قال سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام اللهم ارزق آل محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية امانه ومن تقلد ذلك فقد اوجب على نفسه ضمانه فليجتنب خيانته ولايشن بها امانته قال صفوة الله تعالى وخيرته من بريته كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ومصداقه قول رب العالمين وملك الملوك والسلاطين وهو اصدق القائلين انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها

الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم يا ملكا اعطى الزمان امانه ان هذا الملك الذى بيدك هو من جملة الامانه التى اشفق السموات والارض والجبال وابين ان يحملنها خوفا من النكال والوبال وخشية ان لا يفين بحقوق حملها او يضعنها فى غير محلها فيعاقبن اوبالعتاب يخاطبن فتعففن عن الرغبة فى الثواب خوفا من العتاب والعقاب وعملن بموجب ما قيل

هجرتك لا قلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما * رأت ان المنية فى الورود
تفيظ نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهى تنظر من بعيد
تصد بوجه ذى البغضاء عنه * وترمقه بالحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانة بنو آدم لما قدره وقضاه العلى الاعظم فى سابق القدم ولما فيها من احكام وحكم وان الصادق المصدوق اخبر فيما روى عنه ابو ذر قال قلت يا رسول الله الا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال يا اباذر انك ضعيف وانها امانه وانها يوم القيامة خزى وندامه الا من اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها فمن جملتها الصلاة والصوم والزكاة والوضوء والاغتسال ومراقبة ذى الجلال فى السر والاعلان بقدر الطاقة والامكان وعلى هذا جميع الطاعات وأنواع العبادات هى فى رقاب العباد امانات ومن اعظمها واهمها واحكمها الامرة والحكومه والتصدى لفصل الخصومه والسلطنة العليه وامور الملك البهيه والقيام بامور الرعيه فيجب على السادة الحكام ومالكى ازمة الانام ان يراقبوا الله تعالى فى كيفية ادائها ويطالبوا انفسهم على ممر الانفاس بالقيام بوفائها ويراعوا اوامر سلطان السلاطين فى امور عبيده المستضعفين خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين فاذا عاملوا عباد الله بالعدل عاملهم الله عز وجل بالفضل قال الله المنان فى محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال السيد الكامل والسند الفاضل اشرف الاواخر والاوائل صلى الله عليه صلاة تفنى البواكر والاصايل سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل بدأ فى هذا الفصل من ذكر الصفات بالعدل والعدل ياذا الوجه النير

الوسط والوسط هو الخير قال من امره قهر وسطا وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء أي للانبياء تشهدون لهم على اممهم لعدالة فيكم
ويكون الرسول عليكم شهيدا أي يزكيكم أي وكما جعلنا نبيكم امام القبلتين
حايز القضيلتين جعلناكم حايزين خصلتين بالغين مرتبتين وهما كونكم
عدولا شهداء على الناس للانبياء مقبولى الشهادة فى الاداء وكون
الرسول معدلكم و بتزكيته على الامم مفضلكم وقال صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم ونخم وعظم عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة
وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام والذى نفس محمد بيده انه
ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وعن أبى هريرة رضى
الله عنه انه عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى
يفطر ودعوة المظلوم وروى كثير بن مرة رضى الله عنه قال قال عليه السلام
السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له
الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر
وعن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه لعمل الامام العادل فى رعيته يوما افضل
من عبادة العابد فى اهله مائة سنة أو خمسين سنة وقال قيس بن سعد ستين سنة
واعلم ايها الملك الاعظم واسلم ان العدل ميزان الله تعالى فى الارض
به ينتصف بعض الرعية من البعض وبه يؤخذ للضعيف من القوى ويعبد
الله على الصراط السوى ويتميز الحق من الباطل والحالى من العاطل
وهو من صفات الذات واعظم الصفات بمعنى ان الله تعالى عز وجل جلاله
له ان يفعل فى ملكه ما يشاء فيؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز
من يشاء ويذل من يشاء ويحكم ما يريد والخلق كلهم له عبيد وجميعهم
بعض ملكه نافذ فيهم سهم امر ملكه فلا اعتراض على فعل المالك ولا فيما
يسلك بمملوكه من المسالك ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك لاسيما اذا كان
مولاه كريما وفى افعاله مدبرا حكيما فمن عرف ان الله عدل وأن افعاله
جارية بين العدل والفضل يتلقى نقمه بالصبر و يقابل نعمه بالشكر ويطمئن
خاطره وتسكن الى مولاه سرائره فلا يستقبح موجودا ولا يستهجن
مفقودا ولا يستثقل حكما ولا يرى فى الكون ظلما بل يستقبل الاحكام

بالرضا ويستسلم لموارد القضا ويقابل العوارض بما قاله ابن الفارض

وكل اذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى

واعدل المخلوقات واوسط الكائنات الانبياء عليهم السلام فانهم اعدل الخلق مزاجا وطبيعه واقوم الناس منهاجا وشريعه واوسط البشر افعالا واقسطهم اعمالا واقوالا وانما يعترض على أقوالهم ويتعرض لافعالهم من هو عن الصواب منحرف وعن جادة الحق منصرف ومن عين بصيرته عمياء عن مراقبة التحقيق كالاعمى الذى خرج وهو ماش عن سواء الطريق فيعثر فى شوك اوحجر او يصدمه حيوان اوشجر فيقول نحوا هذا عن الطريق فانه يحصل به للمارة تعويق ويعيب على واضعه وانما العيب فى طبائعه والجهل منسوب اليه لعمى قلبه وعينيه كما قال ذو الخويصره لسيد الرسل البرره لما قسم الغنيمه قسمة مستقيمه اعدل فاجابه الكامل المكمل بانه ان لم يعدل فمن يعدل وانه اى ذا الخويصره الذى اعمى الله بصره خاب وخسر ولاقى اليوم العسر ان لم يعدل ذلك المفضل وكيف يقال هذا الكلام لمثله عليه السلام وقد أمره الله تعالى بالعدل ونشر سر هذا النقل واقر عينكم بقوله وامرت لاعدل بينكم قال الاسد الغالب على بن ابى طالب كرم الله وجهه وجعل الى رضوانه له احسن وجهه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وقيل الملك يدوم مع العدل ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما تعاطى حاكم ذو فضل فصل قضية فى فصل احسن من سلوك طريقة العدل ولهذا بقى اسم انوشروان مخلدا بالعدل على مر الزمان والى يوم نصب الميزان مع انه كان مجوسيا يعبد النيران والسنة التى اخترعها بالسلسلة التى وضعها باقية فى ممالك الصين معمول بها الى آخر حين وقيل انه كان شديد الوداد للاصطياد وكان يعشق البازى والزرق والصقر والباشق والبيدق فسأل يوما من البازدار لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار قال لانها تظلم الطيور والظالم عمره قصير فتنبه بهذه الكلمة واتعظ وكف يده عن الظلم واحتفظ ثم اسس قواعد العدل فانتشر ذكره الى يوم الفصل ويكفيه من الفضائل قول السيد

الكامل ولدت فى زمن الملك العادل وروي ان بعض الملوك العادلين والحكام الفاضلين استولى عليه الكبر ووقر فى اذنه وقر وكان قبل الصمم فى العدل والكرم كما قيل

وانة مظلوم وغنة سائل * على اذنه احلى من الشهد فى الفم

فحزن لفقد سمعه وتأسف وتحرق وتلهف وتأرق وبكى وتأوه واشتكى وقال ما اتلهف من عدم سماع الحديث الاعلى فقدى صوت المستغيث ولا كنت اتلذذ من متكلم الا بالاصغاء الى خطاب المتظلم ثم قال ولئن حرمت ذلك من طريق الاخبار فلا توصلنّ اليه من طريق الابصار ثم امر باشهار النداء فى الاطراف والارجاء أنه من كانت له ظلامه فليظهر له علامه وهى ان يلبس ثوبا احمر ويقف فوق ذلك التل الاخضر لتعرف علامته وتنكشف ظلامته وقيل ان السلطان السعيد نور الدين الشهيد لما أمر ببناء دار العدل وعزم ان يقيم فيها للحكومات الفصل ادرك الامير الكبير صاحب الرأى المنير اسد الدين شيركوه ما يعتمده السلطان ويرجوه وما يحمله على ذلك ويدعوه وعلم ان ذلك الاسد لا يسامح عنده أحد وانه لا يراعى فى الحق أميرا ولا كبيرا ولا صغيرا فانه مع الحق وبالحق قائم لا تاخذه فى الله لومة لائم فجمع مباشرى ديوانه وأكد ما قاله لهم بأيمانه ائن شكا منهم أحد أو بلغه عن احد من حاشيته ظلم او نكد ليذيقنه اشد العذاب وليئزلن به انكى عقاب وقال ما برز هذا الامر العزيز الغالى ببناء هذا المقعد العام العالى الا لاجلى ولاجل امثالى فاوسعهم الاطناب الخصوم واسترضاء العادل والمظلوم وروى ان احد الصدور غصبه بعض عمال المنصور وأخذ منه كفرا من الكفور فتوجه الى الخليفه وضرب له امثالا ظريفه وقال أصلح الله أمير المؤمنين وأقام به شعائر الدين ونصر به المظلومين على الظالمين اذكر ظلامتى اولا ام اضرب امام حاجتى مثلا فقال دع الجدل واضرب المثل فقال الهمك الله العدل واقام بك قواعد الفضل ان الطفل اذا نابه ما يكرهه اوقرعه خطب يجبهه فر الى أمه واجهش اليها من همه فاوى الى حضنها واندس تحت بطنها لانه لا يعرف سواها فيستكشف بها عن نفسه ما دهاها

ولا يظن ان غيرها يدفع عن نفسه ضيرها فاذا عرف اباه بث اليه شكواه
واستدفع به ما عراه لانه قد وقر فى وهمه ان أباه أقوى من أمه وان غيره
من الناس لا يقدر على دفع الباس فيلجأ اليه فيترامى فى دفع شدائده عليه
ولا يقبل عذره ان ترك نصره او قصر فى مبتغاه او تهاون فى متمناه ولهذا
قال بدر الحى ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شى
فاذا اشتد واستوى واصابه من أحد جوى تقدم الى الوالى لان مقامه
عالى وهو اقوى من ابيه فيستكشف به ما وقع فيه فاذا صار رجلا
واصابه من احد نكد وبلا استنجد بنائب السلطان فوجد له أحسن
معوان فاشكاه ورفع بلواه وكفاه اذ دعاه من عداه مادهاه ورعاه
عما عراه فانه أقوى من الوالى واقدر على دفع الظلامة من كل منهمك
غالى وهو السلطان الحاضر والعامل والناظر على البادى والحاضر
فاذا ظلمه الوالى والعامل ونقصه حقه ذو الحكم الكامل تعلق باذيال عدل
السلطان واستكشف بمراحم نصرته مادهاه من عدوان اذ قد تحقق
ورأى وصدق انه اقوى من الكل والى مرسومه مرجع الجل والقل
ولا يد فوق يده وانه قد انتهى حديث رفعته لعلو سنده وبلغ فى التسلط
ونفوذ الامر الى اقصى امده اذ هو ظل الله فى أرضه وخليفته فى اقامة
نفله واحياء فرضه وقابض ازمة المخلوقين ومنصف المظلومين من الظالمين
فاذا لم ينصفه السلطان مع القدرة الكاملة والامكان توجه بشكواه
الى سلطان السلاطين وطلب رفع ظلامته من رب العالمين لعلمه انه الحكم
الذى لا يجور والحكيم الذى بيده مقاليد الامور والحاكم الذى يعلم خائنة
الاعين وما تخفى الصدور وانه أقوى من السلطان ولا يحتاج فى الشكوى
الى بينة ولا بيان ولا الى دليل ولا برهان وقد نزلت بى حادثة للقلب كارثه
وبالفكر عابثه وللسر عائثه وهى ان العامل الفلانى ظلمنى وأخذ مكانى فانا
اشكوه اليك وقد ترامیت عليك وعرضت قصتى بين يديك لانك نعم السند
وليس فوقك أحد ولا فى الحكام الامن هولك بمنزلة الغلام وما بعدك الا الله
مولى لا يخيب من رجاه ويجيب المضطر اذا دعاه فان وعيت قصتى وكشفت
غصتى والا رفعتها الى الله وقطعت النظر عما سواه وهذا أوان الموسم واعمال

المنسم

المنعم وانا متوجه الى حرمه ومترام على باب احسانه وكرمه فلما وعى المنصور
خطابه ارسل من سحاب جفنه عبابه وقال حبا وكرامه ياذا الزعامه بل
انصفك وبالفضل اسعفك واضعف كرامتك واكشف ظلامتك واوصلك
حقك واعطيك مستحقك وامر فكتب الى واليه بضع من معاليه ويأمره
برد اراضيه وطلب مراضيه والتحلل من ظلم اياديه واكرام محله وناديه
وروى ان موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم فى بعض مناجاته وسؤاله
حاجاته سأل الله من فضله ان يريه نكتة من عدله فأمره ان يتوجه
الى مكان ويختفى فيه عن العيان فامتثل مابه أمر واختفى فى ذلك المكان
على شط نهر فما كان باسرع من قدوم انسان الى ذلك المكان فبمجرد
ماوصل اليه نزع من ملبوسه ماعليه وكان معه كيس فيه مال نفيس
فاودعه ثيابه ورام فى الماء انسيابه فدخل فى ذلك النهر وغلغل فيه
الى ان غاب عن النظر فاقبل فارس فوجد ثيابا بلا حارس فنزل عن الدابه
وفتش ثيابه وأخذ كيس الذهب وركب فرسه وذهب واسرع
فى الذهاب الى ان زال شخصه وغاب ثم اقبل شخص ذو شجب وعلى ظهره
حزمة حطب فانتهى الى الما وقد برح به الظما وامضه التعب وأخذ
منه النصب فطرح عن ظهره الحطب وقصد الراحه وقد ظهر الذى كان
فى السباحه فوجد عند ثيابه شخصا من اترابه فاستأنس به وتاوه
لمكتسبه ومايقاسيه من نصبه ثم اشتمل ملبوسه وتفقد كيسه فما وجده
فعض يده فسال الحطاب عما كان فى الثياب وطلب منه الكيس
بالتعبيس فقال مارأيته ولاحويته فقال هل كان معك أحد فقال لا
والواحد الاحد قال فهل كان هنا سواك قال لا والذى سواك قال يا أخى
انا وضعت الهميان بيدى فى هذا المكان ولم يطل على ذلك زمان
ولاحضر سواك حيوان ولا طمث عذراء هذا الموضع انس ولاجان فلا
اشك انك اخذته ولنفسك اتخذته فاقسم بعالم الخفيات وكاشف البليات
المطلع على الضمائر والنيات أنه مارأى له هميانا ولايعرف لذلك مكانا
فقال لو شهد لك الكون والمكان ونطق ببراءتك جوامد الزمان وزكاهم
الكرام الكاتبون لما شككت انهم كاذبون لان انكار المحسوس مكابره

والمثابرة على الباطل للحق مدابره ولكن خذلك منه يافقير الثلث والثلث
كثير واردد على الثلثين وان ابيت فاجعله بيني وبينك نصفين فما زاد
ذلك على اليمين وماشك هذا انه يمين فقال اردد على مالى والا قتلتك
فلا لك ولا لى فقال مارأيت مالك فافعل مابدا لك فشرع فى تفتيشه
وبالغ فى فحصه وتنبيشه فلم يهتد الى شى سوى الضلال والغى فاخذه
الحنق واشتد به الارق وثارت نفسه الابيه واتقدت سورته الغضبيه
فضربه بمهند فقتله وجدله بالاهلاك فجدله ثم تركه وذهب ولم يحظ من
الذهب بغير اللهب كل هذه الاحوال وموسى عليه السلام يشاهد مافيها
من افعال واقوال ثم ناجى فقال ياذا الجلال أنت عالم بحقائق الامور
وسواء عندك البطون والظهور سألت فضلك ان تريني عدلك فاريتنى
هذا المغرم وأنت أعلى وأعلم ففى ظاهر ما امرتنى وبكرامته غمرتنى
من الشريعة المطهره ونص التورية المحرره أن هذا الحكم جور وظلم
فاطلعنى على الحقيقه وبين لى سلوك هذه الطريقه فقال الله تعالى وجل
جلالا ياموسى المقتول قتل أبا القاتل والقاتل سرق الكيس من ابى
الفارس الخاتل ففى الحقيقة الفارس النبيه وصل الى ماله المخلف عن أبيه
والقاتل انما استوفى قوده ممن قتل والده وهذه الامور انما تتضح يوم
النشور يوم تبلى السرائر وتنكشف الضمائر وينادى يوم التناد لاظلم
اليوم ان الله قد حكم بين العباد ونظير هذه القصه ماذكره الله تعالى وقصه
فى روض كلامه النضر عن موسى والخضر عليهما السلام والتحية
والاكرام اذ ركب السفينة وخرق خرقا موديا الى الغرق وقتل النفس
الزاكيه وأقام بغير اجر اركان الجدار الواهيه وبعض ذلك مخالف لظاهر
الشريعه تنفر عنه النفس السليمة والطبيعه ولكنه موافق للحكمة
الالهيه ومقتضيات العقل الخفيه الذى لايطلع عليه الا عالم الاسرار
الخفيه ولهذا قال جل واحدا احدا وتعالى فردا صمدا عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه احدا ثم استثنى من هذا المقول الا من ارتضى من رسول
وانما الشريعة الزاهره وردت بما تقتضى من الحكم الظاهره فتعبدنا الله
فى الشرائع بظاهر مايثبت فى الوقائع قيل من ايقن بحقيقة اربعة كان من

ضيق

ضيق اربعة فى سعه وامن ودعه من ايقن ان الصانع الضار النافع لم يخطئ ولم يغلط امن من العيب والشطط ومن ايقن ان الخلاق ومقسم الارزاق لم يحف فى خلقه ولم يمل فى رزقه امن من الحسد واستراح من النكد ومن ايقن بوقوع المقدور وانه لا ينجيه منه محذور امن من الغم ولم يتسلط عليه الهم كما قيل

ماقد قضى يا نفس فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر

ومن عرف أصله امن من الكبر نصله وكتب فى قضيه الى اعدل خلفاء بنى اميه من عامله بحمص انه هدم الدمص وعدم النمص وان ربضها رابض ومرعى رياضها بارض وانها محتاجة الى عمارة وزراعه وحراسة ومناعه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز هذا الجواب المفيد الوجيز وهو حصنها بالعدل ونق طرقها من الجدل يثبت البنا وينبت الكلا والسلام وقيل امير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبه كمشكاة بلا مصباح وغنى بلا سخا كقفل بلا مفتاح وفقير بلا ادب كطابخ بلا حطب وامرأة بلا حيا كطعام بلا ملح وقاض جاير كملح على جرح وقيل العالم بستان سياجه الشريعة والشريعة سياجة يخدمها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش اعوان يكفلها المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية احرار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم وليعلم ان الملة الاحمديه والشريعة المحمديه هى أعدل الملل واقوم النحل مثلا النصارى لا يتحامون الحائض ايام اقرائها ولا فرق بين الحائض وغيرها من نسائها واليهود يجتنبونها فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقربونها رأسا ويعدونها رجسا وركسا فسلكت الشريعة المحمديه فى ذلك اعدل الطرق وأفضل المسالك فتعاشر كالاطهار وحرم قربان ما تحت الازار وفى بعض الملل على الذى قتل القود والقصاص وليس فى الدية خلاص وفى بعض الدية لا غير وما للقصاص فيها سير ودين الاسلام المرفوع كل فيه مشروع والعدل فى الاعتقاد يا ملك البلاد ترك التخليط وسلوك ما بين الافراط والتفريط والقول بالتقديس والتنزيه واثبات الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه واقتباس النور من جهتين وسلوك أمر بين أمرين

والعدول عن المذهب البغيض وهو مذهب الجبر والتفويض والعدل
فى الفقهيات يامعشوق المخدرات والحذاريات الذى قام عليه النص
دليلا ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فمن العدل
الوضوء المعتاد ثلاث مرات ومن نقص اوزاد فقد تعدى وظلم كذا قال
النبى المكرم صلى الله عليه وسلم أى تعدى ان اسرف وظلم ان اجحف
والعدل فى الصلاه ان تكون على مرتضى الشرع ومقتضاه وهى اداؤها
فى أفضل الاوقات مؤداة مع الجماعات فى الصف الاول على الوجه
الاكمل عن يمين الامام من الافتتاح الى الاختتام مع تعديل الاركان
بل التعديل فرض عند بعض الاعيان لانقرا كنقر الطير ولاتطويلا يضر
بالغير والعدل فى الزكاة ان لا يتيمموا الخبيث منه ينفقون ولايجعلوا لله
مايكرهون ولستم بآخذيه الاان تغمضوا فيه ولايكلف جابى المال
ان يعطى كرائم الاموال والعدل فى الصوم ياسيد القوم ان لايتناول
فوق الغذاء المعتاد ولايصل بالوصال الى درجة الاجهاد ويعجل الفطور
ويؤخر السحور والعدل فى الحج ان لايمارى فى الانفاق ولايضارر
الرفاق بالاشتقاق كما يفعله ابناء الزمان فان ذلك خسران والازدياد من
ذلك نقصان ولقد بلغك يابقر ماقاله عمر لخادمه يرفا وذا لايخفى كم
بلغت نفقتنا مقدارا قال ثمانية عشر دينارا ياأمير المؤمنين قال ويلك
اجحفنا بيت مال المسلمين واياك والاشر وقالك الله كل شر فقد بلغت قيمة
راحلة سيد البشر ليدل ذلك على ترك البطر والاشر ولايقصر فى نفقته
بحيث يصير كلا على رفقته وكذلك فى كل الانفاق يامالك الآفاق
قال من عز كلاما وجل مقالا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما والعدل فى النكاح ياحبيب الصباح لمن عليه
يقوى فهو اقرب للتقوى وهو ياأباحسان واجب عند التوقان سنة
عند القدرة عليه مستحب عند استواء طرفيه مكروه عند العجز عنه وهذا
بحث قد فرغ منه وقس ياذا الكرامات على هذا سائر العبادات
وجميع العادات وعقود المعاملات ولاتتعد الحدود فى الحدود فان
ذلك مردود وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهره وجرت قديما

شرائع الانبياء البرره وكذلك مقادير الملة المحمديه عليه ازكى تحيه محررة
على القواعد العدليه وفيها من الحكم الالهيه مايعجز عن ادراكها القوى
العقليه قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس
وحاصل الامر ياذا النهى والامر ان العدل هو قوام كل فضيله كما ان
الصبر هو اساس كل خصله جميله وان اردت بسط هذا البيان
فدونك القول والتبيان فى تفسير القرآن المنزل على اشرف انسان
ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقد اشبع التقرير ودقق التحرير
فى روضه النضير فارس ميدانه الامام الخطير فخر الدين الرازى فى تفسيره
الكبير والعدل يجرى فى الصفات كما يمشى فى الذوات ومرتبته
فى العلو ان يكون بين التقصير والغلو كالكرم الذى يكون بين الاسراف
والتبذير والشح والتقتير والتواضع الذى بين الضعة والتكبر وبين
التصعر والتصغر والشجاعة التى بين التهور والخفه والجبن الطايش الكفه
والقناعة التى بين الحرص والطمع والنذالة والهلع وبين العجب
والتصاف والاحتشام والتقشف والاخلاص الذى بين الشرك والهوى
وبين الاعجاب والريا والعفة التى بين التهافت على المشتبهات والترفع عن
تناول المباحات والطيبات والحزم الذى بين سوء الظن والوهم والوسواس
وبين اذاعة السر والاستخفاف وعدم المبالاة بالناس والحلم الذى بين الغضب
بلاسبب وبين التغاضى عن الآثام عند موجب الانتقام والشفقة ولين
الجانب للاقارب والاجانب الذى بين القسوة والاستكبار وبين
الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار وحفظ الحقوق الذى
بين التكلف والعقوق يراعى فيها الحدود ولايخرج فيها عن الحد المعهود
فالخروج عنها يسمى عنادا وقساوه والتقصير فيها يدعى ركاكة ورخاوه
مثلا من يستحق العفو لايضرب ومن يستاهل الضرب لايقطع ولاينكب
ومن استوجب القطع لايقتل ومن وجب عليه حد لايهمل وتجرى امور
الشرع الشريف على ماورد به الامر المنيف فما ثم احد اكرم من الله
ولا ارحم ولا اعلم بامور مخلوقاته ولا احكم قال السميع البصير الايعلم من

خلق وهو اللطيف الخبير وروى ان الامام المسدد جعفر بن محمد دخل
على الرشيد وهو فى أمر شديد قد استولى عليه الغضب واستخفه الطيش
والعجب فقال يا أمير المؤمنين ان كان غضبك لرب العالمين فلا تغضب له
اكثر من غضبه لنفسه وقد حد لكل شئ حدا من نعمه و باسه فلا تتعد
حدوده فانه قد ملكك عبيده فتذكر من وقوفهم بين يديك واقتدارك
عليهم اذا تمثلوا قياما لديك قدومك يوم القيامة عليه ووقوفك خاضعا
منفردا بين يديه ومن انتقامك منهم سؤاله اياك عنهم فسكن من غضبه
واقتدى بادبه وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال فى كل الامور
فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفى الحديث خير الامور اوسطها ولهذا قيل
فى الاقاويل ينبغى للانسان الراجح العقل فى الميزان ان يحصل من كل علم
مقدار ما يحتاج اليه ويعول فى مشكلاته عليه مثلا من علم الادب ماينال
به عند اربابه الرتب كاللغة والنحو والصرف ولو انه ادنى حرف ليقوم
بذلك لسانه ومن علم المعانى مايدعم به بيانه ومن العروض والقوافى
المقدار الوافى والمعيار الكافى ومن الطب مايعرف به مزاجه ويصلح به
علاجه ويقوم به اعوجاجه ومن علم التفسير والقرآن مايقتدر به على
بيان كلام الرحمان ومن علم السنة والحديث مايميز به الطيب من الخبيث
ويضبط به اقسامه وصحته وسقامه والانساب والرجال ومالهم من
صفات وأحوال ان لم يكن مفصلا فعلى الاجمال ويندرج فيه علم التاريخ
العالى الشماريخ ومن علم الكلام مايصحح به دينه ويقيم به اعتقاده
ويقينه ومن علم الاصول وما اشتمل عليه من معقول ومنقول مايقدر
به على استنباط الاحكام ومعرفة ادلة الحلال والحرام ومن علم الفروع
مايحكم به اصناف العبادات وأنواع العادات وطرائق العقود واقامة
الحدود ومن علم مكارم الاخلاق مايصيد به قلوب الرفاق ويكتسب به
الذكر الجميل والثناء الجليل ومن الحرف مايحصل به القوت الحلال
ولا يصبر على الناس كلا ذا املال وقد قيل خالطوا الناس مخالطة ان غبتم
حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم ومن علم الركوب والرمى والسباحه
والخط ولعب الرمح والسياحه وعلم الفرائض والحساب وطرائق

المبايعات

المبايعات والكتاب مايقدر به على الدخول اليه اذا تكلموا فيه بين يديه بحيث يكون له فيه مشاركة والمام ولا يكون بين الخواص كالعوام وكل ماذكر فسلوكه عدل والتلبس به كمال وفضل ورأس مال الجميع التقوى فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى قال الله تعالى لكن يناله التقوى منكم وبالجملة فالعاقل العادل بل الكامل الفاضل لا يستنكف عن نوع من العلوم ولا تبرد همته عن اقتباس منطوق ومفهوم قال معلم الخير ومحذر الشر تعلموا حتى السحر وقال

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وكل صافي السريره وذي بصيرة منيره يتوجه الى التعلم والاستفاده ويجعل مراده مراده أي علم كان خصوصا اذا كان من الشرف بمكان قال بعض الوزراء لابنه يابني تعلم العلم والادب ولا تسأم فيهما من الطلب فلولا العلم والادب لكان ابوك في السوق حمالا وللنوق جمالا فبالعلم والادب ركبنا اعناق الملوك واحوج الناس ياذا الافضال الى اكتساب الفضل والعلم والكمال السلاطين والملوك ومن تبعهم في السلوك فانهم بين خلق الله تعالى هم المرموقون والسابقون بجلائل النعم لا المسبوقون وبحفظ بلاده وعباده المستوثقون وبالسؤال عنهم موثوقون فهم المتحملون لاعباء العدل المكلفون بالمحاسبة عنه والفضل قال من يقول للشيء كن فيكون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم اقدر على التحصيل من غيرهم والزمان والمكان تابعان لسيرهم والخاص والعام يتمنى قربهم ويسلك في التوصل الى جنابهم دربهم ويبذل في ذلك ماوصلت اليه يداه ويجعل تحصيل مايرومونه غاية متمناه فيبذل جهده في ايصالهم اليه ويكد قلبه وقالبه في اطلاعهم عليه قال الشاعر

ولم ارفي عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يابني اكتسبوا العلم والفضل وادخروا الحلم والعدل فان احتجتم الى ذلك كان مالا وان استغنيتم عنه كان جمالا وقال بعض الحكماء العلم ملك ذو اعضاء رأسه التواضع ودماغه المعرفة ولسانه

الصدق وقامه حسن النية وبداه الرحمة ورجلاه مشايرة العلماء وسلطانه العدل ومملكته القناعة وسيفه الرضا وقوسه المسائلة وسهمه المحبة وجيوشه مشاورة الادباء وزينته النجدة وحكمه الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح ووزيره اصطناع المعروف ومستقره جودة الرأى وماواه الموادعة ورفيقه مودة الاخيار وذخيرته اجتناب الذنوب والحاصل ياملك الطير ويامالك عنان الخير ان قوام العالم ونظام بنى آدم سيف الملوك والسلاطين وقلم العلماء الاساطين فمهما حدث من شر محاه سيف الملوك ومهما وجد من خير اثبته قلم علماء الارشاد والسلوك وفى الحقيقه ياشيخ الطريقه العالم عبارة عن هؤلاء وبصلاحهم تصلح الاشياء وبفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا اذهم لزوال الفساد وطهارة العباد وعمارة البلاد بمنزلة الصابون للاوضار والاستغفار للاوزار فاذا فسد هؤلاء فما للفساد هم دواء كما قيل

الذنب صابون الاستغفار يغسله * كالثوب ينظف بالصابون ان وسخا

فما الذى يغسل الصابون من دنس * اذا رأيناه صار الذنب والوسخا

وناهيك ياملك العقبان ما فسد من الزمان وجرى من الدماء من طوفان وانمحى من امهات البلدان عند استيلاء الكافر جنكزخان فسأل العقاب عن كيفية هذا المصاب والعقاب ومن هو جنكزخان الذى افسد وشان وما أصله وفصله وكيف كان قطعه ووصله حتى نفذ فى كبد العالم بالفساد نصله فقال هذا رجل من بقايا التتار الساكنين من بلاد الشرق فى قفار وهم من بقايا يأجوج ومأجوج عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد بالخروج فكانوا قبل جنكزخان مبددين فى صحارى لا يتفق منهم اثنان مسيرة اماكنهم ومدى مساكنهم شرقا بغرب نحو من ثمانية اشهر وشمالا بجنوب لا ينقص عن هذا المدى ولا يقصر حدّها من الشرق حدود ممالك الخطا واقصاها خان بالق وهى مدينة عظمى ووراءها شرقا يامن يرقى ينتهى الحد بعد السير الجد الى بلدة عظيمه ولاياتها جسيمه تدعى خيسار وأهلها كفار وهى مبدا مملكة الصين ياذا المجد الرصين ومن الشمال نواحى قرقير وسلنكاى

ومن

ومن الجنوب بلاد تدعى تنكيت وتبت وتيت هذه ياذا النسك هى التى يتولد
من غزالها المسك ومن الغرب وهى جهة قبلة تلك البلاد اذ اصلى المسلمون
منهم والعباد حدود بلاد اويغور وماوالى تلك الكفور من بلاد
تركستان ياذا الاحسان ويسير المجد منها اذا انفصل عنها كذا وكذا
شهر حتى يصل من جهة غربها الى ماوراء النهر ثم هؤلاء التتار كانوا
فى تلك القفار بين هذه الحدود الاربعه فى مضيعة وأى مضيعه يتوالدون
فى ذلك البر ويتهارجون فى ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة فى البر
والبحر لاحاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم وهم فيما بينهم قبائل
وشعوب واصناف وضروب وخلائق وامم لا يعرفون الاسلام والسلم
بل كل امة تلعن اختها وتنهب تحتها وتأكل رختها وكل طائفة تعد غارتها
وتقصد جارتها وكل من قوى على غيره كسره اما قتله واما اسره لم تزل
المكافحة بينهم قائمه والمناطحة بين ثيرانهم وكباشهم دائمه وعيون الرشد
والاهتداء عنهم نائمه وضوارى الظلم والاعتداء فى مسارح سوارح
احلامهم سائمه يعدون النهب غنيمه والفسق والفجور والنميمه اجمل
صنعة واكمل شيمه يأكلون الكلاب والفار وما وجدوه من صيد القفار
والميتة والدم والهوام لا يعرفون الحلال منها والحرام ويلبسون جلودها
واوبارها واصوافها واشعارها كما كان مشركو العرب فى الجاهليه قبل
اشراق شمس الملة المحمديه لازرع لهم ولا ثمر سوى نوع من الشجر يشبه
شجر الخلاف هو ثمرهم فى الشتا والاصطياف اسمه قسوق وهم على
ماهم عليه من الفسوق يعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس
اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها وتخالطهم الجن
ويرصدونها وفيهم كهنة يعتقدونها وسحرة ومكره وسواجع وزجره
يجبى خراجهم الى ملك الخطا وهم على اشد كفر وخطا قد تركب الكفر
فى احشائهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واعلى من فيهم من
اكابرهم وذويهم علامة رياسته وانفراده بسياسته وانه فيهم ذو بأس
شديد ورأى سديد ومال مديد كون ركابه من حديد وباقى اعيانهم
وذوى مكانتهم وامكانهم ان كانوا ذوى جد فركابهم قضيب ملوى اوقد

وعندهم افخر ملبوس جلود الكلاب والنموس والذئاب والتيوس وقس
على هذا جميع تجملاتهم ومفاخر آلاتهم فهم من قديم الزمان وبعد الحدثان
من حين بلغ ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين
الصدفين الى آخر وقت كانوا فى قلة ومقت وضيق حال وسوء بال لا دنيا
رخيه ولا آخرة رضيه حتى نبغ منهم هذا اللعين الطاغية تموجين الذى تسمى
بجنكزخان وساعده قضاء الديان فامده الزمان واطاعه المكان لامر يريده
الرحمن وقضاء قدره على عبيده فى سالف الازمان فطم العالم بالفساد فاهلك
العباد والبلاد واخلى الديار والدار وعم غالب بلاد الاسلام بالشنار
والبوار فصلى الله على سيد بنى عدنان بل اشرف جنس الانسان الذى
قال يخرج فى آخر الزمان رجل يسمى امير العصب اصحابه محسورون
محقرون مقصون عن ابواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كانهم فزع
الطريق يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها فاتبعه منهم النساء والرجال
اتباع اليهود والكفرة المسيح الدجال امم لا يحصرها حساب ولا يحصيها
ديوان ولا كتاب وما يعلم جنود ربك الا هو فارشدوا الى طرق الضلال
بعد ما تاهوا وصار كل من اولئك الطغام الكفرة الفجرة الاوغاد اللئام
وكل كلاب خادم كلاب الصيود يجرى سيفه الكال الكدود من اشراف
الملوك وملوك الاشراف وفى اعضاد الاسود وفى رقاب النمور والفهود
وكل ماضغ شيح وقيصوم وعلج من اولئك العلوج وعلجوم يتفكه فى انواع
المستلذات من المشروب والمطعوم وكل صعلوك معلوك من تركى متروك
او خدام مملوك يتحكم فى رقاب اكابر الملوك ويستعبدون احرارا ولادهم
ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم فى بلادهم

على راس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

ومن لا يعرف البطائن المرويه ولم يسمع بالرقاع الكرباسيه يستوطى
الاستبرق والديباج ويتقلب على تخوت الصندل والساج ويترقى الى سرر
الابنوس والعاج ويعامل التجار والمضاربين فى البر والبحار بالوف
الالوف من الدرهم والدينار فيجبى اليهم نفائس المضارب من المشارق
والمغارب ومكامن المعادن وذخائر الخزائن ككل ذلك بواسطة ذلك
الطاغيه واستيلاء الفئة الباغيه وكان من امر هذا المصاب الذى بدّل

حلاوة العيش بمرارة الصاب وخلد فى الدهر قواعد البلايا والاوصاب ان الله
القاهر فوق عباده الذى لايسأل عما يفعل من مراده بل له المراد فى
عباده وبلاده المتصرف فى ملكه تصرف المالك فى ملكه لما أراد ابتذال
الصون وعموم الفساد فى عالم الكون واستئصال غالب أهل الارض
واذاقة بعض عباده باس بعض واظهار آثار غضبه على صفحات الشهود
وابراز اسرار قهره على وجنات الوجود وطمس سطور صدور علماء العالم على
لوح الورود بلسان نار السخط ذات الوقود ونقص ارض العلم من اطرافها
واخلاء ربوع المحاسن من ألافها اينع هذا التمساح من افواج امواج
هذه البحار ونبع هذا التنين المبين من اوعار تلك القفار واغوار اوغاد
هاتيك التتار فكان ممتازا على اقرانه بوفور عقله وحسن بيانه ذا فكر
مصيب ورأى صايب وحزم عجيب وعزم ثاقب وهمة تبارى الافلاك
وثبات يجارى السماك كسر بصدماته الاكاسره وقص بسطواته القياصره
وقرع بعزماته على قمم الفراعنة والجبابره وقهر بحملاته قهارمة خواقين
القياصره وكان اميا لايقرأ ولا يكتب اعجميا عجريا لايحسب ولا ينسب
لاطالع الاخبار ولا اقتفى فى سياسة الممالك الآثار بل فرع مافرعه من
القواعد من صحيفة تفكيره واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مطالعة
هواجس ضميره فاسس قواعد لو ادركه اسكندر ودارا لما وسعهما الا اقتفاء
اثره وشيد مبانى لو بلغت نمرود وشداد البنيا قصور قصورهما واقصارهما
على اركان خبره وخبره ورتب تجهيز السرايا والجنود وربط عقود الجيوش
والبنود بطرائق يعجز عنها مهندس الحكمه ويتقاعد عن حل رموزها
معزم الفطنه وغالب ما يتعاناه ويستعمله ويتعاطاه جيوش الاتراك
فى بسيط الارض من ابرام طرائق عساكرهم والنقض انما هو من قوانين
ماترتبه وافانين ماهذبه وركبه وله فى ترتيب حراب الحروب ومافى فن
الضرب والضراب من ضروب وطرائق الاصطياد مخترعات دقائق
لم يسبق اليها من لدن كيخسرو وكيقباد احكم بها الموافق ونصر المصادق
وكبت المعادى وكسر الاعادى واستطال مع كثرة مخالفيه عليهم وانفذ
سهم تحكمه وتحكيمه فيهم واليهم وصال فيهم حسبما اراد وجال واتسع له

فى التضييق على الاسلام والمسلمين المجال فكل من عامله بالمجامله وتلقاه بالعبوديه وحسن المعامله ابقى على نفسه واهله وماله وحصنهم من اليم خيله ورجاله ومن قابله بالمقاتله وقاتله بالمقابله وتلا فى صف قتاله سورة المجادله محاسطور كونه من لوح الوجود واوطاسنابك خيله منه الجباه والخدود فخرب ديارهم ومسح اثارهم مع شركه واسلامهم وبدد عساكره ونظامهم ومع ان أكثر الملوك والسلاطين وحكام الممالك الاسلامية من الامراء والاساطين لعدم اكتراثهم بالاتراك والتتر وشدة ماهم فيه من النخوة والبطر ولاعتمادهم على حصونهم الحصينه وتعويلهم على معاقلهم المكينه ولكثرة العدد والعدد ومساعدة المدد والمدد ولوفور العمائر ببلادهم وخراب بلاده وبسطة استعدادهم وضيق استعداده لم يعاملوه الا بالمكافحه ولاردوا جواب خطاباته الا باللعن والمكالحه والسب والمقابحه ولاقابلوه الا بالمرامحه والمراوسة والمناطحه فقتلهم وابادهم واستصفى طارفهم وتلادهم وتوطن ديارهم وبلادهم واباد هم عن آخرهم واطفأ قبائل عشائرهم فذلا كابرهم اسمطة الرزايا ووضع فى افواه اصاغرهم اثدية المنايا واضافهم فى ولائم الدمار واطافهم على نجائب الانكسار فى ملابس البوار فاستاصل شأفتهم بالكليه وحكم فيهم صوائل المنيه فلم يبق من مائة ألف انسان مثلا مائة انسان وذلك أيضا اما على سبيل التغافل أو على سبيل النسيان وسيذكر على سبيل الاجمال مايدل على تفصيل ماله من احوال وشواهد مافزعه من اهوال واستمر ذلك فى ذريته وان كانوا رجعوا عن ملته وأصل هذه الاصله التى اضحت بخلقان اللعن اكسى من بصله قبيلة من تلك التتار الساكنين فى تلك القفار تسمى قنات ظلمة عتات غير امناء ولاثقات منها اباؤه واجداده وفيها اقاربه واحفاده واخوته وأولاده فنشأ كماذكر بطلا باسلا وشجاعا كاملا سهام افكاره فى عمره مصيبه ورهام آرائه فى مكره خصيبه ثم اتصل بعد ما اخنى وخان بملك الخطا يسمى باونك خان وأظهر من أنواع الفراسه والفروسة والكياسه مافاق به اناسه وفات من العقل قياسه فقربه الملك وادناه ولمهماته اصطفاه ولازال يترقى عنده الى ان ملك

جنده

جنده وصار عضده وزنده ودستور ممالكه ومسلك مسالكه وحاكم
امرائه وناظم امور وزرائه وناظر جمهور كبرائه وعين أعوانه وعون
اعيانه واعز من اخوته وأولاده وابر من حفدته وتلاده وكثفت
حواشيه وعظمت غواشيه وملأت السهل والوعر فواشيه ومواشيه
فثقل على الوزراء وصعب على الامراء اذ مدار الملك صار عليه ومرجع
الامير والمأمور اليه فحسده اولاد الخان واخوته واجناده واسرته
واعملوا له المكايد ونصبوا له المصايد وتعاطوا افساد صورته وتواطؤا
على اخماد سيرته فصاروا يتناوبون على ذلك فى غيبته ويمزقون اديم عرضه
عند الخان ويشقفون ستر عصمته بمخاليب البهتان ويراقبون للكلام
اوقات القبول ويواظبون فى السعاية عليه بدلائل المعقول حتى اوغروا
صدر الملك عليه واخذ يفكر فى كيفية ايصال الاساءة اليه ولم يقدر على
مواجهته لوفور جماعته وكثرة حاشيته فان اوتاده كانت ثابته وغراس
هيبته كالارزة نابته وفروع دوحة عصباته قد احاطت بالملك من كل جهاته
حتى قيل ان ذلك الثقيل كان له من القرابات وذوى الارحام والعصبات
والاولاد والاحفاد ما جاوز فى التعداد عشرة آلاف نسمه كل له حرمة
وكلمه فأضمر له السلطان البيات وانتخب لذلك من عسكره اولى الثبات
والاثبات الثقات ولم يختلف عليه فى ذلك اثنان لانه كان قد استحكم فيهم
منه الشنآن وعلموا ان سهم مكرهم نفذ وحسام فكرهم فى قطعه فلذ
ورأوا من الرأى ارصنه ان يراقبوا الحتفه مكمنه فتواعدوا على ليلة معينه
يدهمون فيها مأمنه وكان عند الخان صبيان محرمان لا يؤبه اليهما
ولا يعول فى الامور عليهما يدعى احدهما كالك والآخر باده فانسلا من بين
اولئك القاده وسلكا طريقا غير العاده واتيا تموجين الطاغية اللعين
فى خفيه ونبهاه وعيه واخبراه وبصراه وانذراه وحذراه بما تمالأ عليه الملك
مع عسكره المنهمك وقالا أيها العفريت قد طبخت لك قدرة التبييت فتنبه
من النوم وارقب فى الليلة الفلانية هجوم القوم فانه قد مرج مارج الفتنة
فامرج وعن وهاد غفلتك اعرج ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج وباعاه
من السر ما جرى بتخيير المشترى وقصا عليه القصص فخاطر حياته

من القفص وظن نجاته من القفص فشكر لهما افضالهما واستكتمهما قولهما ثم تثبت فى أمره واخفاه عن زيد وعمره وجمع تلك الليلة رجله وخيله ولم يبد تلك الحال لاحد من الرجال بل اخلى بيوته ولازم سكوته وقصد احد الجوانب بجامعه من راجل وراكب واقام فى كمين ينظر ايصدق الواشى ام يمين فما مضى هزيع من الليل الا وقد هبطت الخيل فوجدوا البيوت خاليه والاطلال خاويه فتحقق صدق الناقل وانه ناصح عاقل فعمل مصلحته وأخذ حذره واسلحته وتقرر وقوع النكد فتقدم امامهم واستعد فقصدوه وبالاذى رصدوه ولازالوا يتبعونه حتى التقوا بمكان يسمى بيالجونه وهو عين ماء فى حدود بلاد الخطا فاشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقصد كل منهم الآخر بالطعن والضرب فاعانه الله ونصره فكسر الخان وعسكره وفر بمن معه من فئته وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائه وغنم تموجين من الاموال والمواشى والاثقال وذخائر الخزائن ونفائس البحار والمعادن ما فات الحد والحصر خارجا عن سعادة النصر وهرب الخان وتهدمت منه الاركان فجمع جنكزخان عسكره وضبط اسماء من حضره ومن كان شاهدا القتال ومواقف الحرب والجدال من النساء والصبيان والرجال ومن خادم ومخدوم وخاصم ومخصوم ومأمور وأمير وكبير وصغير حتى السائس والجمال والطباخ والبغال والطفل والرضيع والنذل والوضيع ومن شهد تلك الغاره أو كان فى تلك الداره ولو حاضرا للتفرج مع النظاره واستبشر بوجودهم وتيمن بورودهم فأثبتهم فى الديوان باسماء آبائهم وجدودهم وفرق عليهم ذلك الفىء ولم يرفع الى خزائنه منه شئ بل وزع ذلك المغنم الوافر العظيم المتكاثر على الحاضرين معه من العساكر وضبط اسماءهم فى الدفاتر وفرق ذلك العرض العريض الطويل على قدر الحقير منهم والجليل ووعدهم بكل جميل وأما الغلامان اللذان اخبراه وعلى ما كان أضمره الخان اظهراه وكانا سبب حياته وخلاصه من الموت ونجاته فانه جعلهما ترخان فصار السهم مقاصده كانهما شرخان والترخان عبارة عن المعافى المطلق يستوفى حقوقه ولا يقوم بما عليه من حق لا يؤاخذ بقصاص

ان

ان قتل وقس على هذا ما يوجبه القول والعمل مقضى المآرب موصول المطالب لا يكلف بخدمة ومباشره ولا بحضور ومعاشره مهما طلب اعطى ويعد مصيبا ولو يخطى واعلى مراتبه فى مراعاة جانبه انه يدخل على السلطان من غير استئذان وهو نائم مع سراريه ونسائه وجواريه فيذكر ماله من مآرب فتقضى ومن شفاعة فتقبل وتمضى ويعطى بذلك مناشير وتواقيع وتقارير تبلغ التاسع من اولاده وتشمل احكامها جميع اسباطه واحفاده ولما انتصر وحصل امنه واستقر وتعاظم أمره واشتهر وعظم صيته وانتشر قرر كل من حضر تلك الوقعه فيما يليق به من منصب ورفعه فاقبلت القبائل اليه وانهالت الرؤوس والوجوه عليه ورجع الخان واستعد واعد ما وصلت اليه يده من عدد واستعان عليه بالمدد والعدد ثم تلاقيا كرتين وتصاولا مرتين انكسر الخان فى الاولى وقبض عليه بعد الكسرة فى الاخرى فقتله واباده واستملك بلاده واستولى على عساكره واستحوذ على ذخائره وعشائره وهربت اولاد الخان ولجأت الى اطراف تركستان ثم راسل سلطان الخطا والصين بكلام رصين يدل على عقل حصين واسم ذلك السلطان التون خان وطلب المهادنة والموافقه والمصافاة والمصادقه فلم يلتفت الى كلامه فضلا عن اعزازه واكرامه اتكالا على حسبه واستنادا الى نشبه ونسبه واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة ملوكه ومناعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة مملوكه فان ممالك جنكزخان بالنسبة الى ولايات الخاقان لاشى واقل من لاش وعساكره وقبائله بالنظر الى أهل الصين اوشاب اوباش فرجع قصاد جنكزخان بالخيبه وذكروا ما رأوا الملك الصين من عظمة وهيبه فلم يلتفت اليه ثم قصد التوجه عليه بعدد كالرمال ومدد كالجبال وواقعه فكسره وناقفه فحصره وقبض عليه واباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسرة والنصره فى سنة احدى وستمائة من الهجره فاستقل من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع فلما خلصت له الممالك وانقادله الملوك والمالك أخذ فى ترتيب الامور وتهذيب الجهور وطير اجنحة مراسيمه الى اطراف ممالكه واكناف اقاليمه فرفع جميع ما هم عليه من النهب والغارات والتحزبات وطلب الثارات

فهدم قواعد الظلم والتعدى فى ممالكه فلم يرا ءمن من ولايته ولا آمن من
ممالكه وهى ممالك المغل والخطا والى الصين شرقا وولايات المغل والجتا
وبلاد الترك والى حدود أترار ماوراء النهر غربا فجرى بعد النهب والاسار
فى ممالك المغل والتتار والبغى والعدوان العدل والامان والسلامة
والاطمئنان وبعد السرقة والخيانه الوفاء والامانه وأمر بوضع البرد
والمنارات والعلايم والاشارات وعمرت المفاوز والمناهل وسكنت
الصحارى والمذاهل وعرفت طرق المهامه والمجاهل وائتلفت تلك
الطوائف والامم وانتشر صيت عدلها فى العرب والعجم واخترع كما ذكر
أنواع سياسات وقرر للمملكة قواعد بنيان واساسات الف بها بين تلك
الطوائف فلم ير بينهم مخالف ولا غير موالف على سعة ممالكهم واختلاف
مسالكهم وتعدد اديانهم وتفاوت كيل اخلاقهم وميزانهم فانهم كانوا
مابين مسلمين ومشركين ومجوس وارباب ناقوس ويهود ومن
لايدين لمعبود وصباه وغواه وعباد الشمس والنجوم ومن يسجد لها اوان
الرجوم وكل منهم يتعصب لمذهبه ويغض من مذهب صاحبه فلم يتعرض
لاحد فى دينه ولا وقف له فى طريق اعتقاده ويقينه واما هو فلم يتقيد بدين
لا كافر مع الكافرين ولا ملحد مع الملحدين ولا يتعصب بملة من الملل
ولا يميل لنحلة من النحل بل يعظم علماء كل طائفه ويحترم زهاد كل ملة
على دينها عاكفه ويعد تلك الخصلة قربه حيث يعظم كل دين وحزبه وكل
من اختار من أولاده واسباطه واحفاده وأمرائه ورعيته وأجناده
دينا من الاديان لا يعترض عليه أى دين كان فبعضهم كان مسلما حنيفيا
وبعض كان يهوديا وبعض نصرانيا وبعض مجوسيا الى غير ذلك من الالحاد
والزندقة وعدم الاعتقاد وحيث لم يتعرضوا الى دنياه ولا نازعوه ملكه
الذى تولاه لم يشاققهم فى دينهم ولم يوافقهم فى يقينهم واخترع هو لنفسه
فى الملك قواعد حمل عليها المقارب والمباعد ثم لما لم يكن لهم كتاب ولا خط
ولا لاولئك الحروف قلم يعرفون به قط امر اذكياء قبيلته وعقلاء مملكته
ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما فوضعوا له قلم المغل
واشتغلوا به اهم شغل ونسبوه الى قبيلته ليدلوا به على فضيلته فقالوا

قوتاتقو يعنى قلم قتات وهى قبيلة ذلك القتات فوضعوا مفرداته ورتبوها ثم جملوها وركبوها وهى أربعة عشر حرفا ظاهرة بينهم لا تخفى وهذه صورة مفرداتها

. . . .

فامر أولاده واحفاده وجماعته واجناده ومهرة الرجال والاذكياء والاطفال أن يتعلموا هذا الخط وينشروه ويتداولوه ويشهروه فانتشر بينهم حتى ملأ رأسهم وعينهم فرسموا به المراسيم والمناشير ورصعوا بجواهره جباه المساطير ووضعوا الرسومات الديوانيه والتوقيعات السلطانيه وابتدع لهم تواريخ وحساب كل ذلك بهذا الكتاب ثم لما تقرر أمره وانتشر فى الافاق ذكره مهد قواعد اسسها ونصب فى دوحة ملكه أصول خلاف غرسها ووضع على ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس طرقا وافانين ودرب فى امور الحكومات اساليب وقوانين فجعل لكل حكومة حكما وفوق لكل حادثة سهما وفرع لكل حسنة مثوبه ولكل سيئة عقوبه وقرر لكل معصية حدا ولكل بنيان مخالفة هدا ولكل فرع أصلا ولكل سهم من الوقائع نصلا وبين كيفية الصيد والحرب وسلك فى كل ذلك الطريق والدرب والقى دروس ذلك على اولاده وحفدته وجيوشه ورعيته بحيث انهم حفظوها ورعوها وفى سير سيرهم هرجا ومرجا وعوها فمن احكامها المظلمه وفروعها المعتمه صلب السارق وخنق الزانى وان شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثانى ثم فصل حد السارق بهذيان فارق فقال فى السرقة من چركاه او بيت شعر واه بوجوب الصلب وبقطع اليدان كان بالنقب ثم كلا السارقين يؤخذ مالهما من مال وعين ويسترق مالهما من اولاد وينتقل الى السلطنة مالهما من طريف وتلاد ومنها حقية دعوى من سبق سواء كذب أو صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم اياها فوجا بعد فوج فان تزوجها أحد منهم كان احق بها ولا تخرج عنهم والا زوجوها بمن شاؤا وأخذوا مهرها وباؤا ومنها عدم

العده وعدم انحصار الزوجات فى عده ومنها الاخذ بقول الجوارى والصبيان وبما يقوله على الرجال العبيد والنسوان ومنها امتثال امر السلطان على الفور من غير توان ومنها لزوم ما لا يلزم من العطايا وايجاب ما يتبرع به الانسان من التجملات والهدايا حتى لو اعطى شخص شخصا من ماله هدية اوشقصا فان ذلك يلزمه وفى كل عام يغرمه ومنها الجثو بين يدى الحاكم على الركب وقت التحاكم ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البرىء بجريمة مرتكب الاوزار وذلك لادنى مناسبه من معرفة اومصاحبه فضلا عن اكبر اصحابه اوشديد قرابه ومنها ان لا يتقدم الوضيع على الشريف ولو كان ذا مال عريض وجاه كثيف ومنها العمل بما يقتضيه العقل والكف عما لا يدركه ولو ورد به النقل ومنها منع عفو الحاكم وان عفى المظلوم عن الظالم ونحو هذه الخرافات الباطله والهذيانات العاطله ومن اسخفها واوسخها واخسفها انه لو أخذ أحد أبله عن قواعدهم ذو غفله من ثوب أحدهم قمله فان دفعها الى صاحبها خلص من تبعة عواقبها وغرامة مطالبها فان شاء قصعها وان أراد وضعها وربما اختار عودها الى مكانها فرجعها وان قتلها اورماها والى صاحبها ما اداها فان صاحبها يخاصمه والى حاكم انتار يحاكمه ويدعى عليه بين يديه بان هذا الانسان عمد الى حيوان ربيته بين سحرى ونحرى وغذيته بدم صدرى وظهرى فقتله قصدا واضاعه عمدا من غير سبب تقدم اليه ولا ايذاء اجترأ به عليه فينسبه الى الاجترام ويأخذ ديتها منه بالاغترام وقس على هذا اليسير أنواعا من الكثير ومن نتن هذه البعرة على خرافة البعير ومن هذه القواعد أمر الاقارب والاباعد بما يستصوبه العقل ويستقبحه النقل من سلوك طريق الفتوه ومعاملة الخلق بالمروه والكرم والاحسان والمداراة مع كل انسان والكف عن الظلم والغارات اللهم الا فى طلب الثارات ثم وضع طرق المكاتبات والمراسلات والمشافهات والمخاطبات فكان فى المكاتبات طريقة رسمه ان لا يزيد على وضع اسمه مثل ان يقول فى اول الكتاب وبراعة استهلال الخطاب عند ابتداء المقال بعد عدة اوصال جنكزخان كلامى ثم يكتب تحته من نصف السطر الثانى

الى فلان ليفعل كذا ولا يتعلل بان واذا ثم يذكر فخ المقصود بطريق
معهود بين العبارات من غير مجازات واستعارات ويختم بذكر الزمان
واسم المنزل والمكان واذا استدعى أحدا الى الطاعه وسلوك السنة اسوة
الجماعه فانه يتجنب التهويل والتهديد ويتحامى عن التشريد والتشديد
ويرغب بالوعد ويترك الوعيد ثم يقول ان سمعتم واطعتم فزتم وغنمتم
وان ابيتم وتماديتم فليس أمر ذلك الينا ولا درك علمه علينا يرى فيكم
الخالق القديم رايه فان فى تقديره وتدبيره كفايه فهذه القاعدة باقيه
فى تلك الفئة الباغيه مستمرة على الدوام والى هذه الايام جارية على هذا
النمط يكتبون اسم الخان والخاقان فقط وكذلك الامراء والوزراء
والمباشرون والكبراء يكتبون فى اول الكتاب فلان لا كنية ولا جناب
وهكذا الى الاكابر من الادانى يذكرون اسم الكبير ووظيفته فلان
لا الفلانى ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونه وخرج بها على خلاف
الشريعة الميمونه وقرر عليها الامور الديوانيه والاحكام السلطانيه
أمر بها فكتبت وبهذا الخط رتبت ورسمت فى طوامير ولفت فى شقق
الحرير وزمكت بالذهب ورصعت بالجواهر كما فعل مانى النقاش الكافر
واضع مذهب المجوس ومصوره على صفحات الطروس ومبرزا المعقول
بطريق المحسوس ليكون اقرب الى تفهيم النفوس فى كتابه المسمى
بزند واستا ثم أمر باحترامها وتوقيرها والمحافظة على ضبطها وتحريرها
والعمل بها والاقتداء بما فيها وتعلق اهل ملته بقوادمها وخوافيها ثم رفعت
الى خزائنه وهى عندهم اعز من الكبريت الاحمر فى معادنه واسمها بالمغلى
التوره وتفسيرها الملة المأثوره فاذا جلس منهم سلطان على سرير وذلك
بما للرؤسا من اتفاق وتدبير وعادتهم فى ذلك انهم اذا رفعوا عليهم سلطانا
وارادوا ان يبنوا الدار المملكة خانا اجتمع الامراء من الاطراف واستدعوا
اركان الثغور والاكناف واشتوروا فيما بينهم مدة ايام واستمروا فى ذلك
ما بين نقض وابرام وربما أقاموا فى ذلك الجمع العام حولا جميعا وضعفى
عام ويسمون تلك الجمعية قورلتاى وهى مستمرة الحكم فى المغل والجغتاى
وسبب ذلك تدافع الامره والفرار من ثقل السلطنة الحلوة المره كما كان

الصحابة الكرام يتدافعون الفتاوى خوف الآثام فاذا وقع الاتفاق بين
الرفاق وامراء الجنود ورؤساء الافاق على واحد من اولاد الخان وان
يكون عليهم المملك والسلطان وتصوب الرأى عليه وتسدد وضعوه على لبد
أسود ثم رفعه من الارض الى السرير أربعة انفس كل أمير كبير كل حامل
بطرف رافع فى زعمه راية الشرف والخان يصيح بلسان فصيح يا رؤساء
ويا امراء ويا ملوك ويا زعماء انا ما اقدر ان اتسلطن عليكم ولا طاقة لى
ان اتحكم لديكم ولا قوة لى بهذا الحمل الثقيل والدخول تحت هذا الامر
العريض الطويل فيقولون بلى يا مولانا الخان تقدر ان تقوم بحمل اعباء
هذا الشان فيتكرر الخطاب ويتعدد الجواب حتى يجلسوه على السرير
ويبتهج بذلك الكبير والصغير والمأمور والامير ثم يأتون بالتورة الجنكزخانيه
الملعونة الشيطانيه مبجلة معظمه محترمة مكرمه فينهضون اعظاما لها
ويتبركون بمسهم اذيالها فينشرونها ويشهرونها ثم يقفون فيقرونها
ثم يبايعون الخان على اقامتها وان يراعى احكامها حق رعايتها ويبايعهم
على امتثال احكامها واجراء نقضها وابرامها فيجيب كل منهم الامر على
ذلك وان يقيم شعائرها المملوك والمالك ثم يضربون له الجنوك ثلاث مرار
ثم يتوجهون الى الشمس فى وجه النهار ويضربون لها الجنوك ويسجد لها
من فيهم من مالك ومملوك ولا يفعلون هذا الفعل الشنيع الا فى ايام الربيع
فاذا انعاقدوا وتبايعوا وتعاهدوا وتتابعوا رفعوا تلك الكفريات
واحضروا الالات الخمريات فادار الخان عليهم الكاسات واستعملوا
الاقداح والطاسات وفتح الخزائن واظهر المكامن ونثر النثار من
الدرهم والدينار وخلع الخلع والتشاريف واعاد فى دروس النفايس
ابحاث التصريف واستمروا على ذلك اياما والانعامات تدر عليهم خاصا
وعاما ثم يأذن لهم فيتفرقون ثم انصرفوا اصرف الله قلوبهم بانهم قوم
لا يفقهون وهذه الطريقة مستعمله والى آخر وقت غير مهمله فى جميع
ممالك الشرق من الخطا والدشت والصين والمغل والجتا وفى ولايات
الجغتاى والروم قد اعتادوا غالب هذه القواعد والرسوم فقدموها على
القواعد الاسلاميه والشرائع الاحمدية المحمديه اللهم الهمنا الصواب

ولا

ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب
وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجه عنان سخطه الى طلب الانتقام
هو أنه لما استقر أمره وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره وطابت بلاده
وامنت وخمدت حركات الظلم وسكنت توجه من بلاد ماوراء النهر وفد
فى سنة ثلاث عشرة وستمائه فيهم ثلاثة انفار من اعيان التجار أحدهم
يدعى احمد الخجندى والآخر عبد الله ابن الامير حسن الجندى والثالث
أحمد بلجيخ ومعهم من أنواع المتاجر ونفائس الاقمشة والدخائر ما يصلح
للملوك أولى المفاخر فوصلوا الى بلاده الجارى فيها مياه كفره وعناده
وانتهوا الى قوقات والمسيل وهما محل سريره الذايل فاكرم نزلهم ورفع
محلهم وانزلهم فى قباب بيض وافاض عليهم الكرم العريض وكان شعار
المسلمين فى تلك البلد ان ينزلوهم فى قباب بيض من ابد وكانوا يقربون
المسلمين ويحترمونهم دون الناس أجمعين ثم ان جنكزخان دعا أحد اولئك
الاعيان واستعرض قماشه وساومه بعد ما قربه واكرمه فطلب منه
اضعاف ثمنه وسامه ما يقضى بغبنه وغبنه فمارد جوابه ولا اعتبر خطابه
ثم طلب رفيقه واستعرض بضائعهما عليه ثم ساومهما الثمن فقالا يا ملك
الزمن ان صلح هذا القماش خدمناك به بلاش فليكن ثمنه رضاك وهديه
فى مقابلة ملتقاك وتقدمة منا اليك بل خدمة لخادم ادخلنا عليك فاعجبه
هذا الحوار وقال بل أنتم تجار انما جئتم لتربحوا وتكسبوا علينا وتنجحوا
وأنتم ضيوفنا فالاولى ان يشملكم معروفنا ولكن انا اقول قولا وادفع
اليكم نولا فان رأيتم فيه فائده وعاد عليكم منه عائده قبلتموه والا فالرأى
فيما رأيتموه ثم ذكر لهما مبلغا ارضاهما وبلغ به منتهى مناهما بحيث ربح
درهمهما ثلاثة واربعه وتضاعفت لهما مع قرب الملك المنفعه فقالا رضينا
بما رسمت وانعمت به وقسمت فقال لرفيقهما الاول ان رضيت بمثل ما رضى
به صاحباك فتحول والا فخذ متاعك وتحول وشأنك وقماشك ونحسن مع
ذلك رياشك فقال رضيت بما رضيا به وتلطف فى خطابه وجوابه فامر
فى الحال واحضر المال ووزن الثمن وزاد ومن والبسهم الخلع وافضل
فى المصطنع وأمر ببضائعهم فرفعت وفى خزائنه وضعت ثم امر خواص

بطائنه ان يدخلوا هؤلاء التجار الى خزائنه فلما دخلوا اليها ووقع نظرهم
عليها رأوا من نفائس الاموال والذخائر وأصناف الاقمشة والحرائر
وأنواع الجواهر الملوكيه وأجناس الامتعة الكسرويه واعلاق ملوك
الصين ومتحفات الملوك والسلاطين ما بهت نواظرهم وادهش ابصارهم
وبصائرهم فتنزهوا فى محاسنها ابصارهم واودعوا احاسن مخيلاتها
افكارهم ثم أتوا بهم اليه وادخلوهم عليه فقال ماذا رأيتم فى الخزائن
من نفائس البحار والمعادن فقالوا ما لا يصلح الا فى خزائنك ولا يتر على فرق
ملوك المشارق والمغارب الامن مكامن معادنك فقال ما بايعنا كم فارغبنا كم
ولا اكرمنا كم اذ صحبنا كم بناء على أنا عادمون ولا انا بقيمة الاشياء وقدرها
جاهلون وانما فعلنا ذلك الاحسان وجبرنا منكم النقصان لعدة معان
احدها انكم اضيافنا وقد شملكم كرمنا وانصافنا ثانيها ان فضلنا الفضيل
يقتضى اكرام النزيل ثالثها انكم مسلمون والمسلمون عندنا مكرمون رابعها
اردنا اشتهار اسمنا وان تذكر فى الاقطار طريقة رسمنا خامسها انه اذا سمع
بمعاملتنا التجار يقصدون بلادنا من الامصار وسائر الآفاق والاقطار
فتعمر المسالك والدروب ويربح الطالب والمطلوب سادسها وهو اعلاها
واحسنها وأقواها أنكم املتمونا وافدين وانا لانخيب رجاء القاصدين
ثم سرحهم شاكرين ولما سمعوا ورأوا ذاكرين ثم اقتضت الاراء فامر
الامراء واكابر بلاده ورؤساء أجناده ان يجهز كل منهم الى الجهات
الغربيه والولايات الاسلاميه من جهته احدا من المسلمين ببضائع من
امتعة الخطا والصين فى صفة التجار ليتعاملوا فى هذه الديار وتنفتح
المسالك على السالك وتنقل اليهم بضائع هذه الممالك وتكثر المعاملات
وتتحد الممالك والولايات فامتثلوا مراسيمه وعدوها غنيمه وجهز كل
منهم من جهته من وثق بامانته واعتمد على كفايته وأعطاه من النقود
والاجناس ما يصير به من رؤساء الناس واجتمعوا قافله وركبوا السابله
نحو اربعمائة وخمسين نفرا كلهم مسلمون كبرا وكتب لهم مراسيم
وجائزات باكرام نزلهم فى الدروب والمجازات ومعاملتهم بالكرامات
وان تهيأ لهم ولدوابهم الاقامات ذهابا وايابا حضورا وغيابا ثم ارسل معهم

الى

الى السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن رسلان بن محمد بن
انوشتكين وانوشتكين هذا هو اتابك الملوك السلجوقيه والسلطان قطب
الدين هو الفائق من تلك الذريه رسالة عاطره تستميل خاطره وتسيل من
سحائب كرمه مواطره وحسن الجوار ومراعاة جانب الجار وسلوك
ما تنتظم به الامور وتطمئن به الصدور ويحصل به الامن للصادر والوارد
والرفاهية للقائم والقاعد وتنعقد به أسباب المحبة من الطرفين واطناب
المودة بين الجانبين وفتح باب المراسلات وكشف حجاب المعاملات وان
كانت الاديان مختلفه فلتكن القلوب مؤتلفه وشمول نظر الصدقات
السلطانيه وعواطف مراحمها الملوكيه على القصاد الوافدين على
أبواب مكارمها المستمطرين سحائب صدقاتها ووديعها بحيث تسنى مطالبهم
وتهنى ما آربهم اوكما قال وصدر منه السؤال هذا وأما اخبار السلطان
قطب الدين فانه كان من أكبر الملوك والسلاطين تملك عراقى العرب
والعجم ومافى ممالك خراسان من أمم واستولى على غالب الممالك بالقهر
والى اقصى ولايات ماوراء النهر وجعل جرجانية خوارزم مأواه وتلقب
لذلك خوارزمشاه ورفع ما بين ممالكه وبين ممالك جنكزخان من التتار
المسمين بقراجقتاى وعباد الاوثان واسترقهم قهرا وقسرا واستصحبهم جبرا
وكسرا واستولد من تلك الطائفة المعتدين ولده السلطان جلال الدين
فبواسطة انه صار له منهم ولد صاروا اقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد فكانوا
شعوبا وقبائل يخرج منهم سبعون ألف مقاتل ومنهم أيضا كانت امه واخواله
وخيله ورجاله الى ان خانوه وبذلوه وماصانوه واستدفع بهم طارق
البلاء فكانوه غريبه نادرة عجيبه كان هؤلاء التتار متاخمين بلاد
انزار وهى حد ممالك السلطان وهم سد عظيم بين المسلمين وبين جنكزخان
فغزاهم السلطان وابادهم واستعبد كما ذكر اجنادهم فارتفع السد
من البين وانهدم الفاصل بين الجانبين واتصلت المملكتان كالمحبين اعنى
مملكة السلطان ومملكة جنكزخان فسرت السرائر وابتهجت الضمائر
ودقت فى ممالك السلطان قطب الدين البشائر وزينت الولايات بانواع الذخائر
وكان فى نيسابور من اكابر الصدور شخصان من العلماء فاجتمعوا واقاما

العزاء فسئلا عن موجب هذا البكا وانما الناس فى فتوح وهنا فقالا انتم تعدون هذا الثلم فتحا وتتصورون هذا الفساد صلحا وانما هو مبدأ الخروج وتسليط العلوج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين ومايحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين وستعلمن نبأه بعد حين وانشدا فارشدا

وعلمت ان فراقكم لابدان * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد واستولى على أهل البقاع والوهاد واباد ملوك العجم وتفرد بسياسة تلك الامم وتحت ملكه مملكة خوارزم وقد صمم العزم بجزم وحمل الناس على نزع الخلافة من ال عباس ووضعها فى آل على وقد توجه الى العراق بهذا القصد الجلى فوصل الى حدود العراق وهو مجد على هذا الاتفاق فوصل أولئك التجار الى انزار من صوب جنكزخان وبها من جهة السلطان نائب يدعى قايرخان فلما وصلوا الى البلد اخبر بهم النائب الرصد فحبسهم عنده فى مكان وأرسل يستأمر فيهم السلطان وبشع العباره وشنع السفاره وذكرانهم جواسيس تستروا بالتجاره وان معهم من الاموال مايوازى الرمال ويوازن الجبال مصراع

وما آفة الاخبار الارواتها

فأمره بقتلهم وأخذ مامعهم وسلبهم ففى الحال ابادهم وسلبهم طارفهم وتلادهم وأرسل المال الى السلطان واوصله حسبما رسم به الى الديوان فطرحوه على تجار بخارا وسمرقند كما يطرح على مساكين دمشق القند واستخلصوا اثمنه بالظلم وزادوا عليهم فيه الغرم وكان سبب ذلك أن تاجرا عند قايرخان اراد ان لايكون عند السلطان تاجر سواه فتبعه قايرخان لما اغواه فتعددت الاسباب وانفتح للشر أبواب وقالوا شراهر ذاناب فلم يفلت منهم سوى رجل واحد انجاه الله من العدو والحاسد فاختفى واتصل الى بلاده وأخبرهم بوقوع الامر وفساده فغضب جنكزخان وتحرك منه باعث العدوان ثم تثبت فى أمره وتلبث فى فكره وأرسل الى السلطان رساله فيها تهديد وبساله وكان السلطان خوارزم شاه لما ابدى هذا الخطا وانهاه طير مراسيمه الى اطراف الممالك يأمرهم بالمحافظة على

در بندات المسالك ويحرض ولاة الامور وأصحاب الادراك فى المضايق والثغور والطلائع والارصاد على منع القصاد وكف من يخرج من تركستان الى صوب ممالك جنكزخان ثم أرسل من جهته جواسيس يختبر أحوال ذلك الابليس وينظر أموره وأوضاعه ومقدار عسكره وامرهم فى الطاعه وما قصده أن يفعل ليستعد له بحسب مايعلم منه ويعمل فتوجهت جواسيس السلطان وطال فى غيبتهم الزمان وقطعوا الجبال والقفار وسلكوا المفاوز والاوعار حتى وصلوا الى بلاده وفحصوا عن امره واستعداده وخبروا أمر جنده وعتاده واوضاع عسكره وتعداده فرجعوا بعد مدّة مديدة وزمان واخبروا بما حققوه السلطان وان عدد عساكره يفوت الاحصاء ويخرج عن دائرة الاستقصاء وانهم اطوع البريه للملك واثبت جنانا من الاسد المنهمك واصبر جندا على القتال كان امر الهزيمة عندهم محال وانهم اذا واثبوا أو حاربوا اوسالبوا اولاسبوا اورابضوا اوضاربوا خابطوا ثم خاطبوا بقوله

ونحن اناس لاتوسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين او القبر

وانهم لايحتاجون فى الاسفار ولا عند مقاحمة الاخطار الى كثير مؤنه ولا كبير معونه بل كل منهم ينهض باحتياجه واحتياج مركوبه الى الجامه واسراجه ويستبدّ بعمل سلاحه وجميع مايستعين به سفرا وحضرا فى صلحه وصلاحه ونطاحه وكفاحه وكذلك ملبوسه وزاده وسائر اهبته وعتاده فندم خوارزمشاه على ماقدمت يداه من قتل أصحابه وفتح سدّ الثغر وبابه وانى يجدى الندم وقد زلت القدم وتبدّل الوجود بالعدم وغرق فى بحر الهموم وهمى عليه غمام الغموم فشاور الملا التقى الشهاب الخيوقى وهو فقيه فاضل ونبيه كامل عالم اجل كبير المحل له عنده محل خطير لايخالفه فيمايشير فان رأيه سديد وقوله وفعله رشيد فقال له يا امام قد تحرك على الاسلام عدوّ الد الخصام بعساكر كالرمال ذوى صدمات كالجبال فماترى فيماطرى فقال فى عساكرك كثره وأنت ذو قوّة ووفره وزفر اقدامك له زفره فكاتب الاطراف واجمع عساكر الاكناف وادع أهل بيضة الاسلام الى هذا النفير فانه عام فاذا

وفدوا عليك وتمثلوا بين يديك توجه بهم الى نهر سيحون واجعل ساحله
من فلك الجنود مشحون واملأ بهم تلك المهامه والقفار وحصن ممالك
الى حدود انزار فان اقبل العدو المخذول لم يصل الا وهو من الكلال
محلول فانه يأتى من بلاد بعيده بجنود عديده وقد اثر فيه النصب
وأخذ منه التعب والوصب فتلاقيه على سيحون وهم كالون ونحن
مستريحون فجمع بعد ذلك امراءه ووزراءه وزعماءه وعرض عليهم
ماجاءهم وطلب منهم اراءهم فلم يرتضوا رأى الشهاب لامر يريده مسبب
الاسباب وقالوا بل نتركهم حتى يقطعوا الاوعار والمضايق ويتورطوا
فى بلادنا بالعوايق فتزداد مشقتهم وتطول فى المسير شقتهم لاسيما وهم
بارضنا جاهلون وعن مداخلها ومخارجها ذاهلون فاذا حصلوا فى قبضتنا
كان امكن لنهضتنا فنضيق عليهم واسع رحابها واهل مكة اخبر بشعابها
وذهل اولئك الجمع عما رآه الفقها وهو ان الدفع أولى من الرفع
وبينماهم فى المشاورة والمراوده ورد قاصد جنكزخان برسالة المتاكده
وفيها من التشنيع والتقريع والتهديد والتبشيع العجب العجاب وما
يشيب الغراب فمن جملة تشنيعاته ومضمون تهويلاته مامعناه فى فحواه
كيف تجرأتم على أصحابى ورجالى وأخذتم تجارتى ومالى وهل ورد
فى دينكم اوجاز فى اعتقادكم ويقينكم ان تريقوا دم الابرياء اوتستحلوا
أموال الاتقياء أوتعادوا من لاعاداكم وتكدروا عيش من صادقكم
وصافاكم اتحركوا الفتن النائمه اوتنهضوا الشرور الجاثمه اوماجاءكم
عن نبيكم سريكم وعنيكم ان تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم
الضعيف قويكم اوما اخبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونبأكم
محدثوكم اتركوا الترك ماتركوكم وكيف تؤذون الجار وتسيؤن الجوار
ونبيكم قد اوصى به مع انكم ماذقتم طعم شهده اوصابه ولا بلوتم شدائد
اوصافه واوصابه الاوان الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا اليكم
فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف واستدركوا ماسلف قبل ان
ينهض داعى الانتقام ويتحرك من الفتن حامى الاضطرام ويقوم سوق
الفتن ويظهر من الشر مابطن ويموج بحر البلاء ويروج وينفتح عليكم سد

يأجوج ومأجوج وسينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم
ولابد ان الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر أسرار ربوبيته وآثار
عدله فى بريته فان به الحول والقوه ومنه النصرة مرجوه فلترون من
جزاء افعالكم العجب ولينساب عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب
وكان اللعين جنكزخان قد مشى على تركستان وأخذ منها عنوة كاشغر
وبلاساغون وصارتا فى حوز ذلك الملعون وكانتا فى يد كوجلك خان بن
اونك خان المار ذكره فى اول القصه لما قتله جنكزخان وقصه هرب ولده
كوجلك خان المغبون واستقر فى كاشغر وبلاساغون الى ان مشت
العساكر عليه وأخذت تلك الاماكن من يديه فلما وصل هذا الخطاب
الى ذلك الاسد الوثاب أمر بمقدم القصاد ورئيس اولئك الوراد
فضربت رقبته ومن بقى فحلقت لحيته وسخمت بالسواد حليته ثم رد
الجواب بابشع خطاب ومن فحواه وبارد ما حواه انى سائر اليك وهاجم
عليك بجنود الاسلام واسود الآكام وكل بطل ضرغام ولو بلغت
مطلع الشمس فجعلك فى قعر الرمس وجاعلك كذاهب امس فتيقن ذلك
واعلم انك لا محالة هالك ورد قصاده على عقبهم وقصد التوجه فى ذنبهم
فتجهز وسار بعسكر جرار الى صوب التتار واوصل السير وسابق الطير
وأراد ان يسبق الخبر ويكبس التتر ويريهم عين العلة قبل الاثر فالوى من
العراق وسار وساق فقطع ممالك خراسان وولايات ماوراء النهر وتركستان
وهجم بذلك البحر الزخار فى تلك المهامه والقفار فوصل الى حشم فى بيوت
وهم آمنون فى سكون وسكوت ليس فيهم غير نساء وصبيان ومواش وبعران
رجالهم غائبه وأمورهم بواسطة الامن سائبه وكانت رجالهم توجهت
لاخذ الثار من بعض التتار بواسطة عدوان وقع بينهم وبين كوجلك جان
فقاتلوهم وكسروهم ونهبوا أموالهم وحصروهم ففى غيبتهم وصل
السلطان الى بيوتهم وفى امنهم وسكوتهم وليس فيهم الا الحريم والاطفال
والمواشى والاثقال لايؤبه اليهم ولا يعول عليهم فاستولى عليهم ونهبهم
وسلبهم عيشهم وسلبهم وأمر العساكر فنهبوهم واسروهم وفرقوهم
وكسروهم وهم الجم الغفير والعدد الكثير والمال الغزير ورجع

السلطان من فوره وابتدا فى حوره بعد كوره وتصور انه اعنى وانكى
وانه اضحك وليا وعدوا ابكى فما هو الا وضع على القرح كيه وداس ذنب
الحيه ثم رجع التتار ورأوا ما حل باهلهم من بوار وانهم أخرجوا من
ديارهم وأولادهم ونكبوا فى طريفهم وتلادهم وان نساءهم اسرت
وصفقتهم خسرت فاوفت نصرتهم بكسرتهم ولا قامت فرحتهم بحسرتهم
التهبوا واضطربوا واصطلوا واصطدموا وأخذتهم الحيه وعصبتهم
العصبيه وتنادوا باللغارات وطلب الثارات وتنانحى منهم حماة الحقائق
وكماة المضايق وتتبعوا فى الحال آثار الرجال من غير اهمال ولا امهال
وسلكوا الآثار لاخذ الثار واكبوا كالبرق الخاطف وزعقوا كالرعد
القاصف واندفعوا كالريح العاصف واندفقوا كالسهم الناقف
ودهموا كالليل المدرك وهجموا كالسيل المهلك فادركوا عساكره
بشرور ثائره ومراجل صدور بالضغاين فائره فلم يشعروا الا والعدو
المضرم غشيهم كالقضاء المبرم فالوت عساكره وقابلت واستعدت وقاتلت
والتفت الرجال بالرجال وضاقت ميادين المجال واستمرت ضروب الحرب
بينهم سجال وتطاولت سهام الموت لقصر الاجال وتهللت ثنايا المنايا لبكاء
السيوف وتبسمت ثغور الرزايا لفتوح الحتوف واستمرت ديم السهام من
غمام القتام على رياض الصدور تهمى ولوامع بروق السيوف على قمم
تلك الصفوف بعد الوابل الوسمى بالصواعق ترمى ثم انتقلوا من معاشقة
المراشقه الى مراشفة المعانقه ومن مكالمة المضاربه الى ملاكمة الملابيه
ومن مخادعة المقارعه الى مسارعة المصارعه وامتدت بهم الحال
فى هذا القتال والجدال ثلاثة ايام مع الليال لا يسأمون الطعن والضرب
ولا يملون مباشرة الحراب والحرب الى ان جرى من الدماء طوفان وكاد
يظهر سر كل من عليها فان كل ذلك وكاتب البيض والسمر يستوفى من اقلام
الخط فى صحايف الصفايح مستوردات العمر ولم يسمع بمثل هذا القتال
ولا نظير هذا الضراب والنضال فى سالف الازمنة والاعصر الخوال
وما امكن تولى احدى الطائفتين ولا نكوص جهة من الجهتين اما طائفة
المسلمين فلحمية الدين ولو ولوا الادبار لما ابقت التتار لبعد الديار

وصعوبة القفار منهم نافخ نار واما الكفار فللغيرة على ذوات الاستار
واستخلاص الاطفال والصغار من قيد الذل والصغار ورق الاسار فصارت
الخضراء غبرا والغبراء حمرا والصحراء بحرا والقتلى تلا والجرحى
طرحى ولم يثبطهم عن استيفاء القتال غير انحلال الاعضاء والكلال
فانفصلوا وما انفصلوا وانقطعوا بعد ما اتصلوا وحلوا بعد ما كلوا وتراجع
كل عن صاحبه بعد ذوبان قلبه وقالبه واستفراغ جهده بما وصلت اليه
غاية كده ثم استوفى ناظر القضاء ما اورده عامل الفناء من سهم المنون الى
ديوان برزخ الى يوم يبعثون من أرواح الشهداء الابرار وانفس الاشقياء
الكفار الوارد من تلك المعركة الساكن من حركات هاتيك التهالكة
فكان من المسلمين عشرون الفا ومن الكفار كذا وكذا ضعفا غير انه لم يمكن
حصرهم ولم يعرف قدرهم فلما كانت الليلة الرابعة وهى الليلة الفارقة
القاطعة أوقد كل من الفريقين فى منزله النار وأكثر من القبائل فى المنازل
والآثار وتركها وسار فوصل السلطان من بلاد تركستان وقطع
سيحون نهر خجند ووصل الى بخارا وسمرقند وشرع فى تحصين البلاد
والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وقد سكن الهم فؤاده
ونهب القلق والارق رقاده وعلم المسلمون انه خار وانه لا طاقة لهم بالتتار
فخافوا حلول البوار ونزول الدمار وتيقنوا خراب الديار لان السلطان
عاجز ولابد من قدوم بلاء ناجز وقالوا اذا كان هذا الخور من شرذمة
قليلة من التتر فى طرف من اطراف بلاده لا فيهم احد معتبر من اجناده
ولا رئيس يشار اليه من أولاده ولا ذرى ولا علم بما جرى فكيف اذا دهم
بطامته الكبرى واحشاد جيوشه العظمى فترك خوارزم شاه ببخارا
عشرين ألف مقاتل وفى سمرقند خمسين ألف مناضل وقرر معهم انه سيجمع
الجنود ويستجيش ابطال المسلمين ويعود وتوجه بثبات عزم واضاعة حزم
الى سرير مملكته خوارزم ثم انتقل الى خراسان وخيم بضواحى بلخ فى مكان
واقام رخى البال كان الشئ ما كان ثم لا زال يضمحل ويذوب ويحل به
ما يحله من نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن فى اطراف
طبرستان فى سنة سبع عشرة وستمائة وكانت ولايته فى العشرين من شوال

سنة ست وتسعين وخمسمائه وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة قاهره ودولة باهره وجولة أرقدت الملوك بالساهره فاضـلا فقيها عالما نبيها اضمحل بادنى حركة ملكه وغرق فى بحر الفناء بعد الطغيان فلكه وركن الى الخطا فوقع فيه وخانته عساكره ومجالوه ودودا الخل منه وفيه وكان فى خزائنه عشرة آلاف ألف دينار ومن اجناس الاقمشه والامتعة والاسلحه مالا يحصيه الا الواحد القهار وكان فيها ألف حمل من القماش الاطلس واضعاف ذلك من نفيس النفائس وانفس ومن الخيل المسومة عشرون ألف جنيب ومن المماليك الملوك عشرة آلاف كل له فى دار الملك ربع خصيب واوفر حظ ونصيب فما افاد ذلك ذره بل نبشوا بعد موته قبره وقطعوا راسه وجعلوا به ناسه فسبحان من لا يزول سلطانه وعز وعلا من لا يذل شانه

فما كف ذو كف له رائد الردى * ولا مال بالاموال عنه حمامه
ولا مالك كلا ولا ملك حمى * حمى ملكه لما عراه انهدامه

وبسط المقول فيه شرح يطول واما أمر الطاغيه صاحب الفئة الباغيه جنكزخان لما وصل قصاده من عند السلطان بعد الفناء والشده لحاهم محلوقة ووجوههم مسوده وقد قتل رئيسهم وخلا من نقد مرادهم كيسهم ذهب حفاظه والتهب شواظه وطمت بحار كفره وتلاطمت وتزعزعت أطواد شركه وتصادمت وبيناهو يرغى ويزبد ويقوم من غضبه ويقعد اذ جاءه الخبر الثالث وهو شر الحوادث اذ فيه خبر من قتل من الكفار وانتقل من دار الخسار الى دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار فاعمل فى قلبه نصله وكان أولا قد زاد على قرحه قرح مثله ثم كان خبر هذا القرح ملحا مذرورا على جرح فقامت قيامته وتعوجت بالحزن قامته وود لو احرق الكون بانفاسه وهدم اساس المكان بفاس باسه ثم تروى وافتكر وتهوى من حر هذا الشرر ثم قصد مذهب الاعتزال وانزوى عن جماعته فى مكان خال ودخل الى مكان خراب وعفر وجهه فى التراب وتضرع الى الله الحليم وقال ياخالق ياقديم انا أردت ان اعمر بلادك وانعش عبادك فظلمهم ياالله عبدك خوارزمشاه وتعدى على وكرر الاساءة

الى

الىّ فانتصر لى منه وانتقم فانك جبر من كسر وعون من ظلم واستمر على هذه الحال ثلاثة ايام وليال لا يأكل ولا يشرب ولا يفتر عن التضرع والطلب يمرغ رأسه ووجهه فى الثرى ويقصد فيما يرومه رب الورى وقد قيل

تضرع جنكزخان لله ساعة * وأخلص فيما رامه وهو مشرك
فما خاب فيما رامه من فساده * ومازال يعثو فى الانام ويسفك
فما بال من لله طول حياته * يوحد بالاخلاص هل هو يهلك

ثم نهض نهضة انام فيها الانام وقام قومة اقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركى التتار وعساكر الكفار بالبحار الطاميه والامطار الهاميه وجبال النيران الحاميه فى شهور سنة خمس عشرة وستمائه ومشوا على ممالك الاسلام وساروا على بسيط العالم سير الغمام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهى جنة المرتاد آمنة مطمئنه ساكنة مستكنه وليس لها مانع ولا ممانع ولا لاهم عنها دافع ولا مدافع ولا بها حام ولا محام ولا سام ولا مسام فأخذوا على جند وقراها وولاياتها وما والاها رابع صفر عام ستة عشر واظهروا فيها علامات الحشر فادهشوا وهلها وسبكوا أهلها ودكوا جبلها وملأوا بجبال القتلى سهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام فاراح بها رجله وخيله واحاط بها ثبوره وويله واستمروا فى نهبها ست عشرة ليله ثم تنقلوا عن جند الى ولايات اندكان وفناكث وخجند فاخذوها وقتلوا وفعلوا كما كانوا فعلوا ثم الى بلدة مرغينان وكانت دار ملك ايلك خان ثم الى اطراف تركستان ومنها سيرام وتاشكند وباقى البلدان ثم الى نسف وأنزار وسغناق وما من امهات البلاد فى تلك الآفاق

فمشوا على سهل البلاد ووعرها * مشى الجراد على القصيل الاخضر
فكانهم موسى على شعر مشت * اومنجل فوق الحصيد الاصفر
اوشعلة ثار الهوا فتعلقت * فوق الصعيد على الهشيم الاغبر

فكل من اطاعهم وقصد اتباعهم صار من جلدتهم ودخل فى عدتهم ومن عصى اوتوقف اوخالف أوتخلف سقوه كاس الدمار واحلوه وقومه

دار البوار وأسروا حريمه وأولاده ونهبوا طارفه وتلاده ثم ان تلك
الدواهى المصيبه فى يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائه وصلوا
الى بخارا بلدة فضلها الايجارى قبة الايمان وكرسى ملوك بنى سامان
مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزهاد ومنبع المحققين من الفقهاء الامجاد
والمدققين من النبهاء الانجاد وفيها من الاكابر والاشراف واوساط
الاماثل والاطراف الجم الغفير والطم الكثير فلما رأى العساكر
السلطانيه والجيوش الخوارزمشاهيه الذين كان ارصدهم السلطان
لحفظ البلدة من طوارق الحدثان وهم عشرون الفا ان البلاء زحف اليهم
زحفا وان كسرتهم منهم لاتخفى وان سيل الويل حطم وموج بحر
الدواهى التطم ومن لم يدرك من الغرق نفسه ارتطم شمروا الذيل وخرجوا
تحت الليل وقصدوا جيحان والعبور الى خراسان ومقدمهم من امراء
السلطان كورخان وسونج خان وحميد النورى وكوجلى خان فبيناهم
على نهر جيحون قاصدين العبور صادفتهم طلائع جنكزخان الكفور
فوضعوا السلاح فيهم ومحوهم عن بكرة ابيهم فما ابقوا منهم عينا ولا اثرا
ولا سمع لهم احد خبرا فوهى امر البلد اذ لم يبق لهم مدد فطلبوا الامان
وارسلوا لذلك القاضى بدر الدين ابن قاضيخان فاجابهم الى ذلك واناب
فاطمأنوا وفتحوا الابواب فدخلوا المدينة يرفلون وهم من كل حدب
ينسلون فعصى بقية العسكر فى القلعه وتصوروا ان يكون لهم منه منعه
ففى الحال أمر الرجال بطم الخندق بكل ما وجدوا جل اودق فاتوا
بنفائس الاقمشه والذخائر المدهشه والكتب الربعات والمصاحف
الشريفة والختمات وطرحوها فى الخندق ومشى العسكر عليها وتسلق
ونقبوا النقوب وانفذوا الثقوب وكان قد نادى بالامان للقاصى والدان
فعجزت القلعه وذهب ما بها من منعه وكان فيها فئه نحو من اربعمائه
فباشروا الحرب دوما نحو اثنى عشر يوما فاخذوا عنوة بالانقاب وفتح
لهم من كل جهة باب فقتلوا من بها عن آخرهم واستولوا على باطنهم
وظاهرهم ثم مدوا ايديهم الى المخدرات وفجروا ظاهرا بالمسترات وجعل
الناس ينظرون ويبكون وهم يفتكون وينكون لا يستطيعون دفعا

ولا

ولا يملكون ضرا ولا نفعا فاجتمع من ائمة الدين ومن اعلام العلماء المهتدين
ومن لم يرض بعمل المفسدين جماعة غاروا وثاروا وفاروا وانضموا الى
العلامة القاضى صدر الدين قاضيخان وأولاده السادة القادة الاعيان
والحاكم الشهيد الامام العالم السعيد والامام ركن الدين امام زاده
واختاروا الموت على الشهاده فحملوا على الفئة الطاغيه والطائفة
الكافرة الباغيه وقاتلوا حتى قتلوا والى جوار الله مقبلين انتقلوا
فاستشهدوا عن آخرهم ولحق اصاغرهم باكابرهم ودخل جنكزخان الى
المدينه وطاف بها على هيئة وسكينه حتى انتهى الى باب الجامع مكان نزه
وموضع رابع ومحل شريف ومعبد واسع ولم يكن لذلك البلد الكبير
والجم الغفير والجمع الكثير والمصر الواسع من الجوامع سوى جامع
واحد يجمع الصادر والوارد ويسع ماشاء الله من الامم وهذا على مذهب
الامام الاعظم وهكذا كل امصار الحنفيه فى الممالك الشرقيه والممالك
الهنديه وغالب البلاد التركيه فقال جنكزخان هذا بيت السلطان فقالوا
بل بيت الرحمن ومأوى عبادة العباد والعلماء والزهاد وذوى الطاعة
والاجتهاد فقال ان أولى ما القينا افراحنا فى بيت من خلق أرواحنا ورزق
اشباحنا ثم ألوى اليه واقبل عليه ونزل عن دابته ودخل الجامع مع
جماعته ثم دعى بامرائه وكبراء جنده وزعمائه واستدعى الخمور
والطبول والزمور وهش الى الكفار وعظمهم وبش فرحا واحترمهم
فسجد له منهم الملوك وضربوا له الجوك وعرفوا حقه ودعوا ورفعوا
بالثناء صوتهم ودعوا فاذن لهم بالجلوس وان تدار عليهم الكؤس
فجلس كل فى مكانه بين اضرابه واخوانه وقام بعض فى مقامه فى موقف
حدة واحتشامه فتصدر فى مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة
الكفرة الفجار ورؤس المشركين من المغل والتتار واستبدلت محافل العلم
والتدريس بجحافل الشرك والتنجيس ثم احضروا العلماء والاشراف
والكبراء وسادات الانام ورؤساء الخواص والعوام وانزلوا بهم الثبور
والويل واحتفظوا بهم واستحفظوهم الخيل وصارت الناس حيارى
سكارى وماهم بسكارى وأخذتهم بهتة اذ أتاهم العذاب بغتة ولم يكن

بين رحيل السلطان وبين هجوم هذا الطوفان غير خمسة اشهر وايام ساروا فيها سير الغمام وهجموا على العالم هجوم الظلام وكان الناس كانوا نياما ورأوا فى منامهم أحلاما فلم يوقظهم من هذا الرقاد سوى ابراق البلايا بالارعاد فانسد عليهم طريق الخلاص وخانهم المدد فى شدة الاقتناص وتنادوا ولات حين مناص اذ فارقهم العسكر وهم فى حال المضطر وكان من جملة أولئك الاعيان شخص ولى يدعى السيد الشريف جلال الدين على بن حسن الزيدى وهو المقدم والمقتدى والمسلك الى طريق الهدى وأعلى سادات ماوراء النهر ولدوحة ساداتها بمنزلة الثمر والزهر قد قبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم استنظروه مراكيبهم وانشبوا فيه مخاليبهم وهو واقف بباب الجامع فى هيئة الذليل الخاضع فرأى الامام الهمام البحر الطام علم العلماء الاعلام أفضل علماء عصره وانبل فقهاء دهره الشيخ ركن الدين ابن الامام بوأهما الله تعالى دار السلام وهو فى مثل حاله متسربل بسربال نكاله فقال أيها الامام المفضال ماهذه الاحوال ثم انشد معنى هذا المقال

اری حالة بذت لسانی فليس لی * طريق الى انی افوه بلفظة
اعض لها كفی وامعك مقلتی * افی النوم هذا ام أراه بيقظة

فاجاب الامام ماهذا محل الكلام كن عبد الاراده واتبع ماأراده واستمروا يشربون الخمور على اصوات الزمور ويضربون الطبول ويتراقصون رقص التتار والمغول ثم صعد المنبر ابن جنكزخان الاكبر واسمه تونى خان وتكلم بكفر وكفران ثم غنى ورقص ودعا لابيه ونكص ثم صعد بعده ابوه وتكلم بكلام سمعوه ودعا بالخمر وشرب ثم غنى وطرب ثم قال أيها الرجال ان خيلنا هى رأس المال وقد رعيتم الوهد واليفاع وحلقتم شعور الكلا من قمم البقاع وقد شبعتم فلا تنسوا الجياع الا فاشبعوا خيلكم ولا تحرموها نيلكم وحيث رعيتم الخضيم فابغوا لها القضيم وامتثلوا أمر سلطانكم تحظوا منه بامانكم فنهضوا قياما وامتثلوا مرسومه مراما وتهارجوا كالحمير وابتدروا طلب القمح والشعير ثم طغى وتكبر وبغى وتجبر ونزل عن المنبر فلم يكن باسرع من اتيانهم بالحبوب

والقضيم

والقضيم المطلوب وادخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا الهام رابط ومواضع
ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب واوعية الربعات
وصبوا فيها الشعير واطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فتبددت الكتب
المنيفه والمصاحف الشريفه والربعات المعظمه والختمات المكرمه تحت
السنابك والحوافر ومواطئ اقدام كل كافر وصارت أبحر القاذورات
والجور على تلك النفائس والذخائر غور ثم انه خرج من البلد وامر ان
لا يترك فى البلد احد بل يخرجون الى المصلى وولى حفظهم من كفر
وتولى ومن تأخر قتلوه وبتكوه وبتلوه فخرجوا كالجراد وانتشروا
على الوهاد واجتمعوا فى المصلى ثم على المنبر تعلى وخطب خطبة تركيه
كافرية مشركيه منها انكم ركبتم عظائم واتيتم مآثم وجرائم فتقدم
ربكم اليكم ان سلطنى عليكم وهذه الاوزار انما جناها منكم الكبار
فلاجل هذا عم البلاء وذهب بجريمة الكبراء الاصاغر والضعفاء ثم ضبط
اسماء التجار واستخلص ما عندهم من درهم ودينار وقال هذا ثمن
مالى من نقد واعيان الذى كان يحكموه السلطان فلما استخلص الاموال
امر بقتل الرجال واسر النساء والاطفال والنهب العام لسائر الاغنام
ومن أخذ شيأ فهوله لا يقطع أحد سبله ثم امر بهدم البلد والاحراق
واعدام عينها على الاطلاق فهما قال فعلوه وكل ما رسم به امتثلوه
فساووا بالبلد الارض واستوفوا اعمار اهلها بالقرض والقرض فلم يبق
منهم ديار ولم ينج من تلك النار العظيمة نافخ نار وقيل انه نجا من هذه
الواقعه رجل باقعه فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشأن كيف
كان فقال لهم بذلك اللسان ماصورته

آمدند وكندند وسوختند * وكشتند وبردند ورفتند

يعنى هجموا وهدموا واحرقوا * وارهقوا ونهبوا وذهبوا

فقيل لم يوجد فى الفارسى فى هذا المعنى أحسن من هذه الالفاظ
ولا ارصن ولا اوجز ولا امتن ثم امر الجند بالتوجه الى سمرقند فتوجهوا
بالاثقال من الاموال والاسرى من النساء والاطفال مشاة حفاه
اذلاء عراه فلم يتوقف كل اعتى أعقف وكافر اغلف فى ضرب رقبة

من اعيا أو توقف فوصلوا اليها واخذوا عليها وفيها من العساكر
الاكفا مائة الف وعشرون الفا سبعون من أهل البلد وخمسون
من المرصدين للمدد فتجهز عسكر البلد للقا وخرجوا من البلد للملتقى
فكمن لهم التتار من اليمين واليسار فى رواب وتلال تسمى بالاحصار
فناوشهم من عساكر الكفار شرذمه ثم ولت امامهم منهزمه فركب
البلديون اعقابهم وداسوا اذنابهم الى أن ابعدوا عن البلد وانقطع
عن البلديين المدد خرج الكمين من خلفهم لقطع رجل مددهم وكفهم
ورجع عليهم الفارون واحاط بهم الغارون وتلاحق بهم عساكر لا اول
لهم ولا آخر فلم يفلت منهم واحد ولا صدر عن حياض تلك الملحمة وارد
فلما شاهد العساكر الخوارزمشاهيه مانزل بالجنود البلدية من داهية
ورزيه لم يسعهم الا الترامى عليهم والانحياز اليهم فداروا وداروا واللبيب
من دارا فوقوا بذلك انفسهم واهليهم نارا فلم يركنوا اليهم ولا اعتمدوا
عليهم فراوا مصلحتهم فى سلبهم اسلحتهم فطلبوا منهم عدتهم ثم فرقوا
عدتهم كما فعل تيمور الغدار فى بلاد الروم بالتتار عند كسر ذلك
الخوان فى سنة خمس وثمانمائة بايزيد بن عثمان فلم يبق لاهل البلد
معين ولا مدد فاستسلموا للقضا وجروا طوعا وكرها فى ميادين الرضا
فاحل بهم بوارا وانزل دمارا ففعل بسمرقند واهلها مافعل ببخارا
ودور اسوارها بدلالة اثارها من الفراسخ اثنى عشر لايمترى فى ذلك
اثنان من البشر فقس ما فى ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف
القلم كما يبرى السيف القلم ثم قوى العزم وسدد الحزم وجهز طائفة
من العساكر الى خوارزم مع ولديه احدهما المدعو بجغتاى والمسمى
الآخر باوكتاى وهى تخت خوارزمشاه وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله
معدن الافاضل ومقطن الاماثل محط رحال أهل التحقيق ومقصد
رجال الفحول ذوى التدقيق ولوفور ما بها من الروس لم ينفرد برياستها
رئيس ولكثرة ما بها من الناس لم يتعين لسياستهم راس فاتفق اكابرها
لضبط امور المسلمين على تقديم شخص يدعى خمارتكين فبعد حروب
يطول شرحها ويهول برحها ويجب قرحها ويستحب طرحها

اخذوها

اخذوها عنوه بعد ماقاسوا جفوه فاستصفوا ارباب الحرف ومن
تعلق من صنعة بطرف فكانوا نحوا من مائة ألف بيت اويزيدون
ان عددتهم وعديت ثم ميزوا النساء والاطفال وكانوا كعدد
الحصا والرمال ففرقوهم على ذلك العسكر الثقيل فكفى الحقير منهم
والجليل ثم فصلوا بالحسام المفصال مذارع ذوات مابقى من الرجال
ثم ارادوا حصر من قتل واقامة عدد من بتك وبتل فكان حصة كل قتال
قتال على ان عددهم اكثر من القطر والرمال اربعة وعشرين مقتولا
ثم فعلوا بالبلد كعادتهم الاولى فهدموا اسوارها ومحوا آثارها
واجروا من بحار الدماء انهارها فانمحى العلم والعلماء واندحى الفضل
والفضلاء واستشهد الرؤساء والكبراء وناهيك بالقطب الولى * الشيخ
نجم الدين العكبرى وتوجه جنكزخان من سمرقند قاصدا السلطان
ومر من اطوار عسكره بكل اخشب حتى اناخ على ترمذ ونخشب
فامتنعتا عليه ولمناعتهما لم تلتفتا اليه وكانتا كثيرتى العدد والعدد غزيرتى
المدد من مدد وهما من امهات البلاد مملوأتان من آلات الجهاد ومقاتلة
الاجناد فاهلك ناسهما وسقاهما من خمر التشريب كاسهما فلم يبق
لهما فيأ ولم تغن العدد والعدد عنهما من الله شيأ ومن غريب ماوقع
من البدع انه امر باهل ترمذ ان يقتلوا عن اخرهم مع اهلهم وعشايرهم
ولايبقى فيها على احد وارصد على ذلك الرصد فاتفق ان امراة
من المخدرات تخجل الشموس النيرات قبضوا عليها وتقدموا باراقة
دمها اليها فتشفعت فما افاد وتضرعت فمازاد الا العناد فلما اسلمت
وتلوها للجبين وعلمت انه جاءها الحق المبين قالت لاوليك الكفار
لاتقتلونى يا حضار وانا افتدى نفسى منكم بعقود من اللؤلؤ كبار فانهوا
القضية اليه وعرضوا ماقالته عليه فقال اتركوها ثم بماقالت
طالبوها لننظر اصدقت ام اختلقت فاطلقوها وبتقاضى اللؤلؤ
اقلقوها فقالت لم افه بزور ولاداينتكم بغرور وانما اللؤلؤ كان
عندى وحين استخلصتم مالى كان فى يدى نخفت منكم فابتلعته وتبا
لفعل صنعته فامهلونى حتى اتبرز ويخرج منى ذلك المحرز فانهوا

كلامها اليه وعرضوا امرها عليه فقال ابقروا بطنها وانظروا
فطنها فان وجدتم شيأ فهو لكم وان كانت كاذبة فقد استحقت فعلكم
فشقوا بطنها البطين واستخرجوا منه الدر الثمين فلما راوا صدقها
وحققوا نطقها امرهم بشق بطون جميع القتلى وتفتيش ما طرحوه
من جبال الاشلاء فلم تنج رؤس الروس من المثلة بعد القتل ولا بطون
الصدور من ظهور التنكيل اثر البتل ثم امر بهدم الحصون بعد ابتذال
المال والعرض المصون فمحيت الديار ولم يبق فيها ديار ثم عبر من جيحون
الى خراسان وجعل نصب عينيه ممالك السلطان وتوجه الى بلخ وهي احدى
معاقل الاسلام وفيها من امم الانام ما لا يدرك ضبطه سابق الاقلام
بل يخرج عن حصر الاوهام ولا يحصيه الا الملك العلام وكان السلطان
قد انشمر عنها كما ذكر الى نواحي طبرستان فوصل بتلك البحار الطامية
في ثماني عشرة وستمائة فخرج اليه الاعيان وطلبوا منه الامان فاجاب
سؤالهم بما يصلح حالهم ثم اختشى من السلطان جلال الدين ابن المرحوم
قطب الدين فلم يركن اليهم ولا عول عليهم فامر باراقة الدماء وهدم البناء
واحاطتهم بدائرة الفناء فافنوهم عن آخرهم وساووا بالحضيض بقاع
عمائرهم ثم أرسل ولده تولى خان الى محاصرة طالقان فعصت عليه
ولم تسلم قيادها اليه فاستمرت في الحصار مده واذاقها البلس الباس والشده
الى ان أخذوها وأبادوا خلقها ودكوها ثم ان جنكزخان الكافر الخوان
معدن الكفر والطغيان لما ستوبل هواء خراسان فالوى الى بلاده وترك
تولى خان من اولاده وولاه خراسان وهو محاصر طالقان وأقام في ممالك
ايران من كفار امرائه أميران أحدهما يدعى سنتاى وهو من قبيلة
الجغتاى والآخر يدعى يما وهو من الكفار اللؤما وترك معهما من
الكفار الاراذل والتتار الاسافل ثلاثين ألف مقاتل فوصلا الى رواه
ووضعا السيف في الائمة الهداه وابتدآ في القتل والنهب والفتك والسلب
والقهر والاسر والقسر والكسر ثم أخذا في الاتلاف طريق الائتلاف
وذهب كل منهما للاختلاف في الفساد على مخلاف فصالا وجالا واوسعا
في الدمار والبوار مجالا وخاضا في دماء المسلمين واجتهدا في اهلاك الاسلام

والدين

والدين وخلا لهما الجو فباضا وصفرا وكان السلطان قطب الدين قد اخلى الدنيا من الملوك والكبرا فلم يثبت لهما مقابل فضلا عن مخاتل أو مقاتل فاهلكا الذين وابادا وتصرفا فى نصرة الشرك على الاسلام كيف ما أرادا فاستخلصا جوين وطوس واعدما ما بهما من نفائس ونفوس وحام وخبوشان واسفرايين ومازندران وآمل وقومس وتلك البلدان فمحوا من كتب كتائبها اسطارها واطفأوا منارها واظهروا من صفة الجلال والقهر اثارها واجروا من الفتن كالدماء بحارها واضرموا من الشرور نارها كل ذلك قتلا ونهبا وسبيا وسلبا وهدما واحراقا وصدما وازهاقا وردما واغراقا ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين فى قلاع آمل امنين فقصدوها وحاصروها ورصدوها فقل ناصروها فاستولوا عليها ووصلوا كما أرادوا اليها فبقروا وفتكوا وبروا وبتكوا وسبوا وسبكوا وسفوا وسفكوا وكووا وشووا وغووا ولووا وعووا وما رعووا ثم انهم صادفوا لعكس الزمان وانقلاب الدهر على السلطان وسوء التدبير وشؤم الحظ المبير وهم فى بعض المسير من غير مخبر ولا معلم فى سدفة ليل مظلم حريم السلطان خوارزمشاه لامور قدرها الله مع والدته وجواريه وبناته وسراريه وكان لشدة ما نابهم من الزمان قد ضاق عليهم المكان وتغير بل تنكر لهم الكون وفل عنهم النصير وقل العون وخافوا الابتذال بعد الصون فتركوا ما هم فيه من مكان وقصدوا البعد عن خراسان فتوجهوا الى اطراف اصفهان ومعهم من نفايس الاموال والجواهر وأنواع المفاخر والذخائر ومصونات الخزائن ومكنونات المعادن ما لا يعلمه الا مانحه ومن الكنوز ما ينوء بالعصبة مفاتحه وما لم يجتمع لسلطان قط ولا ضبطها قلم ديوان ولا خط فتباغتوا مواجهه وتواجهوا مباغته وتباهتوا مشافهه وتشافهوا مباهته فوقعن فى شبكة الصيد وأحاطت بهن دائرة الكيد وتورطن فيما فررن منه وترابطن باوهاق ما نفرن عنه وناداهن لسان الحظ وهاتف الطالع الفظ

وإذا أراد الله انفاذ القضا * وظهور قهر للبصائر باذلا
جعل الدواء لذلك الداء مرضا * وفوائد الترياق سما قاتلا

والكون خصما والمكان مناقضا * والعيش موتا والصديق مقاتلا
فلم يشعرن الا وقد وقعن من نيران الفتن فى تنور وتورطن من بحار المحن
فى دردور وتبسمت الى بكائهن ثنايا البلايا وتكالت على جباه مصابهن
عقود الرزايا فظفرت حامية الكفر بذلك المغنم البارد ولم يصدر من حلقة
صيده شارد ولا وارد فحازوا تلك المستترات ونزل الى حضيض قنصهم من
سماء المناعة الشموس النيرات فهتكوا استارهن وخربوا ديارهن
وضبطوا شعارهن ودثارهن وأحرزوا ما معهن من كنوز المعادن
ونفائس المكامن وذخائر الخزائن ثم اضافوهن الى زبانية غلاظ واحتفظوا
بهن اشد احتفاظ وساقوهن الى بلاد التتار مهتكات الاستار عاريات
حافيات حاسرات ماشيات وامروهن ان يجتمعن كل ليله عندما ينشر
الظلام ذيله فى كل منزله وصباح كل مرحله ويقمن على انفسهن العزا
وينحن بما تقدم ويبكين بما جرى ويعددن على خوارزمشاه ويذكرن
ماقدره الله عليه وقضاه وينعين ماكن فيه من النعم وما صرن اليه من
الهوان والنقم ولبدمن على هذه الطريقه حتى يقطعن من سفرهن طريقه
ويصلن بجنكزخان على ذلك الامتهان والذل والهوان فيرى فيهن رايه
من نكال ونكايه ورحمة وعنايه فامتثلن ما امروهن به فكن ينبهن
النيام ويبكين المنتبه واستمررن على هذه الحال فى الخزى والاذلال
والمشقة والابتذال بعد ذلك الصون والدلال يصدعن بنحيبهن الجبال
ويفطرن بالنظر اليهن أكباد الصخور والتلال ثم ان تولى لما أخذ طالقان واهلك
أهلها بسيف الطغيان ولم يدع فيها من يتنفس وهدم الى الارض بنيانها
المؤسس توجه الى جانب من بلاد العجم واهلك ماشاء الله من خلائق وأمم
فصار فى احد الجوانب يعيث وكل من سنتاى الخبيث وبما الكافر العنيث
فى جانب يبيد المسلمين ولا مغيث فدكوا قزوين وهمذان وصكوا اران
وبيلقان واغاروا على ممالك اذربيجان وبلغهم ان السلطان جلال الدين
له فى مجلس جماعة مجتمعين مقدمهم السلاحدار بكتكين وفيهم من
الاعيان كوجبوغاخان فتوجه اليهم يما فبدد شمل أولئك الزعما
وابادهم وفرقهم وشتتهم ومزقهم ثم اغاروا على غالب عراق العجم فاوسقوا

القفار بالضرم وأوسعوا البحار بامطار الدم وملأوا الوجود بالعدم
ثم قصدوا اردبيل وجعلوا أهلها مابين اسير وقتيل وكانوا فى اول المرور
قد صالحوا أهل نيسابور وانتقلوا الى مرو منها وراودوا أهلها عنها
فاغلقوا أبوابهم واقلقوا جوابهم فحطموا عليها ودخلوا اليها
وحكموا فى اهلها السيوف وكان شهر الصيام ففطروهم على كاسات الحتوف
ونقل الى جوار الله تعالى منهم المئين والالوف فضبطوا من امكن ضبطه
من القتلى واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا فكان ألف ألف نسمه
وثلثمائة ألف وثلاثين الفا مكرمه وكل هذه الفتنة والفتره فى سنة ثمان
عشره عامت الدنيا فى الدماء عوما وكانت مدة نحو تسعين يوما ثم توجهوا
الى شروان وافاضوا من بحار الدماء الطوفان ودخلوا من الباب الحديد
واتصلوا من الدست بذلك الشيطان المريد فتيقظ الناس من الفكره وافاقوا
مما كانوا فيه من السكره وتصوروا انها سحابة صيف انقضت اونسمة
ازمنة هبت بارقة أو مضت ولكن احتاطوا واستعدوا وتحفظوا واستمدوا
وحصنوا الحصون والمعاقل وجمعوا الجنود والجحافل فلم يكن باسرع من
ايابهم وتعاطى ما كانوا عليه من دأبهم والشروع فى اعمال حرابهم بخرابهم
وأخذهم فى ضروب ضربهم وضرابهم واستقر تولى فى ممالك العجم
وهو ابو هولاكو الكافر الاغتم فوصلوا الى شيراز وقد استعدت للحصار
واستمدت للمناوشة والنقار فاخذوها عنوة وزحفا وقتلوا منها مما امكن
ضبطه سبعين الفا ثم توجهوا الى طوس فازهقوا مابها من نفوس ثم الى
سائر القلاع بالحضيض واليفاع فاستولوا على الكل قهرا وأخذوه
عنوة وقسرا وسعوا فى احلال البوس وازهاق النفوس ثم الى موقان
ولم يتوا بها احدا كائنا من كان وعم القتل المبير كل صغير وكبير ثم حل
أولئك البور بلدة نيسابور فكافحت بعدما كانت صالحت وتحصنت
بعد ان اذعنت واعتمدت على عددها واستندت الى عددها وبرجالها
استعانت بعد ان كانت قد دانت ولانت واستكانت وكان فيها من آلات
الحرب ورجال الطعن والضرب مالا يحصى ولا يبلغه الاستقصا فكان
فيها من المجانق المرسلات الصواعق على اسوار الحصار ثلثمائة منجنيق

أصغرها كالغضبان فى المقدار خارجا عن المكاحل والمدافع المهلكات بالصواعق
الصواقع ومن رماة القوس القصير المنفذ حكمه قاضى التقدير ثلاثة
آلاف بطل كل ارمى من بنى ثعل واما عدد الضارب والنابل والقاتل والمقاتل
والرامح والناطح والصارع والتلرع والحاذف والجارف والخاطف
والقاطف والناهب والسالب ما الضابطون فيه تاهوا وما يعلم جنود
ربك الا هو فوجه التتار الهمة اليها واخنوا كالقضاء المبرم عليها وحمى
الوطيس وخاطر بنفسه كل خسيس وبذل مهجته من الغزاة كل نفيس
فقتل من أهل العدوان طغاجارخان زوج ابنة جنكزخان وكان من عتاة
الكفار المعتبرين بين التتار فخنق العدو لذلك وسددوا المسالك وسمع
بذلك تولى الكافر الموغولى وكان فى بعض الجوانب مشغولا بالدواهى
والمصائب ففار دم قلبه وتاججت نيران كربه وتأسف لفقد ختنه وثار
غبار احنه فتوجه من فوره بحنقه وجوره ونزل على نيسابور وحل
بالبوار على أولئك البور وزحف بالعساكر وتقدم بالطعن والضرب كل
كافر فلم تمض غلوه حتى اخذوها عنوه ودخلها من كفر من التتر يوم
السبت خامس عشر صفر سنة تسع عشره وستمائة من الهجره واعطى
تولى لاخته ذلك عوضا عن زوجها الهالك وقال لها تسلى عن ذلك المفقود
بهذا الموجود وتحكمى فى أهل البلد بما ترتضيه من سرور ونكد
وتصرفى فى الاموال والارواح فهما تريه فهو لك مباح فامرت ان لا يبقى
على ذى روح وان تجرى السيول من الدم المسفوح فاطلقوا فى ميادين
الحتوف اعنة صوارم السيوف فجدت جباه الجياد وجادت بجود الجد
على اجياد الاجواد وصارت كالسن الشعراء النقاد تهيم من النظم والنثر
فى كل واد فمحوا عن لوح الوجود بلسان شواظ السيف ذات الوقود
سطور ذوات ذلك السواد الاعظم وكتاب كتائب تلك الخلائق والامم
وزادوا فى الاشتطاط حتى قتلوا الكلاب والقطاط ثم أمرت ان تجمع
رؤس أولئك الجهور ويميز رؤس الاناث من الذكور فميزوا رؤس الرجال
عن قمم ربات الحجال وطرحوا كل كاشيه فى ناحيه فصارت الرؤس
كرواسى الجبال وتلك الدور والقصور كالاعصر الخوال ولم يخلص من

قطع

قطع الارؤس سوى أربعة انفس كانوا من ذوى الحرف فجذبتهم المهارة
من سفح بحر الفناء الى الطرف ثم ركبت تلك البسوس ووقفت على تلال
الرؤس فلم تنطفئ نارها ولا برد أوارها وزعمت أنها لم تستوف ثارها
وأن دود ترابها من علق تلك الامم ما تكفت وغيظة غيظها بزوائر السيوف
ماتشفت واستغاثت بالرجال وصاحت بلسان الحال وانشدت

وهب ان النساء سللن سيفا * فصلن وجلن كالفحل الغيور
فزلزلن الجبال فطرن خوفا * بضاهين السحاب على الطيور
وصار لسفكهن البر بحرا * أيغنيهن ذلك عن الايور

فامرت بهدم البلد واحراق ما فيها من الات وعدد فدكوها دكا
وأعدموها سبكا وسفكا وتصرفت أيدى النوائب فيها فتكا وبتكا ثم ان
تولى لوى العنان وقصد هراة من خراسان فاخذها بالامان ولم ينج من
ذلك الطوفان سوى تلك المكوره واستمرت تحت أوامرهم مقهوره
وامهات بلاد خراسان ومقر سرير السلطان كانت اربعة امصار كل ذات
اعتبار جليلة المقدار نيسابور وقد صارت بور وبلخ قد كسيت من البوار
ثوب سلخ ومرو الرود وقد انمحت من الوجود ولم يفز بالنجاة الا بلدة
هراه وسائر الامصار شملها البوار ولبست من خلع الدثور الدثار وكل
منها مصر جامع وبرها بحر واسع وبحرها كصدر البرمداه شاسع وأما
القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان تحصر اوتضبط
بحساب دفتر فابيد ذلك كله وابير فالحكم لله العلى الكبير كل ذلك فى ادنى
مده واوهى رقده وماذ كرذرة من طور وقطرة من بحور فسبحان من
لا يسأل عما يفعل ثم ان جنكزخان الهامة الهاميه والفتنة الطامة
الطاميه لما علق به المرض وحصل له فى خراسان العرض رجع الى بلاده
واستمر مرضه فى ازدياده ولم يزل على ذلك حتى اورد سبيل المهالك وتسلم
روحه الخبيثة مالك وحين ايس من الحياه وقنط من رحمة الله جمع المعتمد
عليه من أولاده المشاركين له فى عتوه وفساده وهم جغتاى واوكتاى
واولبغ نويين وجرجاى وكاكان واورجان واوصاهم بوصايا وطرائق
فى سياسة الرعايا حافظوا عليها وتناهضوا اليها فثبت لهم من ملكهم

اساسالم ينهدم واقام بنيانا الى يومنا لم ينخرم وعروش قواعد اركانه لم تنثلم مع كثرة عددهم ووفرة مددهم وشكاستهم وشراستهم وشماستهم وتعاستهم وغلاظتهم وفظاظتهم واختلاف اديانهم واتساع بلدانهم وهلك الطاغية جنكزخان وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران واستقر فى لعنة الله وعقابه واليم زجره وعذابه فى رابع شهر رمضان الشامل بالفضل والاحسان والبركة النامية الهاميه سنة اربع وعشرين وستمائه فى سرة مملكته المشوم واعظم امصاره ايميل وقوقان وقراقروم واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن تغير على ممالك الاسلام وتبير شعائر شرائع خير الانام وتثير غبار الافساد والمفسدين فى وجوه سنة سيد المرسلين وتحصر جنود الاسلام وتنقص جيوش العلماء الاعلام وتنقص اطراف الارض وتنقض اركان الدين بعضها على بعض وناهيك يا مولانا السلطان بفتن هولاكو تولى بن جنكزخان وبعده ابغا ابن هولاكو الذى تجبر وطغى وتكبر وبغا وبعده ابنه ارغون وبعده ابنه قازان المفتون واستمرت بحار الفتن منهم تؤثر عنهم وموجها يمور الى أن نبغ الاعرج تيمور فاهلك الحرث والنسل واختلط المباح بالبسل وحل بالعالم الباس وفسدت أحوال الناس وانما ذلك كله بفساد الراس ومن جملة فتنهم وطعنهم فى ظعنهم جالوا فى معركه وصالوا فى دست بركه فقتلوا فى مثل حرب البسوس وقطعوا فى ناحية من الروس جملة ارادوا ضبط عددها بعد ان ابانوها عن جسدها فلم يقدروا ان يحصروها فرسم لتلك البغاة سلطانها ان يقطع من الروس آذانها يقطعون من كل راس اذنا ولتكن الاذان اليمنى فجدعوا اذان بعض الروس وشكوها وفى خيوط سلكوها ثم فى قلائد ربطوها وبعد ذلك ضبطوها فكانت نحو مائتى ألف أذن مجدوده وسبعين ألف أذن معدوده وانما ذكرت يا ملك الطير امثال ما جرى من الشر والخير وجلوت عن مرآة ضميرك المنير صورة ما مر فى الزمان المبير وما فعله من ملكه زمام الاقتدار وامهله سلطان السلاطين الذى يخلق ما يشاء ويختار وصرفه فى بلاده وعباده وبين له طريقى صلاحه وفساده واخبركم أيها الملوك والحكام بامور كم فى دنياكم وجلا صور أحوالكم على اعين ابصاركم وبين مزاياكم

فى

فى مرايا كم فقال وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق
بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم فانظر ما فى هذه السير من الحكم والعبر
لتعلم ان الدنيا محل الغير ومحك العقول والفكر والحال بها هدف اسهام
القضاء والقدر مبتلى بكل خير وشر ونفع وضر غافل عن مواقع الحذر
آمن وهو على شرف الخطر مقيم وقد جد به السفر مناقش بما مضى من
انفاسه عما حلا ومر ومحاسب على ذرات ما اكتسبه مطالب بالفتيل
والقطمير مما ارتكبه فلما وصل الجمل فى الكلام الى هذا المقام قبل
العقاب بين عينيه وزاد قربه لديه وأفاض خلع الانعام عليه وقال صدق
عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال كلمة الحكمة ضالة كل حكيم ونطق
بالحق من قال لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال فاهل التحقيق وذوو
النظر الدقيق راقبوا المعانى ولم ينظروا الى القوالب والمبانى فان سليمان
عليه السلام وهو ملك الجن والانام والوحش والطير والهواء والهوام
ونبى مرسل وملك ذو فضل وسلطان الفصل بالعدل استفاد النصائح من نملة
وجمع هدهد مع ملكة سبا شمله ويوجد فى الاسقاط ما لا يوجد فى الاسفاط
ولقد ينطق بالفوائد من هو كافر وجاحد فيؤخذ من أقواله ولا يقتدى
بافعاله وقد قيل ان الحسن البصرى رحمة الله عليه دخل صبى مسجده
وصلى بين يديه فرآه لا يتم سجوده ولا يرضى بصلاته معبوده فدعاه وخاطبه
وانكر عليه وعاتبه وقال له تمم سجودك ترض معبودك فقال يا شيخ
المتقين هذه سجدات شخص من المؤمنين لو سجد احداها ابليس لآدم
لما كان من الملعونين ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين ولم يصر
من أهل العناد المطرودين ورأى يوما صبيا ومعه سراج وهو سالك
فى منهاج فسأله عن ناره وما فيها من أنواره من أين أخذها وكيف
اقتلذها فلم يجاوبه الا باطفاء السراج وسؤاله أين ذهب ذلك النور الوهاج
قل لى أين ذهبت تلك الانوار اقل لك من أين جاءت تلك النار ثم ان العقاب
ولى الجمل ما تحت يده من رقاب وقدمه على سائر الخدم وصنوف الطير
وأجناسه من الامم وجعله الدستور الاعظم والوزير المقدم المكرم وفى
هذا المقام امسك الحكيم حسيب عن الكلام وختم ما افتتحه من الحكم

والاحكام بالدعاء والثناء والصلاة والسلام قال الشيخ أبو المحاسن المخجل
بادبه امرأ القيس وابا فراس فلما انتهى الحكيم في مقترحه وما قصده من
بيان محاسنه وملحه الى هذا المحل وفصل من فضله ما أجمل من جمل نهض
الوزير وقبل قدميه واعترف له بالفضل المنعم به عليه وانه مالك ازمة الانشاء
وملك الكلام يصرفه كيف شاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكما انه شيخ
المنقول واستاذ المقول فمن أنوار الفاظه تنير العقول ومن كنوز عباراته
تستخرج جواهر المعقول واما اخوه الملك فطار بسروره به عن سريره
واتخذه في مهام اموره مقام اميره ثم أدت آراء فكرته ان يستعمل اخاه
لكشف كربته ويمشي في السعي بينه وبين اخوته لرتق ما انفتق وسد
ما خرقه سيل الحسد فانبثق فامتثل أمره العالي ونهض بامر الله المتعالي
وأنفق من جواهر افكاره في سوق المناصحة الرخيص والغالي ورصع
ما استخرجه من يواقيت تلك من عباراته بما يستعبد عقود اللآلي وتعاطى
أسباب الاصلاح وساعده لحسن النية وخلوص الطوية السعد والنجاح

وهذب في الفضل مارتبه * ورتب بالفضل ما هذبه
واعجب ذا اللب ما شاده * فاثنى عليه بما اعجبه
واغرب في السبق اشراقه * فلله ذا السعد ما اغربه
فما شذ بالصدق عن نصحه * ولا شذ خل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافره واطفأ بزلال ألفاظه العذبة شواظ تلك النائره
وسكن بنسيم ملاطفاته قتام الاخلاق الثائره فاطمأنت القلوب وطهرت
من غش التشاحن الجيوب واتصل بالمحب المحبوب وحصل الامن والامان
ومساعدة الزمان ومعاضدة الاخوان ومصافاة الخلان وطيب العيش
والمكان وأفضل من هذا جميعه شفقة السلطان والاستقامة على الاسلام
والايمان ونسأل الله تعالى اتمام نعمه واسبال ذيل احسانه وكرمه
واللطف في القضا والعفو عما مضى والمعاملة باحسانه الجزيل وحسبنا
الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وسيد المرسلين وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار من الاختان
والاصهار والمهاجرين والانصار وسلم تسليما يطيب الاعطار وتمسك

باذيال

باذيال عرفه خياشيم الازهار فى الاسحار مادامت الاعصار ودارت الادوار وترادف الليل والنهار وحشرنا فى زمرتهم مع المصطفين الاخيار انه كريم ستار حليم غفار

قال مؤلفه رحمه الله تعالى غفر مؤلفه ولفقه مصنفه فقير عفو الله تعالى من غير تردد ولا تفكر ولا تعمق فى تدبر مع توزع البال احمد بن محمد بن عربشاه الحنفى سامحه الله تعالى وعامله بما يرتضيه تفصيلا واجمالا لا بما يقتضيه عدلا وجلالا فى أواخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثمانمائة احسن الله خاتمتها وعاقبتها وجعل آخرها خيرا من اولها بمنه وكرمه آمين

وقد تم طبع هذا الكتاب عذب المنهل للواردين من الطلاب كيف لا وهو نعم الانيس للمسامر والجليس بما تضمنه من الحكم والنوادر والاسجاع المزريه فى انتظامها بعقود الجواهر هزله جد وفضله لا يحد تضمن من النصائح على ألسنة الحيوانات والبهم والعجماوات ما يتعظ به العاقل اللبيب ويتبصر به الكامل الاريب فى ايام من تباهت بعدله الاوطان وتسامت بفضله الى أوج التمدن والعمران وتحلت بمعارفه الاقطار المصريه وتجلت من لطائفه فى حلل الفخار البهيه فكان لها من اسمه السعيد ورأيه المصيب اوفر حظ واعظم نصيب لا زالت متمتعة بوجوده ومرتوية من نيل كرمه وجوده وكان طبعه على هذا الوجه اللطيف والاسلوب المستحسن الظريف فى دار الطباعة المصريه ببولاق القاهرة المعزيه على ذمة صاحب الفهم الذكى جناب محمد أفندى زكى ملحوظا بنظر صاحب نظارتها القائم بحسن تدبيرها وادارتها حضرة على أفندى جوده بلغه الله مأموله وقصده ومصححا بمعرفة الراجى عفو ربه المنان الفقير الى الله تعالى محمد قطة العدوى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن مصحح دار الطباعة المصريه امده الله بألطافه الخفيه مؤرخا تمام طبعه وحسن تمثيله ووضعه بقوله

انظر الى روضة أضحى معانيها * يجنى لذيذ ثمار من معانيها
وورق أدواحها قالت مؤرخة * صن حسن فاكهة طابت لجانيها
١٤٠ ١١٨ ٥٠٦ ٤١٢ ١٠٠

سنة ١٢٧٦

وقد وافق تمام طبعه اواسط شعبان المكرم شهر النبي المعظم
أحد شهور عام ستة وسبعين بعد المائتين والالف من
هجرة من خلقه الله تعالى على اكمل وصف صلى الله
وسلم عليه وعلى آله والناسجين من امته
على منواله

تم

٧١١

انظرالى روضة أضحى معانيها * يجنى لذيذ ثمار من معانيها
وورق أدواحها قالت مؤرخة * صن حسن فاكهة طابت بجانيها
١٤٠ ١١٨ ٥٠٦ ٤١٢ ١٠٠

سنة ١٢٧٦

وقدوافق تمام طبعه اواسط شعبان المكرم شهر النبى المعظم
أحد شهور عام ستة وسبعين بعد المائتين والالف من
هجرة من خلقه الله تعالى على اكمل وصف صلى الله
وسلم عليه وعلى آله والناسجين من امته
على منواله

تم

خالص الكمرك